
بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة مصححة ومزودة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد السابع والعشرون
٥٣-٥٤
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

٥٣ـ٥٤



الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثالث والخمسون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - باب ما يكون عند ظهوره عليه السلام «برواية المفضّل بن عمر»

أقول: روي في بعض مؤلّفات أصحابنا[1]، عن الحسين بن حمدان، عن محمّد بن إسماعيل وعليّ بن عبد الله الحسنيّ، عن أبي شعيب [و] محمّد بن نُصير، عن عمر بن الفرات، عن محمّد بن المفضّل، عن المفضّل بن عمر قال: «سألت سيّدي الصادق عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهديّ عليه السلام من وقت مؤقّت يعلمه الناس؟ فقال: حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا، قلت: «يا سيّدي ولم ذاك؟ قال: «لأنّه هو الساعة الّتي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] الآية، وهو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[3] وقال ﴿عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[4] ولم يقل إنّها عند أحد وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[5] الآية وقال ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[6] وقال ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[7] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[8].

قلت: فما معنى يمارون؟ قال: يقولون متى ولد؟ ومن رأى؟ وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ وكلُّ ذلك استعجالاً لأمر الله، وشكّاً في قضائه، ودخولاً في قدرته أُولئك الّذين خسروا الدُّنيا وإنَّ للكافرين لشرَّ مآب.

قلت: أفلا يوقّت له وقت؟ فقال: يا مفضّل لا أُوقّت له وقتاً ولا يوقّت له وقت، إنَّ من وقّت لمهديّنا وقتاً فقد شارك الله تعالى في علمه، وادّعى أنّه ظهر على سرّه، وما لله من سرّ إلاّ وقد وقع إلى هذا الخلق المعكوس الضالّ عن الله الراغب عن أولياء الله، وما لله من خبر إلاّ وهم أخصُّ به لسرّه، وهو عندهم وإنّما ألقى الله إليهم ليكون حجّة عليهم.

قال المفضّل: يا مولاي! فكيف بدء ظهور المهديّ عليه السلام وإليه التسليم؟ قال عليه السلام: يا مفضّل يظهر في شبهة ليستبين، فيعلو ذكره، ويظهر أمره، وينادى باسمه وكنيته

---

(١) هو الخصيبي الحسين بن حمدان صاحب كتابة الهداية الكبرى.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٢.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٦) سورة القمر، الآية: ١.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

(٨) سورة الشورى، الآية: ١٨.

ونسبه ويكثر ذلك على أفواه المحقّين والمبطلين والموافقين والمخالفين لتلزمهم الحجّة بمعرفتهم به على أنّه قد قصصنا ودللنا عليه، ونسبناه وسمّيناه وكنّيناه، وقلنا سميُّ جدّه رسول الله ﷺ وكنيّه لئلاّ يقول الناس: «ما عرفنا له اسماً ولا كنية ولا نسباً».

والله ليتحقّق الإيضاح به وباسمه ونسبه وكنيته على ألسنتهم، حتّى ليسمّيه بعضهم لبعض، كلُّ ذلك للزوم الحجّة عليهم، ثمّ يظهره الله كما وعد به جدّه ﷺ في قوله عزّوجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

قال المفضّل: «يا مولاي فما تأويل قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] قال عليه السلام هو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[3] فوالله يا مفضّل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدّين كلّه واحداً كما قال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[4] وقال الله ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5].

قال المفضّل: قلت: يا سيدي ومولاي والدّين الّذي في آبائه إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمّد ﷺ هو الإسلام؟ قال: نعم يا مفضّل، هو الإسلام لا غير.

قلت: يا مولاي أتجده في كتاب الله؟ قال: «نعم من أوّله إلى آخره ومنه هذه الآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[6] ومنه قوله تعالى في قصّة إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[7] وقوله تعالى في قصّة فرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[8] وفي قصّة سليمان وبلقيس ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وقولها ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[9].

وقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[10] وقوله جلّ وعزّ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[11] وقوله في قصّة لوط ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[12] وقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ - إلى قوله - ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[13] وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[14].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٧) سورة يونس، الآية: ٩٠.
(٨) سورة النمل، الآية: ٣٨.
(٩) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(١١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(١٢) سورة الذاريات، الآية: ٣٦.
(١٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(١٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

قلت: يا سيّدي كم الملل؟ قال: أربعة وهي شرائع قال المفضّل: قلت: يا سيّدي المجوس لم سمّوا المجوس؟ قال عليه السلام: لأنّهم تمجّسوا في السريانيّة وادّعوا على آدم وعلى شيث وهو هبة الله أنّهما أطلقا لهم نكاح الأمّهات والأخوات والبنات والخالات والعمّات والمحرّمات من النساءِ، وأنّهما أمراهم أن يُصلّوا إلى الشمس حيث وقفت في السماء ولم يجعلا لصلاتهم وقتاً؛ وإنّما هو افتراء على الله الكذب وعلى آدم وشيث عليهما السلام.

قال المفضّل: يا مولاي وسيّدي لم سمّي قوم موسى اليهود؟ قال عليه السلام: لقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي اهتدينا إليك قال: فالنصارى؟ قال عليه السلام: لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وتلا الآية إلى آخرها فسمّوا النصارى لنصرة دين الله.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي فلم سمّي الصابئون الصابئين؟ فقال عليه السلام: «إنّهم صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرُّسل والملل والشرائع، وقالوا: كلّ ما جاؤوا به باطل، فجحدوا توحيد الله تعالى، ونبوّة الأنبياء، ورسالة المرسلين، ووصيّة الأوصياء، فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول، وهم معطّلة العالم.

قال المفضّل: سبحان الله ما أجلَّ هذا من علم! قال عليه السلام: نعم، يا مفضّل فألقه إلى شيعتنا لئلاّ يشكّوا في الدِّين.

قال المفضّل: يا سيّدي ففي أيِّ بقعة يظهر المهديُّ؟ قال عليه السلام: «لا تراه عينٌ في وقت ظهوره إلاّ رأته كلُّ عين، فمن قال لكم غير هذا فكذِّبوه».

قال المفضّل: يا سيّدي ولا يُرى وقت ولادته؟ قال: بلى والله، ليرى من ساعة ولادته إلى ساعة وفاة أبيه سنتين وتسعة أشهر أوّل ولادته وقت الفجر من ليلة الجمعة، لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين إلى يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأوّل من سنة ستّين ومائتين وهو يوم وفاة أبيه بالمدينة الّتي بشاطىء دجلة يبنيها المتكبّر الجبّار المسمّى باسم جعفر، الضالُّ الملقّب بالمتوكّل وهو المتأكّل لعنه الله تعالى وهي مدينة تدعى بسرَّ من رأى وهي ساء من رأى[1]، يرى شخصه المؤمن المحقُّ سنة ستّين ومائتين ولا يراه المشكّك المرتاب، وينفذ فيها أمره ونهيه، ويغيب عنها فيظهر في القصر بصائر بجانب المدينة في حرم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فيلقاه هناك من يسعده الله بالنظر إليه، ثمّ يغيب في آخر يوم من سنة ستّ وستين ومائتين فلا تراه عين أحد حتّى يراه كلُّ أحد وكلُّ عين.

قال المفضّل: قلت: يا سيّدي فمن يخاطبه ولمن يخاطب؟ قال الصادق عليه السلام: تخاطبه

---

(١) المشهور في سرّ من رأى أنّ المعتصم بناها، ولعل المتوكل أتم بنائها وتعميرها. وقيل لمّا شرع في بنائها المعتصم، ثقل على عسكره، فلما انتقل إليها سرّوا برؤيتها فلزمها هذا الاسم. [النمازي].

الملائكة والمؤمنون من الجنّ ويخرج أمره ونهيه إلى ثقاته وولاته ووكلائه ويقعد ببابه محمّد ابن نصير النميريّ في يوم غيبته بصائر[1] ثمّ يظهر بمكّة.

ووالله يا مفضّل كأنّي أنظر إليه دخل مكّة وعليه بردة رسول الله ﷺ، وعلى رأسه عمامة صفراء، وفي رجليه نعلا رسول الله ﷺ المخصوفة وفي يده هراوته عليه السلام يسوق بين يديه عنازاً عجافاً حتّى يصل بها نحو البيت ليس ثَمّ أحدٌ يعرفه، ويظهر وهو شابٌّ.

قال المفضّل: يا سيّدي يعود شابّاً أو يظهر في شيبة؟ فقال عليه السلام: سبحان الله وهل يعرف ذلك؟ يظهر كيف شاء وبأيّ صورة شاء إذا جاءه الأمر من الله تعالى مجده وجلّ ذكره.

قال المفضّل: يا سيّدي فمن أين يظهر وكيف يظهر؟ قال: يا مفضّل يظهر وحده ويأتي البيت وحده، ويلج الكعبة وحده، ويجنّ عليه اللّيل وحده، فإذا نامت العيون وغسق اللّيل نزل إليه جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، والملائكة صفوفاً فيقول له جبرائيل: يا سيدي قولك مقبول، وأمرك جائز، فيمسح عليه السلام يده على وجهه ويقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2].

ويقف بين الرُّكن والمقام، فيصرخ صرخة فيقول: يا معاشر نقبائي وأهل خاصّتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض! ائتوني طائعين!! فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم على محاريبهم، وعلى فرشهم، في شرق الأرض وغربها فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كلّ رجل، فيجيئون نحوها، ولا يمضي لهم إلاّ كلمحة بصر، حتّى يكون كلّهم بين يديه عليه السلام بين الرُّكن والمقام.

فيأمر الله عزّ وجلّ النور فيصير عموداً من الأرض إلى السماء فيستضيء به كلّ مؤمن على وجه الأرض. ويدخل عليه نور من جوف بيته، فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور، وهم لا يعلمون بظهور قائمنا أهل البيت عليه وعليهم السلام.

ثمّ يصبحون وقوفاً بين يديه، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدّة أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر.

قال المفضّل: يا مولاي يا سيّدي فاثنان وسبعون رجلاً الّذين قتلوا مع الحسين بن عليّ عليه السلام يظهرون معهم؟ قال: يظهر منهم أبو عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام في اثني عشر ألفاً مؤمنين من شيعة عليّ عليه السلام وعليه عمامة سوداء.

قال المفضّل: «يا سيّدي فبغير سنّة القائم عليه السلام بايعوا له قبل ظهوره وقبل قيامه؟ فقال عليه السلام: يا مفضّل كلّ بيعة قبل ظهور القائم عليه السلام فبيعته كفر ونفاق وخديعة، لعن الله المبايَع لها والمبايِع له، بل يا مفضّل يسند القائم عليه السلام ظهره إلى الحرم، ويمدّ يده فترى

---

(١) في المصدر: بصاريا، في الموضعين. (٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

بيضاء من غير سوء ويقول: هذه يد الله، وعن الله، وبأمر الله ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[1]. الآية.

فيكون أوّل من يقبّل يده جبرائيل عليه السلام ثمّ يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجنّ، ثمّ النقباء ويصبح الناس بمكّة، فيقولون: من هذا الرّجل الّذي بجانب الكعبة؟ وما هذا الخلق الّذين معه؟ وما هذه الآية الّتي رأيناها اللّيلة ولم تُر مثلها؟ فيقول بعضهم لبعض: هذا الرّجل هو صاحب العُنيزات.

فيقول بعضهم لبعض: انظروا هل تعرفون أحداً ممّن معه، فيقولون: لا نعرف أحداً منهم إلاّ أربعة من أهل مكّة، وأربعة من أهل المدينة، وهم فلان وفلان ويعدّونهم بأسمائهم، ويكون هذا أوّل طلوع الشمس في ذلك اليوم، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربيّ مبين، يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق! هذا مهديُّ آل محمّد - ويسمّيه باسم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ويكنّيه، وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن عليّ صلوات الله عليهم أجمعين - بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا أمره فتضلّوا.

فأوّل من يقبّل يده الملائكة، ثمّ الجنّ، ثمّ النقباء ويقولون: سمعنا وأطعنا ولا يبقى ذو أذن من الخلائق إلاّ سمع ذلك النداء، وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبرّ والبحر، يحدّث بعضهم بعضاً ويستفهم بعضهم بعضاً ما سمعوا بآذانهم.

فإذا دنت الشمس للغروب، صرخ صارخ من مغربها: يا معشر الخلائق قد ظهر ربّكم بوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الأمويُّ من ولد يزيد بن معاوية فبايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا عليه فتضلّوا، فيردُّ عليه الملائكة والجنُّ والنقباء قوله، ويكذّبونه، ويقولون له: سمعنا وعصينا، ولا يبقى ذو شكّ ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر إلاّ ضلّ بالنداء الأخير.

وسيّدنا القائم عليه السلام مسند ظهره إلى الكعبة، ويقول: يا معشر الخلائق ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث، فها أنا ذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فها أنا ذا نوح وسام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع، فها أنا ذا موسى ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون.

ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمّد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فها أنا ذا محمّد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فها أنا ذا الحسن والحسين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام فها أنا ذا الأئمة عليهم السلام أجيبوا إلى مسألتي، فانّي أُنبّئكم بما نبّئتم به وما لم تنبّؤوا به.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع منّي، ثمّ يبتدىء بالصحف الّتي أنزلها الله على آدم وشيث عليهما السلام، ويقول أمّة آدم وشيث هبة الله: هذه والله هي الصحف حقّاً، ولقد أرانا ما لم نكن نعلمه فيها، وما كان خفي علينا، وما أسقط منها وبدّل وحرّف، ثمّ يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور: هذه والله صحف نوح وإبراهيم عليهما السلام حقّاً، وما أسقط منها وبدّل وحرّف منها هذه والله التوراة الجامعة والزّبور التامُّ والإنجيل الكامل وإنّها أضعاف ما قرأنا منها.

ثمّ يتلو القرآن فيقول المسلمون: هذا والله القرآن حقّاً الّذي أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله، وما أسقط منه وحرّف وبدّل.

ثمّ تظهر الدابّة بين الرُّكن والمقام، فتكتب في وجه المؤمن «مؤمن» وفي وجه الكافر «كافر» ثمّ يقبل على القائم عليه السلام رجل وجهه إلى قفاه، وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه فيقول: يا سيّدي أنا بشير أمرني ملك من الملائكة أن ألحق بك وأبشّرك بهلاك جيش السفيانيّ بالبيداء فيقول له القائم عليه السلام: بيّن قصّتك وقصّة أخيك.

فيقول الرّجل كنت وأخي في جيش السفيانيّ وخربنا الدُّنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جمّاء، وخربنا الكوفة وخربنا المدينة، وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد إخراب البيت وقتل أهله، فلمّا صرنا في البيداء عرّسنا فيها، فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم الظالمين فانفجرت الأرض، وابتلعت كلّ الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي.

فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى، فقال لأخي: ويلك يا نذير! امض إلى الملعون السفيانيّ بدمشق، فأنذره بظهور المهديّ من آل محمّد عليهم السلام، وعرّفه أنّ الله قد أهلك جيشه بالبيداء، وقال لي: يا بشير الحق بالمهديّ بمكّة وبشّره بهلاك الظالمين، وتب على يده، فإنّه يقبل توبتك، فيمرُّ القائم عليه السلام يده على وجهه فيردُّ سويّاً كما كان، ويبايعه ويكون معه.

قال المفضّل: يا سيّدي! وتظهر الملائكة والجنُّ للناس؟ قال: إي والله يا مفضّل، ويخاطبونهم كما يكون الرّجل مع حاشيته وأهله، قلت: يا سيّدي ويسيرون معه؟ قال: إي والله يا مفضّل ولينزلنّ أرض الهجرة ما بين الكوفة والنجف وعدد أصحابه عليه السلام حينئذ ستّة وأربعون ألفاً من الملائكة وستّة آلاف من الجنّ وفي رواية أخرى: ومثلها من الجنّ بهم ينصره الله ويفتح على يديه.

قال المفضّل: فما يصنع بأهل مكّة؟ قال: يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فيطيعونه ويستخلف فيهم رجلاً من أهل بيته، ويخرج يريد المدينة.

قال المفضّل: يا سيّدي فما يصنع بالبيت؟ قال: ينقضه فلا يدع منه إلاّ القواعد الّتي هي

أوّل بيت وضع للناس ببكّة في عهد آدم عليه السلام والّذي رفعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام منها وإنّ الّذي بني بعدهما لم يبنه نبيّ ولا وصيّ، ثمّ يبنيه كما يشاء وليعفينّ آثار الظالمين بمكّة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم، وليهدمنّ مسجد الكوفة، وليبنيّنه على بنيانه الأوّل، وليهدمنّ القصر العتيق، ملعون ملعون من بناه.

قال المفضّل: يا سيّدي يقيم بمكّة؟ قال: لا يا مفضّل بل يستخلف فيها رجلاً من أهله، فإذا سار منها وثبوا عليه فيقتلونه، فيرجع إليهم فيأتونه مهطعين مقنعي رؤوسهم يبكون ويتضرّعون، ويقولون: يا مهديّ آل محمّد التوبة التوبة فيعظهم وينذرهم، ويحذّرهم، ويستخلف عليهم منهم خليفة ويسير، فيثبون عليه بعده فيقتلونه فيردّ إليهم أنصاره من الجنّ والنقباء ويقول لهم: ارجعوا فلا تبقوا منهم بشراً إلاّ من آمن، فلولا أنّ رحمة ربّكم وسعت كلّ شيء وأنا تلك الرّحمة لرجعت إليهم معكم، فقد قطعوا الأعذار بينهم وبين الله، وبيني وبينهم، فيرّجعون إليهم، فوالله لا يسلم من المائة منهم واحد لا والله ولا من ألف واحد.

قال المفضّل: قلت: يا سيّدي فأين تكون دار المهديّ، ومجتمع المؤمنين؟ قال: دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريّين.

قال المفضّل: يا مولاي كلّ المؤمنين يكونون بالكوفة؟ قال: إي والله لا يبقى مؤمن إلاّ كان بها أو حواليها، وليبلغنّ مجالة فرس منها ألفي درهم وليودُّنّ أكثر الناس أنّه اشترى شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب، والسبع خطّة من خطط همدان، وليصيرنّ الكوفة أربعة وخمسين ميلاً وليجاورنّ قصورها كربلاء، وليصيّرنّ الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون وليكوننّ لها شأن من الشأن، وليكوننّ فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربّه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدُّنيا ألف مرّة.

ثمّ تنفّس أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا مفضّل إنّ بقاع الأرض تفاخرت: ففخرت كعبة البيت الحرام، على بقعة كربلاء، فأوحى الله إليها أن اسكتي كعبة البيت الحرام، ولا تفتخري على كربلاء، فإنّها البقعة المباركة الّتي نودي موسى منها من الشجرة، وإنّها الرّبوة الّتي أوت إليها مريم والمسيح وإنّها الدالية الّتي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام وفيها غسلت مريم عيسى عليه السلام واغتسلت من ولادتها وإنّها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها وقت غيبته، وليكوننّ لشيعتنا فيها خيرة إلى ظهور قائمنا عليه السلام.

قال المفضّل: يا سيّدي ثمّ يسير المهديُّ إلى أين؟ قال عليه السلام: إلى مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين.

قال المفضّل: يا سيّدي ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فيقول: يا معاشر الخلائق، هذا قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون: نعم يا مهديّ آل محمّد فيقول: ومن معه

في القبر؟ فيقولون: صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول وهو أعلم بهما والخلائق كلّهم جميعاً يسمعون: من أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدّي رسول الله ﷺ، وعسى المدفون غيرهما.

فيقول الناس: يا مهديّ آل محمّد ﷺ ما ههنا غيرهما إنّهما دفنا معه لأنّهما خليفتا رسول الله ﷺ وأبوا زوجتيه، فيقول للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما، فيخرجان غضّين طريّين لم يتغيّر خلقهما، ولم يشحب لونهما فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدّك غيرهما، فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشكّ فيهما؟ فيقولون: لا فيؤخّر إخراجهما ثلاثة أيام، ثمّ ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهديُّ ويكشف الجدران عن القبرين، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما وانبشوهما.

فيبحثون بأيديهم حتّى يصلون إليهما. فيخرجان غضّين طريّين كصورتهما فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها، فتحيى الشجرة وتورق ويطول فرعها.

فيقول المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله الشرف حقّاً، ولقد فزنا بمحبّتهما وولايتهما، ويخبر من أخفى نفسه ممّن في نفسه مقياس حبّة من محبّتهما وولايتهما، فيحضرونهما ويرونهما ويفتتون بهما وينادي منادي المهديّ عليه السلام: كلُّ من أحبَّ صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعَيه، فلينفرد جانباً، فتتجزّأ الخلق جزأين أحدهما موال والآخر متبرّىء منهما.

فيعرض المهديُّ عليه السلام على أوليائهما البراءة منهما فيقولون: يا مهديَّ آل رسول الله ﷺ نحن لم نتبرّأ منهما، ولسنا نعلم أنَّ لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الّذي بدا لنا من فضلهما، أنتبرّأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت؟ من نضارتهما وغضاضتهما، وحياة الشجرة بهما؟ بل والله نتبرّأ منك وممّن آمن بك ومن لا يؤمن بهما، ومن صلبهما، وأخرجهما، وفعل بهما ما فعل فيأمر المهديُّ عليه السلام ريحاً سوداء فتهبُّ عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية.

ثمَّ يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثمَّ يقصُّ عليهم قصص فعالهما في كلِّ كَور ودور حتّى يقصَّ عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، وجمع النار لإبراهيم عليه السلام، وطرح يوسف عليه السلام في الجبّ، وحبس يونس عليه السلام في الحوت، وقتل يحيى عليه السلام، وصلب عيسى عليه السلام وعذاب جرجيس ودانيال عليهما السلام، وضرب سلمان الفارسيّ، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصدّيقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها محسناً، وسمّ الحسن عليه السلام وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمّه وأنصاره، وسبي ذراري رسول

الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمّد صلى الله عليه وآله، وكلّ دم سفك، وكلّ فرج نكح حراماً، وكلّ رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا عليه السلام كلّ ذلك يعدّده عليه السلام عليهما، ويلزمهما إيّاه فيعترفان به ثمّ يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثمّ يصليهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثمّ يأمر ريحاً فتنسفهما في اليمّ نسفاً.

قال المفضّل: يا سيّدي ذلك آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضّل والله ليردنّ وليحضرنّ السيّد الأكبر محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام وكلّ من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وليقتصّنّ منهما لجميعهم حتّى أنّهما ليقتلان في كلّ يوم وليلة ألف قتلة، ويردّان إلى ما شاء ربّهما. ثمّ يسير المهديّ عليه السلام إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف، وعنده أصحابه في ذلك اليوم ستّة وأربعون ألفاً من الملائكة وستّة آلاف من الجنّ، والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً.

قال المفضّل: يا سيّدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟ قال: في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتتركها جمّاء فالويل لها ولمن بها كلّ الويل من الرايات الصفر، ومن رايات المغرب، ومن كلب الجزيرة ومن الرايات الّتي تسير إليها من كلّ قريب أو بعيد.

والله لينزلنّ بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمرّدة من أوّل الدّهر إلى آخره، ولينزلنّ بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلاّ بالسيف، فالويل لمن اتّخذ بها مسكناً فإنّ المقيم بها يبقى لشقائه، والخارج منها برحمة الله.

والله ليبقى من أهلها في الدّنيا حتّى يقال: إنّها هي الدّنيا، وإنّ دُورها وقصورها هي الجنّة، وإنّ بناتها هنّ الحور العين، وإنّ ولدانها هم الولدان وليظنّنّ أنّ الله لم يقسم رزق العباد إلاّ بها، وليظهرنّ فيها من الأمراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، والحكم بغير كتابه، ومن شهادات الزُّور، وشرب الخمور و[إتيان] الفجور، وأكل السحت وسفك الدّماء ما لا يكون في الدُّنيا كلّها إلاّ دونه، ثمّ ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات، حتّى ليمرُّ عليها المارُّ فيقول: ههنا كانت الزوراء.

ثمّ يخرج الحسنيُّ الفتى الصبيح من نحو الدَّيلم! يصيح بصوت له فصيح يا آل أحمد أجيبوا الملهوف، والمنادي من حول الضريح فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوزٌ وأيُّ كنوز، ليست من فضّة ولا ذهب، بل هي رجال كزبر الحديد، على البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، ولم يزل يقتل الظّلمة حتّى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض، فيجعلها له معقلاً.

فيتصل به وبأصحابه خبر المهديّ عليه السلام، ويقولون: يا ابن رسول الله من هذا الّذي قد نزل بساحتنا، فيقول: اخرجوا بنا إليه حتّى ننظر من هو؟ وما يريد؟ وهو والله يعلم أنّه المهديُّ، وإنّه ليعرفه، ولم يرد بذلك الأمر إلاّ ليعرّف أصحابه من هو؟

فيخرج الحسنيُّ فيقول: إن كنت مهديَّ آل محمّد فأين هراوة جدِّك رسول الله ﷺ وخاتمه، وبردته، ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب، وفرسه اليربوع وناقته العضباء، وبغلته الدُّلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام؟ فيخرج له ذلك ثمّ يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد وتورق، ولم يرد ذلك إلاّ أن يري أصحابه فضل المهديّ عليه السلام حتّى يبايعوه.

فيقول الحسنيُّ: الله أكبر مدَّ يدك يا ابن رسول الله حتّى نبايعك فيمدُّ يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الّذي مع الحسنيّ إلاّ أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفين بالزيديّة، فإنّهم يقولون: «ما هذا إلا سحر عظيم».

فيختلط العسكران فيقبل المهديُّ عليه السلام على الطائفة المنحرفة، فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيّام، فلا يزدادون إلاّ طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً ثمّ يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف، ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدّلوها وغيّروها وحرّفوها ولم يعملوا بما فيها.

قال المفضّل: يا مولاي ثمّ ماذا يصنع المهديُّ؟ قال: يثوّر سرايا على السفيانيّ إلى دمشق، فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة.

ثمّ يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق واثنين وسبعين رجلاً أصحابه يوم كربلاء، فيا لك عندها من كرَّة زهراء بيضاء.

ثمّ يخرج الصدّيق الأكبر أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وينصب له القبّة بالنجف، ويقام أركانها: ركن بالنجف، وركن بهجر، وركن بصنعاء، وركن بأرض طيبة، لكأنّي أنظر إلى مصابيحه تشرق في السّماء والأرض، كأضوأ من الشمس والقمر، فعندها تبلى السرائر، و﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ إلى آخر الآية[1].

ثمّ يخرج السيّد الأكبر محمّد رسول الله ﷺ في أنصاره والمهاجرين، ومن آمن به وصدَّقه واستشهد معه، ويحضر مكذّبوه والشاكّون فيه والرّادُّون عليه والقائلون فيه أنّه ساحر وكاهن ومجنون، وناطق عن الهوى، ومن حاربه وقاتله حتّى يقتصَّ منهم بالحقّ، ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول الله ﷺ إلى ظهور المهديّ مع إمام إمام، ووقت وقت، ويحقُّ تأويل هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[2].

قال المفضّل: يا سيّدي ومن فرعون وهامان؟ قال: أبو بكر وعمر.

قال المفضّل: قلت: يا سيّدي ورسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما يكونان

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢.
(٢) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.

معه؟ فقال: لا بدَّ أن يطأ الأرض إي والله حتّى ما وراء الخاف، إي والله وما في الظلمات، وما في قعر البحار، حتّى لا يبقى موضع قدم إلاّ وطئا وأقاما فيه الدِّين الواجب لله تعالى.

ثمَّ لكأنّي أنظر - يا مفضّل - إلينا معاشر الأئمّة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نشكو إليه ما نزل بنا من الأمّة بعده، وما نالنا من التكذيب والرَّدِّ علينا وسبّنا ولعننا وتخويفنا بالقتل، وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم من دون الأمّة بترحيلنا عن الحرمة إلى دار ملكهم، وقتلهم إيّانا بالسمِّ والحبس، فيبكي رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: يا بَنِيَّ ما نزل بكم إلاّ ما نزل بجدِّكم قبلكم. ثمَّ تبتدىء فاطمة عليها السلام وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر، وأخذ فدك منها ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار، وخطابها له في أمر فدك، وما ردَّ عليها من قوله: إنَّ الأنبياء لا تورِّث، واحتجاجها بقول زكريّا ويحيى عليهما السلام وقصّة داود وسليمان عليهما السلام.

وقول عمر: هاتي صحيفتك الّتي ذكرت أنَّ أباك كتبها لك وإخراجها الصّحيفة وأخذه إيّاها منها، ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب وتفله فيها، وتمزيقه إيّاها وبكائها، ورجوعها إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله باكية حزينة تمشي على الرَّمضاء قد أقلقتها، واستغاثتها بالله وبأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وتمثّلها بقول رُقيقة بنت صيفي:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنت شاهدها لم يكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلَّ أهلك فاشهدهم فقد لعبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم	لمّا نأيتَ وحالت دونك الحُجب
لكلِّ قوم لهم قرب ومنزلة	عند الإله على الأدنين مقترب
يا ليت قبلك كان الموت حلَّ بنا	أملوا أناس ففازوا بالّذي طلبوا

وتقصُّ عليه قصّة أبي بكر وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذاً وعمر بن الخطّاب وجمعه النّاس لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته إلى البيعة في سقيفة بني ساعدة واشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بضمِّ أزواجه وقبره وتعزيتهم وجمع القرآن وقضاء دينه، وإنجاز عداته، وهي ثمانون ألف درهم، باع فيها تليده وطارفه وقضاها عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقول عمر: اخرج يا عليُّ إلى ما أجمع عليه المسلمون وإلاّ قتلناك، وقول فضّة جارية فاطمة: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مشغول والحقُّ له إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتموه؛ وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأُمِّ كلثوم وفضّة، وإضرامهم النّار على الباب، وخروج فاطمة إليهم وخطابها لهم من وراء الباب.

وقولها: ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدُّنيا وتفنيه وتطفىء نور الله؟ والله متمُّ نوره، وانتهاره لها.

وقوله: كفّي يا فاطمة فليس محمّد حاضراً ولا الملائكة آتية بالأمر والنّهي والزّجر من عند الله، وما عليٌّ إلاّ كأحد المسلمين فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعاً.

فقالت وهي باكية: اللّهمّ إليك نشكو فقد نبيّك ورسولك وصفيّك، وارتداد أُمّته علينا، ومنعهم إيّانا حقّنا الّذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيّك المرسل.

فقال لها عمر: دعي عنك يا فاطمة حماقة النساء. فلم يكن الله ليجمع لكم النبوّة والخلافة، وأخذت النّار في خشب الباب.

وإدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها، حتّى صار كالدُّملج الأسود، وركل الباب برجله، حتّى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسّن، لستّة أشهر وإسقاطها إيّاه. وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد وصفقه خدّها حتّى بدا قُرطاها تحت خمارها، وهي تجهر بالبكاء، وتقول: وا أبتاه، وا رسول الله، ابنتك فاطمة تكذّب وتضرب، ويقتل جنين في بطنها.

وخروج أمير المؤمنين عليه السلام من داخل الدار محمرٌّ العين حاسراً، حتّى ألقى ملاءته عليها، وضمّها إلى صدره وقوله لها: يا بنت رسول الله قد علمتي أنّ أباك بعثه الله رحمة للعالمين، فالله الله أن تكشفي خمارك، وترفعي ناصيتك، فوالله يا فاطمة لئن فعلت ذلك لا أبقى الله على الأرض من يشهد أنّ محمّداً رسول الله ولا موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا نوح ولا آدم، [ولا] دابّة تمشي على الأرض ولا طائراً في السماء إلاّ أهلكه الله.

ثمّ قال: يا ابن الخطّاب لك الويل من يومك هذا وما بعده وما يليه اخرج قبل أن أشهر سيفي فأُفني غابر الأُمّة.

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرّحمن بن أبي بكر فصاروا من خارج الدار، وصاح أمير المؤمنين بفضّة يا فضّة مولاتك فاقبلي منها ما تقبله النساء فقد جاءها المخاض من الرّفسة وردّ الباب، فأسقطت محسّناً فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّه لاحق بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فيشكو إليه.

وحمل أمير المؤمنين لها في سواد اللّيل والحسن والحسين وزينب وأُمّ كلثوم إلى دور المهاجرين والأنصار، يذكّرهم بالله ورسوله، وعهده الّذي بايعوا الله ورسوله، وبايعوه عليه في أربعة مواطن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين في جميعها، فكلٌّ يعده بالنصر في يومه المقبل، فإذا أصبح قعد جميعهم عنه ثمّ يشكو إليه أمير المؤمنين عليه السلام المحن العظيمة الّتي امتحن بها بعده.

وقوله لقد كانت قصّتي مثل قصّة هارون مع بني إسرائيل وقولي كقوله لموسى: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] فصبرت

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

محتسباً وسلّمت راضياً وكانت الحجّة عليهم في خلافي، ونقضهم عهدي الّذي عاهدتهم عليه يا رسول الله.

واحتملت يا رسول الله ما لم يحتمل وصيٌّ نبيّ من سائر الأوصياء من سائر الأمم حتّى قتلوني بضربة عبد الرَّحمن بن ملجم، وكان الله الرَّقيب عليهم في نقضهم بيعتي.

وخروج طلحة والزُّبير بعائشة إلى مكّة يظهران الحجَّ والعمرة وسيرهم بها إلى البصرة، وخروجي إليهم وتذكيري لهم الله وإيّاك، وما جئت به يا رسول الله، فلم يرجعا حتّى نصرني الله عليهما حتّى أهرقت دماء عشرين ألف من المسلمين وقطعت سبعون كفّاً على زمام الجمل، فما لقيت في غزواتك يا رسول الله وبعدك أصعب يوماً منه أبداً، لقد كان من أصعب الحروب الّتي لقيتها، وأهولها وأعظمها فصبرت كما أدّبني الله بما أدّبك به يا رسول الله في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1] وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[2] وحقٌّ والله يا رسول الله تأويل الآية الّتي أنزلها الله في الأمّة من بعدك في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3].

يا مفضّل ويقوم الحسن عليه السلام إلى جدّه صلى الله عليه وآله فيقول: يا جدّاه كنت مع أمير المؤمنين في دار هجرته بالكوفة حتّى استشهد بضربة عبد الرَّحمٰن بن ملجم لعنه الله فوصّاني بما وصّيته يا جدّاه، وبلغ اللّعين معاوية قتل أبي فأنفذ الدَّعيَّ اللّعين زياداً إلى الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل فأمر بالقبض عليَّ وعلى أخي الحسين وسائر إخواني وأهل بيتي، وشيعتنا وموالينا وأن يأخذ علينا البيعة لمعاوية لعنه الله، فمن يأبى منّا ضرب عنقه وسيّر إلى معاوية رأسه.

فلمّا علمت ذلك من فعل معاوية، خرجت من داري، فدخلت جامع الكوفة للصلاة، ورقيت المنبر واجتمع الناس، فحمدت الله وأثنيت عليه، وقلت: معشر الناس عفت الدّيار، ومحيت الآثار، وقلَّ الاصطبار، فلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين، الساعة والله صحّت البراهين، وفصلت الآيات، وبانت المشكلات، ولقد كنّا نتوقّع تمام هذه الآية بتأويلها قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[4] فلقد مات والله جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل أبي عليه السلام وصاح الوسواس الخنّاس في قلوب الناس ونعق ناعق الفتنة، وخالفتم السنّة، فيا لها من فتنة صمّاء عمياء، لا يسمع لداعيها ولا يجاب

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

مناديها، ولا يخالف واليها، ظهرت كلمة النفاق، وسيّرت رايات أهل الشقاق، وتكالبت جيوش أهل المراق، من الشام والعراق، هلمّوا رحمكم الله إلى الافتتاح، والنور الوضّاح، والعلم الجحجاج، والنور الّذي لا يطفى والحقّ الّذي لا يخفى.

أيّها الناس تيقّظوا من رقدة الغفلة، ومن تكاثف الظلمة فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، وتردّى بالعظمة، لئن قام إليّ منكم عصبة بقلوب صافية ونيّات مخلصة، لا يكون فيها شوب نفاق، ولا نيّة افتراق، لأجاهدنّ بالسيف قدماً قدماً، ولأضيقنّ من السيوف جوانبها ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سنابكها، فتكلّموا رحمكم الله.

فكأنّما ألجموا بلجام الصمت عن إجابة الدّعوة، إلاّ عشرون رجلاً فانّهم قاموا إليّ فقالوا: يا ابن رسول الله ما نملك إلاّ أنفسنا وسيوفنا، فها نحن بين يديك لأمرك طائعون، وعن رأيك صادرون، فمرنا بما شئت! فنظرت يمنة ويسرة فلم أر أحداً غيرهم.

فقلت: لي أسوة بجدّي رسول الله حين عبد الله سرّاً، وهو يومئذ في تسعة وثلاثين رجلاً فلمّا أكمل الله له الأربعين صار في عدّة وأظهر أمر الله، فلو كان معي عدّتهم جاهدت في الله حقَّ جهاده. ثمَّ رفعت رأسي نحو السماء فقلت: اللهمَّ إنّي قد دعوت وأنذرت، وأمرت ونهيت، وكانوا عن إجابة الداعي غافلين، وعن نصرته قاعدين، وعن طاعته مقصّرين ولأعدائه ناصرين، اللّهمَّ فأنزل عليهم رجزك، وبأسك وعذابك، الّذي لا يردُّ عن القوم الظالمين ونزلتُ.

ثمَّ خرجت من الكوفة راحلاً إلى المدينة، فجاءوني يقولون: إنَّ معاوية أسرى سراياه إلى الأنبار والكوفة، وشنَّ غاراته على المسلمين، وقتل من لم يقاتله وقتل النساء والأطفال، فأعلمتهم أنّه لا وفاء لهم. فأنفذت معهم رجالاً وجيوشاً وعرَّفتهم أنّهم يستجيبون لمعاوية، وينقضون عهدي وبيعتي، فلم يكن إلاّ ما قلت لهم، وأخبرتهم.

ثمَّ يقوم الحسين عليه‌السلام مخضّباً بدمه هو وجميع من قتل معه، فإذا رآه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بكى وبكى أهل السماوات والأرض لبكائه، وتصرخ فاطمة عليها‌السلام فتزلزل الأرض ومن عليها، ويقف أمير المؤمنين والحسن عليهما‌السلام عن يمينه، وفاطمة عن شماله، ويقبل الحسين عليه‌السلام فيضمّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى صدره، ويقول: يا حسين! فديتك قرّت عيناك وعيناي فيك، وعن يمين الحسين حمزة أسد الله في أرضه، وعن شماله جعفر بن أبي طالب الطيّار، ويأتي محسّن تحمله خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه‌السلام وهنَّ صارخات وأُمّه فاطمة تقول ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] اليوم ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

قال: فبكى الصادق عليه السلام حتّى اخضلّت لحيته بالدُّموع، ثمَّ قال: لا قرّت عين لا تبكي عند هذا الذكر، قال: وبكى المفضّل بكاء طويلاً ثمّ قال: يا مولاي ما في الدموع يا مولاي؟ فقال: ما لا يحصى إذا كان من محقّ.

ثمّ قال المفضّل: يا مولاي ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[1] قال: يا مفضّل والموؤودة والله محسّن، لأنّه منّا لا غير، فمن قال غير هذا فكذّبوه.

قال المفضّل: يا مولاي ثمّ ماذا؟ قال الصادق عليه السلام: تقوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول: اللّهمّ أنجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني، وضربني وجزعني بكلّ أولادي، فتبكيها ملائكة السماوات السبع وحملة العرش، وسكّان الهواء، ومن في الدُّنيا، ومن تحت أطباق الثرى، صائحين صارخين إلى الله تعالى، فلا يبقى أحد ممّن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جرى علينا إلاّ قتل في ذلك اليوم ألف قتلة دون من قتل في سبيل الله، فإنّه لا يذوق الموت وهو كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾[2].

قال المفضّل: يا مولاي إنّ من شيعتكم من لا يقول برجعتكم؟ فقال عليه السلام: إنّما سمعوا قول جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن سائر الأئمّة نقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[3] قال الصادق عليه السلام: العذاب الأدنى عذاب الرجعة والعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[4].

قال المفضّل: يا مولاي نحن نعلم أنكم اختيار الله في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[5] وقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[6] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾[7].

قال الصادق عليه السلام: يا مفضّل فأين نحن في هذه الآية؟ قال: يا مفضّل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[8] وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[9] وقوله عن إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[10] وقد علمنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام ما عبدا صنماً ولا وثناً

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨-٩.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢١.
(٤) سورة ابراهيم، الآية: ٤٨.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.
(٧) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣-٣٤.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٩) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(١٠) سورة ابراهيم، الآية: ٣٥.

ولا أشركا بالله طرفة عين. وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(١) والعهد عهد الإمامة لا يناله ظالم.

قال: يا مفضّل وما علمك بأنَّ الظالم لا ينال عهد الإمامة؟ قال المفضّل: يا مولاي لا تمتحنّي بما لا طاقة لي به، ولا تختبرني ولا تبتلني، فمن علمكم علمت ومن فضل الله عليكم أخذت. قال الصادق عليه السلام: صدقت يا مفضّل ولولا اعترافك بنعمة الله عليك في ذلك لما كنت هكذا فأين يا مفضّل الآيات من القرآن في أنَّ الكافر ظالم؟ قال: نعم يا مولاي قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٢) والكافرون هم الفاسقون ومن كفر وفسق وظلم لا يجعله الله للناس إماماً.

قال الصادق عليه السلام: أحسنت يا مفضّل فمن أين قلت برجعتنا؟ ومقصّرة شيعتنا تقول: معنى الرَّجعة أن يردَّ الله إلينا ملك الدُّنيا وأن يجعله للمهديِّ. ويحهم متى سلبنا الملك حتّى يردّ علينا. قال المفضّل: لا والله وما سلبتموه ولا تسلبونه لأنّه ملك النبوّة والرِّسالة والوصيّة والإمامة.

قال الصادق عليه السلام: يا مفضّل لو تدبّر القرآن شيعتنا لما شكّوا في فضلنا أما سمعوا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾(٣) والله يا مفضّل إنَّ تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل وتأويلها فينا وإنَّ فرعون وهامان تيم وعديٌّ.

قال المفضّل: يا مولاي فالمتعة؟ قال: المتعة حلال طِلق والشاهد بها قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٤) أي مشهوداً والقول المعروف هو المشتهر بالوليِّ والشهود، وإنّما احتيج إلى الوليِّ والشهود في النكاح، ليثبت النسل ويصحَّ النسب ويستحقَّ الميراث، وقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾(٥) وجعل الطلاق في النساء المزوَّجات غير جائز إلاّ بشاهدين ذوي عدل من المسلمين وقال في سائر الشهادات على الدّماء والفروج والأموال والأملاك: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾(٦).

وبيّن الطلاق عزَّ ذكره فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾. ولو كانت المطلّقة تبين بثلاث تطليقات تجمعها كلمة واحدة أو أكثر منها أو أقلَّ لما قال الله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.
(٣) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)﴾[1] قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ هو نكرٌ يقع بين الزّوج وزوجته، فيطلّق التطليقة الأولى بشهادة ذوي عدل.

وحدُّ وقت التطليق هو آخر القروء؛ والقرء هو الحيض، والطلاق يجب عند آخر نقطة بيضاء تنزل بعد الصفرة والحمرة، وإلى التطليقة الثانية والثالثة ما يحدث الله بينهما، عطفاً أو زوال ما كرهاه وهو قوله:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] هذا لقوله في أنّ للبعولة مراجعة النساء من تطليقة إلى تطليقة، إن أرادوا إصلاحاً وللنساء مراجعة الرّجال في مثل ذلك.

ثمّ بيّن تبارك وتعالى فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وفي الثالثة: فإن طلق الثالثة بانت فهو قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[3] ثمّ يكون كسائر الخُطّاب لها.

والمتعة الّتي أحلّها الله في كتابه وأطلقها الرسول عن الله لسائر المسلمين فهي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4] والفرق بين المزوّجة والمتعة أنّ للزوجة صداقاً وللمتعة أجرة.

فتمتّع سائر المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في الحجّ وغيره، وأيّام أبي بكر، وأربع سنين في أيّام عمر، حتّى دخل على أُخته عفراء فوجد في حجرها طفلاً يرضع من ثديها فنظر إلى دَرّة اللّبن في فم الطفل فأغضب وأرعد وأربدّ وأخذ الطفل على يده، وخرج حتّى أتى المسجد، ورقي المنبر وقال: نادوا في الناس إنّ الصلاة جامعة، وكان غير وقت صلاة يعلم الناس أنّه لأمر يريده عمر فحضروا فقال: معاشر الناس من المهاجرين والأنصار وأولاد قحطان من منكم يحبُّ أن يرى المحرّمات عليه من النساء، ولها مثل هذا الطفل؟ قد خرج من أحشائها وهو

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ١-٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.
(٤) سورة النساء، الآية: ٢٤.

يرضع على ثديها وهي غير متبعّلة؟ فقال بعض القوم: ما نحبُّ هذا. فقال: ألستم تعلمون أنّ أختي عفراء بنت خيثمة أمّي وأبي الخطّاب غير متبعّلة؟ قالوا: بلى قال: فإنّي دخلت عليها في هذه الساعة، فوجدت هذا الطفل في حجرها فناشدتها أنّى لك هذا؟ فقالت: تمتّعت.

فاعلموا سائر الناس، أنّ هذه المتعة الّتي كانت حلالاً للمسلمين في عهد رسول الله ﷺ قد رأيت تحريمها، فمن أبى ضربت جنبيه بالسوط. فلم يكن في القوم منكر قوله، ولا رادٌّ عليه، ولا قائل لا يأتي رسول بعد رسول الله أو كتاب بعد كتاب الله، لا نقبل خلافك على الله وعلى رسوله وكتابه. بل سلّموا ورضوا.

قال المفضّل: يا مولاي فما شرائط المتعة؟ قال: يا مفضّل لها سبعون شرطاً من خالف فيها شرطاً واحداً ظلم نفسه، قال: قلت يا سيّدي قد أمرتمونا أن لا نتمتّع ببغيّة ولا مشهورة بفساد ولا مجنونة وأن ندعو المتعة إلى الفاحشة، فإن أجابت فقد حرم الاستمتاع بها، وأن نسأل أفارغة أم مشغولة ببعل أو حمل أو بعدّة؟ فإن شغلت بواحدة من الثلاث فلا تحلُّ، وإن خلت فيقول لها: متّعيني نفسك على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ نكاحاً غير سفاح أجلاً معلوماً بأجرة معلومة وهي ساعة أو يوم أو يومان أو شهر أو سنة أو ما دون ذلك أو أكثر، والأجرة ما تراضيا عليه من حَلقة خاتم أو شِسع نعل أو شقّ تمرة إلى فوق ذلك من الدّراهم والدّنانير أو عرض ترضى به، فإن وهبت له حلّ له كالصداق الموهوب من النساء المزوّجات الّذين قال الله تعالى فيهنّ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[1].

ثمّ يقول لها: على ألاّ ترثيني ولا أرثك، وعلى أنّ الماء لي أضعه منك حيث أشاء، وعليك الاستبراء خمسة وأربعين يوماً أو محيضاً واحداً، فإذا قالت: نعم أعدت القول ثانية وعقدت النكاح، فإن أحببت وأحبّت هي الاستزادة في الأجل زدتما، وفيه ما رويناه فإن كانت تفعل فعليها ما تولّت من الإخبار عن نفسها ولا جناح عليك.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لعن الله ابن الخطّاب فلولاه ما زنى إلاّ شقيٌّ أو شقيّة» لأنّه كان يكون للمسلمين غناء في المتعة عن الزّنى ثمّ تلا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[2].

ثمّ قال: إنّ من عزل بنطفته عن زوجته فدية النطفة عشرة دنانير كفّارة وإنّ من شرط المتعة أنّ ماء الرّجل يضعه حيث يشاء من المتمتّع بها، فإذا وضعه في الرّحم فخلق منه ولد كان لاحقاً بأبيه.

ثمّ يقوم جدّي عليّ بن الحسين وأبي الباقر عليهما السلام فيشكوان إلى جدّهما رسول الله ﷺ ما

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٤-٢٠٥.

فعل بهما ثمَّ أقوم أنا فأشكو إلى جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل المنصور بي، ثمَّ يقوم ابني موسى فيشكو إلى جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به الرَّشيد، ثمَّ يقوم عليُّ بن موسى فيشكو إلى جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون، ثمَّ يقوم محمّد بن عليّ فيشكو إلى جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون ثمَّ يقوم عليُّ بن محمّد فيشكو إلى جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المتوكّل، ثمَّ يقوم الحسن بن علي فيشكو إلى جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المعتزُّ.

ثمَّ يقوم المهديُّ سميُّ جدِّي رسول الله، وعليه قميص رسول الله مضرَّجاً بدم رسول الله يوم شجَّ جبينه، وكسرت رباعيّته، والملائكة تحفّه حتّى يقف بين يدي جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا جدّاه وصفتني ودللت عليّ، ونسبتني وسمّيتني وكنّيتني، فجحدتني الأُمّة وتمرّدت وقالت ما ولد ولا كان، وأين هو؟ ومتى كان وأين يكون؟ وقد مات ولم يعقّب، ولو كان صحيحاً ما أخّره الله تعالى إلى هذا الوقت المعلوم، فصبرت محتسباً وقد أذن الله لي فيها بإذنه يا جدّاه.

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1] ويقول: ﴿جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وحقَّ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2] ويقرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[3].

فقال المفضّل يا مولاي أيُّ ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال الصّادق عليه السلام: يا مفضّل إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللّهمَّ حمّلني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدَّم منها وما تأخّر إلى يوم القيامة، ولا تفضحني بين النّبيّين والمرسلين في شيعتنا فحمّله الله إيّاها وغفر جميعها.

قال المفضّل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت: يا سيّدي هذا بفضل الله علينا فيكم قال الصّادق عليه السلام: يا مفضّل ما هو إلاّ أنت وأمثالك بلى يا مفضّل لا تحدِّث بهذا الحديث أصحاب الرُّخص من شيعتنا فيتكلون على هذا الفضل، ويتركون العمل فلا يغني عنهم من الله شيئاً لأنّا كما قال الله تبارك وتعالى فينا: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[4].

قال المفضّل: يا مولاي فقوله ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدِّين كلّه؟ قال: يا مفضّل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدِّين كلّه ما كانت مجوسيّة ولا يهوديّة ولا صابئيّة ولا نصرانيّة، ولا فرقة ولا خلاف ولا شكٌّ ولا شرك، ولا عبدة أصنام، ولا أوثان، ولا اللاّت والعزّى، ولا عبدة الشمس والقمر، ولا النجوم، ولا النّار

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الفتح، الآيات: ١-٣.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

ولا الحجارة، وإنّما قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. في هذا اليوم وهذا المهدي وهذه الرجعة، وهو قوله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[1].

فقال المفضّل: أشهد أنّكم من علم الله علمتم، وبسلطانه وبقدرته قدرتم وبحكمه نطقتم، وبأمره تعملون.

ثمّ قال الصّادق عليه السلام: ثمّ يعود المهديُّ عليه السلام إلى الكوفة، وتمطر السّماء بها جراداً من ذهب، كما أمطره الله في بني إسرائيل على أيّوب، ويقسم على أصحابه كنوز الأرض من تبرها ولُجَينها وجوهرها.

قال المفضّل: يا مولاي من مات من شيعتكم وعليه دين لإخوانه ولأضداده كيف يكون؟ قال الصّادق عليه السلام: أوّل ما يبتدىء المهديُّ عليه السلام أن ينادي في جميع العالم: ألا من له عند أحد من شيعتنا دين فليذكره حتّى يردّ الثومة والخردلة فضلاً عن القناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والأملاك فيوفّيه إيّاه.

قال المفضّل: يا مولاي ثمّ ماذا يكون؟ قال: يأتي القائم عليه السلام بعد أن يطأ شرق الأرض وغربها، الكوفة ومسجدها، ويهدم المسجد الّذي بناه يزيد بن معاوية لعنه الله لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام، و[هو] مسجد ليس لله ملعون ملعون من بناه.

قال المفضّل: يا مولاي فكم تكون مدّة ملكه عليه السلام؟ فقال: قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[2] والمجذوذ المقطوع أي عطاء غير مقطوع عنهم، بل هو دائم أبداً، وملك لا ينفد، وحكم لا ينقطع، وأمر لا يبطل إلاّ باختيار الله ومشيئته وإرادته، الّتي لا يعلمها إلاّ هو؛ ثمّ القيامة وما وصفه الله عزّ وجلّ في كتابه.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على خير خلقه محمّد النبيّ وآله الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً[3].

أقول: روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا: حدّثني الأخ الرّشيد محمّد بن إبراهيم بن محسن الطارآباديُّ أنّه وجد بخطّ أبيه الرّجل الصالح إبراهيم بن محسن هذا الحديث الآتي ذكره، وأراني خطّه وكتبته منه، وصورته: الحسين بن حمدان - وساق الحديث كما مرّ إلى قوله - لكأنّي أنظر إليهم على البراذين الشهب بأيديهم الحراب، يتعاوون شوقاً إلى الحرب كما تتعاوى الذّئاب أميرهم رجل من بني تميم يقال له:

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨. (٢) سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٨.

(٣) كتاب الهداية الكبرى للخصيبي، ص ٣٩٢-٤١٤.

شعيب بن صالح، فيقبل الحسين عليه السلام فيهم وجهه كدائرة القمر، يروع الناس جمالاً فيبقى على أثر الظلمة فيأخذ سيفه الصغير والكبير، والعظيم والوضيع.

ثمّ يسير بتلك الرايات كلّها حتّى يرد الكوفة، وقد جمع بها أكثر أهل الأرض يجعلها له معقلاً؛ ثمّ يتّصل به وبأصحابه خبر المهديّ فيقولون له: يا ابن رسول الله من هذا الّذي نزل بساحتنا؟ فيقول الحسين عليه السلام: اخرجوا بنا إليه حتّى تنظروا من هو وما يريد؟ وهو يعلم والله أنّه المهديّ عليه السلام وإنّه ليعرفه، وإنه لم يرد بذلك الأمر إلاّ الله، فيخرج الحسين عليه السلام وبين يديه أربعة آلاف رجل في أعناقهم المصاحف، وعليهم المسوح، مقلّدين بسيوفهم، فيقبل الحسين عليه السلام حتّى ينزل بقرب المهديّ عليه السلام فيقول: سائلوا عن هذا الرّجل من هو وماذا يريد؟ فيخرج بعض أصحاب الحسين عليه السلام إلى عسكر المهديّ عليه السلام فيقول: أيّها العسكر الجائل من أنتم حيّاكم الله؟ ومن صاحبكم هذا؟ وماذا يريد؟ فيقول أصحاب المهديّ عليه السلام: هذا مهديّ آل محمّد عليه وعليهم السلام، ونحن أنصاره من الجنّ والإنس والملائكة.

ثمّ يقول الحسين عليه السلام: خلّوا بيني وبين هذا فيخرج إليه المهديّ عليه السلام فيقفان بين العسكرين، فيقول الحسين عليه السلام: إن كنت مهديّ آل محمّد صلى الله عليه وآله فأين هراوة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاتمه، وبردته، ودرعه الفاضل، وعمامته السّحاب وفرسه، وناقته العضباء، وبغلته دلدل، وحماره يعفور، ونجيبه البراق، وتاجه والمصحف الّذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تغيير ولا تبديل؟ فيحضر له السّفط الّذي فيه جميع ما طلبه.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه كان كلّه في السفط، وتركات جميع النبيّين حتّى عصا آدم ونوح عليه السلام، وتركة هود وصالح عليه السلام، ومجموع إبراهيم عليه السلام وصاع يوسف عليه السلام، ومكيال شعيب عليه السلام وميزانه، وعصى موسى عليه السلام وتابوته الّذي فيه بقيّة ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داود عليه السلام وخاتمه، وخاتم سليمان عليه السلام وتاجه، ورحل عيسى عليه السلام، وميراث النبيّين والمرسلين في ذلك السّفط.

وعند ذلك يقول الحسين عليه السلام: يا ابن رسول الله! أسألك أن تغرس هراوة رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصّلد وتسأل الله أن ينبتها فيه، ولا يريد بذلك إلاّ أن يرى أصحابه فضل المهديّ عليه السلام حتّى يطيعوه ويبايعوه، ويأخذ المهديّ عليه السلام الهراوة فيغرسها فتنبت فتعلو وتفرع وتورق، حتّى تظلّ عسكر الحسين عليه السلام.

فيقول الحسين عليه السلام: الله أكبر يا ابن رسول الله، مدّ يدك حتّى أبايعك فيبايعه الحسين عليه السلام وسائر عسكره إلاّ الأربعة آلاف من أصحاب المصاحف والمسوح الشعر المعروفون بالزيديّة فإنّهم يقولون: «ما هذا إلا سحر عظيم».

أقول: ثمّ ساق الحديث إلى قوله: إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتموه نحواً ممّا مرّ ولم يذكر بعده شيئاً.

بيان: «الهود» التوبة والرجوع إلى الحقّ، وصبا يصبو: أي مال وصبأ بالهمز أي خرج من دين إلى دين.

واعلم أنَّ تاريخ الولادة مخالف لما مرَّ والمشهور أنَّ سرَّ من رأى بناها المعتصم ولعلَّ المتوكّل أتمَّ بناءها وتعميرها فلذا نسبت إليه، وقال الفيروزآبادي: سرُّ من رأى بضمِّ السّين والراء أي سرور وبفتحهما وبفتح الأوّل وضمِّ الثّاني وسامرّا ومدَّه البُحتريُّ في الشعر أو كلاهما لحن وساء من رأى بلد، لمّا شرع في بنائه المعتصم ثقل ذلك على عسكره فلمّا انتقل بهم إليها سرَّ كلٌّ منهم برؤيتها فلزمها هذا الاسم.

قوله: «فبغير سنّة القائم» لعلَّ المعنى أنَّ الحسين عليه السلام كيف يظهر قبل القائم عليه السلام بغير سنّته فأجاب عليه السلام بأنَّ ظهوره بعد القائم إذ كلُّ بيعة قبله ضلالة.

قوله عليه السلام «فها أنا ذا آدم» يعني في علمه وفضله وأخلاقه الّتي بها تتّبعونه وتفضّلونه، وشحب لونه كجمع ونصر وكرم وعُني تغيّر، قوله عليه السلام «ويلزمهما إيّاه» أقول: العلّة والسبب في إلزام ما تأخّر عنهما من الآثام عليهما ظاهر، لأنّهما بمنع أمير المؤمنين عليه السلام عن حقّه، ودفعه عن مقامه، صارا سببين لاختفاء سائر الأئمّة ومغلوبيّتهم، وتسلّط أئمّة الجور وغلبتهم إلى زمان القائم عليه السلام وصار ذلك سبباً لكفر من كفر، وضلال من ضلَّ، وفسق من فسق، لأنَّ الإمام مع اقتداره واستيلائه وبسط يده يمنع من جميع ذلك، وعدم تمكّن أمير المؤمنين صلوات الله عليه من بعض تلك الأمور في أيّام خلافته إنّما كان لما أسّساه من الظلم والجور.

وأمّا ما تقدّم عليهما، فلأنّهما كانا راضيين بفعل من فعل مثل فعلهما من دفع خلفاء الحقِّ عن مقامهم، وما يترتّب على ذلك من الفساد، ولو كانا منكرين لذلك لم يفعلا مثل فعلهم، وكلُّ من رضي بفعل فهو كمن أتاه، كما دلّت عليه الآيات الكثيرة، حيث نسب الله تعالى فعال آباء اليهود إليهم، وذمّهم عليها لرضاهم بها وغير ذلك، واستفاضت به أخبار الخاصّة والعامّة.

على أنّه لا يبعد أن يكون لأرواحهم الخبيثة مدخلاً في صدور تلك الأمور عن الأشقياء كما أنَّ أرواح الطيّبين من أهل بيت الرّسالة، كانت مؤيّدة للأنبياء والرُّسُل، معينة لهم في الخيرات، شفيعة لهم في رفع الكربات، كما مرَّ في كتاب الإمامة.

ومع صرف النّظر عن جميع ذلك يمكن أن يؤوّل بأنّ المراد إلزام مثل فعال هؤلاء الأشقياء عليهما، وأنّهما في الشقاوة مثل جميعهم لصدور مثل أفعال الجميع عنهما.

قوله: والمنادي من حول الضّريح. أي أجيبوا وانصروا أولاد الرسول صلى الله عليه وآله الملهوفين المنادين حول ضريح جدِّهم.

قوله عليه السلام: «والخاف» أي الجبل المطيف بالدُّنيا، ولا يبعد أن يكون تصحيف القاف، والجزل بالفتح ما عظم من الحطب ويبس، والرَّكل الضّرب بالرِّجل وكذا الرَّفس.

قوله عليه السلام : «لداعيها» أي للدّاعي فيها إلى الحقّ «ولا يجاب مناديها» أي المستغيث فيها، و«لا يخالف واليها» أي يطاع والي تلك الفتنة في كلّ ما يريد والجحجاح السيّد قوله: «جوانبها» لعلّه بدل بعض، وكذا نظائره.

قوله عليه السلام : قال الله عزّ وجلّ ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ لعلّه عليه السلام فسّر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ بزمان الرّجعة بأن يكون المراد بالجنّة والنار، ما يكون في عالم البرزخ، كما ورد في خبر آخر واستدلّ عليه السلام بها على أنّ هذا الزّمان منوط بمشيئة الله كما قال تعالى، غير معلوم للخلق على التعيين، وهذا أظهر الوجوه الّتي ذكروها في تفسير هذه الآية.

٢٩ - باب الرجعة

١ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى وابن أبي الخطّاب، عن البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطّاب يحدّثان جميعاً قبل أن يُحدث أبو الخطّاب ما أحدث أنّهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوّل من تنشقّ الأرض عنه ويرجع إلى الدُّنيا، الحسين بن عليّ عليه السلام وإنّ الرجعة ليست بعامّة، وهي خاصّة لا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً[١].

٢ - **خص:** بهذا الإسناد، عن حمّاد، عن بكير بن أعين قال: قال لي من لا أشكّ فيه يعني أبا جعفر عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً سيرجعان[٢].

٣ - **خص:** بهذا الإسناد، عن حمّاد، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تقولوا الجبت والطاغوت، ولا تقولوا الرّجعة، فإن قالوا لكم فإنّكم قد كنتم تقولون ذلك فقولوا: أمّا اليوم فلا نقول، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان يتألّف الناس بالمائة ألف درهم ليكفّوا عنه، فلا تتألّفونهم بالكلام؟[٣]

بيان: أي لا تسمّوا الملعونين بهذين الاسمين أو لا تتعرّضوا لهما بوجه.

٤ - **خص:** بهذا الإسناد عن حمّاد، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الأمور العظام من الرّجعة وأشباهها فقال: إنّ هذا الّذي تسألون عنه لم يجىء أوانه، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[٤].

٥ - **خص:** سعد، عن ابن يزيد، وابن أبي الخطّاب واليقطيني وإبراهيم بن محمّد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمّد بن الطيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ فقال: ليس أحد من المؤمنين قتل إلاّ سيرجع حتّى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلاّ سيرجع حتّى يقتل[٥].

---

(١) - (٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٤-٢٥.

٦ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ينكر أهل العراق الرَّجعة؟ قلت: نعم، قال: أما يقرؤون القرآن ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾(١).

٧ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الحسين بن عمر بن يزيد، عن عمر ابن أبان، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كأنّي بحمران بن أعين وميسّر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة(٢).

٨ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن عبد الله بن المغيرة، عمّن حدَّثه، عن جابر ابن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾(٣) فقال: يا جابر أتدري ما سبيل الله؟ قلت: لا والله إلاّ إذا سمعت منك فقال: القتل في سبيل علي عليه السلام وذرّيته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلاّ وله قتلة وميتة، إنّه من قتل ينشر حتّى يموت، ومن مات ينشر حتّى يقتل(٤).

شي: عن ابن المغيرة مثله. «ج١ ص ٢٢٦ ح ١٦٢ من سورة آل عمران».

بيان: لعلّ آخر الخبر تفسير لآخر الآية، وهو قوله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾(٥) بأن يكون المراد بالحشر الرَّجعة.

٩ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن فيض بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وتلا هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾(٦) الآية قال: ليؤمننَّ برسول الله صلى الله عليه وآله ولينصرنَّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام [قلت: ولينصرنَّ أمير المؤمنين؟] قال عليه السلام: نعم والله من لدن آدم فهلمَّ جرّاً، فلم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلاّ ردّ جميعهم إلى الدُّنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام(٧).

شي: عن فيض بن أبي شيبة مثله. «ج ١ ص ٢٠٤ ح ٧٦ من سورة البقرة».

١٠ - **خص:** سعد، عن ابن [أبي] الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مسروق، عن المنخّل بن جميل، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ يعني بذلك محمّداً صلى الله عليه وآله وقيامه في الرَّجعة ينذر فيها وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ في الرَّجعة وفي قوله «إنا أرسلناك كافة للناس» في الرَّجعة(٨).

١١ - **خص:** بهذا الإسناد، عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان

---

(١) - (٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٧.
(٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٧) - (٨) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٥

يقول: إنّ المدّثّر هو كائن عند الرّجعة فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثمّ موت؟ قال: فقال له عند ذلك: نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرّجعة أشدّ من كفرات قبلها[1].

١٢ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم الحضرميّ، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعميّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ إبليس قال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فأبى الله ذلك عليه فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ فإذا كان يوم الوقت المعلوم، ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرّة يكرّها أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: وإنّها لكرّات؟ قال: نعم، إنّها لكرّات وكرّات ما من إمام في قرن إلاّ ويكرّ معه البرّ والفاجر في دهره حتّى يديل الله المؤمن من الكافر.

فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال له: الرّوحاء قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله عزّ وجلّ العالمين فكأنّي أنظر إلى أصحاب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم وكأنّي أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات.

فعند ذلك يهبط الجبّار عزّ وجلّ في ظلل من الغمام، والملائكة، وقضي الأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت؟ فيقول: إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله ربّ العالمين، فيلحقه النبيّ صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يُعبد الله عزّ وجلّ ولا يُشرك به شيئاً ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين سنة حتّى يلد الرّجل من شيعة عليّ عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله[2].

بيان: هبوط الجبّار تعالى كناية عن نزول آيات عذابه وقد مضى تأويل الآية المضمّنة في هذا الخبر في كتاب التوحيد وقد سبق الرواية عن الرّضا عليه السلام هناك أنّها هكذا نزلت: «إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام» وعلى هذا يمكن أن يكون الواو في قوله «الملائكة» هنا زائداً من النُّسّاخ.

١٣ - **خص:** بهذا الإسناد، عن عبد الله بن القاسم، عن الحسين بن أحمد المنقريّ، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الّذي يلي حساب النّاس قبل يوم القيامة الحسين بن عليّ عليه السلام، فأمّا يوم القيامة فإنّما هو بعث إلى الجنّة وبعث إلى النار[3].

---

(١) - (٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٥ - ٢٧.

١٤ - **خص:** سعد، عن أيّوب بن نوح والحسن بن عليّ بن عبد الله معاً، عن العباس بن عامر، عن سعيد، عن داود بن راشد، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ أوّل من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتّى تقع حاجباه على عينيه من الكبر[١].

خص: سعد، عن ابن عيسى وابن عبد الجبّار وأحمد بن الحسن بن فضّال جميعاً، عن الحسن بن فضّال، عن أبي المغراء عن داود بن راشد مثله.

١٥ - **خص:** سعد، عن أحمد بن محمّد السيّاري، عن أحمد بن عبد الله بن قبيصة، عن أبيه، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٢] قال يكسرون في الكرَّة كما يكسر الذّهب حتّى يرجع كلُّ شيء إلى شبهه يعني إلى حقيقته[٣].

بيان: لعلّه إشارة إلى ما مرَّ في الأخبار من المزج بين الطينتين، أو المراد افتتانهم حتّى يظهر حقائقهم.

١٦ - **خص:** سعد، عن اليقطينيّ، عن القاسم، عن جدّه الحسن، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال: لترجعنَّ نفوس ذهبت وليقتصّنَّ يوم يقوم ومن عذّب يقتصُّ بعذابه ومن أُغيظ أغاظ بغيظه ومن قتل اقتصَّ بقتله، ويردُّ لهم أعداؤهم معهم، حتّى يأخذوا بثأرهم، ثمَّ يعمرون بعدهم ثلاثين شهراً ثمَّ يموتون في ليلة واحدة قد أدركوا ثأرهم، وشفوا أنفسهم، ويصير عدوُّهم إلى أشدِّ النار عذاباً. ثمَّ يوقفون بين يدي الجبّار عزّ وجلّ فيؤخذ لهم بحقوقهم[٤].

١٧ - **خص:** بهذا الإسناد عن الحسن بن راشد، عن محمّد بن عبد الله بن الحسين قال: دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام فجرى بينهما حديث فقال أبي لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الكرَّة؟ قال: أقول فيها ما قال الله عزّ وجلّ وذلك أنَّ تفسيرها صار إلى رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمسة وعشرين ليلة قول الله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ إذا رجعوا إلى الدُّنيا، ولم يقضوا ذحولهم فقال له أبي: يقول الله عزّ وجلّ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾[٥] أيَّ شيء أراد بهذا؟ فقال: إذا انتقم منهم وباتت بقيّة الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت[٦].

بيان: الذُّحول جمع الذَّحل، وهو طلب الثأر، ولعلَّ المعنى أنّهم إنّما وصفوا هذه الكرّة بالخاسرة، لأنّهم بعد أن قتلوا وعذّبوا لم ينته عذابهم، بل عقوبات القيامة معدَّة لهم، أو أنّهم لا يمكنهم تدارك ما يفعل بهم من أنواع القتل والعقاب.

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٧.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٣.
(٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٨.
(٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٨.
(٥) سورة النازعات، الآيات: ١٢-١٤.
(٦) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٨.

قوله عليه السلام: «ساهرة» لعلّ التقدير فإذا هم بالحالة الساهرة، على الإسناد المجازيّ أو في جماعة ساهرة.

قال البيضاويّ: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ذات خسران أو خاسر أصحابها، والمعنى أنّها إن صحّت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها، وهو استهزاء منهم ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ متعلّق بمحذوف، أي لا تستصعبوها فما هي إلاّ صيحة واحدة يعني النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض، بعدما كانوا أمواتاً في بطنها و«الساهرة» الأرض البيضاء المستوية سمّيت بذلك لأنّ السراب يجري فيها: من قولهم عين ساهرة للّتي تجري ماؤها وفي ضدّها نائمة أو لأنّ سالكها يسهر خوفاً وقيل اسم جهنّم انتهى[1].

أقول: على تأويله عليه السلام قولهم ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ كلامهم في الرّجعة على التحقيق لا في الحياة الأُولى على الاستهزاء.

١٨ - **خص:** سعد، عن جماعة من أصحابنا، عن ابن أبي عثمان وإبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن سليمان الدّيلميّ، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[2] فقال: الأنبياء رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذرّيّته، والملوك الأئمّة عليهم السلام. قال: فقلت: وأيّ ملك أعطيتم؟ فقال: ملك الجنّة، وملك الكرّة[3].

١٩ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ ومحمّد البرقيّ، عن النضر عن يحيى الحلبيّ، عن المعلّى أبي عثمان، عن المعلّى بن خنيس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أوّل من يرجع إلى الدّنيا، الحسين بن عليّ عليه السلام فيملك حتّى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[4] قال: نبيكم صلى الله عليه وآله راجع إليكم[5].

٢٠ - **خص:** من كتاب الواحدة روي عن محمّد بن الحسن بن عبد الله الأطروش عن جعفر بن محمّد البجليّ، عن البرقيّ، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحد واحد، تفرّد في وحدانيّته ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرّيّتي ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجّ على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٧٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٠.
(٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٨٥.
(٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٨.

كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[١] يعني لتؤمننّ بمحمّد ﷺ ولتنصرنّ وصيّه، وسينصرونه جميعاً.

وإنَّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمّد ﷺ بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمّداً وجاهدت بين يديه، وقتلت عدوّه، ووفيت لله بما أخذ عليَّ من الميثاق والعهد، والنصرة لمحمّد ﷺ ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها وليبعثنَّ الله أحياء من آدم إلى محمّد ﷺ كلَّ نبيّ مرسل، يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً.

فيا عجباً وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبّون زمرة زمرة بالتلبية: لبّيك لبّيك يا داعي الله، قد تخلّلوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربوا بها هام الكفرة، وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأوّلين والآخرين حتّى ينجز الله ما وعدهم في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٢] أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً من عبادي ليس عندهم تقيّة.

وإنَّ لي الكرَّة بعد الكرَّة، والرَّجعة بعد الرَّجعة، وأنا صاحب الرّجعات والكرّات، وصاحب الصّولات والنقمات، والدّولات العجيبات وأنا قرن من حديد، وأنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ.

أنا أمين الله وخازنه، وعيبة سرّه وحجابه ووجهه وصراطه وميزانه وأنا الحاشر إلى الله، وأنا كلمة الله الّتي يجمع بها المفترق ويفرق بها المجتمع.

وأنا أسماء الله الحسنى، وأمثاله العليا، وآياته الكبرى، وأنا صاحب الجنّة والنار، أسكن أهل الجنّة الجنّة، وأسكن أهل [النار] النار، وإليَّ تزويج أهل الجنّة وإليَّ عذاب أهل النّار، وإليَّ إياب الخلق جميعاً، وأنا الإياب الّذي يؤوب إليه كلُّ شيء بعد القضاء، وإليَّ حساب الخلق جميعاً، وأنا صاحب الهبات، وأنا المؤذّن على الأعراف وأنا بارز الشمس، أنا دابّة الأرض، وأنا قسيم النّار وأنا خازن الجنان وصاحب الأعراف.

وأنا أمير المؤمنين ويعسوب المتّقين، وآية السابقين، ولسان الناطقين، وخاتم الوصيّين، ووارث النبيّين، وخليفة ربِّ العالمين، وصراط ربّي المستقيم، وفسطاطه والحجّة على أهل السماوات والأرضين، وما فيهما وما بينهما، وأنا الّذي احتجَّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم، وأنا الشاهد يوم الدّين، وأنا الّذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا، وفصل الخطاب والأنساب، واستحفظت آيات النبيّين المستخفين المستحفظين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١. (٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

وأنا صاحب العصا والميسم، وأنا الّذي سُخّرت لي السّحاب والرّعد والبرق، والظلم والأنوار، والرّياح والجبال والبحار، والنجوم والشّمس والقمر أنا القرن الحديد وأنا فاروق الأمّة، وأنا الهادي وأنا الّذي أحصيت كلّ شيء عدداً بعلم الله الّذي أودعنيه، وبسرّه الّذي أسرَّه إلى محمّد ﷺ وأسرَّه النبيُّ ﷺ إليَّ، وأنا الّذي أنحلني ربّي اسمه وكلمته وحكمته وعلمه وفهمه. يا معشر الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، اللّهم إنّي أشهدك وأستعديك عليهم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، والحمد لله متّبعين أمره[1].

بيان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ قال البيضاويُّ قيل إنّه على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل: معناه أنّه تعالى أخذ الميثاق من النبيّين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر أممهم، وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيّين إضافة إلى الفاعل والمعنى إذ أخذ الله الميثاق الّذي واثقه الأنبياء على أممهم، وقيل: المراد أولاد النبيّين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سمّاهم نبيّين تهكّماً لأنّهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوّة من محمّد لأنّا أهل الكتاب والنبيّون كانوا منّا انتهى[2].

وقال أكثر المفسّرين: النصرة البشارة للأمم به ولا يخفى بعده وما في الخبر هو ظاهر الآية.

وقال الجزريُّ: في حديث عمرو الأسقفّ قال: أجدك قرناً قال: قرن مه؟ قال: قرن من حديد، القرن: بفتح القاف الحصن.

أقول: قد مرَّ تفسير سائر أجزاء الخبر في كتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام.

٢١ - **شي:** عن صالح بن ميثم، قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: ذلك حين يقول عليٌّ عليه السلام أنا أولى الناس بهذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿كَاذِبِينَ﴾[3].

٢٢ - **لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عامر بن معقل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا أبا حمزة لا تضعوا عليّاً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوا عليّاً فوق ما رفعه الله، كفى بعليّ أن يقاتل أهل الكرّة وأن يزوّج أهل الجنّة[4].

ير: ابن عيسى مثله[5].

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ٣٢-٣٤. (٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٦٨.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٦ ح ٨٠ من سورة آل عمران.
(٤) أمالي الصدوق، ص ١٧٩ مجلس ٣٨ ح ٤. (٥) بصائر الدرجات، ج ٨ باب ١٨ ح ٥.

خص: سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن النعمان، عن عامر بن معقل مثله.

٢٣ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلاّ ويرجع إلى الدُّنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ يعني برسول الله صلى الله عليه وآله «ولتنصرنّ» يعني أمير المؤمنين[1].

٢٤ - **فس:** ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ فإنّه روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رجع آمن به الناس كلّهم.

قال: وحدَّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج: يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيّها الأمير أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ والله إنّي لآمر باليهوديّ والنصرانيّ فتضرب عنقه، ثمّ أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يحمل، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدُّنيا فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ. قال: ويحك أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدَّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فقال: جئت والله بها من عين صافية[2].

٢٥ - **فس:** ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي لم يأتهم تأويله ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال: نزلت في الرَّجعة كذبوا بها أي إنّها لا تكون ثمَّ قال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

٢٦ - **فس:** ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ ظلمت آل محمّد حقّهم ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعاً ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ في ذلك الوقت يعني الرَّجعة[4].

٢٧ - **فس:** ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ سئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام عن قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قال: ما يقول الناس فيها؟ قلت: يقولون: إنّها في القيامة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيحشر الله في القيامة من كلّ أمّة فوجاً ويترك الباقين؟ إنّما ذلك في الرَّجعة فأمّا آية القيامة فهذه ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ إلى قوله ﴿مَّوْعِدًا﴾[5].

٢٨ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزيز، عن إبراهيم ابن المستنير، عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٤ في تفسيره لسورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٥ في تفسيره لسورة النساء، الآية: ١٥٩.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٢ في تفسيره لسورة يونس، الآية: ٣٩.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٣ في تفسيره لسورة يونس، الآية: ٥٤.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١ في تفسيره لسورة الكهف، الآية: ٤٧.

ضَنكًا﴾ قال: هي والله للنُصّاب، قال: جعلت فداك قد رأيناهم دهرهم الأطول في كفاية حتّى ماتوا؟ قال: ذاك والله في الرَّجعة، يأكلون العذرة[1].

خص: سعد، عن أحمد بن محمّد مثله.

٢٩ - **فس:** قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فإنه حدَّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالا: كلُّ قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرَّجعة فهذه الآية من أعظم الدلالة في الرَّجعة، لأنَّ أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أنَّ الناس كلّهم يرجعون إلى القيامة، من هلك ومن لم يهلك، فقوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ عنى في الرَّجعة، فأمّا إلى القيامة يرجعون حتّى يدخلوا النار[2].

بيان: قال الطبرسيُّ: اختلف في معناه على وجوه: أحدها أنَّ «لا» مزيدة والمعنى حرام على قرية مهلكة بالعقوبة أن يرجعوا إلى [دار] الدُّنيا، وقيل: إنَّ معناه واجب عليها أنّها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، وقد جاء الحرام بمعنى الواجب، وثانيها أنَّ معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذُّنوب أن يتقبّل منهم عمل لأنّهم لا يرجعون إلى التوبة، وثالثها أنَّ معناه حرام أن لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للمجازاة ثمَّ ذكر رواية محمّد بن مسلم[3].

٣٠ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحرّكه برجله، ثمَّ قال: قم يا دابّة الله فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أنسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلاّ له خاصّة، وهو الدابّة الّتي ذكر الله في كتابه ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ثمَّ قال: يا عليُّ إذا كان آخر الزّمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم تسمُ به أعداءك.

فقال الرَّجل لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ العامّة يقولون: هذه الآية إنّما تكلمهم؟ فقال أبو عبد الله: كلمهم الله في نار جهنّم إنّما هو تكلّمهم من الكلام والدّليل على أنَّ هذا في الرَّجعة قوله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾. قال: الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام فقال الرَّجل لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ العامّة تزعم أنَّ قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ عنى يوم القيامة فقال أبو عبد الله عليه السلام: فيحشر الله يوم القيامة من كلِّ أُمّة فوجاً ويدع الباقي؟ لا، ولكنّه في الرَّجعة وأمّا آية القيامة فهي: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩ في تفسيره لسورة طه، الآية: ١٢٤.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٠ في تفسيره لسورة الأنبياء، الآية: ٩٥.
(٣) تفسير مجمع البيان، ج ٧ ص ٦٥.

حدَّثني أبي قال: حدَّثني ابن أبي عمير، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قال: ليس أحد من المؤمنين قتل إلاّ يرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً.

قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رجل لعمّار بن ياسر: يا أبا اليقظان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشكّكتني؟ قال عمّار: وأيّة آية هي؟ قال: قول الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ الآية فأيّة دابّة هذه؟ قال عمّار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتّى أريكها.

فجاء عمّار مع الرَّجل إلى أمير المؤمنين وهو يأكل تمراً وزبداً فقال: يا أبا اليقظان هلمَّ فجلس عمّار وأقبل يأكل معه، فتعجّب الرَّجل منه، فلما قام عمّار قال الرَّجل: سبحان الله يا أبا اليقظان، حلفت أنّك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتّى ترينيها؟ قال عمّار: قد أريتكها إن كنت تعقل[1].

٣١ - فس: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ قال: أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم والدَّليل على أنَّ الآيات هم الأئمّة قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه «ما لله آية أعظم منّي» فإذا رجعوا إلى الدُّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا[2].

٣٢ - فس: ﴿طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ ثمَّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ أخبر الله نبيّه بما نال موسى وأصحابه من فرعون من القتل والظلم، ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته من أمّته.

ثمَّ بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمّة على أمّته، ويردُّهم إلى الدُّنيا مع أعدائهم حتّى ينتصفوا منهم، فقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم وقوله ﴿مِنْهُم﴾ أي من آل محمّد ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ أي من القتل والعذاب.

ولو كانت هذه الآية نزلت في موسى وفرعون لقال ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون أي من موسى ولم يقل منهم. فلمّا تقدَّم قوله ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ علمنا أنَّ المخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله، وما وعد الله رسول الله فإنّما

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٦ في تفسيره لسورة النمل، الآية: ٨٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٨ في تفسيره لسورة النمل، الآية: ٩٣.

يكون بعده والأئمّة يكونون من ولده وإنّما ضرب الله هذا المثل لهم في موسى وبني إسرائيل وفي أعدائهم بفرعون وجنوده.

فقال: إنَّ فرعون قتل بني إسرائيل وظلم. فأظفر الله موسى بفرعون وأصحابه حتّى أهلكهم الله، وكذلك أهل بيت رسول الله ﷺ أصابهم من أعدائهم القتل والغصب، ثمّ يردُّهم الله ويردُّ أعداءهم إلى الدُّنيا حتّى يقتلوهم.

وقد ضرب أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أعدائه مثلاً مثل ما ضربه الله لهم في أعدائهم بفرعون وهامان، فقال: أيّها النّاس إنَّ أوّل من بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم عليه السلام خلق الله لها عشرين أصبعاً في كلّ أصبع منها ظُفران طويلان كالمِنجلين العظيمين وكان مجلسها في الأرض موضع جريب فلمّا بغت بعث الله لها أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير، ونسراً كالحمار، وكان ذلك في الخلق الأوّل فسلّطهم الله عليها فقتلوها، ألا وقد قتل الله فرعون وهامان، وخسف بقارون، وإنّما هذا مثل لأعدائه الّذين غصبوا حقّه فأهلكهم الله. ثمّ قال عليٌّ صلوات الله عليه على أثر هذا المثل الّذي ضربه: وقد كان لي حقٌّ حازه دوني من لم يكن له، ولم أكن أُشركه فيه، ولا توبة له إلاّ بكتاب منزل أو برسول مرسل، وأنّى له بالرسالة بعد محمّد ﷺ ولا نبيّ بعد محمّد، فأنّى يتوب وهو في برزخ القيامة، غرّته الأمانيُّ وغرّه بالله الغَرور، قد أشفى على جرف هار فانهار في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين.

وكذلك مثل القائم عليه السلام في غيبته وهربه واستتاره، مثل موسى عليه السلام خائف مستتر إلى أن يأذن الله في خروجه، وطلب حقّه وقتل أعدائه، في قوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وقد ضرب بالحسين بن عليّ صلوات الله عليه مثلاً في بني إسرائيل بإدالتهم من أعدائهم حيث قال عليُّ بن الحسين عليه السلام لمنهال بن عمرو: «أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبناءنا ويستحيون نساءنا»(١).

بيان: الخبر الأخير أوردناه في أحوال الحسين عليه السلام وقوله «فلمّا تقدّم» استدلال على أنَّ المراد بفرعون وهامان وجنوده أبو بكر وعمر وأتباعهما لأنَّ الله تعالى ذكر سابقاً عليه ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ وهذا وعدٌ وظاهره عدم تحقّق الموعود بعد.

٣٣ - **فس:** أبي، عن النّضر، عن يحيى الحلبيّ، عن عبد الحميد الطائيّ، عن أبي خالد الكابليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: يرجع إليكم نبيّكم ﷺ(٢).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٠ في تفسيره لسورة القصص، الآيات: ١-٤.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٣ في تفسيره لسورة القصص، الآية: ٨٥.

٣٤ - فس: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال: العذاب الأدنى عذاب الرَّجعة بالسّيف، ومعنى قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يرجعون في الرَّجعة حتّى يعذّبوا[١].

٣٥ - فس: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يعني العذاب إذا نزل ببني أُميّة وأشياعهم في آخر الزّمان[٢].

٣٦ - فس: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ قال الصادق عليه السلام: ذلك في الرجعة[٣].

بيان: أي أحد الإحياءين في الرَّجعة والآخر في القيامة، وإحدى الإماتتين في الدُّنيا والأُخرى في الرَّجعة، وبعض المفسّرين صحّحوا التثنية بالإحياء في القبر للسؤال والإماتة فيه، ومنهم من حمل الإماتة الأُولى على خلقهم ميّتين ككونهم نطفة.

٣٧ - فس: قال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين في الرَّجعة ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أي جحدنا بما أشركناهم ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٤].

٣٨ - فس: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني فإنّهم يرجعون يعني الأئمّة إلى الدُّنيا[٥].

٣٩ - فس: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي اصبر ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: ذلك إذا خرجوا في الرَّجعة من القبر تغشى النّاس كلّهم الظلمة فيقولوا هذا عذاب أليم ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ فقال الله ردّاً عليهم ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ في ذلك اليوم ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي رسول قد بيّن لهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

قال: قالوا ذلك لمّا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذه الغشي فقالوا: هو مجنون ثمّ قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ يعني إلى القيامة ولو كان قوله ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ في القيامة، لم يقل إنكم عائدون لأنّه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها ثمّ قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يعني في القيامة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[٦].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤٨ في تفسيره لسورة السجدة، الآية: ٢١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٠ في تفسيره لسورة الصافات، الآية: ١٧٧.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٧ في تفسيره لسورة غافر، الآية: ١١.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٢ في تفسيره لسورة غافر، الآية: ٨٤.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٦ في تفسيره لسورة الزخرف، الآية: ٢٨.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٧ في تفسيره لسورة الدخان، الآيات: ١٠-١٤.

بيان: قال الطبرسيُّ رحمه الله إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على قومه لمّا كذّبوه فقال: اللّهمَّ سنيناً كسني يوسف فأجدبت الأرض، فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرَّجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السّماء كالدُّخان، وأكلوا الميتة والعظام، ثمَّ جاؤوا إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله فسأل الله لهم فكشف عنهم وقيل إنَّ الدُّخان من أشراط الساعة يدخل في مسامع الكفّار والمنافقين، وهو لم يأت بعدُ، وإنّه يأتي قبل قيام الساعة، فيدخل أسماعهم حتّى أنَّ رؤوسهم تكون كالرّأس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة، وتكون الأرض كلّها كبيت أوقد فيه، ليس فيه خصاص، ويمكث ذلك أربعين يوماً(١).

٤٠ - **فس:** قال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ قال: في الرَّجعة(٢).

٤١ - **فس:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال: القائم وأمير المؤمنين عليه السلام في الرَّجعة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ قال: هو قول أمير المؤمنين لزُفَر: والله يا ابن صهّاك لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلُّ عدداً قال: فلمّا أخبرهم رسول الله ما يكون من الرَّجعة قالوا: متى يكون هذا؟ قال الله قل يا محمّد ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ وقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ قال: يخبر الله رسوله الّذي يرتضيه بما كان قبله من الأخبار، وما يكون بعده من أخبار القائم عليه السلام، والرّجعة والقيامة(٣).

٤٢ - **فس:** جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير في قوله ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ قال: ما له قوّة يقوى بها على خالقه، ولا ناصر من الله ينصره إن أراد به سوءاً، قلت: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ قال: كادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكادوا عليّاً عليه السلام وكادوا فاطمة عليها السلام فقال الله يا محمّد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يا محمّد ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ لو قد بعث القائم عليه السلام فينتقم لي من الجبّارين والطّواغيت من قريش وبني أميّة وسائر النّاس(٤).

٤٣ - **فس:** بالاسناد المتقدّم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: يعني الكرّة هي الآخرة للنبيِّ صلى الله عليه وآله قلت: قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ قال: يعطيك من الجنّة فترضى(٥).

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٠٤.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٣ في تفسيره لسورة ق، الآية: ٤٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٠ في تفسيره لسورة الجن، الآيات: ٢٤-٢٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٢ في تفسيره لسورة الطارق.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٦ في تفسيره لسورة الضحى. أقول: هذا معناه الباطن ويدل على الظاهر والباطن ما في تفسير البرهان. [النمازي].

٤٤ - كنز: روى الشيخ الطوسيُّ بإسناده عن الفضل بن شاذان يرفعه إلى بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: يا عليّ إنّ الله أشهدك معي سبعة مواطن وساق الحديث إلى أن قال: والموطن السّابع أنّا نبقى حين لا يبقى أحد وهلاك الأحزاب بأيدينا(١).

٤٥ - ن: تميم القريشيُّ، عن أبيه، عن أحمد الأنصاريّ، عن الحسن بن الجهم، قال: قال المأمون للرّضا عليه السلام: يا أبا الحسن ما تقول في الرّجعة، فقال عليه السلام: إنّها الحقُّ قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأُمّة كلُّ ما كان في الأمم السّالفة حذو النّعل بالنّعل، والقذّة بالقذّة، وقال ﷺ: إذا خرج المهديُّ من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه، وقال ﷺ: إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمَّ يرجع الحقُّ إلى أهله الخبر(٢).

٤٦ - مع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن سفيان، عن فراس، عن الشعبيّ قال: قال ابن الكوّا لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين أرأيت قولك «العجب كلُّ العجب بين جمادى ورجب» قال: ويحك يا أعور! هو جمع أشتات، ونشر أموات، وحصد نبات، وهنات بعد هنات، مهلكات مبيرات لست أنا ولا أنت هناك(٣).

٤٧ - مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن عثمان بن عيسى، عن صالح بن ميثم، عن عباية الأسديّ قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو مشتكي وأنا قائم عليه: لأبنينَّ بمصر منبراً، ولأنقضنّ دمشق حجراً حجراً، ولأخرجنّ اليهود والنصارى من كلّ كور العرب ولأسوقنَّ العرب بعصاي هذه، قال: قلت له: يا أمير المؤمنين كأنّك تخبر أنّك تحيى بعدما تموت؟ فقال: هيهات يا عباية ذهبت في غير مذهب يفعله رجل منّي.

قال الصّدوق رحمه الله: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام اتّقى عباية الأسديّ في هذا الحديث واتّقى ابن الكوّا في الحديث الأوّل لأنّهما كانا غير محتملين لأسرار آل محمّد ﷺ(٤).

٤٨ - كنز: محمّد بن العبّاس، عن عليّ بن عبد الله، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن محمّد بن صالح بن مسعود، عن أبي الجارود، عمّن سمع عليّاً عليه السلام يقول: «العجب كلُّ العجب بين جُمادى ورجب» فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الّذي لا تزال تعجب منه، فقال: ثكلتك أمّك وأيّ عجب أعجب من أموات يضربون كلَّ عدوّ لله ولرسوله ولأهل بيته، وذلك تأويل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ فإذ اشتدَّ القتل، قلتم: مات أو هلك أو أيّ واد سلك، وذلك تأويل هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٠٦.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢١٦ باب ٤٦ ح ١.
(٣) - (٤) معاني الأخبار، ص ٤٠٦.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[(١)].

٤٩ - **فس**: أبي، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قلت: يقولون إنّها في القيامة، قال: ليس كما يقولون، إنّ ذلك في الرَّجعة أيحشر الله يوم القيامة من كلّ أمّة فوجاً ويدع الباقين؟ إنّما آية القيامة قوله ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

قال عليُّ بن إبراهيم: وممّا يدلُّ على الرّجعة قوله ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقال الصّادق عليه السلام: كلُّ قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرَّجعة فأمّا إلى القيامة فيرجعون، ومن محض الإيمان محضاً وغيرهم ممّن لم يهلكوا بالعذاب، ومحضوا الكفر محضاً يرجعون[(٢)].

٥٠ - **فس**: أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ قال: ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم إلاّ ويرجع إلى الدُّنيا فينصر أمير المؤمنين، وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام[(٣)].

قال عليُّ بن إبراهيم: ومثله كثير ممّا وعد الله تعالى الأئمّة عليهم السلام من الرَّجعة والنّصر، فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ يا معشر الأئمّة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فهذه ممّا يكون إذا رجعوا إلى الدُّنيا، وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فهذا كلّه ممّا يكون في الرَّجعة[(٤)].

٥١ - **فس**: أبي، عن أحمد بن النّضر، عن عمرو بن شمر قال: ذكر عند أبي جعفر عليه السلام جابر فقال: رحم الله جابراً لقد بلغ من علمه أنّه كان يعرف تأويل هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني الرَّجعة[(٥)].

٥٢ - **يج**: سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن فضيل، عن سعد الجلاّب، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إنَّ رسول الله قال لي: يا بنيّ إنّك ستُساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيّون وأوصياء النبيّين،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٥٩.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٦ في تفسيره لسورة النمل، الآية: ٨٣.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٤ في تفسيره لسورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٠ في تفسيره لسورة القصص، الآية: ٥.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٣ في تفسيره لسورة القصص، الآية: ٨٥.

وهي أرض تدعى عمورا، وإنّك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم.

فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنّا نرد على نبيّنا، قال: ثمَّ أمكث ما شاء الله فأكون أوَّل من ينشقُّ الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا، ثمَّ لينزلنَّ عليَّ وفد من السماء من عند الله، لم ينزلوا إلى الأرض قطُّ ولينزلنَّ إليَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وجنود من الملائكة، ولينزلنّ محمّد وعليٌّ وأنا وأخي وجميع من منَّ الله عليه، في حمولات من حمولات الرَّبِّ خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثمَّ ليهزَّنَّ محمّد لواءه وليدفعنّه إلى قائمنا مع سيفه، ثمَّ إنّا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله، ثمَّ إنّ الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن.

ثمَّ إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يدفع إليَّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدوّ لله إلاّ أهرقت دمه ولا أدع صنماً إلاّ أحرقته حتّى أقع إلى الهند فأفتحها.

وإنّ دانيال ويوشع يخرجان إلى أمير المؤمنين يقولان صدق الله ورسوله ويبعث الله معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم ويبعث بعثاً إلى الرُّوم فيفتح الله لهم.

ثمّ لأقتلنَّ كلَّ دابّة حرَّم الله لحمها حتّى لا يكون على وجه الأرض إلاّ الطيّب وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل، ولأخيّرنّهم بين الإسلام والسيف فمن أسلم مننت عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، ولا يبقى رجل من شيعتنا إلاّ أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرّفه أزواجه ومنزلته في الجنّة ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى، إلاّ كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت.

ولينزلنَّ البركة من السماء إلى الأرض حتّى أنَّ الشجرة لتقصف بما يريد الله فيها من الثمرة، ولتأكلنَّ ثمرة الشتاء في الصّيف، وثمرة الصّيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2]. ثمَّ إنَّ الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها حتّى أنَّ الرَّجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون[3].

خص: ممّا رواه لي السيّد عليُّ بن عبد الكريم بن عبد الحميد الحسنيُّ بإسناده عن سهل مثله.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٤٨.

إيضاح: «لتقصف» أي تتكسر أغصانها لكثرة ما حملت من الثمار.

٥٣ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب وابن يزيد، عن أحمد بن الحسن الميثميّ عن محمّد بن الحسين، عن أبان بن عثمان، عن موسى الحنّاط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أيّام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم عليه السلام، ويوم الكرّة، ويوم القيامة[1].

ل: العطّار، عن سعد، عن ابن يزيد، عن محمّد بن الحسن الميثميّ عن مثنّى الحنّاط، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[2].

مع: أبي، عن الحميريّ، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن المثنّى مثله[3].

٥٤ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن عمر بن عبد العزيز، عن رجل، عن جميل بن درّاج، عن المعلّى بن خنيس وزيد الشّحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قالا: سمعناه يقول: إنّ أوّل من يكرّ في الرّجعة الحسين بن عليّ عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتّى يسقط حاجباه على عينيه[4].

٥٥ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن المنخّل بن جميل، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس من مؤمن إلاّ وله قتلة وموتة، إنّه من قتل نشر حتّى يموت، ومن مات نشر حتّى يقتل.

ثمّ تلوت على أبي جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ فقال: ومنشورة، قلت قولك «ومنشورة» ما هو؟ فقال: هكذا أنزل بها جبرائيل على محمّد صلى الله عليه وآله: «كل نفس ذائقة الموت ومنشورة» ثمّ قال: ما في هذه الأمّة أحد برٌّ ولا فاجر إلاّ وينشر، أمّا المؤمنون فينشرون إلى قرّة أعينهم، وأمّا الفجّار فينشرون إلى خزي الله إيّاهم، ألم تسمع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ يعني بذلك محمّداً صلى الله عليه وآله قيامه في الرّجعة ينذر فيها، وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله نذير للبشر في الرّجعة.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: يظهره الله عزّ وجلّ في الرّجعة.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه إذا رجع في الرّجعة. قال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال: هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي وخرج عثمان ابن عفّان وشيعته، ونقتل بني أميّة، فعندها يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين[5].

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٨.
(٢) الخصال، ص ١٠٨ باب ٣ ح ٧٥.
(٣) معاني الاخبار، ص ٣٦٦.
(٤) - (٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٧-١٨.

٥٦ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن ابن عميرة عن أبي داود، عن بريدة الأسلميّ قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنت إذا استيأست أمّتي من المهديّ فيأتيها مثل قرن الشمس يستبشر به أهل السماء وأهل الأرض؟ فقلت: يا رسول الله بعد الموت؟ فقال: والله إنّ بعد الموت هدى وإيماناً ونوراً، قلت: يا رسول الله أيّ العمرين أطول؟ قال: الآخر بالضّعف[١].

بيان: قوله ﷺ «إنّ بعد الموت» أي بعد موت سائر الخلق لا المهديّ.

٥٧ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ قال: ذلك والله في الرّجعة أما علمت أنّ في أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدّنيا وقتلوا وأئمّة قد قتلوا ولم ينصروا فذلك في الرّجعة قلت: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ قال: هي الرّجعة[٢].

فس: أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى مثله وفيه والأئمّة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدّنيا. «ج ٢ ص ٣٠٣».

بيان: لا يخفى أنّ هذا أظهر ممّا ذكره المفسّرون: إنّ النصر بظهور الحجّة أو الانتقام لهم من الكفر في الدّنيا غالباً.

٥٨ - **خص:** سعد، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى وابن أبي الخطّاب جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام في الرجعة فاحتلتُ مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي منها فقلت: أخبرني عمّن قتل مات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، فقلت: ما أحد [يقتل إلا مات، قال: فقال: يا زرارة! قول الله أصدق من] قولك قد فرّق بين القتل والموت في القرآن فقال عليه السلام: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وقال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ فليس كما قلت يا زرارة الموت موت، والقتل قتل، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ قال: فقلت: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أفرأيت من قتل لم يذق الموت؟ فقال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، إنّ من قتل لا بدّ أن يرجع إلى الدُّنيا حتّى يذوق الموت[٣].

شي: عن زرارة مثله. «ج ٢ ص ١١٨ ح ١٣٩ من سورة التوبة».

٥٩ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن الصفوان، عن الرّضا عليه السلام قال: سمعته يقول في الرّجعة: من مات من المؤمنين قتل، ومن قتل منهم مات[٤].

---

(١) - (٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٧-٢٠.

٦٠ - **خص**: سعد، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب عن أبي جميلة، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله عن بطنين من قريش كلام تكلّموا به، فقال: يرى محمّد أن لو قد قضى أنّ هذا الأمر يعود في أهل بيته من بعده، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فباح في مجمع من قريش بما كان يكتمه فقال: كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثمّ رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف.

قال: فنزل جبرائيل عليه السلام قال: يا محمّد قل إن شاء الله أو يكون ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو يكون ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله تعالى فقال جبرائيل عليه السلام: واحدة لك، واثنتان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وموعدكم السلام، قال أبان: جعلت فداك وأين السلام؟ فقال عليه السلام: يا أبان السلام من ظهر الكوفة[1].

٦١ - **خص**: سعد، عن ابن عيسى، عن اليقطينيّ، عن عليّ بن الحكم، عن المثنّى بن الوليد، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ قال: في الرّجعة[2].

شي: عن عليّ الحلبيّ، عن أبي بصير مثله. «ج٢ ص ٣٢٨ ح ١٣١ من سورة الإسراء».

٦٢ - **خص**: بهذا الإسناد، عن عليّ بن الحكم، عن رفاعة، عن عبد الله بن عطا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت مريضاً بمنى وأبي عليه السلام عندي فجاءه الغلام فقال: ههنا رهط من العراقيّين يسألون الإذن عليك فقال أبي عليه السلام: أدخلهم الفسطاط وقام إليهم فدخل عليهم فما لبث أن سمعت ضحك أبي عليه السلام قد ارتفع فأنكرت ووجدت في نفسي من ضحكه وأنا في تلك الحال.

ثمّ عاد إليّ فقال: يا أبا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكي، فقلت: وما الّذي غلبك منه الضّحك جعلت فداك؟ فقال: إنّ هؤلاء العراقيّين سألوني عن أمر كان مضى من آبائك وسلفك، يؤمنون به ويقرّون فغلبني الضحك سروراً أنّ في الخلق من يؤمن به ويقرّ، فقلت: وما هو جعلت فداك؟ قال: سألوني عن الأموات متى يبعثون فيقاتلون الأحياء على الدّين[3].

خص: سعد، عن السندي بن محمّد، عن صفوان، عن رفاعة مثله[4].

٦٣ - **خص**: بالإسناد، عن عليّ بن الحكم، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عن الرّجعة فقال: القدريّة تنكرها - ثلاثاً[5].

٦٤ - **خص**: سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير قال:

(١) - (٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٩-٢٢.

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إنا نتحدّث أنّ عمر بن ذرّ لا يموت حتّى يقاتل قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله فقال: إنّ مثَل ابن ذرّ مثل رجل كان في بني إسرائيل يقال له: عبد ربّه، وكان يدعو أصحابه إلى ضلالة، فمات فكانوا يلوذون بقبره ويتحدّثون عنده إذ خرج عليهم من قبره ينفض التراب من رأسه ويقول لهم كيت وكيت(١).

٦٥ - **خص**: سعد، عن ابن هشام، عن البرقيّ، عن محمّد بن سنان أو غيره عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى بي ربّي عزّ وجلّ فأوحى إليّ من وراء حجاب ما أوحى، وكلّمني بما كلّم به وكان ممّا كلّمني به أن قال: يا محمّد إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا عالم الغيب والشهادة الرّحمن الرّحيم إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون، إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا الخالق البارىء المصوّر، لي الأسماء الحسنى، يسبّح لي من في السموات والأرض، وأنا العزيز الحكيم.

يا محمّد إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا الأوّل فلا شيء قبلي، وأنا الآخر فلا شيء بعدي، وأنا الظاهر فلا شيء فوقي، وأنا الباطن فلا شيء دوني، وأنا الله لا إله إلاّ أنا بكل شيء عليم.

يا محمّد! عليٌّ أوّل ما آخذ ميثاقه من الأئمّة، يا محمّد! عليٌّ آخر من أقبض روحه من الأئمّة، وهو الدّابّة الّتي تكلّمهم، يا محمّد! عليٌّ أظهره على جميع ما أوحيه إليك ليس لك أن تكتم منه شيئاً، يا محمّد أبطنه الّذي أسررته إليك فليس ما بيني وبينك سرٌّ دونه، يا محمّد عليٌّ عليٌّ، ما خلقت من حلال وحرام عليٌّ عليم به(٢).

بيان: قوله تعالى: «عليٌّ عليٌّ» الأوّل اسم والثاني صفة أي هو عالي الشأن أو كلاهما اسمان وخبران لمبتدأ محذوف، كما يقال: هو فلان إذا كان مشتهراً معروفاً في الكمال.

٦٦ - **خص**: من كتاب سليم بن قيس الهلاليّ رحمة الله عليه الّذي رواه عنه أبان بن أبي عيّاش، وقرأ جميعه على سيّدنا عليّ بن الحسين عليه السلام بحضور جماعة أعيان من الصحابة منهم أبو الطفيل فأقرّه عليه زين العابدين عليه السلام وقال: هذه أحاديثنا صحيحة قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك في منزلة فحدّثني في الرّجعة عن أُناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد وأبيّ بن كعب وقال أبو الطفيل: فعرضت هذا الّذي سمعته منهم على عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه بالكوفة فقال: هذا علم خاصٌّ لا يسع الأمّة جهله، وردُّ علمه إلى الله تعالى ثمَّ صدّقني بكلّ ما حدّثوني وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة فسّره تفسيراً شافياً حتّى صرت ما أنا بيوم القيامة أشدُّ يقيناً منّي بالرّجعة.

وكان ممّا قلت: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدّنيا أم في الآخرة؟

---

(١) - (٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٣-٢٤.

فقال: بل في الدُّنيا، قلت: فمن الذائد عنه؟ فقال: أنا بيدي فليرِدنّه أوليائي وليصرفنّ عنه أعدائي، وفي رواية أخرى: ولأوردنّه أوليائي ولأصرفنّ عنه أعدائي.

فقلت: يا أمير المؤمنين قول الله عزّوجلّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[١] ما الدابّة؟ قال: يا أبا الطفيل أله عن هذا فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك، قال: هي دابّة تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، وتنكح النساء، فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: هو زِرُّ الأرض الّذي تسكن الأرض به، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: صدّيق هذه الأمّة وفاروقها وربّيّها وذو قرنيها قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: الّذي قال الله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ والذي عنده علم الكتاب والذي جاء بالصدق والذي صدق به والناس كلّهم كافرون غيره.

قلت: يا أمير المؤمنين فسمّه لي قال: قد سمّيته لك يا أبا الطفيل والله لو أدخلت على عامّة شيعتي الّذين بهم أقاتل، الّذين أقرّوا بطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين واستحلّوا جهاد من خالفني، فحدّثتهم ببعض ما أعلم من الحقّ في الكتاب الّذي نزل به جبرائيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله لتفرّقوا عنّي حتّى أبقى في عصابة من الحقّ قليلة أنت وأشباهك من شيعتي ففزعت وقلت: يا أمير المؤمنين أنا وأشباهي نتفرّق عنك أو نثبت معك؟ قال: بل تثبتون.

ثمّ أقبل عليّ فقال: إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّ به إلا ثلاثة ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الطفيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض فارتدّ الناس ضُلّالاً وجُهّالاً إلاّ من عصمه الله بنا أهل البيت[٢].

إيضاح: قوله عليه السلام: وربيها بكسر الراء إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

وقال البيضاويُّ: أي ربّانيّون علماء أتقياء عابدون لربّهم وقيل: جماعات منسوب إلى الربّة وهي الجماعة[٣].

أقول: رأيت في أصل كتاب سليم بن قيس مثله[٤].

٦٧ - **شي:** عن سلاّم بن المستنير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد تسمّوا باسم ما سمّى الله به أحداً إلاّ عليّ بن أبي طالب، وما جاء تأويله، قلت: جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: إذا جاء جمع الله أمامه النبيّين والمؤمنين حتّى ينصروه وهو قول الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فيومئذ يدفع رسول الله صلى الله عليه وآله اللّواء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيكون أمير الخلائق كلّهم أجمعين:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٢.
(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٤٠.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٩٣.
(٤) سليم بن قيس، ص ٦٠.

يكون الخلائق كلّهم تحت لوائه، ويكون هو أميرهم فهذا تأويله[١].

٦٨ - **شي:** عن زرارة قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: لم يذق الموت من قتل، وقال: لا بدَّ من أن يرجع حتّى يذوق الموت[٢].

٦٩ - **شي:** عن سيرين قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: ما يقول الناس في هذه الآية ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قال: يقولون: لا قيامة ولا بعث ولا نشور، فقال: كذبوا والله إنّما ذلك إذا قام القائم وكرَّ معه المكرّون، فقال أهل خلافكم: قد ظهرت دولتكم يا معشر الشيعة وهذا من كذبكم تقولون: رجع فلان وفلان لا والله لا يبعث الله من يموت، ألا ترى أنّهم قالوا: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؟ كانت المشركون أشدّ تعظيماً للاّت والعزّى من أن يقسموا بغيرها فقال الله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)﴾[٣].

٧٠ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ إلى آخر الآية فقال: ذلك في الميثاق ثمّ قرأت: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: لا تقرأ هكذا ولكن اقرأ ﴿التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ﴾ إلى آخر الآية.

ثمَّ قال: إذا رأيت هؤلاء فعند ذلك هم الّذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم يعني في الرّجعة ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: ما من مؤمن إلاّ وله ميتة وقتلة: من مات بعث حتّى يقتل، ومن قتل بعث حتّى يموت[٤].

شي: عن أبي بصير مثله. «ج ٢ ص ١١٨ ح ١٤٠ و١٤١ من سورة التوبة».

٧١ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى وابن عبد الجبّار، وأحمد بن الحسن بن فضّال جميعاً، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن حميد بن المثنّى، عن شعيب الحذّاء، عن أبي الصبّاح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك أكره أن أسمّيها له، فقال لي هو: عن الكرّات تسألني؟ فقلت: نعم، فقال: تلك القدرة ولا ينكرها إلاّ القدريّة، لا تنكرها تلك القدرة لا تنكرها إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتي بقناع من الجنّة عليه عذق يقال له سنّة، فتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله سنّة من كان قبلكم[٥].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٥ ح ٧٧ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٣٤ ح ١٨٨ من سورة آل عمران.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٨١ ح ٢٨ من سورة النحل.

(٤) - (٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢١.

بيان: قوله عليه السلام «تلك القدرة» أي هذه من قدرة الله تعالى، ولا ينكرها إلاّ القدريّة من المعتزلة الّذين ينكرون كثيراً من قدرة الله تعالى. «والقناع» بالكسر طبق من عُسُب النخل، وبعث هذا كان لإعلام النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يقع في أمّته ما وقعت في الأمم السّابقة، وقد وقعت الرّجعة في الأمم السّابقة مرّات شتّى.

٧٢ - **خص:** ابن عيسى، عن الحسن، عن الحسين بن علوان، عن محمّد بن داود العبديّ، عن الأصبغ بن نباتة أنّ عبدالله بن أبي بكر اليشكري قام إلى أمير المؤمنين سلام الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أبا المعتمر تكلّم آنفاً بكلام لا يحتمله قلبي، فقال: وما ذاك؟ قال: يزعم أنك حدّثته أنك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سنّاً من أبيه؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فهذا الّذي كبر عليك؟ قال: نعم فهل تؤمن أنت بهذا وتعرفه؟ فقال: نعم، ويلك يا ابن الكوّاء افقه عنّي أخبرك عن ذلك إنّ عُزيراً خرج من أهله وامرأته في شهرها وله يومئذ خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عزّ وجلّ بذنبه أماته مائة عام ثمّ بعثه، فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة وردّ الله عُزيراً إلى الّذي كان به.

فقال: ما يزيد؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل عمّا بدا لك، قال: نعم إنّ أناساً من أصحابك يزعمون أنّهم يردّون بعد الموت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام نعم تكلّم بما سمعت ولا تزد في الكلام، فما قلت لهم؟ قال: قلت: لا أؤمن بشيء ممّا قلتم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك إنّ الله عزّ وجلّ ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم فأماتهم قبل آجالهم الّتي سمّيت لهم ثمّ ردّهم إلى الدّنيا ليستوفوا أرزاقهم، ثمّ أماتهم بعد ذلك.

قال: فكبر على ابن الكوّا ولم يهتد له فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك تعلم أنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ فانطلق بهم معه ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملأ من بني إسرائيل أنّ ربّي قد كلّمني فلو أنهم سلّموا ذلك له، وصدّقوا به، لكان خيراً لهم، ولكنّهم قالوا لموسى عليه السلام ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ أترى يا ابن الكوّا أنّ هؤلاء قد رجعوا إلى منازلهم بعد ما ماتوا؟ فقال ابن الكوّا: وما ذاك ثمّ أماتهم فكأنّهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويلك أوليس قد أخبر الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ فهذا بعد الموت إذ بعثهم.

وأيضاً مثلهم يا ابن الكوّا، الملأ من بني إسرائيل حيث يقول الله عزّ وجلّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ وقوله أيضاً في عُزير حيث أخبر الله عزّ وجلّ فقال: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾، وأخذه بذلك الذنب ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ وردّه إلى الدّنيا فقال: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾.

فلا تشكّنّ يا ابن الكوّا في قدرة الله عزّوجلّ [(١)].

٧٣ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن أبي خالد القمّاط، عن عبد الرّحمن القصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ فقال: هل تدري من يعني؟ فقلت: يقاتل المؤمنون فيَقتلون ويُقتلون، فقال: لا ولكن من قتل من المؤمنين ردَّ حتّى يموت، ومن مات ردَّ حتّى يقتل، وتلك القدرة فلا تنكرها[(٢)].

شي: عن عبد الرّحيم مثله. «ج ٢ ص ١١٩ ح ١٤٤ من سورة التوبة».

٧٤ - **خص:** بهذا الإسناد، عن أبي خالد القمّاط، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون ههنا مثله؟ فقال: لا، فقلت: فحدّثني عن قول الله عزّوجلّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ حتّى نظر النّاس إليهم. ثمّ أماتهم من يومهم أو ردّهم إلى الدُّنيا؟ فقال: بل ردّهم إلى الدُّنيا حتّى سكنوا الدّور، وأكلوا الطّعام، ونكحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ ماتوا بالآجال[(٣)].

٧٥ - **خص:** سعد، عن ابن عيسى، عن اليقطينيّ، عن الحسين بن سفيان، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لعليّ عليه السلام في الأرض كرّة مع الحسين ابنه صلوات الله عليهما يقبل برايته حتّى ينتقم له من بني أميّة ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه، ثمّ يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ومن سائر النّاس سبعين ألفاً فيلقاهم بصفّين مثل المرّة الأولى حتّى يقتلهم، ولا يبقي منهم مخبراً، ثمّ يبعثهم الله عزّوجلّ فيدخلهم أشدّ عذابه مع فرعون وآل فرعون.

ثمّ كرّة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يكون خليفة في الأرض وتكون الأئمّة عليهم السلام عُمّاله وحتّى يبعثه الله علانية، فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرّاً في الأرض.

ثمّ قال: إي والله وأضعاف ذلك - ثمّ عقد بيده أضعافاً - يعطي الله نبيّه صلى الله عليه وآله ملك جميع أهل الدُّنيا منذ يوم خلق الله الدُّنيا إلى يوم يفنيها حتّى ينجز له موعوده في كتابه كما قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[(٤)].

٧٦ - **خص:** سعد، عن موسى بن عمر، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن يحيى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر صدّيقاً؟ فقال: نعم إنّه حيث كان معه أبو بكر في الغار قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأرى سفينة بني عبد المطّلب تضطرب في البحر ضالّة، فقال له أبو بكر: وإنّك لتراها؟ قال: نعم! فقال: يا رسول الله تقدر أن ترينيها؟ فقال: ادن منّي، فدنا منه فمسح يده على عينيه ثمّ قال له: انظر فنظر أبو بكر فرأى السّفينة

(١) - (٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٢-٢٣.

تضطرب في البحر ثمّ نظر إلى قصور أهل المدينة فقال في نفسه: الآن صدّقت أنّك ساحر فقال له رسول الله ﷺ: صدّيق أنت!!

فقلت: لم سمّي عمر الفاروق؟ قال: نعم ألا ترى أنّه قد فرّق بين الحقّ والباطل، وأخذ الناس بالباطل.

فقلت: فلم سمّى سالماً الأمين؟ قال: لمّا أن كتبوا الكتب، ووضعوها على يد سالم، فصار الأمين، قلت: فقال: اتّقوا دعوة سعد؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك، قال: إنّ سعداً يكرّ فيقاتل عليّاً عليه السلام[1].

٧٧ - **غط:** محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن عليّ بن سليمان بن رشيد، عن الحسن بن عليّ الخزّاز قال: دخل عليّ بن أبي حمزة على أبي الحسن الرّضا عليه السلام فقال له: أنت إمام؟ قال: نعم، فقال له: إنّي سمعت جدّك جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: لا يكون الإمام إلاّ وله عقب؟ فقال: أنسيت يا شيخ أم تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر، إنّما قال جعفر: لا يكون الإمام إلاّ وله عقب إلاّ الإمام الّذي يخرج عليه الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّه لا عقب له فقال له: صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدّك يقول[2].

٧٨ - **شي:** عن رفاعة بن موسى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إنّ أوّل من يكرّ إلى الدّنيا الحسين بن عليّ عليه السلام وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذّة بالقذّة، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[3].

٧٩ - **كنز:** روى الحسن بن أبي الحسن الديلميّ بإسناده إلى محمّد بن عليّ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ قال: الموعود عليّ بن أبي طالب، وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدّنيا ووعده الجنّة له ولأوليائه في الآخرة[4].

٨٠ - **جا:** الكاتب، عن الزعفرانيّ، عن الثقفيّ، عن إسماعيل بن أبان، عن الفضل بن الزّبير، عن عمران بن ميثم، عن عباية الأسديّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: أنا سيّد الشيب وفيّ سنّة من أيّوب، والله ليجمعنّ الله لي أهلي كما جُمعوا ليعقوب[5].

٨١ - **كش:** أبو صالح خلف بن حمّاد، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن المغيرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كأنّي بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتاها بين كتفيه، مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبّرون ومكرّون[6].

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٩. (٢) الغيبة للطوسي، ص ٢٢٤ ح ١٨٨.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٥ ح ٢٣ من سورة الإسراء.
(٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤١٤. (٥) أمالي المفيد، ص ١٤٥ مجلس ١٨ ح ٤.
(٦) رجال الكشي، ص ٢١٧ ح ٢٩٠.

بيان: «اللّحف» بالكسر أصل الجبل.

٨٢ - **كش:** عبد الله بن محمّد، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّي سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى ولكنّه قد أعطاني فيه منزلة أخرى إنّه يكون أوّل منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه[١].

خص: سعد، عن ابن عيسى، وابن أبي الخطّاب معاً، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي سلمة سالم بن مكرّم الجمّال مثله وفيه: وفيهم عبد الله بن شريك العامريُّ، وفيهم صاحب الراية[٢].

٨٣ - **كش:** وجدت في كتاب محمّد بن الحسن بن بندار القميّ بخطّه، حدَّثني الحسن بن أحمد المالكيّ، عن جعفر بن فضيل قال: قلت لمحمَّد بن فرات: لقيت أنت الأصبغ؟ قال: نعم لقيته مع أبي فرأيته شيخاً أبيض الرأس واللّحية طوالاً قال له أبي: حدِّثنا بحديث سمعته من أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول على المنبر: أنا سيّد الشيب وفيَّ شبه من أيّوب وليجمعنَّ الله لي شملي كما جمعه لأيّوب قال: فسمعت هذا الحديث أنا وأبي من الأصبغ بن نباتة قال: فما مضى بعد ذلك إلاّ قليلاً حتّى توفّي رحمة الله عليه[٣].

٨٤ - **كش:** طاهر بن عيسى، عن الشجاعيِّ، عن الحسين بن بشّار، عن داود الرّقيّ قال: قلت له: إنّي قد كبرت ودقَّ عظمي أحبُّ أن يختم عمري بقتل فيكم؟ فقال: وما من هذا بدٌّ إن لم يكن في العاجلة تكون في الآجلة[٤].

٨٥ - **جش:** أحمد بن محمّد بن رياح، عن محمّد بن عبد الله بن غالب، عن محمّد بن الوليد، عن يونس بن يعقوب، عن عبد الله بن خفقة قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيبون عليَّ روايتي عن جعفر عليه السلام قال: فقلت: كيف تلومونني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلاّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فمرَّ صبيان وهم ينشدون «العجب كلُّ العجب بين جمادى ورجب» فسألته عنه فقال: لقاء الأحياء بالأموات[٥].

٨٦ - **خص:** وقفت على كتاب خطب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعليه خطُّ السيّد رضيِّ الدّين عليِّ بن موسى بن طاوس ما صورته: هذا الكتاب ذكر كاتبه رجلين بعد الصّادق عليه السلام فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد المائتين من الهجرة لأنّه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة وقد روي بعض ما فيه عن أبي روح فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة

---

(١) رجال الكشي، ص ٢١٧ ح ٢٩١.
(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٦.
(٣) رجال الكشي، ص ٢٢١ ح ٣٩٦.
(٤) رجال الكشي، ص ٤٠٧ ح ٧٦٦.
(٥) رجال النجاشي، ص ١٢ ح ٧.

عن جعفر بن محمّد وبعض ما فيه عن غيرهما ذكر في الكتاب المشار إليه خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تسمّى المخزون وهي:

الحمد لله الأحد المحمود الّذي توحّد بملكه، وعلا بقدرته، أحمده على ما عرّف من سبيله، وألهم من طاعته، وعلّم من مكنون حكمته، فإنّه محمود بكلّ ما يولي مشكور بكلّ ما يبلي، وأشهد أنّ قوله عدل، وحكمه فصل، ولم ينطق فيه ناطق بكان إلاّ كان قبل كان.

وأشهد أنّ محمّداً عبد الله وسيّد عباده، خير من أهلّ أوّلاً وخير من أهلّ آخراً فكلّما نسج الله الخلق فريقين جعله في خير الفريقين، لم يسهم فيه عائر ولا نكاح جاهليّة.

ثمّ إنّ الله قد بعث إليكم رسولاً من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فاتّبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتّبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكّرون، فإن الله جعل للخير أهلاً، وللحقّ دعائم، وللطاعة عصماً يعصم بهم، ويقيم من حقّه فيهم، على ارتضاء من ذلك، وجعل لها رُعاةً وحفظة يحفظونها بقوّة ويعينون عليها، أولياء ذلك بما ولّوا من حقّ الله فيها.

أمّا بعد، فإنّ روح البصر روح الحياة الّذي لا ينفع إيمان إلاّ به، مع كلمة الله والتصديق بها، فالكلمة من الرُّوح والرُّوح من النّور، والنور نور السماوات فبأيديكم سبب وصل إليكم منه إيثار واختيار، نعمة الله لا تبلغوا شكرها، خصّصكم بها، واختصّكم لها، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون.

فأبشروا بنصر من الله عاجل، وفتح يسير يقرّ الله به أعينكم، ويذهب بحزنكم كفّوا ما تناهى الناس عنكم، فإنّ ذلك لا يخفى عليكم، إنّ لكم عند كلّ طاعة عوناً من الله، يقول على الألسن، ويثبت على الأفئدة، وذلك عون الله لأوليائه يظهر في خفيّ نعمته لطيفاً، وقد أثمرت لأهل التقوى أغصان شجرة الحياة، وإنّ فرقاناً من الله بين أوليائه وأعدائه، في شفاء للصّدور، وظهور للنور، يعزّ الله به أهل طاعته، ويذلّ به أهل معصيته.

فليعدّ امرؤ لذلك عُدّته، ولا عُدّة له إلاّ بسبب بصيرة، وصدق نيّة وتسليم سلامة أهل الخفّة في الطاعة، ثقل الميزان، والميزان بالحكمة، والحكمة فضاء للبصر، والشكّ والمعصية في النار، وليسا منّا ولا لنا ولا إلينا، قلوب المؤمنين مطويّة على الإيمان إذا أراد الله إظهار ما فيها فتحها بالوحي، وزرع فيها الحكمة، وإنّ لكلّ شيء إنىً يبلغه لا يعجل الله بشيء حتّى يبلغ إناه ومنتهاه.

فاستبشروا ببشرى ما بُشّرتم، واعترفوا بقربان ما قرّب لكم، وتنجّزوا ما وعدكم، إنّ منّا دعوة خالصة يظهر الله بها حجّته البالغة، ويتمّ بها نعمه السابغة ويعطي بها الكرامة الفاضلة، من استمسك بها أخذ بحكمة، منها آتاكم الله رحمته ومن رحمته نوّر القلوب، ووضع عنكم أوزار الذّنوب، وعجّل شفاء صدوركم وصلاح أموركم، وسلام منّا دائماً عليكم، تعلمون به

في دول الأيّام، وقرار الأرحام، فإنَّ الله اختار لدينه أقواماً انتخبهم للقيام عليه، والنصرة له، بهم ظهرت كلمة الإسلام، وأرجاء مفترض القرآن، والعمل بالطاعة في مشارق الأرض ومغاربها.

ثمَّ إنَّ الله خصّصكم بالإسلام، واستخلصكم له لأنّه اسم سلامة، وجماع كرامة اصطفاه الله فنهجه، وبيّن حججه، وأرَّف أرفه وحدَّه ووصفه وجعله رضى كما وصفه، ووصف أخلاقه وبيّن أطباقه، ووكّد ميثاقه، من ظهر وبطن ذي حلاوة وأمن، فمن ظفر بظاهره، رأى عجائب مناظره في موارده ومصادره ومن فطن بما بطن، رأى مكنون الفطن، وعجائب الأمثال والسنن. فظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه، فيه ينابيع النعم، ومصابيح الظلم، لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه، ولا تنكشف الظلم إلاّ بمصابيحه، فيه تفصيل وتوصيل، وبيان الاسمين الأعلين اللّذين جمعا فاجتمعا لا يصلحان إلاّ معاً يسمّيان فيعرَّفان ويوصفان فيجتمعان قيامهما في تمام أحدهما في منازلهما، جرى بهما ولهما نجوم، وعلى نجومهما نجوم سواهما، تحمى حماه وترعى مراعيه وفي القرآن بيانه وحدوده وأركانه ومواضع تقادير ما خزن بخزائنه ووزن بميزانه ميزان العدل، وحكم الفصل.

إنَّ رعاة الدّين فرَّقوا بين الشكّ واليقين، وجاؤوا بالحقّ المبين، قد بيّنوا الإسلام تبياناً وأسّسوا له أساساً وأركاناً، وجاؤوا على ذلك شهوداً وبرهاناً: من علامات وأمارات، فيها كفاء لمكتف، وشفاء لمشتف، يحمون حماه، ويرعون مرعاه، ويصونون مصونه، ويهجرون مهجوره، ويحبّون محبوبه، بحكم الله وبرِّه، وبعظيم أمره، وذكره بما يجب أن يذكر به، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بحسن اللّهجة ويتساقون بكأس الرَّويّة، ويتراعون بحسن الرعاية، بصدور بريّة، وأخلاق سنيّة . . . . وبسلام[1] رضيّة لا يشرب فيه الدنيّة، ولا تشرع فيه الغيبة. فمن استبطن من ذلك شيئاً استبطن خُلقاً سنيّاً وقطع أصْله واستبدل منزله بنقصه مبرماً، واستحلاله مجرماً، من عهد معهود إليه، وعقد معقود عليه، بالبرِّ والتقوى، وإيثار سبيل الهدى، على ذلك عقد خلقهم، وآخى أُلفتهم، فعليه يتحابّون وبه يتواصلون، فكانوا كالزرع، وتفاضله يبقى، فيؤخذ منه ويفنى، ويبعثه التخصيص، ويبلغ منه التخليص، فانتظر أمره في قصر أيّامه، وقلّة مقامه في منزله حتّى يستبدل منزلاً ليضع متحوله، ومعارف منقلبه.

فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنّب ما يرديه، فيدخل مدخل الكرامة، فأصاب سبيل السلامة سيبصر ببصره، وأطاع هادي أمره، دُلَّ أفضل الدلالة وكشف غطاء الجهالة المضلّة الملهية، فمن أراد تفكّراً أو تذكّراً فليذكر رأيه وليبرز بالهدى، ما لم تغلق أبوابه وتفتح أسبابه، وقبل نصيحة من نصح بخضوع وحسن خشوع، بسلامة الإسلام ودعاء

---

(١) في المطبوعة هنا بياض ولكن في المصدر: وأخلاق سنية لم يولم عليها، وبقلوب رضيّة.

التمام، وسلام بسلام، تحيّة دائمة لخاضع متواضع يتنافس بالإيمان، ويتعارف عدل الميزان، فليقبل أمره وإكرامه بقبول وليحذر قارعة قبل حلولها.

إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرَّب أو نبيٌّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان لا يعي حديثنا إلاّ حصون حصينة، أو صدور أمينة أو أحلام رزينة يا عجبا كلّ العجب بين جمادى ورجب. فقال رجل من شرطة الخميس: ما هذا العجب يا أمير المؤمنين؟ قال: وما لي لا أعجب وسبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث، ألا صوتات بينهنَّ موتات، حصد نبات ونشر أموات، وا عجبا كلّ العجب بين جمادى ورجب.

قال أيضاً رجل يا أمير المؤمنين: ما هذا العجب الّذي لا تزال تعجب منه قال ثكلت الآخر أمّه وأيُّ عجب يكون أعجب منه أموات يضربون هام الأحياء قال: أنّى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، كأنّي أنظر قد تخلّلوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم، يضربون كلَّ عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين وذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[1].

الا يا أيّها النّاس! سلوني قبل أن تفقدوني إنّي بطرق السماء أعلم من العالم بطرق الأرض، أنا يعسوب الدّين وغاية السابقين ولسان المتّقين، وخاتم الوصيّين ووارث النبيّين، وخليفة ربِّ العالمين، أنا قسيم النار، وخازن الجنان، وصاحب الحوض، وصاحب الأعراف، وليس منّا أهل البيت إمام إلاّ عارف بجميع أهل ولايته، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

ألاّ يا أيّها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقيّة تطأ في خطامها بعد موت وحياة أو تشبُّ نار بالحطب الجزل غربيَّ الأرض، رافعة ذيلها تدعو يا ويلها بذحلة أو مثلها.

فإذا استدار الفلك، قلت: مات أو هلك بأيِّ واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

ولذلك آيات وعلامات، أوّلهنَّ إحصار الكوفة بالرَّصد والخندق، وتخريق الزوايا في سكك الكوفة وتعطيل المساجد أربعين ليلة، وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر، يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير وموت ذريع، وقتل النفس الزكيّة بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الرُّكن والمقام وقتل الأسبغ المظفّر صبراً في بيعة الأصنام، مع كثير من شياطين الإنس.

وخروج السفياني براية خضراء، وصليب من ذهب، أميرها رجل من كلب واثني عشر

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

ألف عنان من يحمل السفياني متوجّهاً إلى مكّة والمدينة، أميرها أحد من بني أُميّة يقال له: خزيمة أطمس العين الشمال على عينه طرفة يميل بالدُّنيا فلا تردُّ له راية حتّى ينزل المدينة فيجمع رجالاً ونساء من آل محمّد صلی الله علیه و آله فيحبسهم في دار بالمدينة يقال لها: دار أبي الحسن الأمويّ. ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمّد صلی الله علیه و آله قد اجتمع عليه رجال من المستضعفين بمكّة أميرهم رجل من غطفان، حتّى إذا توسّطوا الصفائح الأبيض بالبيداء، يخسف بهم، فلا ينجو منهم أحد إلاّ رجل واحد يحوّل الله وجهه في قفاه لينذرهم، وليكون آية لمن خلفه، فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ويبعث السفيانيُّ مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة فينزلون بالرَّوحاء والفاروق، وموضع مريم وعيسى عليه السلام بالقادسيّة ويسير منهم ثمانون ألفاً حتّى ينزلواالكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبّار عنيد يقال له: الكاهن الساحر فيخرج من مدينة يقال له: الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتّى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيّام من الدّماء، ونتن الأجساد، ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كفٌّ ولا قناع، حتّى يوضعن في المحامل يزلف بهنَّ الثويّة وهي الغريّين.

ثمَّ يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق، حتّى يضربون دمشق لا يصدُّهم عنها صادٌّ، وهي إرم ذات العماد، وتقبل رايات شرقي الأرض ليست بقطن ولا كتّان ولا حرير، مختّمة في رؤوس القنا بخاتم السيّد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمّد صلی الله علیه و آله يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب، كالمسك الأذفر، يسير الرُّعب أمامها شهراً.

ويخلف أبناء سعد السقّاء بالكوفة طالبين بدماء آبائهم، وهم أبناء الفسقة حتّى يهجم عليهم خيل الحسين عليه السلام يستبقان كأنّهما فرسا رهان، شُعث غُبر أصحاب بواكي وقوارح إذ يضرب أحدهم برجله باكية، يقول: لا خير في مجلس بعد يومنا هذا، اللّهمَّ فإنّا التائبون الخاشعون الراكعون الساجدون، فهم الأبدال الّذين وصفهم الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] والمطهرون نظراؤهم من آل محمّد صلی الله علیه و آله.

ويخرج رجل من أهل نجران راهب يستجيب الإمام، فيكون أوّل النصارى إجابة، ويهدم صومعته ويدقُّ صليبها، ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيل فيسيرون إلى النخيلة بأعلام هدى، فيكون مجمع الناس جميعاً من الأرض كلّها بالفاروق وهي محجّة أمير المؤمنين وهي ما بين البرس والفرات، فيقتل يومئذ فيما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف من اليهود والنصارى، فيقتل بعضهم بعضاً فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[2] بالسيف وتحت ظلّ السيف.

ويخلف من بني أشهب الزاجر اللّحظ في أُناس من غير أبيه هراباً حتّى يأتون سبطرى عوذا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٥.

بالشجر فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾﴾[١] ومساكنهم الكنوز الّتي غنموا من أموال المسلمين ويأتيهم يومئذ الخسف والقذف والمسخ، فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٢]. وينادي مناد في [شهر] رمضان من ناحية المشرق، عند طلوع الشمس: يا أهل الهدى اجتمعوا، وينادي من ناحية الغرب بعدما تغيب الشمس: يا أهل الهدى اجتمعوا، ومن الغد عند الظهر بعد تكوُّر الشمس، فتكون سوداء مظلمة، واليوم الثالث يفرق بين الحقّ والباطل، بخروج دابّة الأرض وتقبل الرُّوم إلى قرية بساحل البحر، عند كهف الفتية، ويبعث الله الفتية من كهفهم إليهم، منهم رجل يقال له: مليخا والآخر كمسلمينا وهما الشاهدان المسلمان للقائم. فيبعث أحد الفتية إلى الرُّوم، فيرجع بغير حاجة، ويبعث بالآخر، فيرجع بالفتح فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٣].

ثمّ يبعث الله من كلّ أمّة فوجاً ليريهم ما كانوا يوعدون فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٤] والوزع خفقان أفئدتهم.

ويسير الصدّيق الأكبر براية الهدى، والسيف ذي الفقار، والمِخصرة حتّى ينزل أرض الهجرة مرّتين وهي الكوفة، فيهدم مسجدها ويبنيه على بنائه الأوّل، ويهدم ما دونه من دور الجبابرة، ويسير إلى البصرة حتّى يشرف على بحرها، ومعه التابوت، وعصى موسى، فيعزم عليه فيزفر في البصرة زفرة فتصير بحراً لُجيّاً لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة، على ظهر الماء.

ثمّ يسير إلى حرورا حتّى يحرقها ويسير من باب بني أسد حتّى يزفر زفرة في ثقيف، وهم زرع فرعون، ثمّ يسير إلى مصر فيصعد منبره، فيخطب الناس فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها وتتزيّن لأهلها، وتأمن الوحوش حتّى ترتعي في طرق الأرض كأنعامهم، ويقذف في قلوب المؤمنين العلم فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من علم، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾[٥].

وتخرج لهم الأرض كنوزها، ويقول القائم: كلوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية، فالمسلمون يومئذ أهل صواب للدِّين، أذن لهم في الكلام فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٦] فلا يقبل الله يومئذ إلاّ دينه الحقّ ألا لله الدِّين الخالص، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٢-١٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٨٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٠.
(٦) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١].

فيمكث فيما بين خروجه إلى يوم موته ثلاثمائة سنة ونيّف، وعدّة أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر منهم تسعة من بني إسرائيل وسبعون من الجنّ ومائتان وأربعة وثلاثون منهم سبعون الّذين غضبوا للنبيّ ﷺ إذ هجمته مشركو قريش فطلبوا إلى نبيّ الله أن يأذن لهم في إجابتهم فأذن لهم حيث نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢] وعشرون من أهل اليمن منهم المقداد بن الأسود ومائتان وأربعة عشر الذين كانوا بساحل البحر ممّا يلي عدن، فبعث إليهم نبيّ الله برسالة فأتوا مسلمين.

ومن أفناء الناس ألفان وثمانمائة وسبعة عشر ومن الملائكة أربعون ألفاً، من ذلك من المسوّمين ثلاثة آلاف، ومن المردفين خمسة آلاف.

فجميع أصحابه عليه السلام سبعة وأربعون ألفاً ومائة وثلاثون من ذلك تسعة رؤوس مع كلّ رأس من الملائكة أربعة آلاف من الجنّ والإنس، عدّة يوم بدر، فبهم يقاتل وإيّاهم ينصر الله، وبهم ينتصر وبهم يقدم النّصر ومنهم نضرة الأرض.

كتبتها كما وجدتها وفيها نقص حروف[٣].

بيان: «لم ينطق فيه ناطق بكان» أي كلّما عبّر عنه بكان فهو لضرورة العبارة إذ كان يدلّ على الزّمان، وهو معرّى عنه، موجود قبل حدوثه.

قوله عليه السلام: «من أهل» أي جعله أهلاً للنبوّة والخلافة، قوله عليه السلام «كلّما نسج الله» أي جمعهم مجازاً قوله عليه السلام: «لم يسهم» أي لم يشرك فيه، والعائر من السّهام الّذي لا يدرى راميه، كناية عن الزّنى واختلاط النسب، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من العار وكأنّه تصحيف عاهر.

قوله عليه السلام: «فإنّ روح البصر» لعلّ خبر إنّ «مع كلمة الله» وروح الحياة بدل من روح البصر أي روح الإيمان الّذي يكون مع المؤمن، وبه يكون بصيراً وحيّاً حقيقة، لا يكون إلاّ مع كلمة الله، أي إمام الهدى، فالكلمة من الرُّوح: أي معه أو هو أيضاً آخذ من الرُّوح - أي روح القدس - والرُّوح يأخذ من النّور والنّور هو الله تعالى كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فبأيديكم سبب من كلمة الله وصل إليكم من الله ذلك السّبب آثركم واختاركم وخصصكم به وهو نعمة من الله خصّصكم بها لا يمكنكم أن تؤدّوا شكرها.

قوله عليه السلام: «يظهر» أي العون أو هو تعالى: قوله عليه السلام: «وإنّ فرقاناً» خبر «إنّ» إمّا

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ٢٧-٣٠. (٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٩٥-٢٠٢.

محذوف أي بيّن ظاهر، أو هو قوله «يعزُّ الله» أو قوله: فليعدَّ بتأويل مقولٌ في حقّه، والمراد بالفرقان القرآن، وقوله: «سلامة» مبتدأ وثقل الميزان خبره، أي سلامة من يخفُّ في الطاعة ولا يكسل فيها، إنّما يظهر عند ثقل الميزان في القيامة أو هو سبب لثقله، ويحتمل أن يكون التسليم مضافاً إلى السّلامة أي التسليم الموجب للسّلامة«وأهل» مبتدأ «وثقّل» بالتشديد على صيغة الجمع خبره.

قوله: «والميزان بالحكمة» أي ثقل الميزان بالعمل إنّما يكون إذا كان مقروناً بالحكمة فإنَّ عمل الجاهل لا وزن له، فتقديره: الميزان يثقل بالحكمة. والحكمة فضاء للبصر، أي بصر القلب يجول فيها، قوله: «إنى» بالكسر والقصر أي وقتاً، قوله: «واعترفوا بقربان ما قرِّب لكم» أي اعترفوا وصدّقوا بقرب ما أُخبركم أنّه قريب منكم، قوله عليه السلام: «وأزّف أرفه» الأرَف كصرد جمع الأرفة وهي الحدُّ أي حدَّد حدوده وبيّنها، ثمّ الظاهر أنّه قد سقط كلام مشتمل على ذكر القرآن قبل قوله: «من ظهر وبطن» فإنّما ذكر بعد أوصاف القرآن وما ذكر قبله أوصاف الإسلام، وإن أمكن أن يستفاد ذكر القرآن من الوصف والتبيين والتحديد المذكورة في وصف الإسلام لكنَّ الظاهر على هذا السّياق أن يكون جميع ذلك أوصاف الإسلام.

والمراد بالاسمين الأعلين محمّد وعليٌّ صلوات الله عليهما «ولهما نجوم» أي سائر أئمّة الهدى، «وعلى نجومهما نجوم» أي على كلّ من تلك النجوم دلائل وبراهين من الكتاب والسنّة والمعجزات الدالّة على حقّيّتهم، ويحتمل أن يكون المراد بالاسمين الكتاب والعترة.

قوله: «تحمى» على بناء المعلوم، والفاعل النجوم. أو على المجهول، وعلى التقديرين الضمير في «حماه ومراعيه» راجع إلى الإسلام وكذا الضمائر بعدهما وكان في الأصل بعد قوله وأخلاق سنيّة بياض.

و«الطرفة» - بالفتح -: نقطة حمراء من الدَّم تحدث في العين من ضربة ونحوها.

أقول: هكذا وجدتها في الأصل سقيمة محرَّفة، وقد صحّحت بعض أجزائها من بعض مؤلّفات بعض أصحابنا، ومن الأخبار الأُخر، وقد اعترف صاحب الكتاب بسقمها، ومع ذلك يمكن الانتفاع بأكثر فوائدها، ولذا أوردتها، مع ما أرجو من فضله تعالى أن يتيسّر نسخة يمكن تصحيحها بها، وقد سبق كثير من فقراتها في باب علامات ظهوره عليه السلام.

٨٧ - **كا:** الحسين بن محمّد، ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن سالم بن أبي سلمة، عن الحسن بن شاذان الواسطيِّ قال: كتبت إلى أبي الرِّضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليَّ، وكانت عصابة من العثمانيّة تؤذيني، فوقّع بخطّه: إنَّ الله جلَّ ذكره أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربّك، فلو قد قام سيّد الخلق لقالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[1].

(١) روضة الكافي، ح ٣٤٦.

٨٨ - فس: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعني القائم صلوات الله عليه وأصحابه ﴿لِيَسُـٔۥا وُجُوهَكُمۡ﴾ يعني تسودُّ وجوههم، ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه وأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه(١).

٨٩ - فس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال: القائم وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما(٢).

٩٠ - شي: عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: خروج الحسين عليه السلام في الكرّة في سبعين رجلاً من أصحابه الّذين قتلوا معه، عليهم البيض المذهّبة لكلّ بيضة وجهان، إلى آخر ما مرّ في باب الآيات المؤوّلة بالقائم عليه السلام (٣).

٩١ - شا: مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنا سيّد الشّيب وفيَّ سنة من أيّوب، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا استدار الفلك، وقلتم مات أو هلك. إلى آخر ما مرّ في باب إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالقائم عليه السلام (٤).

٩٢ - خص: سعد، عن أحمد بن محمّد، وعبد الله بن عامر بن سعد، عن محمّد بن خالد، عن الثماليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من أراد أن يقاتل شيعة الدّجّال، فليقاتل الباكي على دم عثمان، والباكي على أهل النّهروان، إنَّ من لقي الله مؤمناً بأنَّ عثمان قتل مظلوماً لقي الله عزّ وجلّ ساخطاً عليه، ولا يدرك الدّجّال.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين فإن مات قبل ذلك؟ قال: فيبعث من قبره حتّى يؤمن به وإن رغم أنفه(٥).

٩٣ - ع: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سليمان، عن داود بن النعمان، عن عبد الرّحيم القصير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أما لو قد قام قائمنا لقد ردّت إليه الحميراء حتّى يجلدها الحدَّ وحتّى ينتقم لابنة محمّد فاطمة عليها السلام منها. إلى آخر ما مرَّ في باب سيره عليه السلام (٦).

٩٤ - شا: روى عبد الكريم الخثعميُّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا آن قيام القائم مطر النّاس جمادى الآخرة وعشرة أيّام من رجب مطراً لم تر الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة، ينفضون شعورهم من التراب(٧).

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٦ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٠ في تفسيره لسورة الجن، الآية: ٢٤.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٤ ح ٢٠ من سورة الإسراء. وقد مرّ في ج ٥١ ص ٤٠ ح ٤٦. [النمازي].
(٤) الارشاد للمفيد، ص ١٨٤. (٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠.
(٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٥١ باب ٣٨٥ ح ١٠. (٧) الارشاد للمفيد، ص ٢٩٠.

٩٥ - **عم، شا:** روى المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبع وعشرون رجلاً خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الّذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاريُّ، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً(١).

شي: عن المفضّل مثله بتغيير ما وقد مرَّ. «ج ٢ ص ٣٥ ح ٩٠ من سورة الأعراف».

٩٦ - **ني:** أحمد بن [محمّد بن سعيد] عن يحيى بن زكريّا، عن يوسف بن كليب، عن ابن البطائنيّ، عن ابن حميد، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو قد خرج قائم آل محمّد لنصره الله بالملائكة وأوّل من يتّبعه محمّد وعليٌّ الثاني إلى آخر ما مرَّ(٢).

٩٧ - **غط:** سعد، عن الحسن بن عليٍّ الزيتونيّ، والحميريُّ معاً، عن أحمد بن هلال، عن ابن محبوب، عن الرِّضا عليه السلام في حديث له طويل في علامات ظهور القائم عليه السلام قال: والصّوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين، قد كرَّ في هلاك الظّالمين. الخبر(٣).

ني: محمّد بن همام، عن أحمد بن مابنداذ، والحميري معاً، عن أحمد بن هلال مثله.

٩٨ - **غط:** الفضل، عن محمّد بن عليّ، عن جعفر بن بشير، عن خالد [بن] أبي عمارة، عن المفضّل بن عمر قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام أُتي المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا إنّه قد ظهر صاحبك! فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم(٤).

٩٩ - **يه:** عليُّ بن أحمد بن موسى، والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن موسى بن عبد الله النخعيّ، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام في الزّيارة الجامعة وساق الزّيارة - إلى أن قال: «وجعلني ممّن يقتصُّ آثاركم، ويسلك سبلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمرتكم، ويكرُّ في رجعتكم، ويملّك في دولتكم، ويشرّف في عافيتكم ويمكّن في أيّامكم، وتقرُّ عينه غداً برؤيتكم».

وفي زيارة الوداع «ومكّنني في دولتكم وأحياني في رجعتكم»(٥).

يب: عن الصّدوق مثله. «ج ٦ باب ٤٥ ح ٤».

١٠٠ - **يب:** جماعة من أصحابنا، عن هارون بن موسى التلّعكبريّ، عن محمّد بن عليّ ابن معمر، عن عليّ بن محمّد بن مسعدة، والحسن بن عليّ بن فضّال عن سعدان بن مسلم،

---

(١) اعلام الورى، ص ٤٤٠، الإرشاد، ص ٣٨٦.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٣٤.
(٣) الغيبة للطوسي، ص ٤٣٩ ح ٤٣١.
(٤) الغيبة للطوسي، ص ٤٥٨ ح ٤٧٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ٤١٩ ح ٣٢١٥-٣٢١٦.

عن صفوان بن مهران الجمّال، عن الصّادق عليه السلام في زيارة الأربعين «وأشهد أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرائع ديني وخواتيم عملي»[١].

١٠١ - **يه**: قال الصّادق عليه السلام: ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا ولم يستحلّ متعتنا[٢].

١٠٢ - **كا**: جماعة، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله تبارك وتعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. قال: فقال لي: يا أبا بصير ما تقول في هذه الآية؟ قال: قلت: إن المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله لا يبعث الموتى، قال: فقال: تبّاً لمن قال هذا سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللاّت والعزّى، قال: قلت جعلت فداك فأوجدنيه، قال: فقال لي: يا أبا بصير لوقد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قباع سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: بعث فلان وفلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم! هذه دولتكم فأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة، قال: فحكى الله قولهم فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٤].

شي: عن أبي بصير مثله. «ج ٢ ص ٢٨٠ ح ٢٦ من سورة النحل».

أقول: روى السيّد في كتاب سعد السّعود من كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام تأليف المفيد رحمه الله عن ابن أبي هراسة، عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد، عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله[٥].

١٠٣ - **كا**: العدّة عن سهل، عن ابن شمّون، عن الأصمّ، عن عبد الله بن القاسم البطل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قال: قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وطعن الحسن عليه السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ قال: قتل الحسين عليه السلام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ إذا جاء نصر دم الحسين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمّد إلاّ قتلوه ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ خروج القائم عليه السلام.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّبة لكلّ بيضة وجهان المؤدّون إلى النّاس أنّ هذا الحسين قد خرج حتّى لا يشكّ

---

(١) تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١٠٧٩ ح ١٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٥٨٤ ح ٤٥٨٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٨.
(٤) روضة الكافي، ح ١٤.
(٥) سعد السعود، ص ١١٦.

المؤمنون فيه، وأنّه ليس بدجّال ولا شيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين عليه السلام جاء الحجّة الموت، فيكون الّذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحّده في حفرته الحسين بن عليّ عليه السلام ولا يلي الوصيَّ إلاّ الوصيُّ[1].

١٠٤ - **مصبا:** روى لنا جماعة، عن أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمّال، عن أبيه، عن جدّه صفوان قال: استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه وساق الحديث إلى أن قال عليه السلام في الزيارة: «وأُشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرائع ديني، وخواتيم عملي»[2].

١٠٥ - **مصبا:** في زيارة العباس «أنّي بكم مؤمن وبإيابكم من الموقنين»[3].

١٠٦ - **مصبا، صبا:** زيارة رواها ابن عيّاش قال: حدّثني خير بن عبد الله عن الحسين ابن روح قال: «زُرْ أيَّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب تقول إذا دخلت وساق الزّيارة إلى أن قال: «ويرجعني من حضرتكم خير مرجع إلى جناب ممرع، موسّع، ودعة ومهل إلى حين الأجل، وخير مصير ومحلّ في النعيم الأزل والعيش المقتبل ودوام الأكل، وشرب الرحيق والسلسبيل، وعلٍّ ونهل، لا سأم منه ولا ملل، ورحمة الله وبركاته وتحيّاته، حتّى العود إلى حضرتكم والفوز في كرّتكم»[4].

١٠٧ - **قل، مصبا:** خرج إلى أبي القاسم بن العلاء الهمدانيّ وكيل أبي محمّد عليه السلام أنَّ مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه وادعُ فيه بهذا الدُّعاء وساق الدُّعاء إلى قوله «وسيّد الأسرة، الممدود بالنصرة يوم الكرَّة المعوَّض من قتله أنَّ الأئمّة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته، حتّى يدركوا الأوتار، ويثأروا الثار، ويرضوا الجبّار، ويكونوا خير أنصار» - إلى قوله-: «فنحن عائذون بقبره نشهد تربته، وننتظر أوبته آمين ربَّ العالمين»[5].

١٠٨ - **صبا:** في زيارة القائم عليه السلام في السرداب «ووفّقني يا ربِّ للقيام بطاعته، وللثوى في خدمته، والمكث في دولته، واجتناب معصيته، فإن توفّيتني اللّهمَّ قبل ذلك فاجعلني يا ربِّ فيمن يكرُّ في رجعته، ويملّك في دولته، ويتمكّن في أيّامه، ويستظلُّ تحت أعلامه، ويحشر في زمرته، وتقرُّ عينه برؤيته»[6].

---

(١) روضة الكافي، ح ٢٥٠.
(٢) مصباح المتهجد، ص ٥٠١.
(٣) مصباح المتهجد، ص ٥٠٤.
(٤) مصباح المتهجد، ص ٥٥٦.
(٥) مصباح المتهجد، ص ٥٧١، إقبال الأعمال، ص ١٩٤.
(٦) مصباح الزائر، ص ٤٢٤.

١٠٩ - **صباء** في زيارة أخرى له عليه السلام «وإن أدركني الموت قبل ظهورك فإنّي أتوسّل بك إلى الله سبحانه أن يصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن يجعل لي كرّة في ظهورك، ورجعة في أيّامك، لأبلغ من طاعتك مرادي، وأشفي من أعدائك فؤادي»(١).

١١٠ - **صباء** في زيارة أخرى: «اللّهمّ أرنا وجه وليّك الميمون في حياتنا وبعد المنون، اللّهمّ إنّي أدين لك بالرّجعة بين يدي صاحب هذه البقعة»(٢).

١١١ - **صباء** عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيّئة، وهو هذا:

«اللّهمّ ربّ النور العظيم، و[ربّ] الكرسيّ الرفيع، وربّ البحر المسجور ومنزّل التوراة والإنجيل والزّبور، وربّ الظلّ والحرور، ومنزّل القرآن العظيم وربّ الملائكة المقرّبين، والأنبياء والمرسلين.

اللّهمّ إنّي أسألك بوجهك الكريم، وبنور وجهك المنير، وملكك القديم يا حيّ يا قيّوم أسألك باسمك الّذي أشرقت به السماوات والأرضون يا حيّ قبل كلّ حيّ، لا إله إلاّ أنت.

اللّهمّ بلّغ مولانا الإمام الهادي المهديّ القائم بأمرك صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها، سهلها وجبلها برّها وبحرها، وعنّي وعن والديّ من الصلوات زنة عرش الله ومداد كلماته، وما أحصاه علمه، وأحاط به كتابه. اللّهمّ إنّي أجدّد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيّامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها، ولا أزول أبداً، اللّهمّ اجعلني من أنصاره وأعوانه والذّابّين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته، والمستشهدين بين يديه.

اللّهمّ إن حال بيني وبينه الموت الّذي جعلته على عبادك حتماً، فأخرجني من قبري، مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرّداً قناتي، ملبّياً دعوة الداعي، في الحاضر والبادي.

اللّهمّ أرني الطلعة الرّشيدة، والغرّة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة منّي إليه، وعجّل فرجه، وسهّل مخرجه، وأوسع منهجه، واسلك بي محجّته، فأنفذ أمره، واشدد أزره، واعمر اللّهمّ به بلادك، وأحي به عبادك، فإنّك قلت وقولك الحقّ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾(٣).

فأظهر اللّهمّ لنا وليّك، وابن بنت نبيّك المسمّى باسم رسولك حتّى لا يظفر بشيء من الباطل إلاّ مزّقه، ويحقّ الحقّ ويحقّقه، واجعله اللّهمّ مفزعاً لمظلوم عبادك، وناصراً لمن لا

---

(١) مصباح الزائر، ص ٤٣٨.

(٢) مصباح الزائر، ص ٤٤٥.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤١.

يجد له ناصراً غيرك، ومجدِّداً لما عطّل من أحكام كتابك ومشيّداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيّك ﷺ واجعله ممّن حصّنته من بأس المعتدين.

اللّهمّ وسُرَّ نبيّك محمّداً ﷺ برؤيته، ومن تبعه على دعوته، وارحم استكانتنا بعده، اللّهمّ اكشف هذه الغمّة عن الأمّة بحضوره، وعجّل لنا ظهوره، إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، العجل العجل يا مولاي يا صاحب الزّمان، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثمّ تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرّات وتقول: «العجل يا مولاي يا صاحب الزّمان» - ثلاثاً[1].

١١٢ - **صبا:** روي عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: من أراد أن يزور قبر رسول الله ﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم من بعيد، فليقل وساق الزيارة إلى قوله «إنّي من القائلين بفضلكم، مقرٌّ برجعتكم لا أنكر لله قدرة، ولا أزعم إلاّ ما شاء الله»[2].

أقول: أكثر هذه الأخبار المتعلّقة بالزيارات والأدعية مذكورة في كتب الزّيارات الّتي عندنا من الشهيد والمفيد وغيرهما وفي كتابنا العتيق وفي كتاب زوائد الفوائد لولد السيّد عليّ ابن طاووس.

١١٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام في حديث طويل في صفة قبض روح المؤمن قال: ثمّ يزور آل محمّد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب معهم من شرابهم، ويتحدّث معهم في مجالسهم، حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحلُّ المحلّون، وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير، ونجا المقرّبون. من أجل ذلك، قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام[3].

بيان: قال الفيروزآباديُّ: رجل محلٌّ منتهك للحرام أو لا يرى للشهر الحرام حرمة انتهى و«المقرّبون» بفتح الرّاء أي الّذين لا يستعجلون هم المقرّبون وأهل التسليم، أو بكسر الرّاء أي الّذين يقولون الفرج قريب ولا يستبطئونه.

روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر من كتاب القائم للفضل بن شاذان، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن سنان مثله.

١١٤ - وعن الكتاب المذكور، عن الفضل، عن صالح بن حمزة، عن الحسن بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا الفاروق الأكبر، وصاحب

---

(١) مصباح الزائر، ص ٤٥٥. (٢) مصباح الزائر، ص ٥٠١.

(٣) الكافي، ج ٣ ص ٦٩ باب ٨٤ ح ٤.

الميسم، وأنا صاحب النشر الأوّل، والنشر الآخر، وصاحب الكرّات، ودولة الدُّول، وعلى يدي يتمُّ موعد الله وتكمل كلمته، وبي يكمل الدِّين.

أقول: تمامه في أبواب علمهم عليهم السلام.

١١٥ - **مل:** الحسين بن محمّد بن عامر، عن أحمد بن إسحاق بن سعد، عن سعدان بن مسلم قائد أبي بصير قال: حدَّثني بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام إلى قوله: «ونصرتي لكم معدَّة، حتّى يحكم الله، ويبعثكم فمعكم معكم لا مع عدوّكم، إنّي من المؤمنين برجعتكم، لا أنكر لله قدرة، ولا أُكذِّب له مشيئة، ولا أزعم أنَّ ما شاء لا يكون(١).

١١٦ - **مل:** أبو عبد الرَّحمن محمّد بن أحمد بن الحسن العسكريُّ ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن عليّ بن مهزيار، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن مروان عن أبي حمزة الثماليّ، عن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام «ونصرتي لكم معدَّة، حتّى يحييكم الله لدينه ويبعثكم، وأشهد أنكم الحجّة، وبكم ترجى الرَّحمة، فمعكم معكم لا مع عدوّكم، إنّي بإيا بكم من المؤمنين، لا أنكر لله قدرة ولا أُكذِّب منه بمشيئة.

ثمّ قال: اللّهمَّ صلِّ على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسولك إلى أن قال: اللّهمَّ أتمم به كلماتك، وأنجز به وعدك، وأهلك به عدوَّك، واكتبنا في أوليائه وأحبّائه اللّهمّ اجعلنا شيعة وأنصاراً وأعواناً على طاعتك، وطاعة رسولك، وما وكلته به واستخلفته عليه، يا ربَّ العالمين(٢).

١١٧ - **مل:** أبي وجماعة مشايخي، عن محمّد بن يحيى العطار، وحدَّثني محمّد بن الحسين بن متّ الجوهريّ جميعاً، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن عليّ بن حسّان عن عروة بن إسحاق ابن أخي شعيب العقرقوفيّ، عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أتيت عند قبر الحسين عليه السلام ويجزيك عند قبر كلِّ إمام، وساق إلى قوله: «اللّهمَّ لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيّك، وابعثه مقاماً محموداً تنتصر به لدينك، وتقتل به عدوَّك، فإنّك وعدته، وأنت الربُّ الّذي لا تخلف الميعاد» وكذلك تقول عند قبور كلِّ الأئمّة عليهم السلام (٣).

١١٨ - **قل:** يستحبُّ أن يدعى في يوم دحو الأرض بهذا الدُّعاء وساقه إلى قوله: «وابعثنا في كرَّته حتى نكون في زمانه من أعوانه»(٤).

١١٩ - **فس:** ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما أكفره أي ماذا فعل وأذنب حتّى قتلوه ثمّ قال: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ قال

(١) كامل الزيارات، ص ٣٨٥ باب ٧٩ ح ١٧. (٢) كامل الزيارات، ص ٣٩٣ ح ٢٣.
(٣) كامل الزيارات، ص ٥٢٣ باب ١٠٤ ح ١. (٤) إقبال الأعمال، ص ٨٦٠.

يسّر له طريق الخير ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ قال: في الرّجعة، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي لم يقض أمير المؤمنين ما قد أمره، وسيرجع حتّى يقضي ما أمره.

أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر، عن جميل بن درّاج، عن أبي سلمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قال: نعم، نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ما أكفره يعني يقتلكم إيّاه، ثمّ نسب أمير المؤمنين عليه السلام فنسب خلقه وما أكرمه الله به، فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ يقول: من طينة الأنبياء خلقه، فقدّره للخير ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يعني سبيل الهدى ثمّ أماته ميتة الأنبياء ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [قلت: ما قوله ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ ؟] قال: يمكث بعد قتله في الرّجعة فيقضي ما أمره[1].

كنز: محمّد بن العباس، عن أحمد بن إدريس مثله. «ص ٧٤٠».

بيان: قوله ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ في خبر أبي سلمة يحتمل أن يكون ضميره راجعاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون استفهاماً إنكاريّاً كما مرّ في الخبر السابق ويحتمل أن يكون راجعاً إلى القاتل بقرينة المقام فيكون على التعجّب أي ما أكفر قاتله، ويؤيّد الأوّل الخبر الأوّل، ويؤيّد الثاني أنّ في رواية محمّد بن العباس يعني قاتله بقتله إيّاه.

١٢٠ - **كنز:** محمّد بن العباس، عن جعفر بن محمّد بن الحسين، عن عبد الله بن عبد الرّحمن، عن محمّد بن عبد الحميد، عن مفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي عبد الله الجدليّ قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوماً فقال: أنا دابّة الأرض[2].

أقول: قد سبق في باب علامات ظهوره عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال بعد ذكر قتل الدّجّال: ألا إنّ بعد ذلك الطامّة الكبرى، قلنا: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابّة [من] الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سليمان وعصا موسى، تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه «هذا مؤمن حقّاً» ويضعه على وجه كلّ كافر فيكتب فيه «هذا كافر حقّاً» إلى آخر ما مرّ. «في ج ٥٢ من هذه الطبعة».

١٢١ - **غط:** الفضل بن شاذان، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام [يقول]: والله ليملكنّ منّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً، قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسعة عشر سنة ثمّ يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه فيقتل ويسبي حتّى يخرج السفّاح[3].

بيان: الظاهر أنّ المراد بالمنتصر الحسين، وبالسفّاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهما كما سيأتي.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٩ في تفسيره لسورة عبس.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٩٩. (٣) الغيبة للطوسي، ص ٤٧٨ ح ٥٠٥.

١٢٢ - **ختص**: عمرو بن ثابت، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنَّ رجل منّا أهل البيت بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً قال: فقلت: فمتى يكون ذلك؟ قال: فقال: بعد موت القائم عليه السلام قلت له: وكم يقوم القائم في عالمه حتّى يموت؟ قال: فقال: تسعة عشر من يوم قيامه إلى يوم موته قال: قلت له: فيكون بعد موته الهرج؟ قال: نعم خمسين سنة، ثم يخرج المنتصر إلى الدُّنيا فيطلب بدمه ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي، حتّى يقال: لو كان هذا من ذرّيّة الأنبياء، ما قتل الناس كلّ هذا القتل! فيجتمع عليه الناس أبيضهم وأسودهم فيكثرون عليه حتّى يلجئوه إلى حرم الله، فإذا اشتدَّ البلاء عليه، وقتل المنتصر خرج السفّاح من الدُّنيا غضباً للمنتصر. فيقتل كلَّ عدوّ لنا.

وهل تدري من المنتصر والسفّاح يا جابر؟ المنتصر الحسين بن عليّ، والسفّاح عليُّ بن أبي طالب عليه السلام [(١)].

١٢٣ - **كا**: محمّد بن يحيى وأحمد بن محمّد جميعاً، عن محمّد بن الحسن، عن عليّ بن حسّان، عن أبي عبد الله الرياحيّ، عن أبي الصامت الحلوانيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لقد أعطيت الستَّ: علم المنايا والبلايا [والوصايا] وفصل الخطاب، وإنّي لصاحب الكرّات، ودولة الدُّول، وإنّي لصاحب العصا والميسم، والدابّة الّتي تكلّم الناس[(٢)].

ير: عن عليّ بن حسّان مثله. «ج ٤ باب ٩ ح ٤١».

١٢٤ - **كا**: محمّد بن مهران، عن محمّد بن عليّ؛ ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم الخبر[(٣)].

كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن محمّد بن جمهور، عن محمّد بن سنان مثله[(٤)].

كا: عليُّ بن محمّد، ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الوليد شباب الصّيرفيّ، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[(٥)].

١٢٥ - **يب، كا**: عليٌّ، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لا تذهب الأيام واللّيالي حتّى يحيي الله الموتى، ويميت الأحياء، ويردَّ الحقَّ إلى أهله، ويقيم دينه الّذي ارتضاه لنفسه إلى آخر ما أورداه في كتاب الزكاة[(٦)].

---

(١) الاختصاص، ص ٢٥٧.

(٢) - (٥) أصول الكافي، ج ١ ص ١١٢ باب أن الأئمة عليهم السلام هم أركان الأرض، ح ٣ و١ و٢.

(٦) فروع الكافي، ج ٣ ص ٢٧٩ باب ٢٩٦ ح ١، تهذيب الأحكام، ج ٤ ص ٦٨١، باب ٣٩ ح ٨

١٢٦ - **فس:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ إنّما عنى الحسن والحسين عليهما السلام ثمَّ عطف على الحسين فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وذلك أنَّ الله أخبر رسول الله وبشّره بالحسين قبل حمله، وأنَّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة.

ثمَّ أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده، ثمَّ عوَّضه بأن جعل الإمامة في عقبه، وأعلمه أنّه يقتل ثمَّ يردُّه إلى الدُّنيا، وينصره حتّى يقتل أعداءه ويملّكه الأرض، وهو قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية وقوله ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ فبشّر الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنَّ أهل بيتك يملكون الأرض، ويرجعون إليها، ويقتلون أعداءهم، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام بخبر الحسين عليه السلام وقتله، فحملته كرهاً.

ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: فهل رأيتم أحداً يبشّر بولد ذكر فيحمله كرهاً أي إنّها اغتمّت وكرهت لما أخبرت بقتله، ووضعته كرهاً لما علمت من ذلك، وكان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر واحد، وكان الحسين عليه السلام في بطن أمّه ستّة أشهر وفصاله أربعة وعشرون شهراً، وهو قول الله ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[١].

١٢٧ - **فس:** قوله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ آل محمّد حقّهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: عذاب الرَّجعة بالسّيف[٢].

١٢٨ - **فس:** ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ﴾: أي الثاني ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي أكاذيب الأوّلين ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ قال في الرَّجعة إذا رجع أمير المؤمنين ويرجع أعداؤه فيسمهم بميسم معه، كما توسم البهائم على الخراطيم: الأنف والشفتان[٣].

١٢٩ - **فس:** قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ قال: هو قيامه في الرَّجعة ينذر فيها[٤].

١٣٠ - **خص:** ممّا رواه لي السيّد الجليل بهاء الدّين عليُّ بن عبد الحميد الحسينيُّ رواه بطريقه عن أحمد بن محمّد الأياديّ يرفعه إلى أحمد بن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الرَّجعة أحقٌّ هي؟ قال: نعم فقيل له: من أوَّل من يخرج؟ قال: الحسين يخرج على أثر القائم عليه السلام، قلت: ومعه الناس كلّهم؟ قال: لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قوم بعد قوم.

وعنه عليه السلام: ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الّذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبيّاً كما بعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الّذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٢ في تفسيره لسورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٠ في تفسيره لسورة الطور.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٧ في تفسيره لسورة القلم.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٤ في تفسيره لسورة المدثر.

وعن جابر الجعفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنَّ منّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً، قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم عليه السلام، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسع عشرة سنة ثمَّ يخرج المنتصر إلى الدُّنيا وهو الحسين عليه السلام، فيطلب بدمه ودم أصحابه، فيقتل ويسبي حتّى يخرج السفّاح وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

ورويت عنه أيضاً بطريقه إلى أسد بن إسماعيل، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال حين سئل عن اليوم الّذي ذكر الله مقداره في القرآن ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهي كرَّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون ملكه في كرَّته خمسين ألف سنة ويملك أمير المؤمنين في كرَّته أربعة وأربعين ألف سنة(١).

بيان: أقول: عندي كتاب الأنوار المضيئة تصنيف الشيخ عليّ بن عبد الحميد والأخبار موجودة فيه، وروي أيضاً بإسناده، عن الفضل بن شاذان، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صدِّيق، فيكونون في أصحابه وأنصاره(٢).

١٣١ - **خص:** من كتاب السّلطان المفرّج عن أهل الإيمان تصنيف السيّد الجليل بهاء الدِّين عليّ بن عبد الكريم الحسنيّ يرفعه إلى عليّ بن مهزيار قال: كنت نائماً في مرقدي إذ رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول: حجَّ السّنة فإنّك تلقى صاحب الزّمان، وذكر الحديث بطوله ثمَّ قال: يا ابن مهزيار إنّه إذا فقد الصيني وتحرَّك المغربيُّ، وسار العبّاسيُّ، وبويع السّفياني، يؤذن لوليّ الله، فأخرج بين الصفا والمروة، في ثلاثمائة وثلاثة عشر فأجيء إلى الكوفة، فأهدم مسجدها، وأبنيه على بنائه الأوّل وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة.

وأحجُّ بالناس حجّة الإسلام، وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأخرج مَن بها وهما طريّان، فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن النّاس بهما أشدَّ من الأولى، فينادي منادي الفتنة من السّماء يا سماء انبذي، ويا أرض خذي! فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلاّ مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.

قلت: يا سيّدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرَّة الكرَّة الرجعة [الرجعة]، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾(٣).

أقول: ورأيت في أصل كتابه مثله.

١٣٢ - **مل:** محمّد بن جعفر الرزّاز، عن ابن أبي الخطّاب وأحمد بن الحسن بن عليّ بن

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ٤٨-٤٩. (٢) سرور أهل الإيمان، ص ١١٣

(٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ٥٩ والآية من سورة الإسراء، ٦.

فضّال، عن مروان بن مسلم، عن بريد العجليّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فإنّ الناس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله قائماً صاحب شريعة، فإلى من أرسل إسماعيل إذاً.

قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وقتلوه وسلخوا فروة وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه سطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب وجّهني ربُّ العزّة إليك، لأعذّب قومك بأنواع العذاب كما شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل.

فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا ربّ إنّك أخذت الميثاق لنفسك بالرُّبوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خلقك بما تفعل أُمّته بالحسين بن علي عليه السلام من بعد نبيّها، وإنّك وعدت الحسين أن تكرّه إلى الدُّنيا، حتّى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربّ أن تكرّني إلى الدُّنيا حتّى أنتقم ممّن فعل ذلك بي ما فعل، كما تكرُّ الحسين.

فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرُّ مع الحسين بن عليّ عليه السلام [(١)].

١٣٣ - مل: الحميريُّ، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد عن عبد الله بن حمّاد البصري، عن عبد الله بن عبد الرّحمن الأصمّ، عن أبي عبيدة البزّاز، عن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما أقلّ بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة هذا الخلق إليكم؟ فقال: إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به، عرف أنّ أجله قد حضر، وأتاه النبيُّ ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله.

وإنّ الحسين صلوات الله عليه قرأ صحيفته الّتي أُعطيها وفسّر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنقض، فخرج إلى القتال وكانت تلك الأُمور الّتي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم فمكثت تستعدُّ للقتال وتتأهّب لذلك حتّى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته، وقتل صلوات الله عليه.

فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبّته حتّى ترونه قد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنّكم خُصّصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تقرّباً

(١) كامل الزيارات، ص ١٣٨ باب ١٩ ح ٣.

وجزعاً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج صلوات الله عليه يكونون أنصاره[١].

١٣٤ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن القاسم بن إسماعيل، عن عليّ بن خالد العاقوليّ، عن عبد الكريم الخثعميّ، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال: الرّاجفة الحسين ابن عليّ عليه السلام، والرّادفة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأوّل من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي عليه السلام في خمسة وسبعين ألفاً وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾[٢].

فر: أبو القاسم العلويّ معنعناً عن أبي عبد الله عليه السلام مثله؛ وفيه في خمسة وتسعين ألفاً.

يل، فض: عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. «الفضائل لابن شاذان ص ١٣٨».

١٣٥ - **خص:** من كتاب التنزيل والتحريف: أحمد بن محمّد السّياريّ، عن محمّد بن خالد، عن عمر بن عبد العزيز، عن عبد الله بن نجيح اليمانيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: النعيم الّذي أنعم الله عليكم بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وعليهم. وفي قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ قال: المعاينة وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: مرّة بالكرّة وأخرى يوم القيامة[٣].

١٣٦ - **جش:** كانت لمؤمن الطّاق مع أبي حنيفة حكايات كثيرة فمنها أنّه قال له يوماً: يا أبا جعفر! تقول بالرّجعة؟ فقال: نعم، فقال له: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار، فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك. فقال له في الحال: أريد ضميناً يضمن لي أنّك تعود إنساناً، وإنّي أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكّن من استرجاع ما أخذت[٤].

ج: مثله بتغيير ما. «ص ٣٨١».

١٣٧ - **خص:** من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ: روى حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام منه: قيل له: فما ذو القرنين؟ قال عليه السلام: رجل بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وضربوه على قرنه فمات، ثمّ أحياه الله، ثمّ بعثه إلى قومه فكذّبوه وضربوه على قرنه الآخر فمات، ثمّ أحياه الله، فهو ذو القرنين، لأنّه ضربت قرناه.

وفي حديث آخر «وفيكم مثله» يريد نفسه.

ومنه أيضاً حدّثنا عبد الله بن أسيد الكنديّ وكان من شرطة الخميس، عن أبيه قال: إنّي لجالس مع الناس عند عليّ عليه السلام إذ جاء ابن معز وابن نعج معهما عبد الله بن وهب، قد جعلا

---

(١) كامل الزيارات، ص ١٧٨ باب ٢٨ ح ٢٠.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٣٧.
(٣) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٤.
(٤) رجال النجاشي، ص ٣٢٥ ح ٨٨٦

في حلقه ثوباً يجرّانه فقالا: يا أمير المؤمنين اقتله ولا تداهن الكذّابين، قال: ادنه فدنا فقال لهما: فما يقول؟ قالا: يزعم أنّك دابّة الأرض وأنّك تُضرب على هذا قبيل هذا - يعنون رأسه إلى لحيته - فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين حدَّثتهم حديثاً حدَّثنيه عمّار بن ياسر، قال: اتركوه، فقد روى عن غيره يا ابن أمّ السّوداء، إنّك تبقر الحديث بقراً، خلّوا سبيل الرَّجل فإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبني الّذي يقول.

ومنه أيضاً عن عباية قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «أنا سيّد الشيب وفيَّ سنّة من أيّوب».

لأنَّ أيّوب ابتلي ثمَّ عافاه الله من بلواه، وآتاه أهله، ومثلهم معهم، كما حكى الله سبحانه فروي أنّه أحيا له أهله الّذين قد ماتوا وكشف ضرَّه، وقد صحَّ عنهم صلوات الله عليهم أنّه كلُّ ما كان في بني إسرائيل يكون في هذه الأمّة مثله حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، وقد قال: إنّ فيه عليه السلام شبهه.

وقوله: «والله ليجمعنَّ الله لي أهلي كما جُمعوا ليعقوب عليه السلام» فإنَّ يعقوب فرّق بينه وبين أهله برهة من الزمّان ثمّ جمعوا له.

فقد حلف عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى سيجمع له ولده كما جمعهم ليعقوب وقد كان اجتماع يعقوب بولده في دار الدُّنيا فيكون أمير المؤمنين عليه السلام كذلك في الدُّنيا يجمعون له في رجعته عليه السلام وولده الأئمة عليهم السلام، وهم المنصوصون على رجعتهم في أحاديثهم الصحيحة الصريحة ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهم المتّقون[1].

١٣٨ - **خص**: ومن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبيِّ وآله صلوات الله عليه وعليهم تأليف أبي عبد الله محمّد بن العبّاس بن مروان، وعلى هذا الكتاب خطُّ السيّد رضيِّ الدِّين عليِّ ابن موسى بن طاوس ما صورته: قال النجاشيُّ في كتاب الفهرست، ما هذا لفظه: محمّد بن العبّاس ثقة ثقة في أصحابنا عين سديد، له كتاب المقنع في الفقه، كتاب الدّواجن، [كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام] وقال جماعة من أصحابنا أنّه لم يصنّف في معناه مثله[2].

رواية عليِّ بن موسى بن طاوس عن فخّار بن معدّ العلويّ وغيره عن شاذان بن جبرائيل عن رجاله ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾[3]:

١ - حدَّثنا عليُّ بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمّد، عن أحمد بن معمر الأسديِّ، عن محمّد بن فضل، عن الكلبيِّ عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ قال: هذه نزلت فينا وفي بني أميّة: يكون لنا عليهم دولة فتذلُّ أعناقهم لنا بعد صعوبة، وهوان بعد عزّ[4].

---

(١) (٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٤-٢٠٥. (٣) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٥.

٢ - حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ قال: تخضع لها رقاب بني أميّة قال: ذلك بارز عند زوال الشمس، قال: وذلك عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، يبرز عند زوال الشمس على رؤوس الناس ساعة حتّى يبرز وجهه يعرف الناس حسبه ونسبه.

ثمّ قال: أما إنَّ بني أُميّة ليخبينَّ الرَّجل منهم إلى جنب شجرة فتقول: هذا رجل من بني أُميّة فاقتلوه[١].

٣ - حدَّثنا محمّد بن العباس، عن جعفر بن محمّد بن الحسن، عن عبد الله بن محمّد الزيّات، عن محمّد يعني ابن الجنيد، عن مفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي عبد الله الجدليّ قال: دخلت على عليّ عليه السلام يوماً فقال: أنا دابّة الأرض[٢].

٤ - حدَّثنا عليُّ بن أحمد بن حاتم، عن إسماعيل بن إسحاق الراشدي، عن خالد بن مخلّد، عن عبد الكريم بن يعقوب الجعفيّ، عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله الجدليّ قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألا أُحدِّثك ثلاثاً قبل أن يدخل عليَّ وعليك داخل؟ قلت: بلى! فقال: أنا عبد الله، أنا دابّة الأرض صدقها وعدلها وأخو نبيّها وأنا عبد الله، ألا أُخبرك بأنف المهديّ وعينه؟ قال: قلت: نعم، فضرب بيده إلى صدره فقال: أنا[٣].

٥ - حدَّثنا محمّد بن الحسن بن الصباح، عن الحسين بن الحسن القاشيّ، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرَّحمن بن سيابة، عن أبي داود عن أبي عبد الله الجدليّ قال: دخلت على عليّ عليه السلام فقال: أُحدِّثك بسبعة أحاديث إلاّ أن يدخل علينا داخل، قال: قلت: افعل جعلت فداك، قال: أتعرف أنف المهديّ وعينه؟ قال: قلت: أنت يا أمير المؤمنين قال: وحاجبا الضلالة تبدو مخازيهما في آخر الزَّمان؟ قال: قلت: أظنُّ والله يا أمير المؤمنين أنّهما فلان وفلان فقال: الدابّة وما الدابّة عدلها وصدقها وموقع بعثها، والله مُهلك من ظلمها وذكر الحديث[٤].

٦ - حدَّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد، عن الحسن السلميّ، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم، عن عباية قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: حدِّثني عن الدابّة قال: وما تريد منها؟ قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: هي دابّة مؤمنة تقرأ القرآن وتؤمن بالرَّحمن وتأكل الطعام، وتمشي في الأسواق[٥].

٧ - حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن صفوان مثله وزاد في آخره قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو عليٌّ ثكلتك أُمّك[٦].

---

(١) - (٦) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٥-٢٠٧.

٨ - حدَّثنا إسحاق بن محمّد بن مروان، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير القرشيّ، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم أنَّ عباية حدَّثه أنّه كان عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: حدَّثني أخي أنه ختم ألف نبيّ وإنّي ختمت ألف وصيّ وإنّي كلّفت ما لم يكلّفوا، وإنّي لأعلم ألف كلمة ما يعلمها غيري وغير محمّد صلى الله عليه وآله ما منها كلمة إلاّ مفتاح ألف باب بعد ما تعلمون منها كلمة واحدة، غير أنكم تقرؤون منها آية واحدة في القرآن ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[(١)] وما تدرونها مَن[(٢)]؟

٩ - حدَّثنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن سعيد، عن أحمد بن محمّد بن إسحاق الحضرميّ، عن أحمد بن مستنير، عن جعفر بن عثمان وهو عمّه قال: حدَّثني صباح المزنيّ ومحمّد بن كثير بن بشير بن عميرة الأزديّ قالا: حدَّثنا عمران بن ميثم، عن عباية بن ربعيّ قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام خامس خمسة وذكر نحوه[(٣)].

١٠ - حدَّثنا الحسين بن إسماعيل القاضي، عن عبد الله بن أيّوب المخزوميّ عن يحيى بن أبي بكير، عن أبي حريز، عن عليّ بن زيد بن جذعان، عن خالد بن أوس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تخرج دابّة الأرض ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام تجلو وجه المؤمن بعصا موسى عليه السلام وتسم وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام[(٤)].

١١ - حدَّثنا أحمد بن محمّد بن الحسن الفقيه، عن أحمد بن عبيد بن ناصح عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً وزيتاً فقلت: يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فما هذه الدابّة؟ قال: هي دابّة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً[(٥)].

١٢ - حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرَّحمن، عن سماعة بن مهران، عن الفضل بن الزبير، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة تزعمون أنَّ عليّاً عليه السلام دابّة الأرض؟ فقلت: نحن نقول، واليهود تقول، فأرسل إلى رأس الجالوت فقال: ويحك تجدون دابّة الأرض عندكم مكتوبة؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه أليا قال: فالتفت إليَّ فقال: ويحك يا أصبغ! ما أقرب أليا من «عليّا»[(٦)].

١٣ - حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أيُّ شيء يقول الناس في هذه الآية ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فقال: هو أمير المؤمنين عليه السلام[(٧)].

١٤ - حدَّثنا محمّد بن الحسن بن الصباح، عن الحسين بن الحسن، عن عليّ بن الحكم،

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٢) - (٧) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٨-٢٠٩.

عن أبان بن عثمان، عن عبد الرَّحمن بن سيابة ويعقوب بن شعيب، عن صالح بن ميثم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدِّثني! قال: فقال: أما سمعت الحديث من أبيك؟ قلت: لا، كنت صغيراً، قال: قلت: فأقول فإن أصبت قلت: نعم، وإن أخطأت رددتني عن الخطأ قال: ما أشدَّ شرطك قال: قلت فأقول: فإن أصبت سكتَّ وإن أخطأت رددتني، قال: هذا أهون عليَّ. قلت: تزعم أنَّ عليّاً عليه السلام دابّة الأرض[1].

١٥ - حدَّثنا حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد بن نهيك، عن عيسى بن هشام، عن أبان، عن عبد الرّحمن بن سيابة، عن صالح بن ميثم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: حدّثني، قال: أليس قد سمعت أباك؟ قلت: هلك أبي وأنا صبيٌّ قال: قلت: فأقول فإن أصبت سكتَّ وإن أخطأت رددتني عن الخطأ قال: هذا أهون، قال: قلت: فإنّي أزعم أنّ عليّاً دابّة الأرض، قال: وسكت.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: وأراك والله ستقول إنّ عليّاً راجعٌ إلينا وقرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: قلت: والله قد جعلتها فيما أُريد أن أسألك عنها فنسيتها، فقال أبو جعفر عليه السلام: أفلا أُخبرك بما هو أعظم من هذا؟ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ لا تبقى أرض إلاّ نودي فيها بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأشار بيده إلى آفاق الأرض[2].

١٦ - حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبان الأحمر رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: ما أحسب نبيكم صلى الله عليه وآله إلاّ سيطلع عليكم اطّلاعة[3].

١٧ - حدَّثنا جعفر بن محمّد بن مالك، عن الحسن بن عليِّ بن مروان، عن سعيد بن عمّار، عن أبي مروان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: فقال لي: لا والله لا تنقضي الدُّنيا ولا تذهب حتّى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليٌّ بالثويّة فيلتقيان ويبنيان بالثويّة مسجداً له اثنا عشر ألف باب - يعني موضعاً بالكوفة.

حدَّثنا أحمد بن هوذة الباهليُّ، عن إبراهيم بن إسحاق النهاونديِّ، عن عبد الله بن حمّاد الأنصاريِّ، عن أبي مريم الأنصاريِّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام وذكر مثله. قوله ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[4]:

١٨ - حدَّثنا الحسين بن محمّد عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن مفضّل بن صالح،

---

(١) - (٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٩-٢١١.

عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر» الرَّجعة[١].

حدَّثنا الحسين بن محمّد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن مفضّل بن صالح، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العذاب الأدنى» دابّة الأرض[٢].

١٩ - حدَّثنا هاشم بن أبي خلف، عن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في خطبة خطبها في حجّة الوداع: لأقتلنَّ العمالقة في كتيبة فقال له جبرائيل عليه السلام: أو عليٌّ، قال: أو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

٢٠ - محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عمّن ذكره، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن جعفر بن محمّد، عن كرام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام عليه السلام، وقال: إنَّ آخر من يموت الإمام عليه السلام لئلاّ يحتجَّ أحد على الله أنه تركه بغير حجّة لله عليه.

المراد بالإمام هنا الّذي هو آخر من يموت: الحسين عليه السلام لأنَّ الحجّة تقوم على الخلق بمنذر أو هاد في الجملة دون المشار إليه صلى الله عليه وآله على ما ورد عنهم صلوات الله عليهم فيما تقدّم من أنَّ الحسين بن عليّ عليه السلام هو الّذي يغسّل المهديَّ ويحكم بعده في الدُّنيا ما شاء الله، ويجب على من يقرُّ لآل محمّد صلوات الله عليه وعليهم بالإمامة وفرض الطاعة، أن يسلّم إليهم فيما يقولون، ولا يردَّ شيئاً من حديثهم المرويِّ عنهم إذا لم يخالف الكتاب والسنّة[٤].

٢١ - محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، عن عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن موسى بن عمران النخعيّ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله سمعت من أبيك أنّه قال: يكون بعد القائم عليه السلام اثنا عشر إماماً، فقال: قد قال: «اثنا عشر مهدياً» ولم يقل «اثنا عشر إماماً» ولكنّهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقّنا.

اعلم هداك الله بهداه أنَّ علم آل محمّد ليس فيه اختلاف، بل بعضه يصدِّق بعضاً وقد روينا أحاديث عنهم صلوات الله عليهم جمّة في رجعة الأئمّة الاثني عشر فكأنّه عليه السلام عرف من السائل الضعف عن احتمال هذا العلم الخاصِّ الّذي خصَّ الله سبحانه من شاء من خاصّته، وتكرَّم به على من أراد من بريّته، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فأوَّله بتأويل حسن بحيث لا يصعب عليه فينكر قلبه فيكفر.

---

(١) - (٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢١٠-٢١١.

فقد روي في الحديث عنهم عليهم السلام: ما كلُّ ما يعلم يقال، ولا كلُّ ما يقال حان وقته، ولا كلُّ ما حان وقته حضر أهله، وروي أيضاً: لا تقولوا الجبت والطاغوت وتقولوا الرَّجعة، فإن قالوا: قد كنتم تقولون؟ قولوا الآن لا نقول، وهذا من باب التقيّة الّتي تعبّد الله بها عباده في زمن الأوصياء[1].

٢٢ - ومن كتاب البشارة للسيد رضيّ الدّين عليّ بن طاوس: وجدت في كتاب تأليف جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ بإسناده إلى حمران قال: عمر الدُّنيا مائة ألف سنة لسائر الناس عشرون ألف سنة وثمانون ألف سنة لآل محمّد عليهم السلام.

قال السيّد رضيُّ الدّين رحمه الله: وأعتقد أنّني وجدت في كتاب طهر بن عبد الله أبسط من هذه الرواية[2].

أقول: إلى هنا كان مأخوذاً من كتاب الحسن بن سليمان وقد روى في كتاب كنز الفوائد الأخبار الّتي رواها عن محمّد بن العباس بإسناده عنه.

١٣٩ - **خص:** من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب بإسنادي المتّصل إليه عن محمّد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[3] قال عليه السلام: هو خاصٌّ لأقوام في الرَّجعة بعد الموت، ويجري في القيامة فبعداً للقوم الظالمين[4].

١٤٠ - **مل:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أبي المفضّل، عن ابن صدقة عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كأنّي بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبّة من ياقوتة حمراء، مكلّلة بالجوهر، وكأنّي بالحسين عليه السلام جالساً على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبّة خضراء، وكأنّي بالمؤمنين يزورونه ويسلّمون عليه.

فيقول الله عزّ وجلّ لهم: أوليائي سلوني! فطالما أُوذيتم وذللتم واضطهدتم فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدُّنيا والآخرة إلاّ قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنّة، فهذه والله الكرامة[5].

بيان: سؤال حوائج الدُّنيا يدلُّ على أنَّ هذا في الرَّجعة إذ هي لا تسأل في الآخرة[6].

١٤١ - **غط، ج:** فيما كتب الحميريُّ إلى القائم عليه السلام عن الرَّجل يقول بالحقّ ويرى المتعة، ويقول بالرَّجعة إلى آخر ما سيأتي في توقيعاته عليه السلام[7].

---

(١) - (٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢١١. (٣) سورة غافر، الآية: ١١

(٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢١٢. (٥) كامل الزيارات، ص ٢٥٨ باب ٢٠ ح ٣.

(٦) ويحتمل أن يكون هذا في البرزخ وسؤالهم الحوائج يكون لأقربائهم وللمؤمنين الأحياء. [النمازي].

(٧) الغيبة للطوسي، ص ٣٧٨ ح ٣٤٦، الاحتجاج، ص ٤٨١.

١٤٢ - **ج:** فيما خرج من الناحية إلى محمّد الحميريّ على ما سيأتي: أشهد أنّك حجّة الله أنتم الأوّل والآخر، وأنّ رجعتكم حقٌّ لا ريب فيها يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً[1].

١٤٣ - **من كتاب علل الشرائع:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم وكانت عندنا منه نسخة قديمة قال: أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ في كتابه ما يصيب أهل بيته بعده من القتل والغصب والبلاء، ثمّ يردّهم إلى الدّنيا ويقتلون أعداءهم ويملّكهم الأرض، وهو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2] وقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية[3].

١٤٤ - وفي رسالة سعد بن عبد الله في أنواع آيات القرآن برواية ابن قولويه وكانت نسخة قديمة منها عندنا قال أبو جعفر عليه السلام: نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ آل محمّد حقّهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] يعني عذاباً في الرّجعة.

١٤٥ - **قب:** قال الرّضا عليه السلام: في قوله تعالى ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ قال: عليّ عليه السلام[5].

١٤٦ - **قب:** أبو عبد الله الجدليّ: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا دابّة الأرض[6].

١٤٧ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يعني كفّار غير مؤمنين وأمّا قوله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فإنّه يعني أنّهم لا يؤمنون وأنّهم يشركون ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فإنّه كما قال الله وأمّا قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنّه يعني لا يؤمنون بالرّجعة أنّها حقّ[7].

شي: عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[8].

١٤٨ - **فر:** عبد الرّحمن بن محمّد العلويّ معنعناً، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ قال يعني الأئمّة منّا أهل البيت يملكون الأرض في آخر الزمان فيملؤونها عدلاً وقسطاً[9].

١٤٩ - **تفسير النعمانيّ:** فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأمّا الردُّ على من أنكر الرّجعة فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٩٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٤) سورة الطور، الآية: ٤٧.
(٥) - (٦) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٠٤.
(٧) - (٨) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٧٨ ح ١٤ من سورة النحل.
(٩) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٥٦٣ ح ٧٢٢.

إلى الدُّنيا فأمّا معنى حشر الآخرة فقوله عزّوجلّ ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ في الرَّجعة فأمّا في القيامة، فهم يرجعون.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ وهذا لا يكون إلاّ في الرَّجعة.

ومثله ما خاطب الله به الأئمّة، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ - إلى قوله -: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ وهذا إنّما يكون إذا رجعوا إلى الدُّنيا.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي رجعة الدُّنيا.

ومثل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ وقوله عزّوجلّ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾ فردّهم الله تعالى بعد الموت إلى الدُّنيا وشربوا ونكحوا ومثله خبر العُزير.

١٥٠ - ير: عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن بعض من رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين إنّي لصاحب العصا والميسم، الخبر[1].

١٥١ - ير: أحمد بن محمّد وعبد الله بن عامر، عن ابن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: أنا صاحب العصا والميسم[2].

١٥٢ - ير: أبو الفضل العلويُّ، عن سعد بن عيسى، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله عن عبد الأعلى، عن أبي وقّاص، عن سلمان الفارسيّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب الكرّات، ودولة الدُّول، الخبر[3].

١٥٣ - قب: عن الباقر عليه السلام في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «على يدي تقوم الساعة» قال: يعني الرّجعة قبل القيامة، ينصر الله بي وبذرّيّتي المؤمنين[4].

١٥٤ - فس: جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن ابن البطائني، عن أبيه عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ قال: كادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكادوا عليّاً عليه السلام وكادوا فاطمة عليها السلام فقال الله: يا محمّد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يا محمّد ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ لو قد بعث القائم عليه السلام فينتقم لي من الجبّارين والطواغيت من قريش وبني أميّة وسائر الناس[5].

---

(١) - (٣) بصائر الدرجات، ص ١٩٧ ج ٤ باب ٩ ح ٢-٣ و٥.

(٤) - (٥) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٣٨٧.

١٥٥ - **كنز:** محمّد بن العباس، عن عليّ بن محمّد، عن أبي جميلة، عن الحلبيّ ورواه أيضاً، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن الفضل بن العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ قال: في الرَّجعة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لا يخاف من مثلها إذا رجع[1].

أقول: قد مضى تمامه وشرحه في باب غرائب التأويل فيهم عليهم السلام.

١٥٦ - **كنز:** في تفسير أهل البيت عليهم السلام قال: حدّثنا بعض أصحابنا عن محمّد بن عليّ، عن عمر بن عبد العزيز، عن عبد الله بن نجيح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ قال يعني مرّة في الكرّة ومرّة أخرى يوم القيامة[2].

١٥٧ - **كنز:** ما روي مرفوعاً بالإسناد إلى محمّد بن خالد، عن ابن سماعة، عن عبد الله بن القاسم، عن محمّد بن يحيى، عن ميسّر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ قال: يعني يوم خروج القائم عليه السلام[3].

١٥٨ - **كش:** قال أحمد بن عليّ بن كلثوم: كان أحكم بن بشّار إذا ذكر عنده الرَّجعة فأنكرها فنقول أحد المكذّبين[4].

١٥٩ - **كش:** أحمد بن عليّ القميّ، عن إدريس بن أيّوب، عن الحسين بن سعيد، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبديّ، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جابر يعلم قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[5].

١٦٠ - **كش:** بهذا الإسناد، عن الحسين، عن هشام بن سالم، عن محمّد بن مسلم وزرارة قالا: سألنا أبا جعفر عليه السلام عن أحاديث نرواها عن جابر، فقلنا: ما لنا ولجابر؟ فقال: بلغ من إيمان جابر أنّه كان يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[6].

كش: بهذا الإسناد، عن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن ابن أُذينة عن زرارة مثله[7].

١٦١ - **كتاب صفات الشيعة للصدوق:** عن عليّ بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ بإسناده، عن الصادق عليه السلام قال: من أقرّ بسبعة أشياء فهو مؤمن، وذكر منها الإيمان بالرَّجعة[8].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٧٧.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٨١٥.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٠٠.
(٤) رجال الكشي، ص ٥٦٩ ح ١٠٧٧.
(٥) - (٧) رجال الكشي، ص ٤٣ ح ٩٠-٩٢.
(٨) صفات الشيعة، ص ٢٩.

وروي أيضاً فيه، عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الرِّضا عليه السلام قال: من أقرَّ بتوحيد الله - وساق الكلام إلى أن قال: وأقرَّ بالرَّجعة والمتعتين، وآمن بالمعراج والمساءلة في القبر، والحوض والشفاعة، وخلق الجنّة والنار، والصراط والميزان، والبعث والنشور، والجزاء والحساب، فهو مؤمن حقّاً وهو من شيعتنا أهل البيت(١).

تذييل: اعلم يا أخي أنّي لا أظنّك ترتاب بعد ما مهّدت وأوضحت لك في القول بالرَّجعة الّتي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار حتّى نظموها في أشعارهم، واحتجّوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم.

منهم الرازيُّ والنيسابوريُّ وغيرهما وقد مرَّ كلام ابن أبي الحديد حيث أوضح مذهب الإماميّة في ذلك ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك.

وكيف يشكُّ مؤمن بحقّيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيّف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الإسلام الكلينيّ، والصدوق محمّد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسيّ، والسيّد المرتضى، والنجاشي، والكشّي والعيّاشيّ، وعليّ بن إبراهيم، وسليم الهلاليّ، والشيخ المفيد، والكراجكيّ والنعماني، والصفّار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعليّ بن عبد الحميد والسيّد عليّ بن طاوس، وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد، ومحمّد بن عليّ بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلّف كتاب التنزيل والتحريف، وأبي الفضل الطبرسيّ، وإبراهيم بن محمّد الثقفيّ، ومحمّد بن العباس بن مروان، والبرقيّ وابن شهرآشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراونديّ، والعلامة الحلّي والسيّد بهاء الدّين عليّ بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن عليّ بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد محمّد بن مكّي، والحسين بن حمدان، والحسن بن محمّد بن جمهور العمّي مؤلّف كتاب الواحدة، والحسن بن محبوب، وجعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرائيل، وصاحب كتاب الفضائل، ومؤلف كتاب العتيق، ومؤلف كتاب الخطب وغيرهم من مؤلّفي الكتب الّتي عندنا، ولم نعرف مؤلّفه على التعيين، ولذا لم ننسب الأخبار إليهم، وإن كان بعضها موجوداً فيها.

وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أيِّ شيء يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافّة الشيعة خلفاً عن سلف.

وظنّي أنَّ من يشكُّ في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمّة الدِّين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين

(١) صفات الشيعة، ص ٤٤ المطبوع ضمن مجموعة رسائل الصدوق، ح ٧١.

المؤمنين، فيحتال في تخريب الملّة القويمة، بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، وتشكيكات الملحدين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

ولنذكر لمزيد التشييد والتأكيد أسماء بعض من تعرَّض لتأسيس هذا المدَّعى وصنّف فيه أو احتجَّ على المنكرين، أو خاصم المخالفين، سوى ما ظهر ممّا قدَّمنا في ضمن الأخبار، والله الموفّق.

فمنهم أحمد بن داود بن سعيد الجرجانيُّ، قال الشيخ في الفهرست: له كتاب المتعة والرَّجعة. ومنهم الحسن بن عليِّ بن أبي حمزة البطائنيّ، وعدَّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرَّجعة. ومنهم الفضل بن شاذان النيسابوريُّ، ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي أنَّ له كتاباً في إثبات الرَّجعة.

ومنهم الصدوق محمّد بن عليِّ بن بابويه، فإنّه عدَّ النجاشي من كتبه كتاب الرَّجعة.

ومنهم محمّد بن مسعود العيّاشي ذكر الشيخ والنجاشي في الفهرست كتابه في الرَّجعة.

ومنهم الحسن بن سليمان على ما روينا عنه الأخبار.

وأمّا سائر الأصحاب فإنّهم ذكروها فيما صنّفوا في الغيبة، ولم يفردوا لها رسالة وأكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا كتاباً في الغيبة، وقد عرفت سابقاً من روى ذلك من عظماء الأصحاب وأكابر المحدِّثين الّذين ليس في جلالتهم شكٌّ ولا ارتياب.

وقال العلامة رحمه الله في خلاصة الرِّجال، في ترجمة ميسّر بن عبد العزيز: وقال العقيقيُّ: أثنى عليه آل محمّد، وهو ممّن يجاهد في الرَّجعة انتهى.

أقول: قيل: المعنى أنّه يرجع بعد موته مع القائم عليه السلام، ويجاهد معه والأظهر عندي أنَّ المعنى أنّه كان يجادل مع المخالفين ويحتجُّ عليهم في حقيّة الرَّجعة.

وقال الشيخ أمين الدِّين الطبرسيُّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي وجب العذاب والوعيد عليهم، وقيل معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم، وقيل: إذا غضب الله عليهم، وقيل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة، فتخبر المؤمن بأنّه مؤمن، والكافر بأنّه كافر، وعند ذلك يرتفع التكليف، ولا تقبل التوبة وهو عَلَمٌ من أعلام الساعة، وقيل: لا يبقى مؤمن إلاّ مسحته، ولا يبقى منافق إلا خطمته تخرج ليلة جَمع، والناس يسيرون إلى منى عن ابن عمر.

وروى محمّد بن كعب القرظيُّ قال: سئل عليٌّ صلوات الرحمن عليه عن الدابّة فقال: أما والله ما لها ذَنَب وإنَّ لها للحية، وفي هذا إشارة إلى أنّها من الإنس.

وروي عن ابن عبّاس أنّها دابّة من دوابِّ الأرض لها زَغب وريش، ولها أربع قوائم.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

وعن حذيفة عن النبيّ ﷺ قال: دابّة الأرض طولها ستّون ذراعاً لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه، فتكتب بين عينيه «مؤمن» وتسم الكافر بين عينيه فتكتب بين عينيه «كافر» ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليه السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتّى يقال: يا مؤمن ويا كافر.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه يكون للدابّة ثلاث خرجات من الدّهر فتخرج خروجاً بأقصى المدينة، فيفشو ذكرها في البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكّة، ثمّ تمكث زماناً طويلاً، ثمّ تخرج خرجة أخرى قريباً من مكّة، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكّة.

ثمّ صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة، وأكرمها على الله، يعني المسجد الحرام، لم ترعهم إلاّ وهي في ناحية المسجد، تدنو وتدنو ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم، عن يمين الخارج، في وسط من ذلك فيرفضّ الناس عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنّهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم، فجلت عن وجوههم، حتّى تركتها كأنّها الكوكب الدُّرّيّ ثمّ ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب.

حتّى أنّ الرّجل يقوم فيتعوّذ منها بالصّلاة، فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال يعرف المؤمن من الكافر، فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر.

وروي عن وهب أنّه قال: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها خلق الطير، ومثل ذلك لا يعرف إلاّ من النبوّات الإلهيّة.

وقوله «تكلّمهم» أي تكلّمهم بما يسوؤهم وهو أنّهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه. وقيل تحدّثهم بأنّ هذا مؤمن وهذا كافر، وقيل: بأن تقول لهم: إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وهو الظاهر.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يدفعون، وقيل يحبس أوّلهم على آخرهم.

واستدلّ بهذه الآية على صحّة الرّجعة، من ذهب إلى ذلك من الإماميّة بأن قال: دخول «من» في الكلام يوجب التبعيض، فدلّ ذلك على أنّ اليوم المشار إليه يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الّذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليه وعليهم السلام بأنّ الله سيعيد عند قيام القائم قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من

العذاب في القتل، على أيدي شيعته، وليبتلوا بالذُّلّ والخزي، بما يشاهدون من علوّ كلمته.

ولا يمتري عاقل أنَّ هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدَّة مواضع مثل قصّة عُزير وغيره على ما فسّرناه في موضعه، وصحَّ عن النبيِّ ﷺ قوله: «سيكون في أُمّتي كلُّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذَّة بالقذَّة حتّى لو أنَّ أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه».

على أنَّ جماعة من العلماء تأوَّلوا ما ورد من الأخبار في الرَّجعة على رجوع الدَّولة والأمر والنهي، دون رجوع الأشخاص لما ظنّوا أنَّ الرَّجعة تنافي التكليف وليس كذلك، لأنّه ليس فيها ما يلجىء إلى فعل الواجب، والامتناع من القبيح، والتكليف يصحُّ معها كما يصحُّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر، وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك.

ولأنَّ الرَّجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرّق التأويل عليها وإنّما المعوَّل في ذلك على إجماع الشيعة الإماميّة وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيّده انتهى[1].

أقول: استدلَّ الشيخ في تفسيره التبيان أيضاً على مذهب القائلين بالرَّجعة وإنّما ذكرنا هذا الكلام بطوله لكثرة فوائده، وليعلم أقوال المخالفين في الدابّة وأنه يظهر من أخبارهم أيضاً أنَّ الدابّة تكون صاحب العصا والميسم، وقد رووا ذلك في جميع كتبهم، وليعلم المراد ممّا استفيض عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه ذكر في المواطن الكثيرة: أنا صاحب العصا والميسم.

وروى الزّمخشريُّ في الكشّاف أنّها تخرج من الصّفا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتضرب المؤمن في مسجده، أو فيما بين عينيه بعصا موسى، فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتّى يضيء لها وجهه كأنّه كوكب درّيٌّ وتكتب بين عينيه: مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتّى يسودَّ لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر.

ثمَّ قال: وقرىء «تكلِمهم» من الكلم وهو الجرح. والمراد به الوسم بالعصا والخاتم، ويجوز أن يستدلَّ بالتخفيف على أنَّ المراد بالتكليم التجريح انتهى[2].

وقال الصّدوق رحمه الله في رسالة العقائد: اعتقادنا في الرَّجعة أنّها حقٌّ وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾[3] كان هؤلاء سبعين ألف بيت، وكان يقع فيهم الطاعون كلَّ سنة، فيخرج الأغنياء لقوّتهم، ويبقى الفقراء لضعفهم فيقلُّ الطّاعون في الّذين يخرجون، ويكثر في الّذين يقيمون، فيقول الّذين يقيمون: لو خرجنا لما أصابنا الطاعون. ويقول الّذين خرجوا: لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم.

فأجمعوا على أن يخرجوا جميعاً من ديارهم، إذا كان وقت الطاعون فخرجوا بأجمعهم

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٠٣-٤٠٦. (٢) الكشاف، ج ٣ ص ٣٨٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

فنزلوا على شطّ بحر، فلمّا وضعوا رحالهم ناداهم الله: موتوا! فماتوا جميعاً فكنستهم المارّة عن الطريق، فبقوا بذلك ما شاء الله تعالى. ثمّ مرَّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا، فقال: لو شئت يا ربِّ لأحييتهم فيعمروا بلادك، ويلدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك، فأوحى الله تعالى إليه: أفتحبُّ أن أُحييهم لك؟ قال: نعم، فأحياهم الله له، وبعثهم معه، فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدُّنيا ثمّ ماتوا بآجالهم.

وقال الله عزّوجلّ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(1) فهذا مات مائة سنة ورجع إلى الدُّنيا وبقي فيها، ثمّ مات بأجله وهو عُزيرٌ.

وقال الله تعالى في قصّة المختارين من قوم موسى لميقات ربّه ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذلك لمّا سمعوا كلام الله قالوا لا نصدّق ﴿حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بظلمهم فماتوا فقال موسى عليه السلام: يا ربِّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم؟ فأحياهم الله له، فرجعوا إلى الدُّنيا فأكلوا وشربوا ونكحوا النساء، وولد لهم الأولاد ثمّ ماتوا بآجالهم.

وقال الله عزّوجلّ لعيسى عليه السلام: «وإذ تحيي الموتى بإذني» وجميع الموتى الّذين أحياهم عيسى عليه السلام بإذن الله، رجعوا إلى الدُّنيا وبقوا فيها ثمّ ماتوا بآجالهم.

وأصحاب الكهف ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾(2) ثمّ بعثهم الله فرجعوا إلى الدُّنيا ليسألوا بينهم وقصّتهم معروفة.

فإن قال قائل: إنَّ الله عزّوجلّ قال: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ قيل له: فإنّهم كانوا موتى وقد قال الله عزّوجلّ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(3) وإن قالوا كذلك فإنّهم كانوا موتى ومثل هذا كثير.

إنَّ الرّجعة كانت في الأمم السّالفة، وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأُمّة مثل ما يكون في الأُمم السّالفة حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، فيجب على هذا الأصل أن يكون في هذه الأُمّة رجعة.

وقد نقل مخالفونا أنّه إذا خرج المهديُّ نزل عيسى بن مريم فصلّى خلفه ونزوله إلى الأرض رجوعه إلى الدُّنيا بعد موته لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩. (2) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(3) سورة يس، الآية: ٥٢.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ فاليوم الذي يحشر فيه الجميع غير اليوم الذي يحشر فيه فوج.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] يعني في الرجعة وذلك أنّه يقول: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ والتبيين يكون في الدُّنيا لا في الآخرة وسأجرِّد في الرَّجعة كتاباً أُبيّن فيه كيفيّتها، والدّلالة على صحّة كونها إن شاء الله.

والقول بالتناسخ باطل، ومن دان بالتناسخ فهو كافر، لأنَّ في التناسخ إبطال الجنّة والنار[٢].

وقال الشيخ المفيد في أجوبة المسائل العكبريّة حين سئل عن قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣] وأجاب بوجوه فقال: وقد قالت الإماميّة: إنَّ الله تعالى ينجز الوعد بالنّصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم والكرَّة الّتي وعد بها المؤمنين في العاقبة.

وروى قدَّس الله روحه في كتاب الفصول عن الحارث بن عبد الله الربعيّ أنّه قال: كنت جالساً في مجلس المنصور، وهو بالجسر الأكبر، وسوّار القاضي عنده والسيّد الحميريُّ ينشده:

إنَّ الإله الّذي لا شيء يشبهه	آتاكم الملك للدُّنيا وللدِّين
آتاكم الله ملكاً لا زوال له	حتّى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمّته	وصاحب الترك محبوس على هون

حتّى أتى على القصيدة والمنصور مسرور، فقال سوّار: إنَّ هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إنَّ القوم الّذين يدين بحبّهم لغيركم، وإنّه لينطوي على عداوتكم، فقال السيّد: والله إنّه لكاذب، وإنّني في مدحتك لصادق، وإنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحالة، وإنَّ انقطاعي إليكم ومودَّتي لكم أهل البيت لمعرِّق فينا من أبويَّ، وإنَّ هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهليّة والإسلام، وقد أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه صلّى الله عليه وآله في أهل بيت هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤].

فقال المنصور: صدقت فقال سوّار: يا أمير المؤمنين إنّه يقول بالرَّجعة، ويتناول الشيخين بالسبِّ والوقيعة فيهما فقال السيّد: أمّا قوله إنّي أقول بالرَّجعة، فإنّي أقول بذلك على ما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٥] وقد قال في موضع

(١) سورة النحل، الآية: ٣٨.
(٢) اعتقادات الصدوق، ص ٦٠.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٤.
(٥) سورة النمل، الآية: ٨٣.

آخر ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1] فعلمنا أنَّ ههنا حشرين أحدهما عامٌّ والآخر خاصٌّ، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[3] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾[4] فهذا كتاب الله.

وقد قال رسول الله ﷺ: يحشر المتكبّرون في صورة الذّرّ يوم القيامة وقال ﷺ: لم يجر في بني إسرائيل شيء إلاّ ويكون في أمّتي مثله، حتّى الخسف والمسخ والقذف، وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله عزّوجلّ كثيراً من هذه الأمّة قردة وخنازير.

فالرّجعة الّتي أذهب إليها ما نطق به القرآن، وجاءت به السنّة، وإنّي لأعتقد أنّ الله عزّوجلّ يردُّ هذا يعني سوّاراً إلى الدُّنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّة فإنّه والله متجبّر متكبّر كافر.

قال: فضحك المنصور وأنشأ السيّد يقول:

جاثيت سوّاراً أبا شملة عند الإمام الحاكم العادل

إلى آخر الأبيات[5].

وقال ﵀ في الكتاب المذكور: سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإماميّة، وأنا حاضر في مجلس فيهم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقّهة، فقال له: إذا كان من قولك أنَّ الله عزّوجلّ يردُّ الأموات إلى دار الدُّنيا قبل الآخرة عند القائم، ليشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين، وينتقم لهم منهم كما فعل ببني إسرائيل فيما ذكرتموه، حيث تتعلّقون بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[6] فخبّرني ما الّذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرّحمن بن ملجم، ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام، فيجب عليك ولايتهم، والقطع بالثواب لهم، وهذا نقض مذاهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول: القول بالرّجعة إنّما قلته من طريق التوقيف، وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا أجيب عن هذا السؤال لأنّه لا نصّ عندي فيه، وليس يجوز لي أن أتكلّف من غير جهة النصّ الجواب فشنع السّائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع.

فقال الشيخ أيّده الله فأقول أنا: إنَّ عن هذا السؤال جوابين أحدهما أنّ العقل لا يمنع من

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٧.
(٢) سورة غافر، الآية: ١١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٥) الفصول المختارة، ص ٩٣.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦.

وقوع الإيمان ممّن ذكره السّائل، لأنّه يكون إذ ذاك قادراً عليه ومتمكّناً منه، ولكنَّ السّمع الوارد عن أئمّة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتديّن بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزّمان منع من الشكّ في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع الله عزّ وجلّ على خلوده في النار، ودلّ القطع على أنّهم لا يختارون أبداً الإيمان ممّن قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[١] يريد إلا أن يلجئهم الله والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٢].

ثمّ قال جلّ قائلاً في تفصيلهم وهو يوجّه القول إلى إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ فقطع بالنار عليه وأمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب، وإذا كان الأمر على ما وصفناه، بطل ما توهّمتموه على هذا الجواب.

والجواب الآخر أنَّ الله سبحانه إذا ردَّ الكافرين في الرّجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لمّا أدركه الغرق ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٥] قال الله سبحانه له: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٦] فردَّ الله عليه إيمانه ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه، وكأهل الآخرة الّذين لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم لأنّهم كالملجئين إذ ذاك إلى الفعل، ولأنَّ الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً، ويوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض.

وهذا هو الجواب الصحيح، على مذهب أهل الإمامة، وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمّد عليهم السلام فروي عنهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٧] فقالوا: إنَّ هذه الآية هو القائم عليه السلام فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف، وهذا يسقط ما اعتمده السائل.

سؤال: فإن قالوا: في هذا الجواب ما أنكرتم أن يكون الله تعالى على ما أصّلتموه قد أغرى عباده بالعصيان، وأباحهم الهرج والمرج والطغيان، لأنّهم إذا كانوا يقدرون على الكفر وأنواع الضلال، وقد يئسوا من قبول التوبة لم يدعهم داع إلى الكفّ عمّا في طباعهم،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١١.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٢-٢٣.
(٣) سورة ص، الآية: ٨٥.
(٤) سورة ص، الآية: ٧٨.
(٥) - (٦) سورة يونس، الآيتان: ٩٠ ٩١.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

ولا انزجروا عن فعل قبيح يصلون به إلى النفع العاجل ومن وصف الله - تبارك وتعالى - بإغراء خلقه بالمعاصي، وإباحتهم الذنوب، فقد أعظم الفرية عليه.

جواب: قيل لهم: ليس الأمر على ما ظننتموه، وذلك أنَّ الدَّواعي لهم إلى المعاصي ترتفع إذ ذاك، ولا يحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب لأنهم يكونون قد علموا بما سلف لهم من العذاب وقت الرَّجعة على خلاف أئمّتهم عليهم السلام ويعلمون في الحال أنّهم معذّبون على ما سبق لهم من العصيان وأنّهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب، ولا يكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى ما يتزايد عليهم به العذاب، بل يتوفّر لهم دواعي الطباع والخواطر كلّها إلى إظهار الطاعة، والانتقال عن العصيان.

وإن لزمنا هذا السؤال لزم جميع أهل الإسلام مثله في أهل الآخرة وحالهم في إبطال توبتهم وكون ندمهم غير مقبول، فمهما أجاب الموحّدون لمن ألزمهم ذلك فهو جوابنا بعينه.

سؤال آخر: وإن سألوا على المذهب الأوّل والجواب المتقدّم، فقالوا: كيف يتوهّم من القوم الاقامة على العناد، والإصرار على الخلاف، وقد عاينوا فيما تزعمون عقاب القبور، وحلَّ بهم عند الرَّجعة العذاب على ما تزعمون أنّهم مقيمون عليه، وكيف يصحُّ أن تدعوهم الدَّواعي إلى ذلك، أو يخطر لهم في فعله الخواطر وما أنكرتم أن تكونوا في هذه الدَّعوى مكابرين.

جواب: قيل لهم: يصحُّ ذلك على مذهب من أجاب بما حكيناه من أصحابنا بأن نقول: إنَّ جميع ما عددتموه لا يمنع من دخول الشبهة عليهم في استحسان الخلاف، لأنَّ القوم يظنّون أنّهم إنّما بعثوا بعد الموت تكرمة لهم، وليلوا الدُّنيا كما كانوا، ويظنّون أنَّ ما اعتقدوه في العذاب السالف لهم كان غلطاً منهم، وإذا حلَّ بهم العقاب ثانية توهّموا قبل مفارقة أرواحهم أجسادهم أنَّ ذلك ليس من طريق الاستحقاق، وأنّه من الله تعالى، لكنّه كما تكون الدُّول، وكما حلَّ بالأنبياء عليهم السلام.

ولأصحاب هذا الجواب أن يقولوا ليس ما ذكرناه في هذا الباب بأعجب من كفر قوم موسى عليه السلام وعبادتهم العجل، وقد شاهدوا منه الآيات، وعاينوا ما حلَّ بفرعون وملئه على الخلاف، ولا هو بأعجب من إقامة أهل الشرك على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يعلمون عجزهم عن مثل ما أتى به من القرآن، ويشهدون معجزاته وآياته عليه السلام ويجدون مخبرات أخباره على حقائقها من قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ وما حلَّ بهم من العقاب بسيفه عليه السلام وهلاك كلّ من توعّده بالهلاك، هذا وفيمن أظهر الإيمان به المنافقون ينضافون في خلافه إلى أهل الشرك والضلال.

على أنّ هذا السؤال، لا يسوغ لأصحاب المعارف من المعتزلة، لأنّهم يزعمون أنّ أكثر المخالفين على الأنبياء كانوا من أهل العناد وأنّ جمهور المظهرين الجهل بالله تعالى يعرفونه على الحقيقة، ويعرفون أنبياءه وصدقهم، ولكنّهم في الخلاف على اللّجاجة والعناد، فلا يمتنع أن يكون الحكم في الرّجعة وأهلها على هذا الوصف الّذي حكيناه وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

فأخبر سبحانه أنّ أهل العقاب لو ردّهم الله تعالى إلى الدُّنيا لعادوا إلى الكفر والعناد مع ما شاهدوا في القبور وفي المحشر من الأهوال و ما ذاقوا من أليم العذاب[2].

وقال رحمه الله في الإرشاد عند ذكر علامات ظهور القائم عليه السلام: وأموات ينشرون من القبور حتّى يرجعوا إلى الدُّنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

وفي المسائل السرويّة أنّه سئل الشيخ قدّس الله روحه عمّا يروى عن مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في الرّجعة، وما معنى قوله: «ليس منّا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا» أهي حشر في الدُّنيا مخصوص للمؤمن أو لغيره من الظلمة الجبّارين قبل يوم القيامة.

فكتب الشيخ رحمه الله بعد الجواب عن المتعة وأمّا قوله عليه السلام: «من لم يقل برجعتنا فليس منّا» فإنّما أراد بذلك ما يختصّه من القول به في أنّ الله تعالى يحشر قوماً من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة، وهذا مذهبٌ يختصُّ به آل محمّد صلى الله عليه وآله، والقرآن شاهد به، قال الله عزّ وجلّ في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وقال سبحانه في حشر الرّجعة قبل يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[3] فأخبر أنّ الحشر حشران: عامٌّ وخاصٌّ.

وقال سبحانه مخبراً عمّن يُحشر من الظالمين أنّه يقول يوم الحشر الأكبر ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[4] وللعامّة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن قالوا: إنّ المعنيّ بقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أنّه خلقهم أمواتاً، ثمّ أماتهم بعد الحياة، وهذا باطل لا يستمرُّ على لسان العرب، لأنّ الفعل لا يدخل إلاّ على من كان بغير الصفة الّتي انطوى اللّفظ على معناها، ومن خلقه الله أمواتاً لا يقال أماته، وإنّما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال أحيا الله ميّتاً إلاّ أن يكون قد كان قبل إحيائه ميّتاً وهذا بيّن لمن تأمّله.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٧-٢٨. (٢) الفصول المختارة، ص ١٥٣-١٥٧.
(٣) سورة النمل، الآية: ٨٣.

وقد زعم بعضهم أنّ المراد بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الموتة الّتي تكون بعد حياتهم في القبور للمساءلة فتكون الأولى قبل الإقبار، والثانية بعده، وهذا أيضاً باطل من وجه آخر وهو أنّ الحياة للمساءلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله، وندمُ القوم على ما فاتهم في حياتهم المرّتين يدلُّ على أنّه لم يرد حياة المساءلة لكنّه أراد حياة الرّجعة، التي تكون لتكليفهم الندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك(١).

فصل: والرَّجعة عندنا تختصّ بمن محض الإيمان ومحض الكفر، دون من سوى هذين الفريقين، فإذا أراد الله تعالى على ما ذكرناه أوهم الشياطين أعداء الله عزّوجلّ أنّهم إنّما ردُّوا إلى الدُّنيا لطغيانهم على الله، فيزدادوا عتوّاً، فينتقم الله تعالى منهم بأوليائه المؤمنين، ويجعل لهم الكرَّة عليهم، فلا يبقى منهم إلاّ من هو مغموم بالعذاب، والنقمة والعقاب، وتصفو الأرض من الطغاة، ويكون الدّين لله تعالى.

والرَّجعة إنّما هي لممحضي الإيمان من أهل الملّة، وممحضي النفاق منهم دون مَن سلف من الأُمم الخالية(٢).

فصل: وقد قال قوم من المخالفين لنا: كيف يعود كفّار الملّة بعد الموت إلى طغيانهم وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ، وتيقّنوا بذلك أنّهم مبطلون، فقلت لهم: ليس ذلك بأعجب من الكفّار الّذين يشاهدون في البرزخ ما يحلُّ بهم من العذاب ويعلمونه ضرورة، بعد الموافقة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدُّنيا فيقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) فقال الله عزّوجلّ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾(٤)، فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة يتعلّق بها فيما ذكرناه والمنّة لله(٥).

وقال السيّد الشريف المرتضى رضي الله عنه وحشره مع آبائه الطاهرين في أجوبة المسائل الّتي وردت عليه من بلد الريّ حيث سألوا عن حقيقة الرَّجعة، لأنّ شذاذ الإماميّة يذهبون إلى أنّ الرَّجعة رجوع دولتهم في أيّام القائم عليه السلام من دون رجوع أجسامهم:

الجواب: اعلم أنّ الّذي تذهب الشيعة الإماميّة إليه أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزّمان المهديّ عليه السلام قوماً ممّن كان قد تقدَّم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ، وعلوّ كلمة أهله.

والدلالة على صحّة هذا المذهب أنّ الّذي ذهبوا إليه ممّا لا شبهة على عاقل في أنّه مقدور لله تعالى، غير مستحيل في نفسه، فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرَّجعة إنكار من يراها

---

(١) سورة غافر، الآية: ١١.
(٢) - (٣) المسائل السروية، ص ٣١-٣٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٥) المسائل السروية، ص ٣٦.

مستحيلة غير مقدورة، وإذا ثبت جواز الرَّجعة ودخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّة على وقوعها، فإنّهم لا يختلفون في ذلك، وإجماعهم قد بيّنّا في مواضع من كتبنا أنّه حجّة لدخول قول الإمام عليه السلام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال، لا بدَّ فيه من كونه صواباً.

وقد بيّنّا أنَّ الرَّجعة لا تنافي التكليف وأنَّ الدَّواعي متردِّدة معنا حين لا يظنُّ ظانٌّ أنَّ تكليف من يعاد باطل، وذكرنا أنَّ التكليف كما يصحُّ مع ظهور المعجزات الباهرة، والآيات القاهرة، فكذلك مع الرَّجعة، فإنّه ليس في جميع ذلك ملجىء إلى فعل الواجب، والامتناع من فعل القبيح. فأمّا من تأوّل الرَّجعة في أصحابنا على أنَّ معناها رجوع الدَّولة والأمر والنهي، من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، فإنَّ قوماً من الشيعة لمّا عجزوا عن نصرة الرَّجعة، وبيان جوازها، وأنّها تنافي التكليف، عوَّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرَّجعة.

وهذا منهم غير صحيح، لأنَّ الرَّجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحّته بأخبار الآحاد الّتي لا توجب العلم وإنّما المعوَّل في إثبات الرَّجعة على إجماع الإماميّة على معناها بأنَّ الله تعالى يحيي أمواتاً عند قيام القائم عليه السلام من أوليائه وأعدائه على ما بيّنّاه فكيف يطرق التّأويل على ما هو معلوم فالمعنى غير محتمل انتهى[1].

وقال السيد ابن طاوس نوَّر الله ضريحه في كتاب الطرائف: روى مسلم في صحيحه في أوائل الجزء الأوَّل بإسناده إلى الجرّاح بن مليح قال: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث، عن أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله تركوها كلّها ثمّ ذكر مسلم في صحيحه بإسناده إلى محمّد بن عمر الرازيّ قال: سمعت حريزاً يقول: لقيت جابر بن يزيد الجعفيّ فلم أكتب عنه لأنّه كان يؤمن بالرَّجعة.

ثمّ قال: انظر رحمك الله كيف حرموا أنفسهم الانتفاع برواية سبعين ألف حديث عن نبيّهم صلى الله عليه وآله برواية أبي جعفر عليه السلام الّذي هو من أعيان أهل بيته الّذين أمرهم بالتمسّك بهم.

ثمّ وإنَّ أكثر المسلمين أو كلّهم قد رووا إحياء الأموات في الدُّنيا وحديث إحياء الله تعالى الأموات في القبور للمساءلة، وقد تقدّمت روايتهم عن أصحاب الكهف وهذا كتابهم يتضمّن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[2] والسّبعون الّذين أصابتهم الصّاعقة مع موسى عليه السلام وحديث العُزير عليه السلام ومن أحياه عيسى ابن مريم عليه السلام وحديث جريج الّذي أجمع على صحّته أيضاً وحديث الّذين يحييهم الله تعالى في القبور للمساءلة.

---

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ١ ص ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

فأيُّ فرق بين هؤلاء وبين ما رواه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من الرّجعة وأيُّ ذنب كان لجابر في ذلك حتّى يسقط حديثه(١).

وقال- رحمه الله - أيضاً في كتاب سعد السّعود قال الشيخ في تفسيره التبيان عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ استدلّ بهذه الآية قوم من أصحابنا على جواز الرَّجعة، فإن استدلّ بها على جوازها كان صحيحاً لأنَّ من منع منه وأحاله فالقرآن يكذّبه، وإن استدلَّ به على وجوب الرَّجعة وحصولها فلا.

ثمَّ قال السيّد رحمه الله اعلم أنَّ الّذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض لا يختلفون في إحياء الله جلَّ جلاله قوماً بعد مماتهم في الحياة الدُّنيا من هذه الأُمّة تصديقاً لما روى المخالف والمؤالف عن صاحب النبوّة صلى الله عليه وآله.

أمّا المخالف فروى الحميديُّ في الجمع بين الصحيحين عن أبي سعيد الخدريِّ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتتبعنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم» قلنا يا رسول الله اليهود والنّصارى؟ قال: فمن.

وروى الزمخشريُّ في الكشّاف عن حذيفة: أنتم أشبه الأُمم سمتاً ببني إسرائيل لتركبنَّ طريقهم حذو النعل بالنعل، والقذَّة بالقذَّة، حتّى أنّي لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟

قال السيّد: فإذا كانت هذه بعض رواياتهم في متابعة الأُمم الماضية، وبني إسرائيل واليهود، فقد نطق القرآن الشريف والأخبار المتواترة أنّ خلقاً من الأُمم الماضية واليهود لمّا قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأماتهم الله ثمّ أحياهم فيكون على هذا في أُمّتنا من يحييهم الله في الحياة الدُّنيا.

ورأيت في أخبارهم زيادة على ما تقوله الشيعة من الاشارة إلى أنّ مولانا عليّاً يعود إلى الدُّنيا بعد ضرب ابن ملجم وبعد وفاته كما رجع ذو القرنين: فمنها ما ذكره الزمخشريُّ في الكشّاف في حديث ذي القرنين، وعن عليّ عليه السلام سخّر له السّحاب ومدَّت له الأسباب وبسط له النّور. وسئل عنه فقال: أحبَّ الله فأحبّه وسأل ابن الكوّا ما ذو القرنين؟ أملك أم نبيٌّ فقال: ليس بملك ولا نبيّ لكن كان عبداً صالحاً ضُرب على قرنه [الأيمن] في طاعة الله فمات، ثمَّ بعثه الله فضُرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله وسمّي ذا القرنين وفيكم مثله.

ورأيت أيضاً في كتب أخبار المخالفين عن جماعة من المسلمين أنّهم رجعوا بعد الممات قبل الدَّفن وبعد الدَّفن، وتكلّموا وتحدَّثوا ثمَّ ماتوا، فمن ذلك ما رواه الحاكم النّيسابوريُّ في تاريخه في حديث حسام بن عبد الرَّحمن، عن أبيه، عن جدّه، وكان قاضي نيسابور، دخل

---

(١) الطرائف، ج ١ ص ٢٧٤.

عليه رجل فقيل له: إنّ عند هذا حديثاً عجباً فقال: يا هذا ما هو؟ فقال: اعلم أنّي كنت رجلاً نبّاشاً أنبش القبور فماتت امرأة فذهبت لأعرف قبرها فصلّيت عليها، فلمّا جنّ الليل قال: ذهبت لأنبش عنها وضربت يدي إلى كفنها لأسلبها، فقالت: سبحان الله رجل من أهل الجنّة تسلب امرأة من أهل الجنّة؟ ثمّ قالت: ألم تعلم أنّك ممّن صلّيت عليّ وأنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لمن صلّى عليّ.

قال السيّد: فإذا كان هذا قد رووه ودوّنوه عن نبّاش القبور فهلاّ كان لعلماء أهل البيت عليهم السلام أسوة به، ولأيّ حال تقابل روايتهم عليهم السلام بالنفور، وهذه المرأة المذكورة دون الّذين يرجعون لمهمّات الأمور؟ والرّجعة الّتي يعتقدها علماؤنا وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم تكون من جملة آيات النبيّ صلى الله عليه وآله ومعجزاته، ولأيّ حال تكون منزلته عند الجمهور دون موسى وعيسى ودانيال؟ وقد أحيى الله جلّ جلاله على أيديهم أمواتاً كثيرة بغير خلاف عند العلماء لهذه الأمور[1].

١٦٢ - **أقول:** وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر ممّا رواه من كتاب السيّد الجليل حسن بن كبش ممّا أخذه من كتاب المقتضب بإسناده عن سلمان الفارسيّ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فلمّا نظر إليّ قال: يا سلمان إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلاّ جعل له اثني عشر نقيباً قال: قلت: يا رسول الله لقد عرفت هذا من أهل الكتابين؛ قال: يا سلمان فهل علمت من نقبائي الاثني عشر الّذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ وفاطمة، الحسن والحسين فدعاهما فأطاعا فسمّانا الله عزّ وجلّ بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود، وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله فاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين. ثمّ خلق منّا ومن نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ سماء مبنيّة وأرضاً مدحيّة، أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع.

فقال سلمان: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: يا سلمان من عرفهم حقّ معرفتهم واقتدى بهم: فوالى وليّهم، وتبرّأ من عدوّهم فهو والله منّا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن، قلت: يا رسول الله فهل يكون إيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: لا يا سلمان، قلت: يا رسول الله فأنّى لي بهم؟ قال: قد عرفت إلى

(١) سعد السعود، ص ٦٤-٦٥.

الحسين، قال: ثمَّ سيّد العابدين عليُّ بن الحسين ثمَّ ابنه محمّد بن عليّ باقر علم الأوَّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمَّ جعفر بن محمّد لسان الله الصّادق، ثمَّ موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله، ثمَّ عليُّ بن موسى الرِّضا لأمر الله، ثمَّ محمّد بن عليّ المختار من خلق الله، ثمَّ عليُّ بن محمّد الهادي إلى الله، ثمَّ الحسن بن عليٍّ الصّامت الأمين على دين الله، ثمَّ [م ح م د] - سمّاه باسمه - ابن الحسن المهديّ الناطق القائم بحقِّ الله.

قال سلمان: فبكيت ثمَّ قلت: يا رسول الله فأنّى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنّك مدركهم وأمثالك ومن تولاّهم حقيقة المعرفة قال سلمان: فشكرت الله كثيراً ثمَّ قلت: يا رسول الله إنّي مؤجّل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان اقرأ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾[1].

قال سلمان: فاشتدَّ بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله بعهد منك؟ فقال: إي والّذي أرسل محمّداً إنّه لعهد منّي ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وتسعة أئمّة وكلّ من هو منّا ومظلوم فينا إي والله يا سلمان ثمَّ ليحضرنَّ إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان [محضاً] ومحض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربّك أحداً. ونحن تأويل هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾[2]

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه.

أقول: رواه ابن عيّاش في المقتضب عن أحمد بن محمّد بن جعفر الصوليّ عن عبد الرّحمن بن صالح، عن الحسين بن حميد بن الربيع، عن الأعمش، عن محمّد بن خلف الطاطري، عن شاذان، عن سلمان وذكر مثله.

ثمّ قال ابن عيّاش: سألت أبا بكر بن محمّد بن عمر الجعابي، عن محمّد بن خلف الطاطريّ قال: هو محمّد بن خلف بن موهب الطاطري ثقة مأمون وطاطر سيف من أسياف البحر تنسج فيها ثياب تسمّى الطاطريّة كانت تنسب إليها[3].

وروي أيضاً عن صالح بن الحسين النوفليّ قال: أنشدني أبو سهل النوشجاني لأبيه مصعب بن وهب:

فإن تسألاني ما الّذي أنا دائن   به فالّذي أبديه مثل الّذي أُخفي

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥-٦.
(٢) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.
(٣) مقتضب الأثر، ص ٦-٨.

أديـن بـأنّ الله لا شـيء غـيـره — قويٌّ عزيز بارىءُ الخلق من ضعف
وأنّ رسـول الله أفـضـل مـرسـل — به بشّر الماضون في محكم الصحف
وأنّ عـلـيّـاً بـعـده أحـد عـشـر — من الله وعد ليس في ذاك من خلف
أئـمّـتـنـا الـهـادون بـعـد مـحـمّـد — لهم صفو ودّي ما حييت لهم أصفي
ثـمـانـيـة مـنـهـم مضوا لـسـبـيـلـهـم — وأربـعـة يـرجـون لـلـعـدد الـمـوف
ولي ثقة بالرّجعة الحقّ مثل ما — وثقت برجع الطرف منّي إلى الطرف(١)

ووجدت بخطّ بعض الأعلام نقلاً من خطّ الشّهيد قدّس الله روحه قال: روى الصفوانيُّ في كتابه بإسناده قال: سئل الرِّضا عليه السلام عن تفسير ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الآية قال: والله ما هذه الآية إلاّ في الكرّة(٢).

٣٠ - باب خلفاء المهدي صلوات الله عليه، وأولاده وما يكون بعده عليه وعلى آبائه السلام

١ - ك: الدقّاق، عن الأسديّ [عن النخعيّ، عن النوفليّ] عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت للصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله سمعت من أبيك عليه السلام أنّه قال: يكون بعد القائم اثنى عشر مهدياً فقال: إنما قال: اثنى عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنّهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقّنا(٣).

٢ - غط: محمّد الحميريُّ، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الحميد، ومحمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: يا أبا حمزة إنّ منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام(٤).

٣ - غط: الفضل، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي قال:

---

(١) مقتضب الأثر، ص ٤٨.

(٢) مدينة المعاجز، عن محمّد بن جرير الطبري في كتابه مسنداً عن محمّد بن عمر قال: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول: يكرّ مع القائم عليه السلام عشر امرأة. قلت: وما يصنع بهنّ؟ قال: يداوين الجرحى ويقمن على المرضى، كما كان مع رسول الله. قلت: فسمّهنّ لي. قال: القنو بنت رشيد (قنواظ)، وامّ ايمن، وحبابة الوالبية، وسميّة امّ عمّار بن ياسر، وزبيرة، وامّ خالد الحبشية، وامّ سعيد الحنفية، وصيانة الماشطة، وامّ خالد الجهنيّة. وفي خصوص رجعة حبابة الوالبية عند الظهور رواية اخرى في مرضعين. وفي اثبات الهداة للحر العاملي ج ٥ عن المفضل رواه ولم ينقل أسمائهن. [النمازي].

(٣) كمال الدين، ص ٣٣٥ باب ٣٣ ح ٥٦. أقول: هذا مبيّن للمراد من رواية أبي حمزة ورواية الاختصاص وغيرهما ممن يدل على أن بعد الإمام القائم عليه السلام اثنى عشر مهدياً وأنهم المهديّون من أوصياء القائم والقوّام بأمره كي لا يخلو الزمان من الحجة. [النمازي].

(٤) الغيبة للطوسي، ص ٤٧٨ ح ٥٠٤.

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنّ منّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسع عشرة سنة، ثمّ يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتّى يخرج السفّاح[1].

٤ - **شا**: ليس بعد دولة القائم لأحد دولة إلاّ ما جاءت به الرّواية من قيام ولده إن شاء الله ذلك، ولم يرد على القطع والثبات وأكثر الروايات أنّه لن يمضي مهديُّ الأمّة إلاّ قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج، وعلامة خروج الأموات، وقيام السّاعة للحساب والجزاء، والله أعلم[2].

٥ - **شي**: عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنّ رجل منّا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً قال: قلت: فمتى ذلك؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتّى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى موته قال: قلت فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم خمسين سنة.

قال: ثمّ يخرج المنصور إلى الدُّنيا فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتّى يقال لو كان هذا من ذرّيّة الأنبياء، ما قتل الناس كلّ هذا القتل. فيجتمع النّاس عليه أبيضهم وأسودهم، فيكثرون عليه حتّى يلجؤونه إلى حرم الله فإذا اشتدّ البلاء عليه، مات المنتصر، وخرج السفّاح إلى الدُّنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كلّ عدوّ لنا جائر، ويملك الأرض كلّها، ويصلح الله له أمره، ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفّاح؟ يا جابر المنتصر الحسين، والسفّاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين[3].

٦ - **غط**: جماعة، عن البزوفريّ، عن عليّ بن سنان الموصليّ، عن عليّ بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصريّ، عن عمّه الحسين بن عليّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصّادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في اللّيلة الّتي كانت فيها وفاته لعليّ عليه السلام يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّته حتّى انتهى [إلى] هذا الموضع فقال: يا عليُّ إنّه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنى عشر مهديّاً فأنت يا عليُّ أوّل الاثني عشر الإمام.

وساق الحديث[4] إلى أن قال: وليسلّمها الحسن عليه السلام إلى ابنه م ح م د المستحفظ من آل

---

(١) الغيبة للطوسي، ص ٤٧٨ ح ٥٠٥.
(٢) الإرشاد للمفيد، ص ٣٥٦.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٢٤ من سورة الكهف.
(٤) وتمام الحديث في ج ٣٦ ص ١٨٠ ح ٨١ من هذه الطبعة.

محمّد صلوات الله عليه وعليهم، فذلك اثنى عشر إماماً ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه أوّل المهديّين له ثلاثة أسامي اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد والاسم الثالث المهديُّ وهو أوّل المؤمنين(١).

٧ - **خص:** ممّا رواه السيّد عليُّ بن عبد الحميد بإسناده عن الصّادق عليه السلام أنَّ منّا بعد القائم عليه السلام اثنا عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام (٢).

٨ - **مل:** أبي، عن سعد، عن الجاموراني، عن الحسين بن سيف، عن أبيه عن الحضرميِّ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا في ذكر الكوفة: فيها مسجد سهيل الّذي لم يبعث الله نبيّاً إلاّ وقد صلّى فيه، ومنها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوّام من بعده، وهي منازل النبيّين والأوصياء والصّالحين(٣).

بيان: هذه الأخبار مخالفة للمشهور، وطريق التأويل أحد وجهين:

الأوّل: أن يكون المراد بالاثني عشر مهدياً النبيُّ صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة سوى القائم عليه السلام بأن يكون ملكهم بعد القائم عليه السلام وقد سبق أنَّ الحسن بن سليمان أوّلها بجميع الأئمّة وقال برجعة القائم عليه السلام بعد موته وبه أيضاً يمكن الجمع بين بعض الأخبار المختلفة الّتي وردت في مدّة ملكه عليه السلام.

والثّاني: أن يكون هؤلاء المهديّون من أوصياء القائم هادين للخلق في زمن سائر الأئمّة الّذين رجعوا لئلاّ يخلو الزّمان من حجّة، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمّة أيضاً حججاً والله تعالى يعلم.

٣١ - باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام

١ - **غط:** أخبرنا جماعة، عن أبي الحسن محمّد بن أحمد بن داود القمّي قال: وجدت بخطّ أحمد بن إبراهيم النّوبختيّ وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه، على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أنفذت من قم، يُسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمّد بن عليٍّ الشلمغانيّ، لأنّه حكي عنه أنّه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها فكتب إليهم على ظهر كتابهم:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته، فجميعه جوابنا ولا مدخل للمخذول الضّالِّ المعروف بالعزاقريِّ لعنه الله في حرف منه وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن هلال وغيره من نظرائه وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله وغضبه».

---

(١) الغيبة للطوسي، ص ١٥٠ ح ١١١.
(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٣٨.
(٣) كامل الزيارات، ص ٧٦ باب ٨ ح ١٢.

«فاستثبتُّ قديماً في ذلك». فخرج الجواب ألا من استثبتَّ فإنّه لا ضرر في خروج ما خرج على أيديهم وأنَّ ذلك صحيح.

وروي قديماً عن بعض العلماء عليهم السلام والصّلاة أنّه سئل عن مثل هذا بعينه في بعض من غضب الله عليه وقال عليه السلام: «العلم علمنا، ولا شيء عليكم من كفر من كفر، فما صحَّ لكم ممّا خرج على يده برواية غيره من الثقات رحمهم الله، فاحمدوا الله واقبلوه، وما شككتم فيه أو لم يخرج إليكم في ذلك إلاّ على يده فردُّوه إلينا لنصحّحه أو نبطله، والله تقدَّست أسماؤه وجلَّ ثناؤه وليُّ توفيقكم، وحسبنا في أُمورنا كلّها ونعم الوكيل».

وقال ابن نوح: أوّل من حدَّثنا بهذا التوقيع أبو الحسين محمّد بن عليٍّ بن تمام، وذكر أنّه كتبه من ظهر الدَّرج الّذي عند أبي الحسن بن داود، فلمّا قدم أبو الحسن بن داود وقرأته عليه، ذكر أنَّ هذا الدَّرج بعينه كتب بها أهل قم إلى الشيخ أبي القاسم وفيه مسائل فأجابهم على ظهره بخطّ أحمد بن إبراهيم النّوبختي وحصل الدَّرج عند أبي الحسن بن داود.

نسخة الدرج: مسائل محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريّ «بسم الله الرَّحمن الرّحيم أطال الله بقاءك وأدام عزّك وتأييدك، وسعادتك وسلامتك، وأتمَّ نعمته [عليك] وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك وفضله عندك، وجعلني من السّوء فداك، وقدَّمني قبلك، الناس يتنافسون في الدّرجات، فمن قبلتموه كان مقبولاً ومن دفعتموه كان وضيعاً، والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك، وببلدنا أيّدك الله جماعة من الوجوه، يتساوون ويتنافسون في المنزلة».

«وورد أيّدك الله كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة ص، وأخرج عليُّ بن محمّد بن الحسين بن مالك المعروف بمالك بادوكة، وهو ختن ص رحمهم الله من بينهم، فاغتمَّ بذلك وسألني أيّدك الله أن أُعلمك ما ناله من ذلك، فإن كان من ذنب استغفر الله منه، وإن يكن غير ذلك عرَّفته ما يسكن نفسه إليه إن شاء الله».

التوقيع: «لم نكاتب إلاّ من كاتبنا».

وقد عوَّدتني أدام الله عزّك من تفضّلك ما أنت أهل أن تجريني على العادة وقبلك أعزَّك الله فقهاء، أنا محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها فروي لنا عن العالم عليه السلام أنه سئل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاتهم وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه فقال: يؤخّر ويقدم بعضهم ويتمُّ صلاتهم ويغتسل من مسّه.

التوقيع: «ليس على من نحّاه إلاّ غسل اليد، وإذا لم تحدث حادثة تقطع الصّلاة تمّم صلاته مع القوم».

وروي عن العالم عليه السلام أنَّ من مسَّ ميّتاً بحرارته غسل يده، ومن مسّه وقد برد فعليه

الغسل، وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون مسّه إلاّ بحرارته والعمل من ذلك على ما هو، ولعلّه ينحّيه بثيابه ولا يمسّه فكيف يجب عليه الغسل.

التوقيع: إذا مسّهُ على هذه الحال، لم يكن عليه إلاّ غسل يده.

وعن صلاة جعفر إذا سها في التسبيح في قيام أو قعود أو ركوع أو سجود وذكره في حالة أخرى قد صار فيها من هذه الصلاة، هل يعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة الّتي ذكرها أم يتجاوز في صلاته؟

التوقيع: إذا هو سها في حالة من ذلك ثمَّ ذكر في حالة أخرى قضى ما فاته في الحالة الّتي ذكر.

وعن المرأة يموت زوجها هل يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

التوقيع: تخرج في جنازته.

وهل يجوز لها وهي في عدّتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

التوقيع: تزور قبر زوجها، ولا تبيت عن بيتها.

وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حقّ يلزمها أم لا تبرح من بيتها وهي في عدّتها؟

التوقيع: إذا كان حقٌّ خرجت وقضته، وإذا كانت لها حاجة لم يكن لها من ينظر فيها خرجت لها حتّى تقضي، ولا تبيت عن منزلها.

وروي في ثواب القرآن في الفرائض وغيره أنَّ العالم عليه السلام قال: عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ﴾ كيف تقبل صلاته وروي ما زكت صلاة لم يقرأ فيها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وروي أنَّ من قرأ في فرائضه الهمَزة أُعطي من الدُّنيا، فهل يجوز أن يقرأ الهُمزة، ويدع هذه السور الّتي ذكرناها؟ مع ما قد روي أنّه لا تقبل الصلاة ولا تزكو إلاّ بهما.

التوقيع: الثواب في السور على ما قد روي وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، لفضلهما أُعطي ثواب ما قرأ وثواب السورة الّتي ترك، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين، وتكون صلاته تامّة، ولكن يكون قد ترك الفضل.

وعن وداع شهر رمضان متى يكون؟ فقد اختلف فيه أصحابنا، فبعضهم يقول: يقرأ في آخر ليلة منه، وبعضهم يقول هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوّال.

التوقيع: العمل في شهر رمضان في لياليه، والوداع يقع في آخر ليلة منه، فإن خاف أن ينقص جعله في ليلتين.

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أنَّ رسول الله المعنيُّ به «ذي قوّة عند ذي العرش مكين» ما هذه القوّة ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ما هذه الطّاعة، وأين هي؟ فرأيك أدام الله عزّك بالتفضّل عليّ بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل وإجابتي عنها منعماً، مع ما

تشرحه لي من أمر محمّد بن الحسين بن مالك المقدّم ذكره، بما يسكن إليه ويعتدُّ بنعمة الله عنده، وتفضّل عليّ بدعاء جامع لي ولإخواني للدُّنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله.

التوقيع: جمع الله لك ولإخوانك خير الدُّنيا والآخرة.

أطال الله بقاءك، وأدام عزّك، وتأييدك وكرامتك، وسعادتك وسلامتك وأتمّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عندك وجعلني من كلّ سوء ومكروه فداك وقدّمني قبلك الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله أجمعين[1].

بيان: ذكر في الاحتجاج من قوله: «أطال الله بقاءك» - إلى قوله - ولإخوانك خير الدُّنيا والآخرة.

أقول: قوله: «فاستثبتُّ» من تتمّة ما كتب السائل أي كنت قديماً أطلب إثبات هذه التوقيعات، هل هي منكم أو لا؟ ولمّا كان جواب هذه الفقرة مكتوباً تحتها أفردها للإشعار بذلك.

قوله: «نسخة الدَّرج» أي نسخة الكتاب المدرج المطويّ، كتبه أهل قم وسألوا عن بيان صحّته، فكتب عليه السلام أنَّ جميعه صحيح، وعبّر عن المعان برمز ص للمصلحة وحاصل جوابه عليه السلام أنَّ هؤلاء كاتبوني وسألوني فأجبتهم، وهو لم يكاتبني من بينهم فلذا لم أدخله فيهم، وليس ذلك من تقصير وذنب.

قوله: «وقبلك أعزّك الله» خطاب للسفير المتوسّط بينه وبين الإمام عليه السلام، أو للإمام تقيّه، وقول «أطال الله بقاءك» آخراً كلام الحميريّ ختم به كتابه، وسائر أجزاء الخبر شرحناها في الأبواب المناسبة لها.

٢ - **غط:** من كتاب آخر «فرأيك أدام الله عزّك في تأمّل رقعتي، والتفضّل بما يسهل لأضيفه إلى سائر أياديك عليّ، واحتجت أدام الله عزّك أن تسأل لي بعض الفقهاء عن المصلّي إذا قام من التشهّد الأوّل للركعة الثالثة، هل يجب عليه أن يكبّر؟ فإنّ بعض أصحابنا قال: لا يجب عليه التكبير، ويجزيه أن يقول: بحول الله وقوّته أقوم وأقعد.

الجواب: قال إنّ فيه حديثين: أمّا أحدهما فإنّه إذا انتقل من حالة إلى حالة أُخرى فعليه تكبير، وأمّا الآخر فإنّه روي أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس، ثمّ قام، فليس عليه للقيام بعد القعود تكبير، وكذلك التشهّد الأوّل، يجري هذا المجرى، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً.

وعن الفصّ الخُماهَن هل تجوز فيه الصلاة إذا كان في إصبعه؟

الجواب: فيه كراهة أن يصلّى فيه، وفيه إطلاق، والعمل على الكراهية.

---

(١) الغيبة للطوسي، ص ٣٧٢ ح ٣٤٥.

وعن رجل اشترى هدياً لرجل غائب عنه، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمنى فلمّا أراد نحر الهدي نسي اسم الرَّجل ونحر الهدي، ثمَّ ذكره بعد ذلك أيجزىء عن الرَّجل أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك، وقد أجزأ عن صاحبه.

وعندنا حاكة مجوس يأكلون الميتة، ولا يغتسلون من الجنابة، وينسجون لنا ثياباً، فهل يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل؟

الجواب: لا بأس بالصلاة فيها.

وعن المصلّي يكون في صلاة اللّيل في ظلمة، فإذا سجد يغلط بالسجّادة، ويضع جبهته على مِسح أو نِطع فإذا رفع رأسه وجد السجّادة، هل يعتدُّ بهذه السجدة أم لا يعتدُّ بها.

الجواب: ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخُمرة.

وعن المُحرم يرفع الظلال هل يرفع خشب العمارية أو الكنيسة ويرفع الجناحين أم لا؟

الجواب: لا شيء عليه في تركه وجميع الخشب.

وعن المُحرم يستظلُّ من المطر بنطع أو غيره حذراً على ثيابه وما في محمله أن يبتلَّ فهل يجوز ذلك؟

الجواب: إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه فعليه دم.

والرَّجل يحجُّ عن آخر، هل يحتاج أن يذكر الّذي حجَّ عنه عند عقد إحرامه أم لا؟ وهل يجب أن يذبح عمّن حجَّ عنه وعن نفسه، أم يجزيه هديٌ واحد؟

الجواب: يذكره، وإن لم يفعل فلا بأس.

وهل يجوز للرَّجل أن يُحرم في كساء خزّ أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك وقد فعله قوم صالحون.

وهل يجوز للرَّجل أن يصلّي وفي رجله بطيط لا يغطّي الكعبين أم لا يجوز؟

الجواب: جائز.

ويصلّي الرَّجل، ومعه في كمّه أو سراويله سكّين أو مفتاحٌ حديد، هل يجوز ذلك؟

الجواب: جائز.

وعن الرَّجل يكون مع بعض هؤلاء ومتّصلاً بهم يحجُّ، ويأخذ على الجادَّة ولا يُحرمون هؤلاء من المسلخ فهل يجوز لهذا الرَّجل أن يؤخّر إحرامه إلى ذات عرق فيُحرم معهم، لما يخاف من الشهرة أم لا يجوز أن يحرم إلاّ من المسلخ؟

الجواب: يُحرم من ميقاته ثمَّ يلبس الثياب ويلبّي في نفسه، فإذا بلغ إلى ميقاتهم أظهر.

وعن لبس النعل المعطون فإنَّ بعض أصحابنا يذكر أنَّ لبسه كريه.

الجواب: جائز ذلك ولا بأس.

وعن الرَّجل من وكلاء الوقف يكون مستحلاً لما في يده لا يرع عن أخذ ماله، ربما نزلتُ في قرية وهو فيها أو أدخل منزله وقد حضر طعامه فيدعوني إليه، فإن لم آكل من طعامه عاداني عليه، وقال: فلان لا يستحلُّ أن يأكل من طعامنا، فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدَّق بصدقة؟ وكم مقدار الصدقة؟ وإن أهدى هذا الوكيل هديّة إلى رجل آخر فأحضُر فيدعوني أن أنال منها وأنا أعلم أنَّ الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل فيه شيء إن أنا نلت منها؟

الجواب: إن كان لهذا الرَّجل مال أو معاش غير ما في يده، فكُلْ طعامه واقبل برَّه وإلاّ فلا.

وعن الرَّجل يقول بالحقِّ ويرى المتعة، ويقول بالرجعة إلاّ أنَّ له أهلاً موافقة له في جميع أمره، وقد عاهدها أن لا يتزوَّج عليها ولا يتسرَّى وقد فعل هذا منذ بضع عشرة سنة، ووفى بقوله، فربما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتّع ولا تتحرَّك نفسه أيضاً لذلك، ويرى أنَّ وقوف من معه من أخ وولد وغلام ووكيل وحاشية ممّا يقلّله في أعينهم ويحبُّ المقام على ما هو عليه محبّة لأهله وميلاً إليها، وصيانة لها ولنفسه، لا يحرِّم المتعة، بل يدين الله بها، فهل عليه في تركه ذلك مأثم أم لا؟

الجواب: في ذلك يستحبُّ له أن يطيع الله تعالى ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرَّة واحدة.

فإن رأيت أدام الله عزَّك أن تسأل لي عن ذلك وتشرحه لي وتجيب في كلِّ مسألة بما العمل به، وتقلّدني المنّة في ذلك - جعلك الله السبب في كلِّ خير وأجراه على يدك - فعلت مثاباً إن شاء الله.

أطال الله بقاءك وأدام عزَّك وتأييدك وسعادتك وسلامتك وكرامتك وأتمَّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجعلني من السوء فداك، وقدَّمني عنك وقبلك والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمّد النبيِّ وآله وسلّم كثيراً.

قال ابن نوح: نسخت هذه النسخة من الدَّرجين القديمين اللّذين فيهما الخطُّ والتوقيعات[١].

أقول: روي في الاحتجاج مثله إلى قوله ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرَّة واحدة[٢].

٣ - **ج:** في كتاب آخر لمحمّد بن عبد الله الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام من جوابات مسائله التي سأله عنها في سنة سبع وثلاثمائة.

سأل عن المُحرم يجوز أن يشدَّ المئزر من خلفه إلى عنقه بالطّول، ويرفع طرفيه إلى حقويه، ويجمعهما في خاصرته ويعقدهما، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه

(١) الغيبة للطوسي، ص ٣٧٨ ح ٣٤٦. (٢) الإحتجاج، ص ٤٨٣.

ويرفعهما إلى خاصرته، ويشدّ طرفيه إلى وركيه، فيكون مثل السراويل يستر ما هناك، فإنّ المئزر الأوّل كنّا نتّزر به إذا ركب الرّجل جمله يكشف ما هناك وهذا أستر.

فأجاب عليه السلام: جائز أن يتّزر الإنسان كيف شاء إذا لم يُحدث في المئزر حدثاً بمقراض ولا إبرة يخرجه به عن حدّ المئزر، وغرزه غرزاً، ولم يعقده ولم يشدّ بعضه ببعض، إذا غطى سرّته وركبتيه كلاهما، فإنّ السنّة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرّة والركبتين، والأحبُّ إلينا والأفضل لكلّ أحد شدُّه على السبيل المعروفة للناس جميعاً إن شاء الله.

وسأل رحمه الله هل يجوز أن يشدّ عليه مكان العقد تكّة؟

فأجاب عليه السلام: لا يجوز شدُّ المئزر بشيء سواه من تكّة ولا غيرها.

وسأل عن التوجّه للصلاة أيقول: «على ملّة إبراهيم، ودين محمّد»؟ فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه إذا قال «على دين محمّد» فقد أبدع، لأنّا لم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمّد عن جدّه الحسن بن راشد أنّ الصادق عليه السلام قال للحسن: كيف تتوجّه؟ قال: أقول: «لبّيك وسعديك» فقال له الصادق عليه السلام: ليس عن هذا أسألك كيف تقول: وجّهت وجهي للّذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً؟ قال الحسن: أقول فقال الصادق عليه السلام: إذا قلت ذلك فقل «على ملّة إبراهيم، ودين محمّد، ومنهاج عليّ بن أبي طالب والائتمام بآل محمّد حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

فأجاب عليه السلام: التوجّه كلّه ليس بفريضة والسنّة المؤكّدة فيه الّتي هي كالإجماع الّذي لا خلاف فيه: وجّهت وجهي للّذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم، ودين محمّد، وهدى أمير المؤمنين، وما أنا من المشركين إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللّهمّ اجعلني من المسلمين أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ يقرأ الحمد.

قال الفقيه الّذي لا يشكُّ في علمه: «الدّين لمحمّد، والهداية لعليّ أمير المؤمنين، لأنّها له وفي عقبه باقية إلى يوم القيامة، فمن كان كذلك فهو من المهتدين، ومن شكَّ فلا دين له» ونعوذ بالله في ذلك من الضلالة بعد الهدى.

وسأله عن القنوت في الفريضة إذا فرغ من دعائه أن يردَّ يديه على وجهه وصدره للحديث الّذي روي أنّ الله عزّ وجلّ أجلُّ من أن يردَّ يدي عبده صفراً بل يملأها من رحمته أم لا يجوز؟ فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه عمل في الصلاة.

فأجاب عليه السلام: ردُّ اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جائز في الفرائض والّذي عليه العمل فيه إذا رفع يده في قنوت الفريضة، وفرغ من الدُّعاء أن يردَّ بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه على تمهّل، ويكبّر ويركع، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار واللّيل، دون الفرائض، والعمل به فيها أفضل.

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّها بدعة فهل يجوز أن يسجدها الرَّجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة.

فأجاب عليه السلام: سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلاّ من أراد أن يحدث في دين الله بدعة، وأمّا الخبر المرويّ فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في أنّها بعد الثلاث أو بعد الأربع، فإنّ فضل الدُّعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدُّعاء بعقيب النوافل، كفضل الفرائض على النوافل والسجدة دعاء وتسبيح، والأفضل أن تكون بعد الفرض، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز.

وسأل أنّ لبعض إخواننا ممّن نعرفه ضيعة جديدة بجنب ضيعة خراب للسّلطان فيها حصّة، وأكرته ربما زرعوا حدودها، وتؤذيهم عُمّال السلطان، ويتعرّض في الأكل من غلاّت ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها، وإنّما هي بائرة منذ عشرين سنة، وهو يتحرّج من شرائها لأنّه يقال: إنّ هذه الحصّة من هذه الضّيعة، كانت قبضت عن الوقف قديماً للسّلطان، فإن جاز شراؤها من السّلطان، وكان ذلك صواباً كان ذلك صلاحاً له، وعمارة لضيعته، وإنّه يزرع هذه الحصّة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السّلطان، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره إن شاء الله.

فأجابه عليه السلام: الضّيعة لا يجوز ابتياعها إلاّ من مالكها أو بأمره ورضا منه.

وسأل عن رجل استحلّ بامرأة [خارجة] من حجابها، وكان يتحرّز من أن يقع ولد فجاءت بابن فتحرّج الرَّجل أن لا يقبله فقبله وهو شاكٌّ فيه، ليس يخلطه بنفسه، فإن كان ممّن يجب أن يخلطه بنفسه، ويجعله كسائر ولده فعل ذلك، وإن جاز أن يجعل له شيئاً من ماله دون حقّه فعل.

فأجاب عليه السلام: الاستحلال بالمرأة يقع على وجوه، والجواب يختلف فيها، فليذكر الوجه الّذي وقع الاستحلال به مشروحاً ليعرف الجواب فيما يسأل عنه من أمر الولد إن شاء الله.

وسأله الدُّعاء له، فخرج الجواب: جاد الله عليه بما هو أهله إيجابنا لحقّه ورعايتنا لأبيه رحمه الله، وقربه منّا بما علمناه من جميل نيّته، ووقفنا عليه من مخالطته المقرّبة له من الله الّتي ترضي الله عزّ وجلّ ورسوله وأولياءه عليهم السلام بما بدأنا نسأل الله بمسألته ما أمّله من كلّ خير عاجل وآجل، وأن يصلح له من أمر دينه ودنياه ما يحبُّ صلاحه إنّه وليٌّ قدير(١).

٤ - ج: وكتب إليه صلوات الله عليه أيضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل أُخرى، كتب فيه:

---

(١) الإحتجاج، ص ٤٨٥.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أطال الله بقاءك، وأدام عزَّك وكرامتك، وسعادتك وسلامتك، وأتمَّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عليك، وجزيل قسمه لك، وجعلني من السّوء كلّه فداك، وقدَّمني قبلك؛ إنّ قبلنا مشايخ وعجائز يصومون رجب منذ ثلاثين سنة وأكثر، ويصلون شعبان بشهر رمضان، وروى لهم بعض أصحابنا أنّ صومه معصية.

فأجاب: قال الفقيه عليه السلام: يصوم منه أيّاماً إلى خمسة عشر يوماً، ثمّ يقطعه إلاّ أن يصومه عن الثلاثة الأيّام الفائتة للحديث أن «نعم شهر القضاء رجب».

وسأل عن رجل يكون في محمله، والثلج كثير بقامة رجل، فيتخوّف إن نزل الغوص فيه، وربما يسقط الثلج وهو على تلك الحال، ولا يستوي له أن يلبّد شيئاً منه لكثرته وتهافته، هل يجوز له أن يصلّي في المحمل الفريضة؟ فقد فعلنا ذلك أيّاماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا؟

فأجاب عليه السلام: لا بأس به عند الضّرورة والشدّة.

وسأل عن الرّجل يلحق الإمام وهو راكع، فيركع معه ويحتسب تلك الركعة، فإنّ بعض أصحابنا قال: إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتدّ بتلك الركعة.

فأجاب عليه السلام: إذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحدة اعتدّ بتلك الركعة، وإن لم يسمع تكبيرة الركوع.

وسأل عن رجل صلّى الظهر ودخل في صلاة العصر، فلمّا أن صلّى من صلاة العصر ركعتين استيقن أنّه صلّى الظهر ركعتين، كيف يصنع؟

فأجاب عليه السلام: إن كان أحدث بين الصّلاتين حادثة يقطع بها الصّلاة أعاد الصّلاتين، وإذا لم يكن أحدث حادثة جعل الرّكعتين الأخيرتين تتمّة لصلاة الظهر وصلّى العصر بعد ذلك.

وسأل عن أهل الجنّة، هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا؟

فأجاب عليه السلام: إنّ الجنّة لا حمل فيها للنّساء، ولا ولادة، ولا طمث، ولا نفاس، ولا شقاء بالطفوليّة، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[1] كما قال سبحانه، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله عزّ وجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصورة الّتي يريد كما خلق آدم عليه السلام عبرة.

وسأل عن رجل تزوج امرأة بشيء معلوم إلى وقت معلوم، وبقي له عليها وقت فجعلها في حلّ ممّا بقي له عليها، وقد كانت طمثت قبل أن يجعلها في حلّ من أيّامها بثلاثة أيّام أيجوز أن يتزوّجها رجل آخر بشيء معلوم إلى وقت معلوم عند طُهرها من هذه الحيضة أو يستقبل بها حيضة أخرى؟

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧١.

فأجاب عليه السلام : يستقبل حيضة غير تلك الحيضة، لأنّ أقلّ تلك العدّة حيضة وطهارة تامّة.

وسأل عن الأبرص والمجذوم، وصاحب الفالج، هل يجوز شهادتهم؟ فقد روي لنا أنّهم لا يؤمّون الأصحّاء؟

فأجاب عليه السلام : إن كان ما بهم حادث، جازت شهادتهم، وإن كانت ولادة لم تجز.

وسأل هل يجوز للرّجل أن يتزوّج ابنة امرأته.

فأجاب عليه السلام : إن كانت ربّيت في حجره فلا يجوز، وإن لم تكن ربّيت في حجره وكانت أمّها في غير حباله فقد روي أنّه جائز.

وسأل هل يجوز أن يتزوّج بنت ابنة امرأة ثمّ يتزوّج جدّتها بعد ذلك أم لا؟

فأجاب عليه السلام : قد نهي عن ذلك.

وسأل عن رجل ادّعى على رجل ألف درهم، أقام بها البيّنة العادلة، وادّعى عليه أيضاً خمسمائة درهم في صكّ آخر وله بذلك كلّه بيّنة عادلة، وادّعى عليه أيضاً بثلاثمائة درهم في صكّ آخر، ومائتي درهم في صكّ آخر، وله بذلك كلّه بيّنة عادلة، ويزعم المدّعى عليه أنّ هذه الصّكاك كلّها قد دخلت في الصكّ الّذي بألف درهم، والمدّعي ينكر أن يكون كما زعم، فهل تجب عليه الألف الدّرهم مرّة واحدة أو يجب عليه كما يقيم البيّنة به؟ وليس في الصكاك استثناء إنّما هي صكاك على وجهها؟

فأجاب عليه السلام : يؤخذ من المدّعى عليه ألف درهم، وهي الّتي لا شبهة فيها وتردُّ اليمين في الألف الباقي على المدّعي، فإن نكل فلا حقّ له.

وسأل عن طين القبر، يوضع مع الميّت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب عليه السلام : يوضع مع الميّت في قبره ويخلط بحنوطه إن شاء الله.

وسأل فقال روي لنا عن الصادق عليه السلام أنه كتب على إزار إسماعيل ابنه «إسماعيل يشهد أن لا إله إلاّ الله» فهل يجوز لنا أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟

فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك.

وسأل هل يجوز أن يسبّح الرّجل بطين القبر وهل فيه فضل؟

فأجاب عليه السلام : يسبّح به، فما من شيء من التسبيح أفضل منه، ومن فضله أنّ الرّجل ينسى التسبيح، ويدير السبحة فيكتب له التسبيح.

وسأل عن السجدة على لوح من طين القبر وهل فيه فضل؟

فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك وفيه الفضل.

وسأل عن الرّجل يزور قبور الأئمّة عليهم السلام هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز

لمن صلّى عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلةً أم يقوم عند رأسه أو رجليه؟ وهل يجوز أن يتقدّم القبر ويصلّي ويجعل القبر خلفه أم لا؟

فأجاب عليه السلام : أمّا السّجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة والّذي عليه العمل ، أن يضع خدَّه الأيمن على القبر ، وأمّا الصّلاة فإنّها خلفه ويجعل القبر أمامه ، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه ، ولا عن يمينه ، ولا عن يساره لأنَّ الإمام عليه السلام لا يتقدّم عليه ، ولا يساوى.

وسأل فقال : هل يجوز للرَّجل إذا صلّى الفريضة أو النّافلة وبيده السّبحة أن يديرها وهو في الصّلاة؟

فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك إذا خاف السّهو والغلط.

وسأل هل يجوز أن يدير السبحة بيده اليسار إذا سبّح أو لا يجوز؟

فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك والحمد لله.

وسأل فقال : روي عن الفقيه في بيع الوقوف خبر مأثور إذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم فاجتمع أهل الوقف على بيعه وكان ذلك أصلح لهم أن يبيعوه فهل يجوز أن يشتري من بعضهم إن لم يجتمعوا كلّهم على البيع؟ أم لا يجوز إلاّ أن يجتمعوا كلّهم على ذلك وعن الوقف الّذي لا يجوز بيعه.

فأجاب عليه السلام : إذا كان الوقف على إمام المسلمين فلا يجوز بيعه ، وإن كان على قوم من المسلمين ، فليبع كلٌّ قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرّقين إن شاء الله.

وسأل هل يجوز للمحرم أن يصيّر على إبطه المرتك أو التوتيا لريح العرق أم لا يجوز؟

فأجابه: يجوز ذلك.

وسأل عن الضّرير إذا أُشهد في حال صحّته على شهادة ثمَّ كُفَّ بصره ولا يرى خطّه فيعرفه ، هل تجوز شهادته وبالله التوفيق أم لا وإن ذكر هذا الضرير الشهادة هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز؟

فأجاب عليه السلام : إذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت جازت شهادته.

وسأل عن الرَّجل يوقف ضيعة أو دابّة ، ويشهد على نفسه باسم بعض وكلاء الوقف ، ثمَّ يموت هذا الوكيل أو يتغيّر أمره ، ويتولّى غيره ، هل يجوز أن يشهد الشاهد لهذا الّذي أُقيم مقامه ، إذا كان أصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك؟

فأجاب عليه السلام : لا يجوز غير ذلك لأنَّ الشهادة لم تقم للوكيل وإنّما قامت للمالك ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾.

وسأل عن الركعتين الأخراوين قد كثرت فيهما الرّوايات ، فبعض يروي أنَّ قراءة الحمد وحدها أفضل وبعض يروي أنَّ التسبيح فيهما أفضل ، فالفضل لأيّهما لنستعمله؟

فأجاب عليه السلام: قد نسخت قراءة أمّ الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح، والّذي نسخ التسبيح قول العالم عليه السلام كلُّ صلاة لا قراءة فيها فهي خداج إلاّ للعليل أو من يكثر عليه السهو، فيتخوّف بطلان الصّلاة عليه.

وسأل فقال: يتّخذ عندنا ربُّ الجوز لوجع الحلق والبحبحة يؤخذ الجوز الرطب من قبل أن ينعقد، ويدقُّ دقّاً ناعماً، ويعصر ماؤه، ويصفّى ويطبخ على النّصف، ويترك يوماً وليلة، ثمَّ ينصب على النّار، ويلقى على كلّ ستّة أرطال منه رطل عسل، ويغلى وينزع رغوته، ويسحق من النّوشادر والشبّ اليمانيّ من كلّ واحد نصف مثقال، ويداف بذلك إلى الماء، ويلقى فيه درهم زعفران مسحوق ويغلى ويؤخذ رغوته، ويطبخ حتّى يصير مثل العسل ثخيناً ثمَّ ينزل عن النّار، ويبرد ويشرب منه، فهل يجوز شربه أم لا؟

فأجاب عليه السلام: إذا كان كثيره يسكر أو يغيّر فقليله وكثيره حرام، وإن كان لا يسكر فهو حلال.

وسأل عن الرَّجل تعرض له حاجة ممّا لا يدري أن يفعلها أم لا؟ فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما «نعم افعل» وفي الآخر «لا تفعل» فيستخير الله مراراً ثمَّ يرى فيهما فيُخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتّارك له، أهو [يجوز] مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب عليه السلام: الّذي سنّه العالم عليه السلام في هذه الاستخارة بالرُّقاع والصّلاة.

وسأل عن صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام في أيّ أوقاتها أفضل أن تصلّى فيه وهل فيها قنوت؟ وإن كان ففي أيّ ركعة منها؟

فأجاب عليه السلام: أفضل أوقاتها صدر النّهار من يوم الجمعة، ثمَّ في أيّ الأيّام شئت، وأيّ وقت صلّيتها من ليل أو نهار، فهو جائز، والقنوت مرّتان في الثانية قبل الركوع والرابعة.

وسأل عن الرَّجل ينوي إخراج شيء من ماله، وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه، ثمَّ يجد في أقربائه محتاجاً أيصرف ذلك عمّن نواه له إلى قرابته؟

فأجاب عليه السلام: يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه، فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام: «لا يقبل الله الصّدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة، وبين الّذي نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كلّه.

وسأل فقال: قد اختلف أصحابنا في مهر المرأة فقال بعضهم: إذا دخل بها سقط المهر، ولا شيء لها، وقال بعضهم: هو لازم في الدُّنيا والآخرة، فكيف ذلك؟ وما الّذي يجب فيه؟

فأجاب عليه السلام: إن كان عليه بالمهر كتاب فيه دين، فهو لازم له في الدُّنيا والآخرة، وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصدقات سقط إذا دخل بها، وإن لم يكن عليه كتاب فإذا دخل بها سقط باقي الصّداق.

وسأل فقال: روي عن صاحب العسكر عليه السلام أنّه سئل عن الصّلاة في الخزّ الّذي يغشّ بوبر الأرانب، فوقّع يجوز وروي عنه أيضاً أنّه لا يجوز فأيُّ الأمرين تعمل به؟

فأجاب عليه السلام : إنّما حرم في هذه الأوبار والجلود فأمّا الأوبار وحدها فحلال وقد سئل بعض العلماء عن معنى قول الصّادق عليه السلام لا يصلّى في الثعلب ولا في الثوب الّذي يليه، فقال: إنّما عنى الجلود دون غيره.

وسأل فقال: تجد بأصفهان ثياب عُتّابيّة على عمل الوشي من قزّ وأبريسم هل تجوز الصّلاة فيها أم لا؟

فأجاب عليه السلام : لا تجوز الصّلاة إلاّ في ثوب سداه أو لحمته قطن أو كتّان.

وسأل عن المسح على الرّجلين بأيّهما يبدأ باليمين أو يمسح عليهما جميعاً؟

فأجاب عليه السلام : يمسح عليهما جميعاً معاً فإن بدأ بإحداهما قبل الأخرى فلا يبتدىء إلاّ باليمين.

وسأل عن صلاة جعفر في السّفر هل يجوز أن تصلّى أم لا؟

فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك.

وسأل عن تسبيح فاطمة عليها السلام من سها فجاز التكبير أكثر من أربع وثلاثين هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف؟ وإذا سبّح تمام سبعة وستّين هل يرجع إلى ستّة وستّين أو يستأنف؟ وما الّذي يجب في ذلك؟

فأجاب عليه السلام : إذا سها في التكبير حتّى تجاوز أربع وثلاثين عاد إلى ثلاث وثلاثين ويبني عليها، وإذا سها في التسبيح فتجاوز سبعاً وستّين تسبيحة، عاد إلى ستّ وستّين، وبنى عليها، فإذا جاوز التحميد مائة فلا شيء عليه[1].

٥ - ج: وعن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنّه قال: خرج توقيع من الناحية المقدّسة - حرسها الله تعالى - بعد المسائل:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، لا لأمر الله تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، «حكمة بالغة، فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون». السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى: «سلام على آل يس، السلام عليك يا داعي الله، وربّاني آياته، السلام عليك يا باب الله وديّان دينه، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقّه، السلام عليك يا حجّة الله ودليل إرادته السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه، السلام عليك في آناء ليلك وأطراف نهارك السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه. السلام عليك يا ميثاق الله الّذي أخذه ووكّده. السلام عليك يا وعد الله الّذي ضمنه.

---

(١) الإحتجاج، ص ٤٨٨.

السلام عليك أيّها العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث والرحمة الواسعة وعد غير مكذوب، السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبين. السلام عليك حين تصلّي وتقنت، السلام عليك حين تركع وتسجد، السلام عليك حين تحمد وتستغفر، السلام عليك حين تهلّل وتكبّر، السلام عليك حين تصبح وتمسي، السلام عليك في اللّيل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى. السلام عليك أيّها الإمام المأمون، السلام عليك أيّها المقدّم المأمول، السلام عليك بجوامع السلام.

أُشهدُ مواليّ أنّي أشهدك يا مولاي أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، لا حبيب إلاّ هو وأهله، وأُشهدك أنّ أمير المؤمنين حجّته، والحسن حجّته، والحسين حجّته، وعليّ بن الحسين حجّته، ومحمّد بن عليّ حجّته، وجعفر بن محمّد حجّته، وموسى بن جعفر حجّته، وعليّ بن موسى حجّته ومحمّد بن عليّ حجّته، وعليّ بن محمّد حجّته، والحسن بن عليّ حجّته.

وأشهد أنّك حجّة الله، أنتم الأوّل والآخر، وأنّ رجعتكم حقٌّ لا ريب فيها، يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً وأنّ الموت حقٌّ، وأنّ ناكراً ونكيراً حقٌّ. وأشهد أنّ النشر والبعث حقٌّ، وأنّ الصراط والمرصاد حقٌّ، والميزان والحساب حقٌّ، والجنّة والنار حقٌّ، والوعد والوعيد بهما حقٌّ.

يا مولاي شقي من خالفكم، وسعد من أطاعكم، فأشهد على ما أشهدتك عليه وأنا وليٌّ لك، بريء من عدوّك، فالحقُّ ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه، فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له وبرسوله وبأمير المؤمنين وبكم يا مولاي أوّلكم وآخركم، ونصرتي معدّة لكم ومودّتي خالصةٌ لكم. آمين آمين.

الدُّعاء عقيب هذا القول:

اللّهمّ إنّي أسالك أن تصلّي على محمّد نبيّ رحمتك، وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الإيمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور العلم وقوّتي نور العمل، ولساني نور الصدق، وديني نور البصائر من عندك، وبصري نور الضياء، وسمعي نور الحكمة، ومودّتي نور الموالاة لمحمّد وآله عليهم السلام حتّى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك، فتغشيني رحمتك يا وليّ يا حميد.

اللّهمّ صلّ على محمّد بن الحسن حجّتك في أرضك، وخليفتك في بلادك والداعي إلى سبيلك، والقائم بقسطك، والثائر بأمرك؛ وليّ المؤمنين، وبوار الكافرين، ومجلي الظلمة، ومنير الحقّ، والناطق بالحكمة والصدق، وكلمتك التامّة في أرضك، المرتقب الخائف، والوليّ الناصح، سفينة النجاة، وعلم الهدى ونور أبصار الورى، وخير من تقمّص وارتدى، ومجلي الغمّات، الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً إنّك على

كلِّ شيء قدير. اللّهمَّ صلِّ على وليّك وابن أوليائك، الّذين فرضت طاعتهم، وأوجبت حقّهم، وأذهبت عنهم الرِّجس وطهّرتهم تطهيراً. اللّهمَّ انصره وانتصر به لدينك، وانصر به أولياءك وأولياءه وشيعته وأنصاره واجعلنا منهم.

اللّهمَّ أعذه من شرِّ كلِّ باغ وطاغ، ومن شرِّ جميع خلقك، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، واحرسه وامنعه من أن يوصل إليه بسوء واحفظ فيه رسولك وآل رسولك، وأظهر به العدل، وأيّده بالنصر، وانصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفر، واقتل به الكفّار والمنافقين، وجميع الملحدين، حيث كانوا من مشارق الأرض ومغاربها برِّها وبحرها، واملأ به الأرض عدلاً، وأظهر به دين نبيّك محمّد، واجعلني اللّهمَّ من أنصاره وأعوانه وأتباعه وشيعته، وأرني في آل محمّد عليهم السلام ما يأملون، وفي عدوِّهم ما يحذرون، إله الحقِّ آمين، يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين[١].

أقول: قال مؤلّف المزار الكبير: حدَّثنا الشيخ الأجلُّ الفقيه العالم أبو محمّد عربيُّ بن مسافر العبادي رحمه الله قراءة عليه بداره بالحلّة في شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وحدَّثني الشيخ العفيف أبو البقاء هبة الله بن نماء بن عليِّ بن حمدون رحمه الله قراءة عليه أيضاً بالحلّة قالا جميعاً: حدَّثنا الشيخ الأمين أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمّد بن عليِّ بن طحّال المقدادي رحمه الله بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، في الطرز الكبير الّذي عند رأس الإمام عليه السلام في العشر الأواخر من ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة قال: حدَّثنا الشيخ الأجلُّ المفيد أبو علي الحسن بن محمّد الطوسيُّ رحمه الله بالمشهد المذكور على صاحبه أفضل السلام في الطرز المذكور في العشر الأواخر من ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة.

قال: حدَّثنا السيّد السعيد الوالد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيُّ رحمه الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن أشناس البزّاز، قال: أخبرنا أبو الحسين محمّد بن أحمد بن يحيى القميُّ قال: حدَّثنا محمّد بن عليِّ بن زنجويه القميُّ قال: حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريُّ.

قال أبو علي الحسن بن أشناس: وأخبرنا أبو المفضّل محمّد بن عبد الله الشيبانيُّ أنَّ أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريَّ أخبره وأجاز له جميع ما رواه أنّه خرج إليه من الناحية المقدَّسة حرسها الله بعد المسائل والصلاة والتوجّه (توقيع ظ) أوّله: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم لا لأمر الله تعقلون[٢] وذكر نحواً ممّا مرَّ مع اختلاف أوردناه في كتاب المزار في باب زيارة القائم عليه السلام، وإنّما أوردنا سنده ههنا ليعلم أسانيد تلك التوقيعات.

(١) الإحتجاج، ص ٤٩٢.
(٢) كتاب المزار، ص ٨١٣.

٦- **أقول:** ثمَّ قال في الكتاب المذكور: قال أبو عليٍّ الحسن بن أشناس: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد الدعجليّ، عن حمزة بن محمّد بن الحسن بن شبيب، عن أحمد بن إبراهيم قال: شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان شوقي إلى رؤية مولانا عليه السلام فقال لي: مع الشوق تشتهي أن تراه؟ فقلت له: نعم، فقال لي: شكر الله لك شوقك، وأراك وجهه في يسر وعافية، لا تلتمس يا أبا عبد الله أن تراه فإنّ أيّام الغيبة يشتاق إليه، ولا يسأل الاجتماع معه، إنها عزائم الله، والتسليم لها أولى ولكن توجّه إليه بالزيارة، فأمّا كيف يعمل وما أملاه عند محمّد بن عليّ فانسخوه من عنده وهو التوجّه إلى الصاحب بالزّيارة بعد صلاة اثنتي عشرة ركعة تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في جميعها ركعتين ركعتين ثمّ تصلّي على محمّد وآله، وتقول قول الله جلّ اسمه: سلام على آل ياسين، ذلك هو الفضل المبين من عند الله، والله ذو الفضل العظيم، إمامه من يهديه صراطه المستقيم، قد آتاكم الله خلافته يا آل ياسين.

وذكرنا في الزّيارة وصلّى الله على سيّدنا محمد النبيّ وآله الطاهرين(١).

٧- ج: ذكر كتاب ورد من الناحية المقدّسة حرسها الله ورعاها في أيّام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة على الشيخ أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان قدّس الله روحه ونوّر ضريحه، ذكر موصله أنّه تحمله من ناحية متّصلة بالحجاز نسخته:

للأخ السديد، والوليّ الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد، سلام عليك أيّها المولى المخلص في الدّين المخصوص فينا باليقين، فإنّا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا نبيّنا محمّد وآله الطاهرين ونعلمك أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق، أنّه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قِبلك، أعزّهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته.

فقف أمدّك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه، على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله، نحن وإن كنّا ثاوين بمكاننا النّائي عن مساكن الظالمين حسب الّذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدُّنيا للفاسقين، فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلل الّذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم

(١) كتاب المزار، ص ٨٣٧.

الأعداء، فاتّقوا الله جلَّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمَّ أجله، ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، والله متمٌّ نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقيّة من شبِّ نار الجاهليّة، يحششها عصب أمويّة تهول بها فرقة مهديّة أنا زعيم بنجاة من لم يرم منها المواطن الخفيّة، وسلك في الظعن منها السبل الرضيّة، إذا حلَّ جُمادى الأولى من سنتكم هذه، فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون من الّذي يليه، ستظهر لكم من السماء آية جليّة ومن الأرض مثلها بالسويّة، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق، يضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق.

ثمَّ تتفرج الغمّة من بعد، ببوار طاغوت من الأشرار، يسرُّ بهلاكه المتّقون الأخيار، ويتّفق لمريدي الحجِّ من الآفاق، ما يأملونه على توفير غلبة منهم واتّفاق، ولنا في تيسير حجّهم على الاختيار منهم والوفاق، شأنٌ يظهر على نظام واتّساق، فيعمل كلُّ امرىء منكم ما يقرب به من محبّتنا وليتجنّب ما يدنيه من كراهتنا، وسخطنا، فإنَّ أمرنا يبغته فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمك الرُّشد، ويلطف لكم بالتوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام.

هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الوليُّ، والمخلص في ودِّنا الصفيُّ، والناصر لنا الوفيُّ، حرسك الله بعينه الّتي لا تنام، فاحتفظ به ولا تظهر على خطّنا الّذي سطرناه بما له ضمنّاه أحداً، وادِّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين[1].

إيضاح: «الشاسع»: البعيد و«الانتياش» التناول «وحمَّ» على بناء المجهول أي قدِّر، و«يحمى» على بناء المعلوم أو المجهول من الحماية والدَّفع، وتقول: «حششت النار» أحشُّها إذا أوقدتها.

٨ - **ج:** ورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة نسخته:

من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحقِّ ودليله.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم سلام عليك أيّها الناصر للحقِّ الداعي إلى كلمة الصدق، فإنّا نحمد الله إليك الّذي لا إله إلاّ هو، إلهنا وإله آبائنا الأوَّلين ونسأله الصلاة على نبيّنا وسيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٩٧.

وبعد: فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الّذي وهبه لك من أوليائه وحرسك من كيد أعدائه، وشفّعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا، ينصب في شمراخ من بهماء صرنا إليه آنفاً من غماليل ألجأ إليه السباريت من الإيمان، ويوشك أن يكون هبوطنا منه إلى صحصح من غير بعد من الدّهر، ولا تطاول من الزمان، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال، فتعرف بذلك ما تعتمده من الزّلفة إلينا بالأعمال والله موفّقك لذلك برحمته.

فلتكن حرسك الله بعينه الّتي لا تنام أن تقابل لذلك، ففيه تبسل نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين وتبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون.

وآية حركتنا من هذه اللّوثة حادثة بالحرم المعظّم، من رجس منافق مذمّم، مستحلّ للدّم المحرّم، يعمد بكيده أهل الايمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظّلم لهم والعدوان، لأنّنا من وراء حفظهم بالدُّعاء الّذي لا يحجب عن ملك الأرض والسّماء، فلتطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة لجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم، ما اجتنبوا المنهيّ عنه من الذُّنوب.

ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص المجاهد فينا الظالمين، أيّدك الله بنصره الّذي أيّد به السّلف من أوليائنا الصّالحين، أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدّين وخرج عليه بما هو مستحقّه كان آمناً من الفتنة المظلّة، ومحنها المظلمة المضلّة، ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته، على من أمره بصلته، فإنّه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته، ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيّدنا البشير النذير، محمّد وآله الطاهرين وسلّم، وكتب في غرّة شوّال من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها، هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العليّ بإملائنا وخطّ ثقتنا فأخفه عن كلّ أحد، واطوه واجعل له نسخة يطّلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا، شملهم الله ببركتنا [ودعائنا] إن شاء الله، والحمد لله والصّلاة على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين(١).

توضيح: «الشمراخ» رأس الجبل، وفي العبارة تصحيف ولعلّه كان هكذا «وشفعنا لك الآن» أي لننجح حاجتك الّتي طلبت «في مستقر لنا» أي مخيّم تنصب لنا في رأس جبل «من مفازة بهماء» أي مجهولة «والغماليل» جمع الغملول بالضمّ وهو الوادي أو الشجر أو كلّ

---

(١) الإحتجاج، ص ٤٩٩.

مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة «والسّباريت» جمع السُّبروت بالضمّ، وهو القفر لا نبات فيه، والفقير ولعلَّ الأخير أنسب و«أبسلت فلاناً» أسلمته للهلكة و«اللّوثة» بالضمِّ الاسترخاء والبطء وكانت النسخ سقيمة أوردناه كما وجدنا.

التوقيع الذي خرج فيمن ارتاب فيه صلوات الله عليه

٩ - ج: عن الشيخ الموثّق أبي عمر العامريِّ رحمه الله قال: تشاجر ابن أبي غانم القزوينيّ وجماعة من الشيعة في الخلف فذكر ابن أبي غانم أنَّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولا خلف له ثمَّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموا بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطّه صلّى الله عليه وعلى آبائه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، عافانا الله وإيّاكم من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب، إنّه أُنهي إليَّ ارتياب جماعة منكم في الدِّين، وما دخلهم من الشكِّ والحيرة في ولاة أمرهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا وساونا فيكم لا فينا، لأنَّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحقُّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا، ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائعنا. يا هؤلاء ما لكم في الرَّيب تتردَّدون وفي الحيرة تنعكسون أوما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] أوما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمّتكم على الماضين والباقين منهم عليهم السلام؟ أوما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي عليه السلام كلّما غاب عَلم بدا عَلم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أنَّ الله أبطل دينه، وقطع السّبب بينه وبين خلقه، كلاّ ما كان ذلك ولا يكون، حتّى تقوم السّاعة، ويظهر أمر الله وهم كارهون.

وإنَّ الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النّعل بالنّعل وفينا وصيّته وعلمه، ومن هو خلفه، ومن يسدُّ مسدَّه، ولا ينازعنا موضعه إلاّ ظالم آثم، ولا يدَّعيه دوننا إلاّ جاحد كافر، ولولا أنَّ أمر الله لا يغلب، وسرَّه لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقّنا ما تبهر منه عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنّه ما شاء الله كان، ولكلٍّ أجل كتاب.

فاتّقوا الله، وسلّموا لنا، وردُّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار، كما كان منّا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غُطّي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين، وتعدلوا إلى اليسار، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودَّة على السنّة الواضحة، فقد نصحت لكم والله شاهد عليَّ وعليكم، ولولا ما عندنا من محبّة صلاحكم ورحمتكم، والإشفاق عليكم، لكنّا عن مخاطبتكم في شغل ممّا قد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

امتحنّا من منازعة الظّالم العتلّ الضّالّ المتابع في غيّه، المضادّ لربّه، المدّعي ما ليس له، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته، الظّالم الغاصب.

وفي ابنة رسول الله ﷺ لي أسوة حسنة، وسيُردي الجاهل رداءة عمله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء، والآفات والعاهات كلّها برحمته فإنّه وليّ ذلك، والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً والسّلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين، ورحمة الله وبركاته وصلّى الله على محمّد النبيّ وسلّم تسليماً(١).

غط: جماعة، عن التلّعكبريّ، عن أحمد بن عليّ الرازيّ، عن الحسين بن محمّد القميّ، عن محمّد بن عليّ بن زيبان الطّلحي الآبي، عن عليّ بن محمّد بن عبدة النيسابوري، عن عليّ بن إبراهيم الرازيّ قال: حدّثني الشيخ الموثوق به بمدينة السّلام قال: تشاجر ابن أبي غانم إلى آخر الخبر(٢).

بيان: «الصنيعة» من تصطنعه وتختاره لنفسك، و«الظالم العتلّ» جعفر الكذّاب، ويحتمل خليفة ذلك الزّمان.

١٠ - **ج:** محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمّد بن عثمان العمريّ رحمه الله أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزّمان عليه السلام:

أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، من أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح، وأمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام وأمّا الفقّاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب وأمّا أموالكم فما نقبلها إلاّ لتطهروا فمن شاء فليصل، ومن شاء فليقطع فما آتانا الله خير ممّا آتاكم.

وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله وكذب الوقّاتون.

وأمّا قول من زعم أنّ الحسين عليه السلام لم يقتل، فكفر وتكذيب وضلال.

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم.

وأمّا محمّد بن عثمان العمريّ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي.

وأمّا محمّد بن عليّ بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله قلبه، ويزيل عنه شكّه.

وأمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلاّ لما طاب وطهر، وثمن المغنّية حرام.

وأمّا محمّد بن شاذان بن نعيم فإنّه رجل من شيعتنا أهل البيت.

---

(١) الإحتجاج، ص ٤٦٩.
(٢) الغيبة للطوسي، ص ٢٨٥ ح ٢٤٥.

وأمّا أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع فانّه ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم فإنّي منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم براء.

وأمّا المتلبّسون بأموالنا فمن استحلّ شيئاً منها فأكله فإنّما يأكل النيران.

وأمّا الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

وأمّا ندامة قوم شكّوا في دين الله على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال ولا حاجة لنا إلى صلة الشاكّين.

وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[1] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعه لطاغية زمانه وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم وأكثروا الدّعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسّلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى[2].

غط: جماعة، عن ابن قولويه وأبي غالب الزّراريّ وغيرهما عن الكلينيّ عن إسحاق بن يعقوب مثله.

ك: ابن عصام عن الكلينيّ، عن إسحاق بن يعقوب مثله.

١١ - **ج:** عن أبي الحسين محمّد بن جعفر الأسديّ قال: كان فيما ورد عليّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ قدّس الله روحه في جواب مسائلي إلى صاحب الزّمان عليه السلام: أمّا ما سألت عنه من الصّلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، فلئن كان كما يقولون إنّ الشمس تطلع من بين قرني شيطان، وتغرب بين قرني شيطان، فما أرغم أنف الشيطان بشيء مثل الصّلاة، فصلّها وأرغم أنف الشيطان.

وأمّا ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا وما يجعل لنا ثمّ يحتاج إليه صاحبه، فكلّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار، وكلّ ما سلّم فلا خيار لصاحبه فيه احتاج أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه.

وأمّا ما سألت عنه من أمر من يستحلّ ما في يده من أموالنا أو يتصرّف فيه تصرّفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماؤه يوم القيامة وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون على لساني ولسان كلّ نبيّ مجاب، فمن ظلمنا كان في

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) الإحتجاج، ص ٤٦٨.

جملة الظالمين لنا وكانت لعنة الله عليه، لقوله عزّوجلّ : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأمّا ما سألت عنه من أمر المولود الّذي نبتت قلفته بعد ما يختن، هل يختن مرّة أخرى؟ فإنّه يجب أن تقطع قلفته [مرّة أخرى] فإنّ الأرض تضجّ إلى الله عزّوجلّ من بول الأغلف أربعين صباحاً.

وأمّا ما سألت عنه من أمر المصلّي، والنار والصّورة والسّراج بين يديه هل تجوز صلاته، فإنّ الناس اختلفوا في ذلك قِبلك؟ فإنّه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأوثان والنيران، يصلّي والصّورة والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنيران.

وأمّا ما سألت عنه من أمر الضياع الّتي لناحيتنا هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها، وصرف ما يفضل من دخلها إلى النّاحية، احتساباً للأجر، وتقرّباً إليكم، فلا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه، فكيف يحلّ ذلك في مالنا، من فعل شيئاً من ذلك بغير أمرنا فقد استحلّ منّا ما حرّم عليه، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً.

وأمّا ما سألت عنه من أمر الرّجل الّذي يجعل لناحيتنا ضيعة، ويسلّمها من قيّم يقوم بها ويعمرها، ويؤدّي من دخلها خراجها ومؤنتها، ويجعل ما يبقى من الدّخل لناحيتنا، فإنّ ذلك جائز لمن جعله صاحب الضّيعة قيّماً عليها إنّما لا يجوز ذلك لغيره.

وأمّا ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمرّ به المارّ، فيتناول منه ويأكل هل يحلّ له ذلك؟ فإنّه يحلّ له أكله، ويحرم عليه حمله[1].

ك: محمّد بن أحمد الشيبانيّ، وعليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام، وعليّ بن عبد الله الورّاق جميعاً، عن محمّد بن جعفر الأسدي مثله[2].

١٢ - **ك:** أبو جعفر محمّد بن محمّد الخزاعيّ رحمه الله قال: حدّثنا أبو عليّ بن أبي الحسين الأسدي، عن أبيه قال: ورد عليّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ قدّس الله روحه ابتداءً لم يتقدّمه سؤال: بسم الله الرّحمن الرّحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحلّ من أموالنا درهماً.

قال أبو الحسين الأسديّ رحمه الله : فوقع في نفسي أنّ ذلك فيمن استحلّ من مال النّاحية درهماً دون من أكل منه غير مستحلّ له. وقلت في نفسي: إنّ ذلك في جميع من استحل محرّماً فأيّ فضل في ذلك للحجّة عليه السلام على غيره، قال: فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما كان في نفسي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً حراماً.

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٧٩. (٢) كمال الدين، ص ٤٨٠.

قال أبو جعفر محمّد بن محمّد الخزاعيّ رحمه الله: أخرج إلينا أبو عليّ بن أبي الحسين الأسديّ هذا التوقيع حتّى نظرنا فيه وقرأناه[١].

ج: عن أبي الحسين الأسدي مثله. «ص ٤٧٠».

١٣ - **ك:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ وحيدر بن محمّد، عن العياشيّ، عن آدم بن محمّد البلخيّ، عن عليّ بن الحسين الدقّاق، وإبراهيم بن محمّد معاً، عن عليّ بن عاصم الكوفيّ قال: خرج في توقيعات صاحب الزّمان عليه السلام: ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس[٢].

١٤ - **ك:** محمّد بن إبراهيم بن إسحاق قال: سمعت أبا علي محمّد بن همام يقول: سمعت محمّد بن عثمان العمريّ قدّس الله روحه يقول: خرج توقيع بخطّه أعرفه: من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله، وكتبت أسأله عن ظهور الفرج فخرج في التوقيع: كذب الوقّاتون[٣].

١٥ - **ك:** أبي وابن الوليد معاً، عن الحميريّ، عن محمّد بن صالح الهمدانيّ قال: كتبت إلى صاحب الزّمان عليه السلام إنّ أهل بيتي يؤذونني ويقرعونني بالحديث المرويّ عن آبائك عليهم السلام أنّهم قالوا: «قوّامنا وخدّامنا شرار خلق الله» فكتب عليه السلام ويحكم أما قرأتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ ونحن والله القرى الّتي بارك الله فيها وأنتم القرى الظاهرة.

قال عبد الله بن جعفر: وحدّثني بهذا الحديث عليُّ بن محمّد الكلينيُّ، عن محمّد بن صالح، عن صاحب الزّمان عليه السلام[٤].

١٦ - **ك:** ابن الوليد، عن سعد، عن علاّن، عن محمّد بن جبرائيل، عن إبراهيم ومحمّد ابني الفرج، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار أنّه ورد العراق شاكّاً مرتاداً فخرج إليه: قل للمهزيار قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتكم، فقل لهم أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٥] هل أمر إلاّ بما هو كائن إلى يوم القيامة أو لم تروا أنّ الله عزّ وجلّ جعل لهم معاقل يأوون إليها وأعلاماً يهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي صلوات الله عليه كلّما غاب عَلم بدا عَلم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلمّا قبضه الله عزّ وجلّ إليه، ظننتم أنّ الله قد قطع السبب بينه وبين خلقه، كلاّ ما كان ذلك، ولا يكون حتّى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله وهم كارهون.

يا محمّد بن إبراهيم لا يدخلك الشكُّ فيما قدمت له فإنّ الله لا يخلي الأرض من حجّة،

---

(١) كمال الدين، ص ٤٣٩ باب ٤٥ ح ٤. (٢) - (٤) كمال الدين، ص ٤٣٨ باب ٤٥ ح ١-٣

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

أليس قال لك أبوك قبل وفاته أحضر الساعة من يعيّر هذه الدنانير الّتي عندي فلمّا أبطأ ذلك عليه، وخاف الشيخ على نفسه الوحا قال لك: عيّرها على نفسك وأخرج إليك كيساً كبيراً وعندك بالحضرة ثلاثة أكياس وصرّة فيها دنانير مختلفة النقد، فعيّرتها وختم الشيخ عليها بخاتمه، وقال لك اختم مع خاتمي فإن أعش فأنا أحقُّ بها، وإن أمت فاتّق الله في نفسك أوّلاً ثمّ فيَّ فخلّصني، وكن عند ظنّي بك.

أخرج رحمك الله الدّنانير الّتي استفضلتها من بين النقدين من حسابنا وهي بضعة عشر ديناراً واستردَّ من قبلك فإنَّ الزمان أصعب ما كان، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

١٧ - **ك:** قال الحسين بن إسماعيل الكنديُّ: كتب جعفر بن حمدان فخرجت إليه هذه المسائل: استحللت بجارية وشرطت عليها أن لا أطلب ولدها ولم ألزمها منزلي، فلمّا أتى لذلك مدَّة قالت لي: قد حبلت، فقلت لها: كيف ولا أعلم أنّي طلبت منك الولد، ثمَّ غبت وانصرفت، وقد أتت بولد ذكر، فلم أنكره ولا قطعت عنها الإجراء والنفقة، ولي ضيعة قد كنت قبل أن تصير إليَّ هذه المرأة سبلتها على وصاياي، وعلى سائر ولدي، على أنَّ الأمر في الزيادة والنقصان منه إليَّ أيام حياتي، وقد أتت هذه بهذا الولد، فلم ألحقه في الوقت(٢) المتقدِّم المؤبّد وأوصيت إن حدث بي الموت أن يجري عليه ما دام صغيراً، فإذا كبر أعطي من هذه الضيعة جملة مائتي دينار غير مؤبّد، ولا يكون له ولا لعقبه بعد إعطائه ذلك في الوقف شيء فرأيك أعزَّك الله في إرشادي فيما عملته، وفي هذا الولد بما أمتثله والدُّعاء لي بالعافية وخير الدُّنيا والآخرة.

جوابها أمّا الرَّجل الّذي استحلَّ بالجارية وشرط عليها أن لا يطلب ولدها فسبحان من لا شريك له في قدرته شرط على الجارية شرط على الله عزَّ وجلَّ؟ هذا ما لا يؤمن أن يكون، وحيث عرض في هذا الشكُّ، وليس يعرف الوقت الّذي أتاها فيه، فليس ذلك بموجب البراءة في ولده، وأما إعطاء المائتي دينار وإخراجه من الوقف، فالمال ماله فعل فيه ما أراد.

قال أبو الحسين: حسب الحساب [قبل المولود] فجاء الولد مستوياً.

وقال: وجدت في نسخة أبي الحسن الهمداني: أتاني أبقاك الله كتابك الّذي أنفذته، وروى هذا التوقيع الحسن بن عليِّ بن إبراهيم عن الشاريّ(٣).

بيان: «شرط على الجارية» مبتدأ و«شرط على الله» خبر أو هما فعلان، والأوّل استفهام إنكاريٌّ وقوله قال أبو الحسين، إلى آخره كأنه إشارة إلى توقيعات أخر إجمالاً.

١٨ - **ك:** أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتّب قال: حدَّثنا أبو عليِّ بن همام بهذا الدُّعاء

---

(١) كمال الدين، ص ٤٤٢ باب ٤٥ ح ٨. (٢) الظاهر: الوقف.

(٣) كمال الدين، ص ٤٥٣ باب ٤٥ ح ٢٥.

وذكر أنَّ الشيخ قدّس الله روحه أملاه عليه، وأمره أن يدعو به، وهو الدُّعاء في غيبة القائم عليه السلام :

اللّهمَّ عرِّفني نفسك فإنّك إن لم تعرِّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللّهمَّ عرِّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرِّفني رسولك، لم أعرف حجّتك، اللّهمَّ عرِّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرِّفني حجّتك، ضللت عن ديني.

اللّهمَّ لا تمتني ميتة جاهليّة، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللّهمَّ فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته عليَّ من ولاة أمرك بعد رسولك، صلواتك عليه وآله، حتّى واليت ولاة أمرك أمير المؤمنين، والحسن والحسين، وعليّاً ومحمّداً وجعفراً وموسى وعليّاً ومحمّداً وعليّاً والحسن والحجّة القائم المهديَّ صلواتك عليهم أجمعين اللّهمَّ فثبّتني على دينك، واستعملني بطاعتك، وليّن قلبي لوليِّ أمرك وعافني ممّا امتحنت به خلقك، وثبّتني على طاعة وليِّ أمرك الّذي سترته عن خلقك فبإذنك غاب عن بريّتك، وأمرك ينتظر، وأنت العالم غير معلّم بالوقت الّذي فيه صلاح أمر وليّك في الإذن له، بإظهار أمره وكشف سرِّه، وصبّرني على ذلك حتّى لا أحبَّ تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت، ولا أكشف عمّا سترته ولا أبحث عمّا كتمته، ولا أنازعك في تدبيرك، ولا أقول لم وكيف؟ وما بال وليِّ أمر الله لا يظهر؟ وقد امتلأت الأرض من الجور، وأفوّض أموري كلّها إليك.

اللّهمَّ إنّي أسألك أن تريني وليَّ أمرك ظاهراً نافذاً لأمرك، مع علمي بأنَّ لك السلطان، والقدرة والبرهان، والحجّة والمشيئة، والإرادة والحول والقوّة فافعل ذلك بي وبجميع المؤمنين حتّى ننظر إلى وليّك ظاهر المقالة، واضح الدلالة هادياً من الضلالة، شافياً من الجهالة، أبرز يا ربِّ مشاهده، وثبّت قواعده واجعلنا ممّن تقرُّ عيننا برؤيته، وأقمنا بخدمته، وتوفّنا على ملّته، واحشرنا في زمرته.

اللّهمَّ أعذه من شرِّ جميع ما خلقت وبرأت وذرأت وأنشأت وصوّرت، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، بحفظك الّذي لا يضيع من حفظته به، واحفظ فيه رسولك ووصيَّ رسولك.

اللّهمَّ ومدَّ في عمره، وزد في أجله، وأعنه على ما أوليته واسترعيته، وزد في كرامتك له، فإنّه الهادي المهديُّ، القائم المهتدي، الطاهر، التقيُّ، النقيُّ الزكيُّ، الرضيُّ، المرضيُّ، الصابر، المجتهد، الشكور.

اللّهمَّ ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته، وانقطاع خبره عنّا، ولا تنسنا ذكره وانتظاره والإيمان به، وقوّة اليقين في ظهوره، والدُّعاء له والصلاة عليه حتّى لا يقنطنا طول غيبته من ظهوره وقيامه، ويكون يقيننا في ذلك كيقيننا في قيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وما جاء به من وحيك وتنزيلك، قوِّ قلوبنا على الإيمان به حتّى تسلك بنا على يده منهاج الهدى، والمحجّة

العظمى، والطريقة الوسطى، وقوّنا على طاعته، وثبّتنا على مشايعته، واجعلنا في حزبه وأعوانه وأنصاره، والراضين بفعله ولا تسلبنا ذلك في حياتنا، ولا عند وفاتنا، حتّى تتوفّانا، ونحن على ذلك غير شاكّين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مكذّبين.

اللّهمّ عجّل فرجه، وأيّده بالنصر، وانصر ناصريه، واخذل خاذليه، ودمدم على من نصب له وكذّب به، وأظهر به الحقّ وأمت به الجور، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذلّ، وانعش به البلاد، واقتل به الجبابرة الكفرة، واقصم به رؤوس الضلالة، وذلّل به الجبّارين والكافرين، وأبر به المنافقين والناكثين، وجميع المخالفين والملحدين، في مشارق الأرض ومغاربها، وبحرها وبرّها، وسهلها وجبلها، حتّى لا تدع منهم ديّاراً، ولا تبقي لهم آثاراً، وتطهّر منهم بلادك.

واشف منهم صدور عبادك، وجدّد به ما امتحى من دينك، وأصلح به ما بدّل من حكمك، وغيّر من سنّتك، حتّى يعود دينك به وعلى يده غضّاً جديداً صحيحاً لا عوج فيه، ولا بدعة معه، حتّى تطفىء بعدله نيران الكافرين، فإنّه عبدك الّذي استخلصته لنفسك، وارتضيته لنصرة دينك، واصطفيته بعلمك، وعصمته من الذنوب وبرّأته من العيوب، وأطلعته على الغيوب، وأنعمت عليه، وطهّرته من الرّجس، ونقّيته من الدّنس.

اللّهمّ فصلّ عليه وعلى آبائه الأئمّة الطاهرين، وعلى شيعتهم المنتجبين وبلّغهم من آمالهم أفضل ما يأملون، واجعل ذلك منّا خالصاً من كلّ شكّ وشبهة ورياء وسمعة، حتّى لا نريد به غيرك، ولا نطلب به إلاّ وجهك.

اللّهمّ إنّا نشكو إليك فقد نبيّنا، وغيبة وليّنا، وشدّة الزمان علينا ووقوع الفتن [بنا]، وتظاهر الأعداء [علينا]، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا. اللّهمّ فافرج ذلك بفتح منك تعجّله وبصبر منك تيسّره، وإمام عدل تظهره إله الحقّ ربّ العالمين. اللّهمّ إنّا نسألك أن تأذن لوليّك في إظهار عدلك في عبادك وقتل أعدائك في بلادك حتّى لا تدع للجور دعامة إلاّ قصمتها ولا بنية إلاّ أفنيتها ولا قوّة إلاّ أوهنتها، ولا ركناً إلاّ هدّته، ولا حدّاً إلاّ فللته، ولا سلاحاً إلاّ كللته، ولا راية إلاّ نكّستها، ولا شجاعاً إلاّ قتلته، ولا حيّاً إلاّ خذلته. وارمهم يا ربّ بحجرك الدامغ، واضربهم بسيفك القاطع، وبيأسك الّذي لا يردّ عن القوم المجرمين، وعذّب أعداءك وأعداء دينك وأعداء رسولك، بيد وليّك وأيدي عبادك المؤمنين.

اللّهمّ اكف وليّك وحجّتك في أرضك هول عدوّه، وكد من كاده، وامكر بمن مكر به، واجعل دائرة السوء على من أراد به سوءاً، واقطع عنه مادّتهم وأرعب له قلوبهم، وزلزل به أقدامهم، وخذهم جهرة وبغتة. شدّد عليهم عقابك، وأخزهم في عبادك، والعنهم في بلادك، وأسكنهم أسفل نارك، وأحط بهم أشدّ عذابك، وأصلهم ناراً، واحش قبور موتاهم ناراً، وأصلهم حرّ نارك، فإنّهم أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات، وأذلّوا عبادك.

اللّهمَّ وأحي بوليّك القرآن، وأرنا نوره سرمداً لا ظلمة فيه، وأحي به القلوب الميتة، واشف به الصدور الوغرة، واجمع به الأهواء المختلفة على الحقّ وأقم به الحدود المعطّلة، والأحكام المهملة، حتّى لا يبقى حقٌّ إلاّ ظهر، ولا عدل إلاّ زهر، واجعلنا يا ربِّ من أعوانه، وممّن يقوّي سلطانه، والمؤتمرين لأمره والراضين بفعله، والمسلّمين لأحكامه، وممّن لا حاجة به إلى التقيّة من خلقك.

أنت يا ربِّ الّذي تكشف السوء، وتجيب المضطرَّ إذا دعاك، وتنجي من الكرب العظيم، فاكشف الضرَّ عن وليّك، واجعله خليفتك في أرضك كما ضمنت له.

اللّهمَّ ولا تجعلنا من خصماء آل محمّد، ولا تجعلنا من أعداء آل محمّد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيظ على آل محمّد، فإنّي أعوذ بك من ذلك فأعذني، وأستجير بك فأجرني. اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني بهم فائزاً عندك في الدُّنيا والآخرة ومن المقرَّبين(١).

١٩ - ك: توقيع منه عليه السلام كان خرج إلى العمريّ وابنه رضي الله عنهما رواه سعد بن عبد الله قال الشيخ أبو جعفر رضي الله عنه : وجدته مثبتاً بخطّ سعد بن عبد الله رضي الله عنه .

وفّقكما الله لطاعته، وثبّتكما على دينه، وأسعدكما بمرضاته، انتهى إلينا ما ذكرتما أنّ الميثميّ أخبركما عن المختار، ومناظرته من لقي، واحتجاجه بأن لا خلف غير جعفر بن عليّ، وتصديقه إيّاه، وفهمت جميع ما كتبتما به ممّا قال أصحابكما عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال، ومرديات الفتن، فإنّه عزّ وجلّ يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾.

كيف يتساقطون في الفتنة، ويتردّدون في الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالاً فارقوا دينهم أم ارتابوا، أم عاندوا الحقّ أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا، أما تعلمون أنّ الأرض لا تخلو من حجّة إمّا ظاهراً، وإمّا مغموراً، أو لم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عزّ وجلّ إلى الماضي - يعني الحسن بن عليّ - صلوات الله عليه، فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم.

كان نوراً ساطعاً وقمراً زاهراً، اختار الله عزّ وجلّ له ما عنده، فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النّعل بالنّعل، على عهد عهده، ووصيّة أوصى بها إلى وصيّ ستره الله عزّ وجلّ بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئته، للقضاء السابق والقدر النافذ، وفينا موضعه، ولنا فضله، ولو قد أذن الله عزّ وجلّ فيما قد منعه [عنه] وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه، لأراهم الحقّ ظاهراً

---

(١) كمال الدين، ص ٤٦٤ باب ٤٥ ح ٤٣.

بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه، وقام بحجّته، ولكن أقدار الله عزّوجلّ لا تغالب، وإرادته لا تردّ، وتوفيقه لا يسبق.

فليدعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الّذي كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا، ولا يكشفوا ستر الله عزّوجلّ فيندموا، وليعلموا أنّ الحقّ معنا وفينا، لا يقول ذلك سوانا إلاّ كذّاب مفتر، ولا يدّعيه غيرنا إلاّ ضالّ غويّ فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح، إن شاء الله[1].

٢٠ - ك: محمّد بن المظفّر المصريّ، عن محمّد بن أحمد الدّاودي عن أبيه قال: كنت عند أبي القاسم [الحسين] بن روح قدّس الله روحه فسأله رجل ما معنى قول العباس للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ عمّك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل، وعقد بيده ثلاثة وستّين قال عنى بذلك «إله أحد جواد» وتفسير ذلك أنّ الألف واحد واللاّم ثلاثون، والهاء خمسة، والألف واحد، والحاء ثمانية، والدّال أربعة والجيم ثلاثة، والواو ستّة، والألف واحد، والدّال أربعة، فذلك ثلاثة وستّون[2].

٢١ - غط: جماعة، عن التلّعكبريّ، عن أحمد بن عليّ، عن الأسديّ عن سعد، عن أحمد بن إسحاق رحمه الله أنّه جاءه بعض أصحابنا يعلمه أنّ جعفر بن عليّ كتب إليه كتاباً يعرّفه فيه نفسه ويعلمه أنّه القيّم بعد أبيه، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلمّا قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزّمان عليه السلام وصيّرت كتاب جعفر في درجه، فخرج الجواب إليّ في ذلك:

بسم الله الرّحمن الرّحيم أتاني كتابك أبقاك الله، والكتاب الّذي أنفذته درجه، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه، وتكرُّر الخطأ فيه، ولو تدبّرته لوقفت على بعض ما وقفتُ عليه منه، والحمد لله ربّ العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا، أبى الله عزّوجلّ للحقّ إلاّ إتماماً وللباطل إلاّ زهوقاً، وهو شاهد عليّ بما أذكره، وليّ عليكم بما أقوله، إذا اجتمعنا ليوم لا ريب فيه، ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون، إنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه، ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة، ولا طاعة ولا ذمّة، وسأبيّن لكم ذمّة تكتفون بها إن شاء الله.

يا هذا يرحمك الله إنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سُدى، بل خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً، ثمّ بعث إليهم النبيّين عليهم السلام مبشرين

(١) كمال الدين، ص ٤٦٢ باب ٤٥ ح ٤٢. (٢) كمال الدين، ص ٤٧٠ باب ٤٥ ح ٤٨

ومنذرين: يأمرونهم بطاعته، وينهونهم عن معصيته، ويعرِّفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الّذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدّلائل الظاهرة والبراهين الباهرة، والآيات الغالبة.

فمنهم من جعل النّار عليه برداً وسلاماً واتّخذه خليلاً، ومنهم من كلّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم من أحيا الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علّمه منطق الطير وأوتي من كلّ شيء، ثمّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، وتمّم به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله إلى النّاس كافّة، وأظهر من صدقه ما أظهر [وبيّن] من آياته وعلاماته ما بيّن.

ثمّ قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً واحداً: أحيا بهم دينه، وأتمّ بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيّناً يعرف به الحجّة من المحجوج، والإمام من المأموم، بأن عصمهم من الذّنوب، وبرّأهم من العيوب، وطهّرهم من الدّنس ونزّههم من اللّبس، وجعلهم خُزّان علمه، ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيّدهم بالدلائل، ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولادّعى أمر الله عزّ وجلّ كلُّ أحد ولما عرف الحقُّ من الباطل، ولا العالم من الجاهل.

وقد ادّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادّعاه، فلا أدري بأيّة حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه، أبفقه في دين الله؟ فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأ وصواب، أم بعلم فما يعلم حقّاً من باطل، ولا محكماً من متشابه، ولا يعرف حدّ الصّلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه الصّلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشموذة، ولعلّ خبره قد تأدّى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة، أم بآية فليأت بها، أم بحجّة فليقمها، أم بدلالة فليذكرها.

قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾(١).

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ١-٦.

فالتمس تولّى الله توفيقك من هذا الظّالم، ما ذكرت لك، وامتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسّرها أو صلاة فريضة يبيّن حدودها، وما يجب فيها، لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره ونقصانه، والله حسيبه.

حفظ الله الحقَّ على أهله، وأقرّه في مستقرّه، وقد أبى الله عزّوجلّ أن يكون [الإمامة] في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقُّ، واضمحلّ الباطل، وانحسر عنكم، وإلى الله أرغب في الكفاية، وجميل الصّنع والولاية، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلّى الله على محمّد وآل محمّد[1].

بيان: «الشعوذة» خفّة في اليد وأخذ كالسّحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ذكره الفيروزآباديُّ و«العوار» بالفتح وقد يضمُّ: العيب.

٢٢ - **غط:** جماعة، عن الصّدوق، عن عمّار بن الحسين بن إسحاق، عن أحمد بن الحسن بن أبي صالح الخجنديّ وكان قد ألحَّ في الفحص والطلب، وسار في البلاد، وكتب على يد الشيخ أبي القاسم بن روح قدّس الله روحه إلى الصاحب عليه السلام يشكو تعلّق قلبه، واشتغاله بالفحص والطّلب، ويسأل الجواب بما تسكن إليه نفسه ويكشف له عمّا يعمل عليه، قال: فخرج إليَّ توقيع نسخته:

«من بحث فقد طلب، ومن طلب فقد دلَّ، ومن دلَّ فقد أشاط، ومن أشاط فقد أشرك».

قال: فكففت عن الطلب، وسكنت نفسي، وعدت إلى وطني مسروراً والحمد لله[2].

٢٣ - **يج:** روي عن أحمد بن أبي روح، قال: خرجت إلى بغداد في مال لأبي الحسن الخضر بن محمّد لأوصله وأمرني أن أدفعه إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فأمرني أن أدفعه إلى غيره، وأمرني أن أسأل الدُّعاء للعلّة الّتي هو فيها وأسأله عن الوبر يحلُّ لبسه؟

فدخلت بغداد، وصرت إلى العمريِّ، فأبى أن يأخذ المال وقال: صر إلى أبي جعفر محمّد بن أحمد وادفع إليه فإنّه أمره بأن يأخذه، وقد خرج الّذي طلبت فجئت إلى أبي جعفر فأوصلته إليه، فأخرج إليَّ رقعة فيها:

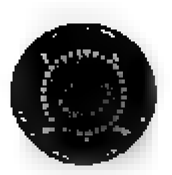
بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، سألت الدُّعاء عن العلّة الّتي تجدها، وهب الله لك العافية، ودفع عنك الآفات، وصرف عنك بعض ما تجده من الحرارة، وعافاك وصحَّ جسمك، وسألت ما يحلُّ أن يصلّى فيه من الوبر والسّمور والسّنجاب والفنك والدّلق والحواصل، فأمّا السّمور والثعالب فحرام عليك وعلى غيرك الصلاة فيه ويحلّ لك جلود المأكول من اللّحم إذا لم يكن فيه غيره، وإن لم يكن لك ما تصلّي فيه، فالحواصل جائز لك أن تصلّي فيه، الفراء

(١) الغيبة للطوسي، ص ٢٨٧ ح ٢٤٦. (٢) الغيبة للطوسي، ص ٣٢٣ ح ٢٧١.

متاع الغنم، ما لم يذبح بأرمنيّة يذبحه النصارى على الصليب، فجائز لك أن تلبسه إذا ذبحه أخ لك أو مخالف تثق به[١].

إلى هنا انتهى ما أردت إيراده في كتاب الغيبة وأرجو من فضله تعالى أن يجعلني من أنصار حجّته، والقائم بدينه، ومن أعوانه والشهداء تحت لوائه، وأن يقرَّ عيني وعيون والدي وإخواني وأصحابي وعشائري وجميع المؤمنين برؤيته، وأن يكحل عيوننا بغبار مواكب أصحابه، فإنّه المرجوُّ لكلّ خير وفضل.

ألتمس ممّن ينظر في كتابي أن يترحّم عليَّ ويدعو بالمغفرة لي في حياتي وبعد موتي، والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الطّاهرين وكتب بيمناه الجانية، مؤلّفه أحقر عباد الله الغنيّ محمّد باقر بن محمد تقي، عفي عنهما بالنبيّ وآله الأكرمين، في شهر رجب الأصبِّ من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة النبويّة.



(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٠٢ ح ١٨.

جنة المأوى

في

ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام

أو معجزته في الغيبة الكبرى

لمؤلفه

العلامة الحاج ميرزا حسين النوري

قدس سره

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي أنار قلوب أوليائه بضياء معرفة وليّه، المحجوب عن الأبصار وشرح صدور أحبّائه بنور محبّة صفيّه، المستور عن الأغيار، علا صنعه المتقن عن أن يتطرّق إليه توهّم العبث والجهالة، وحاشا قضاؤه المحكم أن يترك العباد في تيه الضلالة. والصلاة على البشير النذير، والسراج المنير، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، واللّواء المعقود، أوّل العدد، الحميد المحمود الأحمد أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيّبين الطاهرين الهادين الأنجبين.

خصوصاً على عنقاء قاف القدم، القائم فوق مرقاة الهمم، الاسم الأعظم الإلهيّ، الحاوي للعلم الغير المتناهي، قطب رحى الوجود، ومركز دائرة الشهود كمال النشأة ومنشأ الكمال، جمال الجمع ومجمع الجمال، المترشّح بالأنوار الإلهيّة، المربّى تحت أستار الرّبوبيّة، مطلع الأنوار المصطفويّة، ومنبع الأسرار المرتضويّة، ناموس الله الأكبر، وغاية نوع البشر، أبي الوقت ومربّي الزّمان، الّذي هو للحقّ أمين، وللخلق أمان، ناظم المناظم، الحجّة القائم، ولعنة الله على أعدائهم، والمنكرين لشرف مقامهم، إلى يوم يُدعى كلُّ أُناس بإمامهم.

وبعد فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي نوّر الله بصيرته برؤية إمامه، وجعله نصب عينيه في يقظته ومنامه: إنّي منذ هاجرت ثانياً من المشهد المقدّس الغرويّ، وأسكنت ذرّيتي بواد غير ذي زرع عند بيت الحجّة القائم المهديّ - عليه آلاف السلام والتحيّة من الله الملك العليّ - مشهد والده وجدّه عليهما السلام ومغيّبه لمّا أراد الله إنفاذ أمره، وإنجاز وعده، أكثر البلاد موطناً للحجج بعد طيبة وأُمّ القرى، وأفضلها عندهم لطيب الهواء وقلّة الدّاء وعذوبة الماء الممدوح بلسان الهادي عليه السلام «وأُخرجت إليها كرهاً ولو أُخرجت عنها أُخرجت كرهاً». المدعوّة تارة بسامرّا، وأخرى بسرَّ من رأى طهّرها الله تعالى من الأرجاس، وجعلها شاغرة عن أشباه الناس، كان يختلج في خاطري، ويتردّد في خلدي، أن أبتغي وسيلة بقدر الوسع والميسور، إلى صاحب هذا القصر المشيد، والبيت المعمور، فلم أهتد إلى ذلك المرام سبيلاً، ولم أجد لما أتمنّاه هادياً ولا دليلاً.

فمضى على ذلك عشر سنين، فقلت يا نفس: هذا والله هو الخسران المبين إن كنت لا تجدين ما يليق عرضه على هذا السلطان، العظيم القدر والشان، فلا تقصرين عن قبّرة أهدى جرادة إلى سليمان، وهو بمقام من الرأفة والكرم، لا يحوم حوله نبيٌّ ولا رسول من الرُّوح إلى آدم، فكيف بغيره من طبقات الأُمم، يقبل البضاعة ولو كانت مزجاة، ويتأسّى بجدّه الأطهر في إجابة الدّعوات، ولو إلى كراع شاة.

فبينما أنا بين اليأس والطمع، والصّبر والجزع، إذ وقع في خاطري أنّه قد سقط عن قلم العلاّمة المجلسيّ رضوان الله عليه في باب من رآه عليه السلام في الغيبة من المجلّد الثالث عشر من البحار، جماعة فازوا بشرف اللّقاء، وحازوا السَبق الأعلى والقدح المعلّى، فلو ضبط أساميهم الشريفة، ونقل قصصهم الطريفة، وغيرهم من الأبرار الّذين نالوا المنى بعد صاحب البحار، فيكون كالمستدرك للباب المذكور، والمتمّم لإثبات هذا المهمّ المسطور، لما قصر شأنه من الجرادة والكراع، فعسى أن يكون سبباً للقرب إلى حضرته، ولو بشبر، فيقرب إلى المتقرّب إليه بباع، أو ألف ذراع.

فاستخرت الله تعالى وشرعت في المقصود مع قلّة الأسباب، وألحقت بمن أدرك فيض حضوره الشريف من وقف على معجزة منه عليه السلام أو أثر يدلّ على وجوده المقدّس الّذي هو من أكبر الآيات وأعظم المعاجز، لاتّحاد الغرض ووحدة المقصود، ثمّ ما رأيته في كتب أصحابنا فنشير إلى مأخذه ومؤلّفه، وما سمعته فلا أنقل منه إلاّ ما تلقّيته من العلماء الراسخين، ونواميس الشرع المبين، أو من الصلحاء الثقات الّذين بلغوا من الزهد والتقوى والسداد محلاً لا يحتمل فيهم عادة تعمّد الكذب والخطأ، بل سمعنا أو رأينا من بعضهم من الكرامات ما تنبيء عن علوّ مقامهم عند السادات، وقد كنّا ذكرنا جملة من ذلك متفرّقاً في كتابنا دار السلام ونذكر هنا ما فيه وما عثرنا عليه بعد تأليفه وسميته جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة عليه السلام أو معجزته في الغيبة الكبرى، ولم نذكر ما هو موجود في البحار، حذراً من التطويل والتكرار، وها نحن نشرع في المرام، بعون الله الملك العلاّم، وإعانة السادات الكرام، عليهم آلاف التحيّة والسلام.

الحكاية الأولى

حدَّث السيّد المعظّم المبجّل، بهاء الدِّين عليّ بن عبد الحميد الحسينيّ النجفيّ النيلي المعاصر للشهيد الأوّل في كتاب الغيبة عن الشيخ العالم الكامل القدوة المقرىء الحافظ، المحمود الحاجّ المعتمر شمس الحق والدِّين محمّد بن قارون قال: دعيت إلى امرأة فأتيتها وأنا أعلم أنّها مؤمنة من أهل الخير والصلاح فزوَّجها أهلها من محمود الفارسيّ المعروف بأخي بكر، ويقال له ولأقاربه: بنو بكر، وأهل فارس مشهورون بشدَّة التسنّن والنصب والعداوة لأهل الإيمان وكان محمود هذا أشدَّهم في الباب، وقد وفّقه الله تعالى للتشيّع دون أصحابه، فقلت لها: وا عجباه كيف سمح أبوك بك؟ وجعلك مع هؤلاء النّواصب؟ وكيف اتّفق لزوجك مخالفة أهله حتّى ترفضهم؟ فقالت: يا أيّها المقرىء إنَّ له حكاية عجيبة إذا سمعها أهل الأدب حكموا أنّها من العجب، قلت: وما هي؟ قال: سله عنها سيخبرك.

قال الشيخ: فلمّا حضرنا عنده قلت له: يا محمود ما الّذي أخرجك عن ملّة أهلك، وأدخلك مع الشيعة؟ فقال: يا شيخ لمّا اتّضح لي الحقُّ تبعته، اعلم أنّه قد جرت عادة أهل

الفرس أنّهم إذا سمعوا بورود القوافل عليهم، خرجوا يتلقّوتهم، فاتّفق أنّا سمعنا بورود قافلة كبيرة، فخرجت ومعي صبيان كثيرون وأنا إذ ذاك صبيٌّ مراهق، فاجتهدنا في طلب القافلة، بجهلنا، ولم نفكّر في عاقبة الأمر، وصرنا كلّما انقطع منّا صبيٌّ من التعب خلوه إلى الضعف، فضللنا عن الطريق، ووقعنا في وادٍ لم نكن نعرفه، وفيه شوك، وشجر ودغل، لم نر مثله قطُّ فأخذنا في السير حتّى عجزنا وتدلّت ألسنتنا على صدورنا من العطش، فأيقنّا بالموت، وسقطنا لوجوهنا.

فبينما نحن كذلك إذا بفارس على فرس أبيض، قد نزل قريباً منّا، وطرح مفرشاً لطيفاً لم نر مثله تفوح منه رائحة طيّبة، فالتفتنا إليه وإذا بفارس آخر على فرس أحمر عليه ثياب بيض، وعلى رأسه عمامة لها ذؤابتان، فنزل على ذلك المفرش ثمّ قام فصلّى بصاحبه، ثمّ جلس للتعقيب.

فالتفت إليّ وقال: يا محمود! فقلت بصوت ضعيف: لبيّك يا سيّدي، قال: ادن منّي، فقلت: لا أستطيع لما بي من العطش والتعب، قال: لا بأس عليك.

فلمّا قالها حسبت كأن قد حدث في نفسي روح متجدّدة، فسعيت إليه حبواً فمرّ يده على وجهي وصدري ورفعها إلى حنكي فردّه، حتّى لصق بالحنك الأعلى ودخل لساني في فمي، وذهب ما بي، وعدت كما كنت أوّلاً.

فقال: قم وائتني بحنظلة من هذا الحنظل وكان في الوادي حنظل كثير فأتيته بحنظلة كبيرة فقسّمها نصفين، وناولنيها وقال: كل منها فأخذتها منه، ولم أقدم على مخالفته وعندي أمرني أن آكل الصّبر لما أعهد من مرارة الحنظل فلمّا ذقتها فإذا هي أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك شبعت ورويت.

ثمّ قال لي: ادع صاحبك، فدعوته، فقال بلسان مكسور ضعيف: لا أقدر على الحركة، فقال له: قم لا بأس عليك فأقبل إليه حبواً وفعل معه كما فعل معي ثمّ نهض ليركب، فقلنا بالله عليك يا سيّدنا إلاّ ما أتممت علينا نعمتك، وأوصلتنا إلى أهلنا، فقال: لا تعجلوا وخطّ حولنا برمحه خطّة، وذهب هو وصاحبه فقلت لصاحبي: قم بنا حتّى نقف بإزاء الجبل ونقع على الطريق، فقمنا وسرنا وإذا بحائط في وجوهنا فأخذنا في غير تلك الجهة فإذا بحائط آخر، وهكذا من أربع جوانبنا.

فجلسنا وجعلنا نبكي على أنفسنا ثمّ قلت لصاحبي: ائتنا من هذا الحنظل لنأكله، فأتى به فإذا هو أمرُّ من كلّ شيء، وأقبح، فرمينا به، ثمّ لبثنا هنيئة وإذا قد استدار من الوحش ما لا يعلم إلاّ الله عدده، وكلّما أرادوا القرب منّا منعهم ذلك الحائط، فإذا ذهبوا زال الحائط، وإذا عادوا عاد.

قال: فبتنا تلك اللّيلة آمنين حتّى أصبحنا، وطلعت الشمس واشتدّ الحرّ وأخذنا العطش

فجزعنا أشدَّ الجزع، وإذا بالفارسين قد أقبلا وفعلا كما فعلا بالأمس، فلمّا أرادا مفارقتنا قلنا له: بالله عليك إلاّ أوصلتنا إلى أهلنا، فقال: أبشرا فسيأتيكما من يوصلكما إلى أهليكما ثمَّ غابا.

فلمّا كان آخر النهار إذا برجل من فراسنا، ومعه ثلاث أحمرة، قد أقبل ليحتطب فلمّا رآنا ارتاع منّا وانهزم، وترك حميره فصحنا إليه باسمه، وتسمّينا له فرجع وقال: يا ويلكما إنَّ أهاليكما قد أقاموا عزاءكما، قوما لا حاجة لي في الحطب، فقمنا وركبنا تلك الأحمرة، فلمّا قربنا من البلد، دخل أمامنا، وأخبر أهلنا ففرحوا فرحاً شديداً وأكرموه وأخلعوا عليه.

فلمّا دخلنا إلى أهلنا سألونا عن حالنا، فحكينا لهم بما شاهدناه، فكذَّبونا وقالوا: هو تخييل لكم من العطش.

قال محمود: ثمَّ أنساني الدَّهر حتّى كأن لم يكن، ولم يبق على خاطري شيء منه حتّى بلغت عشرين سنة، وتزوَّجت وصرت أخرج في المكاراة ولم يكن في أهلي أشدّ منّي نصباً لأهل الإيمان، سيّما زوّار الأئمّة عليهم السلام بسرَّ من رأى فكنت أكريهم الدَّوابَّ بالقصد لأذيّتهم بكلِّ ما أقدر عليه من السرقة وغيرها وأعتقد أنَّ ذلك ممّا يقرّبني إلى الله تعالى.

فاتّفق أنّي كريت دوابّي مرَّة لقوم من أهل الحلّة، وكانوا قادمين إلى الزيارة منهم ابن السهيلي وابن عرفة وابن حارب، وابن الزهدري، وغيرهم من أهل الصلاح، ومضيت إلى بغداد، وهم يعرفون ما أنا عليه من العناد، فلمّا خلوا بي من الطريق وقد امتلأوا عليَّ غيظاً لم يتركوا شيئاً من القبيح إلاّ فعلوه بي وأنا ساكت لا أقدر عليهم لكثرتهم، فلمّا دخلنا بغداد ذهبوا إلى الجانب الغربيِّ فنزلوا هناك، وقد امتلأ فؤادي حنقاً.

فلمّا جاء أصحابي قمت إليهم، ولطمت على وجهي وبكيت، فقالوا: ما لك؟ وما دهاك؟ فحكيت لهم ما جرى عليَّ من أولئك القوم، فأخذوا في سبّهم ولعنهم وقالوا: طب نفساً فإنّا نجتمع معهم في الطريق إذا خرجوا، ونصنع بهم أعظم ممّا صنعوا.

فلمّا جنَّ اللّيل، أدركتني السعادة، فقلت في نفسي: إنَّ هؤلاء الرفضة لا يرجعون عن دينهم، بل غيرهم إذا زهد يرجع إليهم، فما ذلك إلاّ لأنَّ الحقَّ معهم فبقيت مفكّراً في ذلك، وسألت ربّي بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أن يريني في ليلتي علامة أستدلُّ بها على الحقِّ الّذي فرضه الله تعالى على عباده.

فأخذني النوم فإذا أنا بالجنّة قد زخرفت، فإذا فيها أشجار عظيمة، مختلفة الألوان والثمار، ليست مثل أشجار الدُّنيا، لأنَّ أغصانها مدلاّة، وعروقها إلى فوق، ورأيت أربعة أنهار: من خمر، ولبن، وعسل، وماء: وهي تجري وليس لها جرف بحيث لو أرادت النملة أن تشرب منها لشربت، ورأيت نساء حسنة الأشكال ورأيت قوماً يأكلون من تلك الثمار، ويشربون من تلك الأنهار، وأنا لا أقدر على ذلك، فكلّما أردت أن أتناول من الثمار، تصعّد

إلى فوق، وكلّما هممت أن أشرب من تلك الأنهار، تغوّر إلى تحت فقلت للقوم: ما بالكم تأكلون وتشربون؟ وأنا لا أطيق ذلك؟ فقالوا: إنّك لا تأتي إلينا بعد.

فبينا أنا كذلك وإذا بفوج عظيم، فقلت: ما الخبر؟ فقالوا: سيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام قد أقبلت، فنظرت فإذا بأفواج من الملائكة على أحسن هيئة، ينزلون من الهواء إلى الأرض، وهم حافّون بها، فلمّا دنت وإذا بالفارس الّذي قد خلّصنا من العطش بإطعامه لنا الحنظل، قائماً بين يدي فاطمة عليها السلام فلمّا رأيته عرفته، وذكرت تلك الحكاية، وسمعت القوم يقولون: هذا م ح م د بن الحسن القائم المنتظر، فقام الناس وسلّموا على فاطمة عليها السلام.

فقمت أنا وقلت: السلام عليك يا بنت رسول الله، فقالت: وعليك السلام يا محمود أنت الّذي خلّصك ولدي هذا من العطش؟ فقلت: نعم، يا سيّدتي، فقالت: إن دخلت مع شيعتنا أفلحت، فقلت: أنا داخل في دينك ودين شيعتك، مقرٌّ بإمامة من مضى من بنيك، ومن بقي منهم، فقالت: أبشر فقد فزت.

قال محمود: فانتبهت وأنا أبكي، وقد ذهل عقلي ممّا رأيت فانزعج أصحابي لبكائي، وظنّوا أنه ممّا حكيت لهم، فقالوا: طب نفساً فوالله لننتقمنّ من الرفضة فسكتُّ عنهم حتّى سكتوا، وسمعت المؤذّن يعلن بالأذان، فقمت إلى الجانب الغربيّ ودخلت منزل أولئك الزوّار، فسلّمت عليهم، فقالوا: لا أهلاً ولا سهلاً اخرج عنّا لا بارك الله فيك، فقلت: إنّي قد عدت معكم، ودخلت عليكم لتعلّموني معالم ديني، فبهتوا من كلامي، وقال بعضهم: كذب، وقال آخرون: جاز أن يصدق.

فسألوا لي عن سبب ذلك، فحكيت لهم ما رأيت، فقالوا: إن صدقت فإنّا ذاهبون إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فامض معنا حتّى نشيّعك هناك فقلت: سمعاً وطاعة، وجعلت أقبّل أيديهم وأقدامهم، وحملت أخراجهم وأنا أدعو لهم حتّى وصلنا إلى الحضرة الشريفة، فاستقبلنا الخدّام، ومعهم رجل علويٌّ كان أكبرهم، فسلّموا على الزوّار فقالوا له: افتح لنا الباب حتّى نزور سيّدنا ومولانا، فقال: حبّاً وكرامة، ولكن معكم شخص يريد أن يتشيّع، ورأيته في منامي واقفاً بين يدي سيّدتي فاطمة الزهراء عليها السلام، فقالت لي: يأتيك غداً رجل يريد أن يتشيّع فافتح له الباب قبل كلّ أحد، ولو رأيته الآن لعرفته.

فنظر القوم بعضهم إلى بعض متعجّبين، فقالوا: فشرع ينظر إلى واحد واحد فقال: الله أكبر هذا والله هو الرّجل الّذي رأيته ثمّ أخذ بيدي فقال القوم: صدقت يا سيّد وبررت، وصدق هذا الرّجل بما حكاه، واستبشروا بأجمعهم وحمدوا الله تعالى ثمّ إنّه أدخلني الحضرة الشريفة، وشيّعني وتولّيت وتبرّيت.

فلمّا تمّ أمري قال العلويُّ: وسيّدتك فاطمة تقول لك: سيلحقك بعض حطام الدُّنيا فلا تحفل به، وسيخلفه الله عليك، وستحصل في مضايق فاستغث بنا تنجو، فقلت: السمع،

والطاعة، وكان لي فرس قيمتها مائتا دينار فماتت وخلف الله عليّ مثلها، وأضعافها، وأصابني مضايق فندبتهم ونجوت، وفرّج الله عنّي بهم. وأنا اليوم أوالي من والاهم، وأعادي من عاداهم، وأرجو بهم حسن العاقبة.

ثمّ إنّي سعيت إلى رجل من الشيعة، فزوّجني هذه المرأة، وتركت أهلي فما قبلت أتزوّج منهم، وهذا ما حكي لي في تاريخ شهر رجب [سنة] ثمان وثمانين وسبعمائة هجريّة، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّد وآله.

الحكاية الثانية

قال السيّد الجليل صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة رضي الدّين عليّ بن طاوس في كتاب غياث سلطان الورى على ما نقله عنه المحدّث الإسترآباديّ في الفوائد المدنيّة في نسختين كانت إحداهم بخطّ الفاضل الهنديّ ما لفظه:

يقول عليّ بن موسى بن جعفر بن طاوس: كنت قد توجّهت أنا وأخي الصالح محمّد بن محمّد بن محمّد القاضي الآوي ضاعف الله سعادته، وشرّف خاتمته من الحلّة إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر جمادى الأخرى سنة إحدى وأربعين وستّمائة، فاختار الله لنا المبيت بالقرية الّتي تسمّى دورة بن سنجار، وبات أصحابنا ودوابّنا في القرية، وتوجّهنا منها أوائل نهار يوم الأربعاء ثامن عشر الشهر المذكور.

فوصلنا إلى مشهد مولانا عليّ صلوات الله وسلامه عليه قبل ظهر يوم الأربعاء المذكور، فزرنا وجاء اللّيل في ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الأخرى المذكورة فوجدت من نفسي إقبالاً على الله، وحضوراً وخيراً كثيراً فشاهدت ما يدلُّ على القبول والعناية والرأفة وبلوغ المأمول والضيافة، فحدّثني أخي الصالح محمّد بن محمّد الآوي ضاعف الله سعادته أنّه رأى في تلك اللّيلة في منامه كأنّ في يدي لقمة وأنا أقول له: هذه من فم مولانا المهديّ عليه السلام وقد أعطيته بعضها.

فلمّا كان سحر تلك اللّيلة، كنت على ما تفضّل الله به من نافلة اللّيل فلمّا أصبحنا به من نهار الخميس المذكور، دخلت الحضرة حضرة مولانا عليّ صلوات الله وسلامه عليه على عادتي، فورد عليّ من فضل الله وإقباله المكاشفة، ما كدت أسقط على الأرض، ورجفت أعضائي وأقدامي، وارتعدت رعدة هائلة، على عوائد فضله عندي وعنايته لي، وما أراني من برّه لي ورفدي، وأشرفت على الفناء ومفارقة دار الفناء والانتقال إلى دار البقاء، حتّى حضر الجمّال محمّد بن كنيلة، و أنا في تلك الحال فسلّم عليّ فعجزت عن مشاهدته، وعن النظر إليه، وإلى غيره، وما تحقّقته بل سألت عنه بعد ذلك، فعرّفوني به تحقيقاً وتجدّدت في تلك الزيارة مكاشفات جليلة، وبشارات جميلة.

وحدَّثني أخي الصّالح محمّد بن محمّد بن محمّد الآوي ضاعف الله سعادته، بعدّة بشارات رواها لي منها أنّه رأى كأنَّ شخصاً يقصُّ عليه في المنام مناماً، ويقول له: قد رأيت كأنَّ فلاناً - يعني عنّي - وكأنّني كنت حاضراً لمّا كان المنام يقصُّ عليه - راكب فرساً وأنت يعني الأخ الصّالح الآوي، وفارسان آخران قد صعدتم جميعاً إلى السماء قال: فقلت له: أنت تدري أحد الفارسين من هو؟ فقال صاحب المنام في حال النوم لا أدري، فقلت: أنت - يعني عنّي- ذلك مولانا المهديُّ صلوات الله عليه.

وتوجّهنا من هناك لزيارة أوّل رجب بالحلّة، فوصلنا ليلة الجمعة، سابع عشر جمادى الآخرة بحسب الاستخارة، فعرَّفني حسن بن البقلي يوم الجمعة المذكورة أنَّ شخصاً فيه صلاح يقال له: عبد المحسن، من أهل السّواد قد حضر بالحلّة وذكر أنّه قد لقيه مولانا المهديُّ صلوات الله عليه ظاهراً في اليقظة، وقد أرسله إلى عندي برسالة، فنفذت قاصداً وهو محفوظ بن قرا فحضرا ليلة السّبت ثامن عشر من جمادى الآخرة المقدَّم ذكرها.

فخلوت بهذا الشيخ عبد المحسن، فعرفته فهو رجل صالح، ولا يشكُّ النفس في حديثه، ومستغن عنّا، وسألته فذكر أنَّ أصله من حصن بشر وأنّه انتقل إلى الدُّولاب الّذي بإزاء المحولة المعروفة بالمجاهديّة، ويعرف الدُّولاب بابن أبي الحسن وأنّه مقيم هناك، وليس له عمل بالدُّولاب ولا زرع، ولكنّه تاجر في شراء غُليلات وغيرها، وأنّه كان قد ابتاع غلّة من ديوان السرائر وجاء ليقبضها، وبات عند المعيدية في المواضع المعروفة بالمحبر.

فلمّا كان وقت السحر كره استعمال ماء المعيديّة، فخرج بقصد النهر، والنهر في جهة المشرق، فما أحسَّ بنفسه إلاّ وهو في قلّ السلّم، في طريق مشهد الحسين عليه السلام، في جهة المغرب، وكان ذلك ليلة الخميس تاسع عشر شهر جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وستّمائة الّتي تقدَّم شرح بعض ما تفضّل الله عليَّ فيها وفي نهارها في خدمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

فجلست أُريق ماء وإذا فارس عندي ما سمعت له حسّاً، ولا وجدت لفرسه حركة، ولا صوتاً، وكان القمر طالعاً، ولكن كان الضباب كثيراً.

فسألته عن الفارس وفرسه، فقال: كان لون فرسه صدءاً وعليه ثياب بيض وهو متحنّك بعمامة ومتقلّد بسيف.

فقال الفارس لهذا الشيخ عبد المحسن: كيف وقت الناس؟ قال عبد المحسن: فظننت أنّه يسأل عن ذلك الوقت، قال: فقلت الدُّنيا عليه ضباب وغبرة، فقال: ما سألتك عن هذا أنا سألتك عن حال النّاس، قال: فقلت: النّاس طيّبين مرخّصين آمنين في أوطانهم وعلى أموالهم.

فقال: تمضي إلى ابن طاوس، وتقول له كذا وكذا، وذكر لي ما قال صلوات الله عليه ثمَّ

قال عنه عليه السلام : فالوقت قد دنا، فالوقت قد دنا، قال عبد المحسن فوقع في قلبي وعرفت نفسي أنّه مولانا صاحب الزّمان عليه السلام فوقعت على وجهي وبقيت كذلك مغشيّاً عليَّ إلى أن طلع الصّبح، قلت له: فمن أين عرفت أنّه قصد ابن طاوس عنّي؟ قال: ما أعرف من بني طاوس إلاّ أنت، وما في قلبي إلاّ أنّه قصد بالرّسالة إليك، قلت: أيّ شيء فهمت بقوله عليه السلام «فالوقت قد دنا فالوقت قد دنا» هل قصد وفاتي قد دنا أم قد دنا وقت ظهوره صلوات الله عليه؟ فقال: بل قد دنا وقت ظهوره صلوات الله عليه.

قال: فتوجّهت ذلك الوقت إلى مشهد الحسين عليه السلام وعزمت أنّني ألزم بيتي مدّة حياتي أعبد الله تعالى، وندمت كيف ما سألته صلوات الله عليه عن أشياء كنت أشتهي أسأله فيها.

قلت له: هل عرّفت بذلك أحداً؟ قال: نعم، عرّفت بعض من كان عرف بخروجي من المعيديّة، وتوهّموا أنّي قد ضللت وهلكت بتأخيري عنهم، واشتغالي بالغشية الّتي وجدتها، ولأنّهم كانوا يروني طول ذلك النهار يوم الخميس في أثر الغشية الّتي لقيتها من خوفي منه عليه السلام فوصّيته أن لا يقول ذلك لأحد أبداً، وعرضت عليه شيئاً فقال: أنا مستغن عن النّاس وبخير كثير.

فقمت أنا وهو فلمّا قام عنّي نفذت له غطاء وبات عندنا في المجلس على باب الدّار الّتي هي مسكني الآن بالحلّة، فقمت وكنت أنا وهو في الروشن في خلوة، فنزلت لأنام فسألت الله زيادة كشف في المنام في تلك اللّيلة أراه أنا.

فرأيت كأنّ مولانا الصّادق عليه السلام قد جاءني بهديّة عظيمة، وهي عندي وكأنّني ما أعرف قدرها، فاستيقظت وحمدت الله، وصعدت الروشن لصلاة نافلة اللّيل، وهي ليلة السّبت ثامن عشر جمادى الآخرة فأصعد فتحٌ الإبريق إلى عندي فمددت يدي فلزمت عروته لأفرغ على كفّي فأمسك ماسك فم الإبريق وأداره عنّي ومنعني من استعمال الماء في طهارة الصّلاة، فقلت: لعلّ الماء نجس فأراد الله أن يصونني عنه فإنّ لله عزّ وجلّ عليَّ عوائد كثيرة أحدها مثل هذا وأعرفها.

فناديت إلى فتح، وقلت: من أين ملأت الإبريق؟ فقال: من المصبّة فقلت: هذا لعلّه نجس فاقلبه واطهره واملأه من الشطّ فمضى وقلبه وأنا أسمع صوت الإبريق وشطفه وملأه من الشطّ، وجاء به فلزمت عروته وشرعت أقلب منه على كفّي فأمسك ماسك فم الابريق وأداره عنّي ومنعني منه.

فعدت وصبرت، ودعوت بدعوات، وعاودت الإبريق وجرى مثل ذلك، فعرفت أنّ هذا منع لي من صلاة اللّيل تلك اللّيلة، وقلت في خاطري: لعلّ الله يريد أن يجري عليَّ حكماً وابتلاء غداً ولا يريد أن أدعو اللّيلة في السلامة من ذلك، وجلست لا يخطر بقلبي غير ذلك.

فنمت وأنا جالس، وإذا برجل يقول لي: - يعني عبد المحسن الّذي جاء بالرّسالة - كأنّه

ينبغي أن تمشي بين يديه، فاستيقظت ووقع في خاطري أنّني قد قصرت في احترامه وإكرامه، فتبت إلى الله جلّ جلاله، واعتمدت ما يعتمد التائب من مثل ذلك، وشرعت في الطهارة فلم يمسك أبداً [فمُ] الإبريق وتركت على عادتي فتطهّرت وصلّيت ركعتين فطلع الفجر فقضيت نافلة اللّيل، وفهمت أنّني ما قمت بحقّ هذه الرّسالة.

فنزلت إلى الشيخ عبد المحسن، وتلقّيته وأكرمته، وأخذت له من خاصّتي ستّانير ومن غير خاصّتي خمسة عشر ديناراً ممّا كنت أحكم فيه كمالي وخلوت به في الرّوشن، وعرضت ذلك عليه، واعتذرت إليه، فامتنع من قبول شيء أصلاً، وقال: إنّ معي نحو مائة دينار وما آخذ شيئاً، أعطه لمن هو فقير، وامتنع غاية الامتناع.

فقلت: إنّ رسول مثله عليه الصلاة والسلام، يعطى لأجل الإكرام لمن أرسله لا لأجل فقره وغناه، فامتنع، فقلت له «مبارك» أمّا الخمسة عشر، فهي من غير خاصّتي، فلا أكرهك على قبولها، وأمّا هذه السّتة دنانير فهي من خاصّتي فلا بدّ أن تقبلها منّي فكاد أن يؤيسني من قبولها، فألزمته فأخذها، وعاد تركها، فألزمته فأخذها، وتغدّيت أنا وهو، ومشيت بين يديه كما أُمرت في المنام إلى ظاهر الدّار وأوصيته بالكتمان، والحمد لله وصلّى الله على سيّد المرسلين محمّد وآله الطاهرين.

الحكاية الثالثة

في آخر كتاب في التعازي عن آل محمّد عليهم السلام ووفاة النبيّ صلى الله عليه وآله تأليف الشريف الزاهد أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن بن عبد الرّحمن العلويّ الحسينيّ رحمه الله عن الأجلّ العالم الحافظ، حجّة الإسلام، سعيد بن أحمد بن الرضيّ عن الشيخ الأجلّ المقرىء خطير الدّين حمزة بن المسيّب بن الحارث أنّه حكى في داري بالظفرية بمدينة السّلام في ثامن عشر شهر شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال: حدّثني شيخي العالم ابن أبي القاسم عثمان بن عبد الباقي بن أحمد الدمشقي في سابع عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قال: حدّثني الأجلّ العالم الحجّة كمال الدّين أحمد بن محمّد بن يحيى الأنباريّ بداره بمدينة السّلام ليلة عاشر شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

قال: كنّا عند الوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسّنة المقدّم ذكرها، ونحن على طبقة، وعنده جماعة، فلمّا أفطر من كان حاضراً وتقوّض أكثر من حضر خاصراً، أردنا الانصراف، فأمرنا بالتمسّي عنده، فكان في مجلسه في تلك اللّيلة شخص لا أعرفه، ولم أكن رأيته من قبل، ورأيت الوزير يكثر إكرامه، ويقرّب مجلسه، ويصغي إليه، ويسمع قوله، دون الحاضرين.

فتجارينا الحديث والمذاكرة، حتّى أمسينا وأردنا الانصراف، فعرّفنا بعض أصحاب الوزير أنّ الغيث ينزل، وأنّه يمنع من يريد الخروج، فأشار الوزير أن نمسي عنده فأخذنا

نتحادث، فأفضى الحديث حتّى تحادثنا في الأديان والمذاهب ورجعنا إلى دين الإسلام، وتفرّق المذاهب فيه.

فقال الوزير: أقلُّ طائفة مذهب الشيعة، وما يمكن أن يكون أكثر منهم في خطّتنا هذه، وهم الأقلُّ من أهلها، وأخذ يذُم أحوالهم، ويحمد الله على قتلهم في أقاصي الأرض.

فالتفت الشخص الّذي كان الوزير مقبلاً عليه، مصغياً إليه، فقال له: أدام الله أيّامك أحدِّث بما عندي فيما قد تفاوضتم فيه أو أعرض عنه؟ فصمت الوزير، ثمَّ قال: قل ما عندك.

فقال: خرجت مع والدي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، من مدينتنا وهي المعروفة بالباهية، ولها الرُّستاق الّذي يعرفه التجّار، وعدَّة ضياعها ألف ومائتا ضيعة، في كلِّ ضيعة من الخلق ما لا يحصي عددهم إلاّ الله، وهم قوم نصارى، وجميع الجزائر الّتي كانت حولهم، على دينهم ومذهبهم، ومسير بلادهم وجزائرهم مدَّة شهرين، وبينهم وبين البرِّ مسير عشرين يوماً وكلُّ من في البرِّ من الأعراب وغيرهم نصارى وتتّصل بالحبشة والنوبة، وكلّهم نصارى، ويتّصل بالبربر، وهم على دينهم فإنَّ حدَّ هذا كان بقدر كلّ من في الأرض، ولم نضف إليهم الإفرنج والرُّوم.

وغير خفيّ عنكم من بالشام والعراق والحجاز من النصارى، واتّفق أننا سرنا في البحر، وأوغلنا، وتعدَّينا الجهات الّتي كنّا نصل إليها، ورغبنا في المكاسب ولم نزل على ذلك حتّى صرنا إلى جزائر عظيمة كثيرة الأشجار، مليحة الجدران فيها المدن الملدودة والرساتيق.

وأوَّل مدينة وصلنا إليها وأرسي المراكب بها، وقد سألنا الناخداه أيُّ شيء هذه الجزيرة؟ قال: والله إنَّ هذه جزيرة لم أصل إليها ولا أعرفها، وأنا وأنتم في معرفتها سواء.

فلمّا أرسينا بها، وصعد التجّار إلى مشرعة تلك المدينة، وسألنا ما اسمها؟ فقيل هي المباركة، فسألنا عن سلطانهم وما اسمه؟ فقالوا: اسمه الطّاهر، فقلنا وأين سرير مملكته فقيل بالزاهرة، فقلنا: وأين الزاهرة؟ فقالوا: بينكم وبينها مسيرة عشر ليال في البحر، وخمسة وعشرين ليلة في البرِّ، وهم قوم مسلمون.

فقلنا: من يقبض زكاة ما في المركب لنشرع في البيع والابتياع؟ فقالوا: تحضرون عند نائب السّلطان، فقلنا: وأين أعوانه؟ فقالوا: لا أعوان له، بل هو في داره وكلُّ من عليه حقٌّ يحضر عنده، فيسلّمه إليه.

فتعجّبنا من ذلك، وقلنا: ألا تدلّونا عليه؟ فقالوا: بلى، وجاء معنا من أدخلنا داره، فرأيناه رجلاً صالحاً عليه عباءة، وتحته عباءة وهو مفترشها، وبين يديه دواة يكتب منها من كتاب ينظر إليه، فسلّمنا عليه فردَّ علينا السّلام وحيّانا وقال: من أين أقبلتم؟ فقلنا: من أرض كذا وكذا، فقال: كلّكم فقلنا: لا؛ بل فينا المسلم واليهوديُّ والنصرانيُّ، فقال: يزن اليهوديُّ جزيته والنصرانيُّ جزيته، ويناظر المسلم عن مذهبه.

فوزن والدي عن خمس نفر نصارى: عنه وعنّي وعن ثلاثة نفر كانوا معنا ثمّ وزن تسعة نفر كانوا يهوداً وقال للباقين: هاتوا مذاهبكم، فشرعوا معه في مذاهبهم. فقال: لستم مسلمين وإنّما أنتم خوارج وأموالكم مُحلٌّ للمسلم المؤمن، وليس بمسلم من لم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر وبالوصيّ والأوصياء من ذرّيّته حتّى مولانا صاحب الزّمان صلوات الله عليهم.

فضاقت بهم الأرض ولم يبق إلاّ أخذ أموالهم.

ثمّ قال لنا: يا أهل الكتاب لا معارضة لكم فيما معكم، حيث أُخذت الجزية منكم، فلمّا عرف أُولئك أنّ أموالهم معرضة للنهب، سألوه أن يحتملهم إلى سلطانهم فأجاب سؤالهم، وتلا: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

فقلنا للناخداه والرُّبّان، وهو الدَّليل: هؤلاء قوم قد عاشرناهم وصاروا رفقة، وما يحسن لنا أن نتخلّف عنهم أينما يكونوا نكون معهم، حتّى نعلم ما يستقرُّ حالهم عليه؟ فقال الربّان: والله ما أعلم هذا البحر أين المسير فيه، فاستأجرنا رُبّاناً ورجالاً، وقلعنا القلع وسرنا ثلاثة عشر يوماً بلياليها حتّى كان قبل طلوع الفجر، فكبّر الرُّبان فقال: هذه والله أعلام الزاهرة ومنائرها وجدرها إنّها قد بانت، فسرنا حتّى تضاحى النّهار.

فقدمنا إلى مدينة لم تر العيون أحسن منها ولا أخفّ على القلب، ولا أرق من نسيمها ولا أطيب من هوائها، ولا أعذب من مائها، وهي راكبة البحر، على جبل من صخر أبيض، كأنّه لون الفضّة وعليها سور إلى ما يلي البحر، والبحر يحوط الّذي يليه منها، والأنهار منحرفة في وسطها يشرب منها أهل الدُّور والأسواق وتأخذ منها الحمّامات وفواضل الأنهار ترمى في البحر، ومدى الأنهار فرسخ ونصف، وفي تحت ذلك الجبل بساتين المدينة وأشجارها، ومزارعها عند العيون وأثمار تلك الأشجار لا يرى أطيب منها ولا أعذب، ويرعى الذئب والنعجة عياناً ولو قصد قاصد لتخلية دابّة في زرع غيره لمارعته، ولا قطعت قطعة حمله ولقد شاهدت السباع والهوامّ رابضة في غيض تلك المدينة، وبنو آدم يمرُّون عليها فلا تؤذيهم.

فلمّا قدمنا المدينة وأرسى المركب فيها، وما كان صحبنا من الشوابي والذوابيح من المباركة بشريعة الزاهرة، صعدنا فرأينا مدينة عظيمة عيناء كثيرة الخلق، وسيعة الربقة، وفيها الأسواق الكثيرة، والمعاش العظيم، وترد إليها الخلق من البرّ والبحر، وأهلها على أحسن قاعدة، لا يكون على وجه الأرض من الأمم والأديان مثلهم وأمانتهم، حتّى أن المتعيّش بسوق يرده إليه من يبتاع منه حاجة إمّا بالوزن أو بالذراع فيبايعه عليها ثمّ يقول: أيّاً هذا زن لنفسك واذرع لنفسك.

فهذه صورة مبايعاتهم، ولا يسمع بينهم لغو المقال، ولا السفه ولا النميمة، ولا يسبُّ بعضهم بعضاً، وإذا نادى المؤذّن الأذان، لا يتخلّف منهم متخلّف ذكراً كان أو أُنثى، إلاّ

ويسعى إلى الصلاة، حتّى إذا قضيت الصلاة للوقت المفروض، رجع كلٌّ منهم إلى بيته حتّى يكون وقت الصلاة الأخرى فيكون الحال كما كانت.

فلمّا وصلنا المدينة، وأرسينا بمشرعتها، أمرونا بالحضور إلى عند السلطان فحضرنا داره، ودخلنا إليه إلى بستان صور في وسطه قبّة من قصب، والسلطان في تلك القبّة، وعنده جماعة وفي باب القبّة ساقية تجري.

فوافينا القبّة، وقد أقام المؤذّن الصلاة، فلم يكن أسرع من أن امتلأ البستان بالناس، وأقيمت الصلاة، فصلّى بهم جماعة، فلا والله لم تنظر عيني أخضع منه لله، ولا ألين جانباً لرعيّته، فصلّى من صلّى مأموماً.

فلما قضيت الصلاة التفت إلينا وقال: هؤلاء القادمون؟ قلنا: نعم، وكانت تحيّة الناس له أو مخاطبتهم له «يا ابن صاحب الأمر» فقال: على خير مقدم.

ثمّ قال: أنتم تجّار أو ضياف؟ فقلنا: تجّار، فقال: من منكم المسلم، ومن منكم أهل الكتاب؟ فعرّفناه ذلك، فقال: إنّ الإسلام تفرّق شعباً فمن أيّ قبيل أنتم؟ وكان معنا شخص يعرف بالمقري بن دربهان بن أحمد الأهوازيّ، يزعم أنّه على مذهب الشافعيّ، فقال له: أنا رجل شافعيّ قال: فمن على مذهبك من الجماعة؟ قال: كلنا إلاّ هذا حسّان بن غيث فإنّه رجل مالكيّ.

فقال: أنت تقول بالإجماع؟ قال: نعم، قال: إذاً تعمل بالقياس، ثمّ قال: بالله يا شافعيّ تلوت ما أنزل الله يوم المباهلة؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

فقال: بالله عليك من أبناء الرسول ومن نساؤه ومن نفسه يا بن دربهان؟ فأمسك، فقال: بالله هل بلغك أنّ غير الرسول والوصيّ والبتول والسبطين دخل تحت الكساء؟ قال: لا، فقال: والله لم تنزل هذه الآية إلاّ فيهم، ولا خصّ بها سواهم.

ثمّ قال: بالله عليك يا شافعيّ ما تقول فيمن طهّره الله بالدّليل القاطع، هل ينجّسه المختلفون؟ قال: لا، قال: بالله عليك هل تلوت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. قال: نعم، قال: بالله عليك مَن يعني بذلك؟ فأمسك، فقال: والله ما عنى بها إلاّ أهلها.

ثمّ بسط لسانه وتحدّث بحديث أمضى من السهام، وأقطع من الحسام فقطع الشافعيّ ووافقه فقام عند ذلك فقال: عفواً يا ابن صاحب الأمر انسب إليّ نسبك، فقال: أنا طاهر بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ الّذي أنزل الله فيه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هو والله الإمام المبين، ونحن الّذين أنزل الله في حقّنا ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

يا شافعيُّ نحن أهل البيت نحن ذرية الرّسول، ونحن أُولو الأمر، فخرَّ الشافعيُّ مغشياً عليه، لما سمع منه، ثمّ أفاق من غشيته، وآمن به، وقال: الحمد لله الّذي منحني بالإسلام، ونقلني من التقليد إلى اليقين.

ثمّ أمر لنا بإقامة الضيافة، فبقينا على ذلك ثمانية أيّام، ولم يبق في المدينة إلاّ من جاء إلينا، وحادثنا، فلمّا انقضت الأيّام الثمانية سأله أهل المدينة أن يقوموا لنا بالضيافة، ففتح لهم في ذلك. فكثرت علينا الأطعمة والفواكه، وعملت لنا الولائم، ولبثنا في تلك المدينة سنة كاملة.

فعلمنا وتحقّقنا أنَّ تلك المدينة مسيرة شهرين كاملة برّاً وبحراً، وبعدها مدينة اسمها الرائقة، سلطانها القاسم ابن صاحب الأمر عليه السلام مسيرة ملكها شهرين وهي على تلك القاعدة ولها دخل عظيم، وبعدها مدينة اسمها الصافية، سلطانها إبراهيم ابن صاحب الأمر عليه السلام بالحكام وبعدها مدينة أُخرى اسمها ظلوم سلطانها عبد الرَّحمن ابن صاحب الأمر عليه السلام، مسيرة رستاقها وضياعها شهران، وبعدها مدينة أُخرى اسمها عناطيس، سلطانها هاشم ابن صاحب الأمر عليه السلام وهي أعظم المدن كلّها وأكبرها وأعظم دخلاً، ومسيرة ملكها أربعة أشهر.

فيكون مسيرة المدن الخمس والمملكة مقدار سنة لا يوجد في أهل تلك الخطط والمدن والضياع والجزائر غير المؤمن الشيعيّ الموحّد القائل بالبراءة والولاية الّذي يقيم الصّلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سلاطينهم أولاد إمامهم، يحكمون بالعدل وبه يأمرون، وليس على وجه الأرض مثلهم، ولو جمع أهل الدُّنيا، لكانوا أكثر عدداً منهم على اختلاف الأديان والمذاهب.

ولقد أقمنا عندهم سنة كاملة نترقّب ورود صاحب الأمر إليهم، لأنّهم زعموا أنّها سنة وروده، فلم يوفّقنا الله تعالى للنظر إليه، فأمّا ابن دربهان وحسّان فإنهما أقاما بالزاهرة يرقبان رؤيته، وقد كنّا لما استكثرنا هذه المدن وأهلها، سألنا عنها فقيل: إنّها عمارة صاحب الأمر عليه السلام واستخراجه.

فلمّا سمع عون الدِّين ذلك، نهض ودخل حجرة لطيفة، وقد تقضّى اللّيل فأمر بإحضارنا واحداً واحداً، وقال: إيّاكم إعادة ما سمعتم أو إجراءه على ألفاظكم وشدَّده وتأكّد علينا، فخرجنا من عنده ولم يعد أحد منّا ممّا سمعه حرفاً واحداً حتّى هلك.

وكنّا إذا حضرنا موضعاً واجتمع واحدنا بصاحبه، قال: أتذكر شهر رمضان فيقول: نعم، ستراً لحال الشرط.

فهذا ما سمعته ورويته، والحمد لله وحده، وصلواته على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين، والحمد لله ربِّ العالمين.

قلت: وروى هذه الحكاية مختصراً الشيخ زين الدِّين عليُّ بن يونس العامليُّ البياضيُّ في الفصل الخامس عشر من الباب الحادي عشر من كتاب «الصراط المستقيم» وهو أحسن كتاب صنّف في الإمامة عن كمال الدِّين الأنباريِّ الخ وهو صاحب رسالة «الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والرُّوح» الّتي نقلها العلامة المجلسي بتمامها في السماء والعالم.

وقال السيد الأجلُّ عليُّ بن طاوس، في أواخر كتاب جمال الأسبوع، وهو الجزء الرابع من السمات والمهمّات بعد سوقه الصلوات المهدويّة المعروفة الّتي أوّلها: اللّهمّ صلّ على محمّد المنتجب في الميثاق، وفي آخرها: وصلّ على وليّك وولاة عهدك الأئمّة من ولده، وزد في أعمارهم، وزد في آجالهم، وبلّغهم أقصى آمالهم ديناً ودنياً وآخرة الخ.

والدُّعاء الآخر مرويٌّ عن الرِّضا عليه السلام يدعى به في الغيبة أوّله: «اللّهم ادفع عن وليّك» وفي آخره «اللّهمَّ صلّ على وليك وولاة عهدك في الأئمّة من بعده» الخ.

قال بعد كلام له في شرح هذه الفقرة ما لفظه: ووجدت رواية متّصلة الاسناد بأنَّ للمهديّ صلوات الله عليه أولاد جماعة ولاة في أطراف بلاد البحر، على غاية عظيمة من صفات الأبرار، والظاهر، بل المقطوع أنّه إشارة إلى هذه الرواية. والله العالم.

ورواه أيضاً السيد الجليل عليُّ بن عبد الحميد النيليُّ في كتاب السلطان المفرّج عن أهل الإيمان، عن الشيخ الأجلّ الأمجد الحافظ حجّة الإسلام سعيد الدِّين رضيِّ البغداديِّ، عن الشيخ الأجلّ خطير الدين حمزة بن الحارث بمدينة السلام الخ.

ورواه المحدِّث الجزائري في الأنوار عن المولى الفاضل الملقّب بالرِّضا عليِّ بن فتح الله الكاشانيِّ قال: روى الشريف الزاهد.

الحكاية الرابعة

قال آية الله العلامة الحلّيُّ رحمه الله: في آخر منهاج الصلاح في دعاء العبرات: الدُّعاء المعروف وهو مرويٌّ عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام و له من جهة السيد السعيد رضيِّ الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الآوي قدّس الله روحه حكاية معروفة بخطّ بعض الفضلاء، في هامش ذلك الموضع، روى المولى السعيد فخر الدين محمّد ابن الشيخ الأجلّ جمال الدِّين، عن والده، عن جدِّه الفقيه يوسف، عن السيّد الرضيِّ المذكور أنّه كان مأخوذاً عند أمير من أمراء السلطان جرماغون، مدّة طويلة، مع شدَّة وضيق فرأى في نومه الخلف الصالح المنتظر، فبكى وقال: يا مولاي اشفع في خلاصي من هؤلاء الظلمة.

فقال عليه السلام: أدع بدعاء العبرات، فقال: ما دعاء العبرات؟ فقال: إنّه في مصباحك، فقال: يا مولاي ما في مصباحي؟ فقال عليه السلام: انظره تجده فانتبه من منامه وصلّى الصبح، وفتح المصباح، فلقي ورقة مكتوبة فيها هذا الدُّعاء بين أوراق الكتاب، فدعا أربعين مرَّة.

وكان لهذا الأمير امرأتان إحداهما عاقلة مدبّرة في أموره، وهو كثير الاعتماد عليها.

فجاء الأمير في نوبتها، فقالت له: أخذت أحداً من أولاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ فقال لها: لم تسألين عن ذلك؟ فقالت: رأيت شخصاً وكأنّ نور الشمس يتلألؤ من وجهه، فأخذ بحلقي بين أصبعيه، ثمّ قال: أرى بعلك أخذ ولدي، ويضيّق عليه في المطعم والمشرب.

فقلت له: يا سيّدي من أنت؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، قولي له: إن لم يخلِّ عنه لأخربنّ بيته.

فشاع هذا النوم للسلطان فقال: ما أعلم ذلك، وطلب نوّابه، فقال: من عندكم مأخوذ؟ فقالوا: الشيخ العلويُّ أمرت بأخذه، فقال: خلّوا سبيله، وأعطوه فرساً يركبها ودلّوه على الطريق فمضى إلى بيته انتهى.

وقال السيد الأجلُّ عليُّ بن طاوس في آخر مهج الدعوات: ومن ذلك ما حدّثني به صديقي والمؤاخي لي محمّد بن محمّد القاضي الآوي ضاعف الله جلَّ جلاله سعادته، وشرّف خاتمته، وذكر له حديثاً عجيباً وسبباً غريباً، وهو أنّه كان قد حدث له حادثة فوجد هذا الدعاء في أوراق لم يجعله فيها بين كتبه، فنسخ منه نسخة فلمّا نسخه فقد الأصل الّذي كان قد وجده إلى أن ذكر الدعاء وذكر له نسخة أُخرى من طريق آخر تخالفه.

ونحن نذكر النسخة الأولى تيمّناً بلفظ السيّد، فإنّ بين ما ذكره ونقل العلامة أيضاً اختلافاً شديداً وهي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم اللّهمَّ إنّي أسألك يا راحم العبرات، ويا كاشف الكربات أنت الّذي تقشّع سحائب المحن، وقد أمست ثقالاً، وتجلو ضباب الإحن وقد سحبت أذيالاً، وتجعل زرعتها هشيماً، وعظامها رميماً وتردُّ المغلوب غالباً والمطلوب طالباً إلهي فكم من عبد ناداك «إنّي مغلوب فانتصر» ففتحت له من نصرك أبواب السماء بماء منهمر، وفجّرت له من عونك عيوناً فالتقى ماء فرجه على أمر قد قدر، وحملته من كفايتك على ذات ألواح ودُسُر.

يا ربِّ إنّي مغلوب فانتصر، يا ربِّ إنّي مغلوب فانتصر، يا ربِّ إنّي مغلوب فانتصر، فصلِّ على محمّد وآل محمّد وافتح لي من نصرك أبواب السماء بماء منهمر، وفجّر لي من عونك عيوناً ليلتقي ماء فرجي على أمر قد قدر، واحملني يا ربِّ من كفايتك على ذات ألواح ودُسُر.

يا من إذا ولج العبد في ليل من حيرته يهيم، فلم يجد له صريخاً يصرخه من وليّ ولا حميم، صلِّ على محمّد وآل محمّد، وجد يا ربِّ من معونتك صريخاً معيناً ووليّاً يطلبه حثيثاً، ينجيه من ضيق أمره وحرجه، ويظهر له المهمَّ من أعلام فرجه.

اللّهمَّ فيا من قدرته قاهرة، وآياته باهرة، ونقماته قاصمة، لكلِّ جبّار دامغة لكلِّ كفور ختّار، صلِّ يا ربِّ على محمّد وآل محمّد وانظر إليَّ يا ربِّ نظرة من نظراتك رحيمة، تجلو بها

عنّي ظلمة واقفة مقيمة، من عاهة جفّت منها الضروع وقلقت منها الزروع، واشتمل بها على القلوب اليأس، وجرت بسببها الأنفاس.

اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمّد، وحفظاً حفظاً لغرائس غرستها يد الرّحمن وشربها من ماء الحيوان، أن تكون بيد الشيطان تجزُّ، وبفأسه تقطع وتحزُّ.

إلهي من أولى منك أن يكون من حماك حارساً ومانعاً إلهي إنَّ الأمر قد هال فهوّنه، وخشن فألنه، وإنَّ القلوب كاعت فطمنها والنفوس ارتاعت فسكّنها إلهي تدارك أقداماً قد زلّت، وأفهاماً في مهامه الحيرة ضلّت، أجحف الضرُّ بالمضرور، في داعية الويل والثبور، فهل يحسن من فضلك أن تجعله فريسة للبلاء وهو لك راج؟ أم هل يحمل من عدلك أن يخوض لجّة الغماء، وهو إليك لاج.

مولاي لئن كنت لا أشقُّ على نفسي التُّقى، ولا أبلغ في حمل أعباء الطّاعة مبلغ الرّضا، ولا أنتظم في سلك قوم رفضوا الدُّنيا، فهم خمص البطون عمش العيون من البكاء، بل أتيتك يا ربِّ بضعف من العمل، وظهر ثقيل بالخطأ والزلل، ونفس للراحة معتادة، ولدواعي التسويف منقادة، أما يكفيك يا ربِّ وسيلة إليك وذريعة لديك أنّي لأوليائك موال، وفي محبّتك مغال، أما يكفيني أن أروح فيهم مظلوماً، وأغدو مكظوماً، وأقضي بعد هموم هموماً، وبعد رجوم رجوماً؟

أما عندك يا ربِّ بهذه حرمة لا تضيع، وذمّة بأدناها يقتنع، فلم لا يمنعني يا ربِّ وها أنا ذا غريق، وتدعني بنار عدوّك حريق، أتجعل أولياءك لأعدائك مصائد، وتقلّدهم من خسفهم قلائد، وأنت مالك نفوسهم، لو قبضتها جمدوا، وفي قبضتك موادُّ أنفاسهم، لو قطعتها خمدوا.

وما يمنعك يا ربِّ أن تكفَّ بأسهم، وتنزع عنهم من حفظك لباسهم، وتعريهم من سلامة بها في أرضك يسرحون، وفي ميدان البغي على عبادك يمرحون.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأدركني ولمّا يدركني الغرق، وتداركني ولمّا غيّب شمسي للشفق.

إلهي كم من خائف التجأ إلى سلطان فآب عنه محفوفاً بأمن وأمان، أفأقصد يا ربِّ بأعظم من سلطانك سلطاناً؟ أم أوسع من إحسانك إحساناً؟ أم أكثر من اقتدارك اقتداراً؟ أم أكرم من انتصارك انتصاراً.

اللّهمَّ أين كفايتك الّتي هي نصرة المستغيثين من الأنام، وأين عنايتك الّتي هي جنّة المستهدفين لجور الأيّام، إليَّ إليَّ بها، يا ربِّ! نجّني من القوم الظّالمين إنّي مسّني الضرُّ وأنت أرحم الرّاحمين.

مولاي ترى تحيّري في أمري، وتقلّبي في ضرّي، وانطواي على حرقة قلبي وحرارة

صدري، فصلِّ يا ربِّ على محمّد وآل محمّد، وجُد لي يا ربِّ بما أنت أهله فرجاً ومخرجاً، ويسّر لي يا ربِّ نحو اليسرى منهجاً، واجعل لي يا ربِّ من نصب حبالاً لي ليصرعني بها صريع ما مكره، ومن حفر لي البئر ليوقعني فيها واقعاً فيما حفره، واصرف اللّهمّ عنّي شرَّه ومكره، وفساده وضرَّه، ما تصرفه عمّن قاد نفسه لدين الدّيان، ومناد ينادي للإيمان.

إلهي عبدك، أجب دعوته، وضعيفك ضعيفك فرِّج غمّته، فقد انقطع كلّ حبل إلاّ حبلك، وتقلّص كلُّ ظلّ إلاّ ظلّك.

مولاي دعوتي هذه إن رددتها أين تصادف موضع الإجابة، ومخيلتي إن كذّبتها أين تلاقي موضع الإخافة، فلا تردَّ عن بابك من لا يعرف غيره باباً، ولا يمتنع دون جنابك من لا يعرف سواه جناباً.

ويسجد ويقول: إلهي إنَّ وجهاً إليك برغبته توجّه، فالراغب خليق بأن تجيبه، وإنَّ جبيناً لك بابتهاله سجد، حقيق أن يبلغ ما قصد، وإن خدّاً إليك بمسألته يعفّر، جدير بأن يفوز بمراده ويظفر، وها أنا ذا يا إلهي قد ترى تعفير خدّي، وابتهالي واجتهادي في مسألتك وجدّي، فتلقَّ يا ربِّ رغباتي برأفتك قبولاً وسهّل إليّ طلباتي برأفتك وصولاً، وذلّل لي قطوف ثمرات إجابتك تذليلاً.

إلهي لا ركن أشدُّ منك فآوي إلى ركن شديد، وقد أويت إليك وعوّلت في قضاء حوائجي عليك، ولا قول أسدُّ من دعائك، فأستظهر بقول سديد، وقد دعوتك كما أمرت، فاستجب لي بفضلك كما وعدت، فهل بقي يا ربِّ إلاّ أن تجيب، وترحم منّي البكاء والنحيب، يا من لا إله سواه، ويا من يجيب المضطرَّ إذا دعاه.

ربِّ انصرني على القوم الظالمين، وافتح لي وأنت خير الفاتحين، والطف بي يا ربِّ وبجميع المؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الرّاحمين.

الحكاية الخامسة

في كتاب الكلم الطيّب والغيث الصيّب للسيّد الأيّد المتبحّر السيّد علي خان شارح الصحيفة ما لفظه: رأيت بخطّ بعض أصحابي من السّادات الأجلاّء الصّلحاء الثقات ما صورته:

سمعت في رجب سنة ثلاث وتسعين وألف، الأخ العالم العامل، جامع الكمالات الإنسيّة، والصفات القدسيّة، الأمير إسماعيل بن حسين بيك بن عليّ بن سليمان الحائري الأنصاريّ أنار الله تعالى برهانه يقول: سمعت الشيخ الصّالح التقيّ المتورّع الشيخ الحاجّ عليّاً المكّي قال: إنّي ابتليت بضيق وشدَّة ومناقضة خصوم، حتّى خفت على نفسي القتل والهلاك، فوجدت الدعاء المسطور بعد في جيبي من غير أن يعطينيه أحد، فتعجّبت من

ذلك، وكنت متحيّراً فرأيت في المنام أنّ قائلاً في زيّ الصّلحاء والزّهّاد يقول لي: إنّا أعطيناك الدُّعاء الفلانيّ فادع به تنج من الضّيق والشدّة ولم يتبيّن لي من القائل؟ فزاد تعجّبي فرأيت مرّة أخرى الحجّة المنتظر عليه السلام فقال: ادع بالدُّعاء الّذي أعطيتكه، وعلّم من أردت.

قال: وقد جرّبته مراراً عديدة، فرأيت فرجاً قريباً، وبعد مدّة ضاع منّي الدُّعاء برهة من الزمان، وكنت متأسّفاً على فواته، مستغفراً من سوء العمل، فجاءني شخص وقال لي: إنّ هذا الدُّعاء قد سقط منك في المكان الفلانيّ وما كان في بالي أن رحت إلى ذلك المكان، فأخذت الدُّعاء، وسجدت لله شكراً وهو:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ربّ أسألك مدداً روحانيّاً تقوّي به قُوى الكلّية والجزئيّة، حتّى أقهر عبادي! نفسي كلّ نفس قاهرة، فتنقبض لي إشارة رقائقها انقباضاً تسقط به قواها حتّى لا يبقى في الكون ذو روح إلاّ ونار قهري قد أحرقت ظهوره، يا شديد يا شديد، يا ذا البطش الشديد، يا قهّار، أسألك بما أودعته عزرائيل من أسمائك القهريّة، فانفعلت له النفوس بالقهر، أن تودعني هذا السرّ في هذه السّاعة حتّى أليّن به كلّ صعب، وأذلّل به كلّ منيع، بقوّتك يا ذا القوّة المتين.

تقرأ ذلك سحراً ثلاثاً إن أمكن، وفي الصّبح ثلاثاً وفي المساء ثلاثاً، فإذا اشتدّ الأمر على من يقرأه يقول بعد قراءته ثلاثين مرّة: يا رحمن يا رحيم يا أرحم الرّاحمين، أسألك اللّطف بما جرت به المقادير.

الحكاية السادسة

الشيخ إبراهيم الكفعميّ في كتاب البلد الأمين عن المهديّ سلام الله عليه: من كتب هذا الدُّعاء في إناء جديد، بتربة الحسين عليه السلام وغسله وشربه، شفي من علّته.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، بسم الله دواء، والحمد لله شفاء، ولا إله إلاّ الله كفاء هو الشافي شفاء، وهو الكافي كفاء، أذهب البأس بربّ النّاس شفاء لا يغادره سقم وصلّى الله على محمّد وآله النجباء.

ورأيت بخطّ السيّد زين الدّين عليّ بن الحسين الحسيني رحمه الله أنّ هذا الدُّعاء تعلّمه رجل كان مجاوراً بالحائر على مشرّفه السّلام [عن] المهديّ سلام الله عليه في منامه، وكان به علّة فشكاها إلى القائم عجّل الله فرجه، فأمره بكتابته وغسله وشربه، ففعل ذلك فبرئ في الحال.

الحكاية السابعة

السيّد الجليل عليّ بن طاوس في مهج الدّعوات: وجدت في مجلّد عتيق ذكر كاتبه أنّ اسمه الحسين بن عليّ بن هند، وأنّه كتب في شوّال سنة ستّ وتسعين وثلاثمائة دعاء العلوي المصريّ بما هذا لفظ إسناده:

دعاء علّمه سيّدنا المؤمّل سلام الله عليه رجلاً من شيعته وأهله في المنام وكان مظلوماً ففرّج الله عنه، وقتل عدوّه.

حدَّثني أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسين، وإسحاق بن جعفر بن محمّد العلويُّ العريضيُّ بحرَّان، قال: حدَّثني محمّد بن علي العلويُّ الحسينيُّ، وكان يسكن بمصر قال: دهمني أمر عظيم، وهمٌّ شديد، من قبل صاحب مصر، فخشيته على نفسي وكان سعى بي إلى أحمد بن طولون، فخرجت من مصر حاجّاً فصرت من الحجاز إلى العراق، فقصدت مشهد مولانا وأبي: الحسين بن عليّ عليه السلام عائذاً به، ولائذاً بقبره، ومستجيراً به، من سطوة من كنت أخافه، فأقمت بالحائر خمسة عشر يوماً أدعو وأتضرَّع ليلي ونهاري فتراءى لي قيّم الزمان عليه السلام ووليُّ الرحمن، وأنا بين النائم واليقظان، فقال لي: يقول لك الحسين بن علي عليه السلام يا بني خفت فلاناً؟ فقلت: نعم اراد هلاكي، فلجأت إلى سيدي عليه السلام أشكو إليه عظيم ما أراد بي.

فقال عليه السلام: هلاّ دعوت الله ربّك عزّ وجلّ وربَّ آبائك بالأدعية الّتي دعا بها من سلف من الأنبياء عليهم السلام فقد كانوا في شدَّة فكشف الله عنهم ذلك، قلت: وماذا أدعوه فقال عليه السلام: إذا كان ليلة الجمعة، فاغتسل وصلّ صلاة اللّيل فإذا سجدت سجدة الشكر، دعوت بهذا الدُّعاء، وأنت بارك على ركبتك، فذكر لي دعاء، قال: ورأيته في مثل ذلك الوقت، يأتيني وأنا بين النائم واليقظان، قال: وكان يأتيني خمس ليال متواليات يكرّر عليَّ هذا القول والدُّعاء حتّى حفظته وانقطع مجيئه ليلة الجمعة.

فاغتسلت وغيّرت ثيابي، وتطيّبت وصلّيت صلاة اللّيل، وسجدت سجدة الشكر، وجثوت على ركبتي، ودعوت الله جلَّ وتعالى بهذا الدُّعاء فأتاني ليلة السبت، فقال لي: قد أُجيبت دعوتك يا محمّد! وقتل عدوُّك عند فراغك من الدُّعاء عند من وشى به إليه.

فلمّا أصبحت ودَّعت سيّدي، وخرجت متوجّهاً إلى مصر، فلمّا بلغت الأردنّ وأنا متوجّه إلى مصر، رأيت رجلاً من جيراني بمصر وكان مؤمناً فحدَّثني أنَّ خصمي قبض عليه أحمد بن طولون، فأمر به فأصبح مذبوحاً من قفاه، قال: وذلك في ليلة الجمعة، فأمر به فطرح في النيل، وكان فيما أخبرني جماعة من أهلينا وإخواننا الشيعة أنَّ ذلك كان فيما بلغهم عند فراغي من الدُّعاء كما أخبرني مولاي صلوات الله عليه.

ثمَّ ذكر له طريقاً آخر عن أبي الحسن عليّ بن حمّاد البصري قال: أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمّد العلويُّ قال: حدَّثني محمّد بن عليّ العلويُّ الحسينيُّ المصريُّ قال: أصابني غمٌّ شديد، ودهمني أمر عظيم، من قبل رجل من أهل بلدي من ملوكه، فخشيته خشية لم أرجُ لنفسي منها مخلصاً.

فقصدت مشهد ساداتي وآبائي صلوات الله عليهم بالحائر لائذاً بهم عائذاً بقبرهم،

ومستجيراً من عظيم سطوة من كنت أخافه، وأقمت بها خمسة عشر يوماً أدعو وأتضرَّع ليلاً ونهاراً فتراءى لي قائم الزّمان ووليُّ الرّحمن، عليه وعلى آبائه أفضل التحيّة والسّلام، فأتاني بين النائم واليقظان، فقال لي: يا بنيَّ خفت فلاناً؟ فقلت: نعم، أرادني بكيت وكيت، فالتجأت إلى ساداتي عليهم السلام أشكو إليهم ليخلّصوني منه.

فقال: هلاّ دعوت الله ربّك وربَّ آبائك بالأدعية الّتي دعا بها أجدادي الأنبياء صلوات الله عليهم، حيث كانوا في الشدَّة فكشف الله عزّ وجلّ عنهم ذلك؟ قلت: وبماذا دعوه به لأدعوه؟ قال عليه وعلى آبائه السلام: إذا كان ليلة الجمعة، قم واغتسل، وصلِّ صلواتك فإذا فرغت من سجدة الشكر، فقل وأنت بارك على ركبتيك، وادع بهذا الدُّعاء مبتهلاً.

قال: وكان يأتيني خمس ليال متواليات، يكرِّر عليَّ القول وهذا الدُّعاء حتّى حفظته، وانقطع مجيئه في ليلة الجمعة، فقمت واغتسلت وغيّرت ثيابي وتطيّبت وصلّيت ما وجب عليَّ من صلاة اللّيل، وجثوت على ركبتي، فدعوت الله عزّ وجلّ بهذا الدُّعاء فأتاني عليه السلام ليلة السّبت، كهيئته الّتي يأتيني فيها: فقال لي: قد أُجيبت دعوتك يا محمّد! وقتل عدوُّك، وأهلكه الله عزّ وجلّ عند فراغك من الدُّعاء.

قال: فلمّا أصبحت لم يكن لي همٌّ غير وداع ساداتي صلوات الله عليهم والرحلة نحو المنزل الّذي هربت منه، فلمّا بلغت بعض الطريق إذا رسول أولادي وكتبهم بأنَّ الرجل الّذي هربت منه، جمع قوماً واتّخذ لهم دعوة، فأكلوا وشربوا وتفرَّق القوم، ونام هو وغلمانه في المكان فأصبح الناس ولم يسمع له حسٌّ، فكشف عنه الغطاء فإذا به مذبوحاً من قفاه، ودماؤه تسيل، وذلك في ليلة الجمعة، ولا يدرون من فعل به ذلك؟ ويأمرونني بالمبادرة نحو المنزل.

فلمّا وافيت إلى المنزل، وسألت عنه وفي أيِّ وقت كان قتله، فإذا هو عند فراغي من الدُّعاء.

ثمَّ ساق رحمه الله الدُّعاء بتمامه وهو طويل ولذا تركنا نقله حذراً من الخروج عن وضع الكتاب، مع كونه في غاية الانتشار، وهذه الحكاية موجودة في باب المعاجز من البحار وإنّما ذكرناها لذكر السّند وتكرُّر الطريق.

الحكاية الثامنة

في تاريخ قم تأليف الشيخ الفاضل الحسن بن محمّد بن الحسن القمّي من كتاب مؤنس الحزين في معرفة الحقّ واليقين، من مصنّفات أبي جعفر محمّد بن بابويه القمّي ما لفظه بالعربية:

باب ذكر بناء مسجد جمكران، بأمر الإمام المهديّ عليه صلوات الله الرّحمن وعلى آبائه المغفرة، سبب بناء المسجد المقدَّس في جمكران بأمر الإمام عليه السلام على ما أخبر به الشيخ العفيف الصّالح حسن بن مثلة الجمكرانيّ قال: كنت ليلة الثلاثاء السّابع عشر من شهر

رمضان المبارك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة نائماً في بيتي فلّما مضى نصف من اللّيل فإذا بجماعة من النّاس على باب بيتي فأيقظوني، وقالوا: قم وأجب الإمام المهديَّ صاحب الزّمان فإنّه يدعوك.

قال: فقمت وتعبّأت وتهيّأت، فقلت: دعوني حتّى ألبس قميصي، فإذا بنداء من جانب الباب: «هو ما كان قميصك» فتركته وأخذت سراويلي، فنودي: «ليس ذلك منك، فخذ سراويلك» فألقيته وأخذت سراويلي ولبسته، فقمت إلى مفتاح الباب أطلبه فنودي «الباب مفتوح».

فلمّا جئت إلى الباب، رأيت قوماً من الأكابر، فسلّمت عليهم، فردُّوا ورحّبوا بي، وذهبوا بي إلى موضع هو المسجد الآن، فلمّا أمعنت النظر رأيت أريكة فرشت عليها فراش حسان، وعليها وسائد حسان، ورأيت فتى في زيّ ابن ثلاثين متّكئاً عليها، وبين يديه شيخ، وبيده كتاب يقرؤه عليه، وحوله أكثر من ستّين رجلاً يصلّون في تلك البقعة، وعلى بعضهم ثياب بيض، وعلى بعضهم ثياب خضر.

وكان ذلك الشيخ هو الخضر عليه السلام فأجلسني الشيخ عليه السلام، ودعاني الإمام عليه السلام باسمي، وقال: اذهب إلى حسن بن مسلم، وقل له: إنّك تعمر هذه الأرض منذ سنين وتزرعها، ونحن نخرّبها، زرعت خمس سنين، والعام أيضاً أنت على حالك من الزراعة والعمارة؟ ولا رخصة لك في العود إليها وعليك ردُّ ما انتفعت به من غلاّت هذه الأرض ليبنى فيها مسجد وقل لحسن بن مسلم إنَّ هذه أرض شريفة قد اختارها الله تعالى من غيرها من الأراضي وشرّفها، وأنت قد أضفتها إلى أرضك، وقد جزاك الله بموت ولدين لك شابّين، فلم تنتبه عن غفلتك، فإن لم تفعل ذلك لأصابك من نقمة الله من حيث لا تشعر.

قال حسن بن مثلة: [قلت] يا سيّدي لا بدَّ لي في ذلك من علامة، فإنَّ القوم لا يقبلون ما لا علامة ولا حجّة عليه، ولا يصدّقون قولي، قال: إنّا سنعلم هناك فاذهب وبلّغ رسالتنا، واذهب إلى السيّد أبي الحسن وقل له: يجيء ويحضره ويطالبه بما أخذ من منافع تلك السنين، ويعطيه الناس حتّى يبنوا المسجد، ويتمُّ ما نقص منه من غلّة رهق ملكنا بناحية أردهال ويتمُّ المسجد، وقد وقفنا نصف رهق على هذا المسجد، ليجلب غلّته كلَّ عام، ويصرف إلى عمارته.

وقل للناس: ليرغبوا إلى هذا الموضع ويعزّروه ويصلّوا هنا أربع ركعات للتحيّة في كلّ ركعة يقرأ سورة الحمد مرّة، وسورة الإخلاص سبع مرّات ويسبّح في الركوع والسجود سبع مرّات، وركعتان للإمام صاحب الزّمان عليه السلام هكذا: يقرأ الفاتحة فإذا وصل إلى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ كرّره مائة مرّة ثم يقرؤها إلى آخرها وهكذا يصنع في الركعة الثانية، ويسبّح في الركوع والسجود سبع مرّات، فإذا أتمَّ الصلاة يهلّل ويسبّح تسبيح فاطمة

الزّهراء عليها السلام فإذا فرغ من التسبيح يسجد ويصلّي على النبيّ وآله مائة مرّة، ثمّ قال عليه السلام: ما هذه حكاية لفظه: فمن صلاّها فكأنما صلّى في البيت العتيق.

قال حسن بن مثلة: قلت في نفسي كأنّ هذا موضع أنت تزعم أنّما هذا المسجد للإمام صاحب الزّمان مشيراً إلى ذلك الفتى المتكيء على الوسائد فأشار ذلك الفتى إليّ أن اذهب.

فرجعت فلمّا سرت بعض الطريق دعاني ثانية، وقال: إنّ في قطيع جعفر الكاشاني الراعي معزاً يجب أن تشتريه فإن أعطاك أهل القرية الثمن تشتريه وإلاّ فتعطي من مالك، وتجيء به إلى هذا الموضع، وتذبحه اللّيلة الآتية ثمّ تنفق يوم الأربعاء الثامن من شهر رمضان المبارك لحم ذلك المعز على المرضى، ومن به علّة شديدة، فإنّ الله يشفي جميعهم، وذلك المعز أبلق، كثير الشعر، وعليه سبع علامات سود وبيض: ثلاث على جانب وأربع على جانب، سود وبيض كالدّراهم.

فذهبت فأرجعوني ثالثة، وقال عليه السلام: تقيم بهذا المكان سبعين يوماً أو سبعاً فإن حملت على السبع انطبق على ليلة القدر، وهو الثالث والعشرون وإن حملت على السبعين انطبق على الخامس والعشرين من ذي القعدة، وكلاهما يوم مبارك.

قال حسن بن مثلة: فعُدت حتّى وصلت إلى داري ولم أزل اللّيل متفكّراً حتّى أسفر الصبح، فأدّيت الفريضة، وجئت إلى عليّ بن المنذر، فقصصت عليه الحال، فجاء معي حتّى بلغت المكان الّذي ذهبوا بي إليه البارحة، فقال: والله إنّ العلامة الّتي قال لي الإمام واحد منها أنّ هذه السلاسل والأوتاد ههنا.

فذهبنا إلى السيّد الشريف أبي الحسن الرضا فلما وصلنا إلى باب داره رأينا خدّامه وغلمانه يقولون إن السيّد أبا الحسن الرّضا ينتظرك من سحر، أنت من جمكران؟ قلت: نعم، فدخلت عليه الساعة، سلّمت عليه وخضعت فأحسن في الجواب وأكرمني ومكّن لي في مجلسه، وسبقني قبل أن أحدّثه وقال: يا حسن بن مثلة إنّي كنت نائماً فرأيت شخصاً يقول لي: إنّ رجلاً من جمكران يقال له: حسن بن مثلة يأتيك بالغدوّ، ولتصدّقن ما يقول، واعتمد على قوله، فإنّ قوله قولنا، فلا تردّنّ عليه قوله، فانتبهت من رقدتي، وكنت أنتظرك الآن.

فقصّ عليه الحسن بن مثلة القصص مشروحاً فأمر بالخيول لتسرج، وتخرّجوا فركبوا فلمّا قربوا من القرية رأوا جعفر الراعي وله قطيع على جانب الطريق فدخل حسن بن مثلة بين القطيع، وكان ذلك المعز خلف القطيع فأقبل المعز عادياً إلى الحسن بن مثلة فأخذه الحسن ليعطي ثمنه الراعي ويأتي به فأقسم جعفر الراعي أنّي ما رأيت هذا المعز قطّ، ولم يكن في قطيعي إلاّ أنّي رأيته وكلّما أريد أن آخذه لا يمكنني، والآن جاء إليك، فأتوا بالمعز كما أمر به السيّد إلى ذلك الموضع وذبحوه.

وجاء السيّد أبو الحسن الرّضا رحمه الله إلى ذلك الموضع، وأحضروا الحسن بن مسلم

واستردُّوا منه الغلاّت، وجاؤوا بغلاّت رهق، وسقّفوا المسجد بالجزوع وذهب السيّد أبو الحسن الرّضا رحمه الله بالسلاسل والأوتاد وأودعها في بيته فكان يأتي المرضى والأعلاّء ويمسُّون أبدانهم بالسلاسل فيشفيهم الله تعالى عاجلاً ويصحّون.

قال أبو الحسن محمّد بن حيدر: سمعت بالاستفاضة أنّ السيّد أبا الحسن الرّضا في المحلّة المدعوّة بموسويان من بلدة قم، فمرض بعد وفاته ولد له، فدخل بيته وفتح الصندوق الّذي فيه السلاسل والأوتاد، فلم يجدها.

انتهت حكاية بناء هذا المسجد الشريف، المشتملة على المعجزات الباهرة والآثار الظاهرة الّتي منها وجود مثل بقرة بني إسرائيل في معز من معزى هذه الأمّة.

قال المؤلّف: لا يخفى أنّ مؤلّف تاريخ قم، هو الشيخ الفاضل حسن بن محمّد القميُّ وهو من معاصري الصدوق رضوان الله عليهم وروى في ذلك الكتاب، عن أخيه حسين بن عليّ بن بابويه رضوان الله عليهم، وأصل الكتاب على اللّغة العربيّة ولكن في السنة الخامسة والستّين بعد ثمانمائة نقله إلى الفارسيّة حسن بن عليّ بن حسن بن عبد الملك بأمر الخاجا فخر الدّين إبراهيم بن الوزير الكبير الخاجا عماد الدّين محمود بن الصاحب الخاجا شمس الدّين محمّد بن عليّ الصفي.

قال العلامة المجلسيُّ في أوّل البحار: إنّه كتاب معتبر، ولكن لم يتيسّر لنا أصله، وما بأيدينا إنّما هو ترجمته وهذا كلام عجيب، لأنّ الفاضل الألمعي الميرزا محمّد أشرف صاحب كتاب فضائل السادات كان معاصراً له ومقيماً بأصفهان، وهو ينقل من النسخة العربيّة بل ونقل عنه الفاضل المحقّق الآغا محمّد عليّ الكرمانشهاني في حواشيه على نقد الرّجال، في باب الحاء في اسم الحسن، حيث ذكر الحسن بن مثلة، ونقل ملخّص الخبر المذكور من النسخة العربيّة، وأعجب منه أنّ أصل الكتاب كان مشتملاً على عشرين باباً.

وذكر العالم الخبير الميرزا عبد الله الأصفهانيّ تلميذ العلاّمة المجلسيّ في كتابه الموسوم برياض العلماء في ترجمة صاحب هذا التاريخ إنّه ظفر على ترجمة هذا التاريخ في قم، وهو كتاب كبير حسن كثير الفوائد في مجلّدات عديدة.

ولكنّي لم أظفر على أكثر من مجلّد واحد، مشتمل على ثمانية أبواب بعد الفحص الشائع.

وقد نقلنا الخبر السابق من خطّ السيّد المحدّث الجليل السيّد نعمة الله الجزائريّ عن مجموعة نقله منه ولكنّه كان بالفارسيّة فنقلناه ثانياً إلى العربيّة ليلائم نظم هذا المجموع، ولا يخفى أنّ كلمة «التسعين» الواقعة في صدر الخبر بالمثنّاة فوق ثمّ السين المهملة، كانت في الأصل سبعين مقدّم المهملة على الموحّدة واشتبه على الناسخ لأنّ وفاة الشيخ الصدوق كانت قبل التسعين، ولذا نرى جمعاً من العلماء يكتبون في لفظ السبع أو السبعين بتقديم السين أو التاء حذراً عن التصحيف والتحريف والله تعالى هو العالم.

الحكاية التاسعة

ما حدَّثني به العالم العامل، والعارف الكامل غوَّاص غمرات الخوف والرجاء وسيّاح فيافي الزُّهد والتُّقى، صاحبنا المفيد، وصديقنا السديد، الآغا علي رضا ابن العالم الجليل الحاجّ المولى محمّد النائيني، رحمهما الله تعالى، عن العالم البدل الورع التقيّ صاحب الكرامات، والمقامات العاليات، المولى زين العابدين ابن العالم الجليل المولى محمّد السلماسي رحمه الله تلميذ آية الله السيد السند، والعالم المسدَّد فخر الشيعة وزينة الشريعة العلاّمة الطباطبائيّ السيد محمّد مهدي المدعوّ ببحر العلوم أعلى الله درجته، وكان المولى المزبور من خاصّته في السرّ والعلانية.

قال: كنت حاضراً في مجلس السيّد في المشهد الغرويّ إذ دخل عليه لزيارته المحقّق القميُّ صاحب القوانين في السّنة الّتي رجع من العجم إلى العراق زائراً لقبور الأئمّة عليهم السلام وحاجّاً لبيت الله الحرام، فتفرّق من كان في المجلس وحضر للاستفادة منه، وكانوا أزيد من مائة وبقيت ثلاثة من أصحابه أرباب الورع والسداد البالغين إلى رتبة الاجتهاد.

فتوجّه المحقّق الأيّد إلى جناب السيّد وقال: إنّكم فُزتم وحُزتم مرتبة الولادة الرُّوحانيّة والجسمانيّة، وقرب المكان الظاهريّ والباطنيّ، فتصدَّقوا علينا بذكر مائدة من موائد تلك الخوان، وثمرة من الثمار الّتي جنيتم من هذه الجنان، كي ينشرح به الصدور، وتطمئنّ به القلوب.

فأجاب السيّد من غير تأمّل، وقال: إنّي كنت في اللّيلة الماضية قبل ليلتين أو أقلّ - والترديد من الراوي - في المسجد الأعظم بالكوفة، لأداء نافلة اللّيل عازماً على الرُّجوع إلى النجف في أوّل الصبح، لئلا يتعطّل أمر البحث والمذاكرة وهكذا كان دأبه في سنين عديدة.

فلمّا خرجت من المسجد ألقي في روعي الشوق إلى مسجد السهلة، فصرفت خيالي عنه، خوفاً من عدم الوصول إلى البلد قبل الصبح، فيفوت البحث في اليوم ولكن كان الشوق يزيد في كلّ آن، ويميل القلب إلى ذلك المكان، فبينا أُقدّم رجلاً وأُؤخّر أخرى، إذا بريح فيها غبار كثير، فهاجت بي وأمالتني عن الطريق فكأنّها التوفيق الّذي هو خير رفيق، إلى أن ألقتني إلى باب المسجد.

فدخلت فإذا به خالياً عن العبّاد والزُّوار، إلاّ شخصاً جليلاً مشغولاً بالمناجاة مع الجبّار، بكلمات ترقُّ القلوب القاسية، وتسح الدُّموع من العيون الجامدة، فطار بالي، وتغيّرت حالي، ورجفت ركبتي، وهملت دمعتي من استماع تلك الكلمات الّتي لم تسمعها أُذني، ولم ترها عيني، ممّا وصلت إليه من الأدعية المأثورة، وعرفت أنَّ الناجي ينشئها في الحال، لا أنّه ينشد ما أُودعه في البال.

فوقفت في مكاني مستمعاً متلذّذاً إلى أن فرغ من مناجاته، فالتفت إليّ وصاح بلسان

العجم: «مهدي بيا» أي: هلمّ يا مهديُّ، فتقدَّمت إليه بخطوات فوقفت، فأمرني بالتقدُّم فمشيت قليلاً ثمّ وقفت، فأمرني بالتقدُّم وقال: إنَّ الأدب في الامتثال، فتقدَّمت إليه بحيث تصل يدي إليه، ويده الشريفة إليَّ وتكلّم بكلمة.

قال المولى السلماسيُّ رحمه الله: ولمّا بلغ كلام السيّد السند إلى هنا أضرب عنه صفحاً، وطوى عنه كشحاً، وشرح في الجواب عمّا سأله المحقّق المذكور قبل ذلك. عن سرِّ قلّة تصانيفه، مع طول باعه في العلوم، فذكر له وجوهاً فعاد المحقّق القميُّ فسأل عن هذا الكلام الخفيِّ فأشار بيده شبه المنكر بأنَّ هذا سرٌّ لا يذكر.

الحكاية العاشرة

حدَّثني الأخ الصفيُّ المذكور عن المولى السلماسيِّ رحمه الله، قال: كنت حاضراً في محفل إفادته، فسأله رجل عن إمكان رؤية الطلعة الغرّاء في الغيبة الكبرى، وكان بيده الآلة المعروفة لشرب الدُّخان المسمّى عند العجم بغليان فسكت عن جوابه وطأطأ رأسه، وخاطب نفسه بكلام خفيٍّ أسمعه فقال ما معناه: «ما أقول في جوابه؟ وقد ضمّني صلوات الله عليه إلى صدره، وورد أيضاً في الخبر تكذيب مدَّعي الرُّؤية، في أيّام الغيبة» فكرّر هذا الكلام.

ثمَّ قال في جواب السائل: إنّه قد ورد في أخبار أهل العصمة تكذيب من ادَّعى رؤية الحجّة عجّل الله تعالى فرجه، واقتصر في جوابه عليه من غير إشارة إلى ما أشار إليه.

الحكاية الحادية عشرة

وبهذا السند عن المولى المذكور قال: صلّينا مع جنابه في داخل حرم العسكريّين عليهما السلام فلمّا أراد النهوض من التشهّد إلى الركعة الثالثة، عرضته حالة فوقف هنيئة ثمَّ قام.

ولمّا فرغنا تعجّبنا كلّنا، ولم نفهم ما كان وجهه، ولم يجترىء أحدٌ منّا على السؤال عنه إلى أن أتينا المنزل، وأحضرت المائدة، فأشار إليَّ بعض السادة من أصحابنا أن أسأله منه، فقلت: لا وأنت أقرب منّا فالتفت رحمه الله إليَّ وقال: فيم تقاولون؟ قلت وكنت أجسر الناس عليه: إنّهم يريدون الكشف عمّا عرض لكم في حال الصلاة، فقال: إنَّ الحجّة عجّل الله تعالى فرجه، دخل الروضة للسلام على أبيه عليه السلام فعرضني ما رأيتم من مشاهدة جماله الأنور إلى أن خرج منها.

الحكاية الثانية عشرة

بهذا السند عن ناظر أموره في أيّام مجاورته بمكّة قال: كان رحمه الله مع كونه في بلد الغربة منقطعاً عن الأهل والإخوة، قويَّ القلب في البذل والعطاء، غير مكترث بكثرة المصارف، فاتّفق في بعض الأيّام أن لم نجد إلى درهم سبيلاً فعرَّفته الحال، وكثرة المؤنة، وانعدام

المال، فلم يقل شيئاً وكان دأبه أن يطوف بالبيت بعد الصبح ويأتي إلى الدّار، فيجلس في القبّة المختصّة به، ونأتي إليه بغليان فيشربه، ثمّ يخرج إلى قبّة أخرى تجتمع فيها تلامذته، من كلّ المذاهب فيدرس لكلّ على مذهبه.

فلمّا رجع من الطواف في اليوم الّذي شكوته في أمسه نفود النفقة، وأحضرت الغليان على العادة، فإذا بالباب يدقّه أحد فاضطرب أشدّ الاضطراب، وقال لي: خذ الغليان وأخرجه من هذا المكان، وقام مسرعاً خارجاً عن الوقار والسكينة والآداب، ففتح الباب ودخل شخص جليل في هيئة الأعراب، وجلس في تلك القبّة وقعد السيّد عند بابها، في نهاية الذلّة والمسكنة، وأشار إليّ أن لا أقرّب إليه الغليان.

فقعدا ساعة يتحدّثان، ثمّ قام فقام السيّد مسرعاً وفتح الباب، وقبّل يده وأركبه على جمله الّذي أناخه عنده، ومضى لشأنه، ورجع السيّد متغيّر اللّون وناولني براة، وقال: هذه حوالة على رجل صرّاف، قاعد في جبل الصفا واذهب إليه وخذ منه ما أحيل عليه.

قال: فأخذتها وأتيت بها إلى الرّجل الموصوف، فلمّا نظر إليها قبّلها وقال: عليّ بالحماميل فذهبت وأتيت بأربعة حماميل فجاء بالدّراهم من الصنف الّذي يقال له: ريال فرانسة، يزيد كلّ واحد على خمسة قرانات العجم وما كانوا يقدرون على حمله، فحملوها على أكتافهم، وأتينا بها إلى الدّار.

ولمّا كان في بعض الأيّام، ذهبت إلى الصرّاف لأسأل منه حاله، وممّن كانت تلك الحوالة فلم أر صرّافاً ولا دكّاناً فسألت عن بعض من حضر في ذلك المكان عن الصرّاف، فقال: ما عهدنا في هذا المكان صرّافاً أبداً وإنّما يقعد فيه فلان فعرفت أنه من أسرار الملك المنّان، وألطاف وليّ الرّحمن.

وحدّثني بهذه الحكاية الشيخ العالم الفقيه النحرير المحقّق الوجيه، صاحب التصانيف الرائقة، والمناقب الفائقة، الشيخ محمّد حسين الكاظميّ المجاور بالغريّ أطال الله بقاه، عمّن حدّثه من الثقات عن الشخص المذكور.

الحكاية الثالثة عشرة

حدّثني السيّد السند، والعالم المعتمد، المحقّق الخبير، والمضطلع البصير السيّد علي سبط السيد أعلى الله مقامه، وكان عالماً مبرّزاً له شرح النافع، حسن نافع جدّاً، وغيره عن الورع التقيّ النقي الوفيّ الصفيّ السيد مرتضى صهر السيّد أعلى الله مقامه على بنت أخته وكان مصاحباً له في السفر والحضر، مواظباً لخدماته في السرّ والعلانية، قال: كنت معه في سرّ من رأى في بعض أسفار زيارته، وكان السيّد ينام في حجرة وحده، وكان لي حجرة بجنب حجرته، وكنت في نهاية المواظبة في أوقات خدماته باللّيل والنهار، وكان يجتمع إليه الناس في أوّل اللّيل إلى أن يذهب شطر منه في أكثر اللّيالي.

فاتّفق أنّه في بعض اللّيالي قعد على عادته، والناس مجتمعون حوله، فرأيته كأنّه يكره الاجتماع، ويحبّ الخلوة، ويتكلّم مع كلّ واحد بكلام فيه إشارة إلى تعجيله بالخروج من عنده، فتفرّق الناس ولم يبق غيري فأمرني بالخروج فخرجت إلى حجرتي متفكّراً في حالته في تلك اللّيلة، فمنعني الرُّقاد، فصبرت زماناً فخرجت متخفّياً لأتفقّد حاله فرأيت باب حجرته مغلقاً فنظرت من شقّ الباب وإذا السراج بحاله وليس فيه أحد، فدخلت الحجرة، فعرفت من وضعها أنه ما نام في تلك اللّيلة.

فخرجت حافياً متخفّياً أطلب خبره، وأقفو أثره، فدخلت الصحن الشريف فرأيت أبواب قبّة العسكريّين مغلقة، فتفقّدت أطراف خارجها فلم أجد منه أثراً فدخلت الصحن الأخير الّذي فيه السرداب، فرأيته مفتّح الأبواب.

فنزلت من الدَّرج حافياً متخفّياً متأنّياً بحيث لا يسمع منّي حسٌّ ولا حركة فسمعت همهمة من صُفّة السرداب، كأنَّ أحداً يتكلّم مع الآخر، ولم أميّز الكلمات إلى أن بقيت ثلاثة أو أربعة منها، وكان دبيبي أخفى من دبيب النملة في اللّيلة الظلماء على الصخرة الصمّاء، فإذا بالسيّد قد نادى في مكانه هناك: يا سيّد مرتضى ما تصنع؟ ولم خرجت من المنزل؟

فبقيت متحيّراً ساكتاً كالخشب المسنّدة، فعزمت على الرُّجوع قبل الجواب ثمَّ قلت في نفسي كيف تخفى حالك على من عرفك من غير طريق الحواسّ فأجبته معتذراً نادماً، ونزلت في خلال الاعتذار إلى حيث شاهدت الصفّة فرأيته وحده واقفاً تجاه القبلة، ليس لغيره هناك أثر فعرفت أنّه يناجي الغائب عن أبصار البشر عليه سلام الله الملك الأكبر، فرجعت حريّاً لكلّ ملامة، غريقاً في بحار الندامة إلى يوم القيامة..

الحكاية الرابعة عشرة

حدَّث الشيخ الصالح الصفيُّ الشيخ أحمد الصدتوماني وكان ثقة تقيّاً ورعاً قال: قد استفاض عن جدّنا المولى محمّد سعيد الصّدتوماني وكان من تلامذة السيّد رحمه الله أنه جرى في مجلسه ذكر قضايا مصادفة رؤية المهديِّ عليه السلام، حتّى تكلّم هو في جملة من تكلّم في ذلك فقال: أحببت ذات يوم أن أصل إلى مسجد السهلة في وقت ظننته فيه فارغاً من الناس. فلمّا انتهيت إليه، وجدته غاصّاً بالناس، ولهم دويٌّ ولا أعهد أن يكون في ذلك الوقت فيه أحد.

فدخلت فوجدت صفوفاً صافّين للصلاة جامعة، فوقفت إلى جنب الحائط على موضع فيه رمل، فعلوته لأنظر هل أجد خللاً في الصفوف فأسدُّه فرأيت موضع رجل واحد في صفّ من تلك الصفوف، فذهبت إليه ووقفت فيه.

فقال رجل من الحاضرين: هل رأيت المهديَّ عليه السلام فعند ذلك سكت السيّد وكأنّه كان نائماً ثمَّ انتبه فكلّما طلب منه إتمام المطلب لم يتمّه.

الحكاية الخامسة عشرة

حدَّث الشيخ الفاضل العالم الثقة الشيخ باقر الكاظميُّ المجاور في النجف الأشرف آل الشيخ طالب نجل العالم العابد الشيخ هادي الكاظميّ قال: كان في النجف الأشرف رجل مؤمن يسمّى الشيخ محمّد حسن السريرة، وكان في سلك أهل العلم ذا نيّة صادقة، وكان معه مرض السُّعال إذا سعل يخرج من صدره مع الأخلاط دم، وكان مع ذلك في غاية الفقر والاحتياج، لا يملك قوت يومه، وكان يخرج في أغلب أوقاته إلى البادية إلى الأعراب الّذين في أطراف النجف الأشرف، ليحصل له قوت ولو شعير، وما كان يتيسّر ذلك على وجه يكفيه، مع شدَّة رجائه، وكان مع ذلك قد تعلّق قلبه بتزويج امرأة من أهل النجف، وكان يطلبها من أهلها وما أجابوه إلى ذلك لقلّة ذات يده، وكان في همّ وغمّ شديد من جهة ابتلائه بذلك.

فلمّا اشتدَّ به الفقر والمرض، وأيس من تزويج البنت، عزم على ما هو معروف عند أهل النجف من أنّه من أصابه أمر فواظب الرَّواح إلى مسجد الكوفة أربعين ليلة الأربعاء، فلا بدَّ أن يرى صاحب الأمر عجّل الله فرجه من حيث لا يعلم ويقضي له مراده.

قال الشيخ باقر قدِّس سرُّه: قال الشيخ محمّد: فواظبت على ذلك أربعين ليلة بالأربعاء فلمّا كانت اللّيلة الأخيرة وكانت ليلة شتاء مظلمة، وقد هبّت ريح عاصفة، فيها قليل من المطر، وأنا جالس في الدكّة الّتي هي داخل في باب المسجد وكانت الدكّة الشرقيّة المقابلة للباب الأوَّل تكون على الطرف الأيسر، عند دخول المسجد، ولا أتمكّن الدُّخول في المسجد من جهة سعال الدَّم، ولا يمكن قذفه في المسجد وليس معي شيء أتّقي فيه عن البرد، وقد ضاق صدري، واشتدَّ عليَّ همّي وغمّي، وضاقت الدُّنيا في عيني، وأفكّر أنَّ اللّيالي قد انقضت، وهذه آخرها، وما رأيت أحداً ولا ظهر لي شيء، وقد تعبت هذا التعب العظيم، وتحمّلت المشاقَّ والخوف في أربعين ليلة، أجيء فيها من النجف إلى مسجد الكوفة، ويكون لي الإياس من ذلك.

فبينما أنا أفكّر في ذلك، وليس في المسجد أحد أبداً وقد أوقدت ناراً لأسخن عليها قهوة جئت بها من النجف، لا أتمكّن من تركها لتعوُّدي بها، وكانت قليلة جدّاً إذا بشخص من جهة الباب الأوَّل متوجّهاً إليَّ فلمّا نظرته من بعيد تكدَّرت وقلت في نفسي: هذا أعرابيٌّ من أطراف المسجد، قد جاء إليَّ ليشرب من القهوة وأبقى بلا قهوة في هذا اللّيل المظلم، ويزيد عليَّ همّي وغمّي.

فبينما أنا أفكّر إذا به قد وصل إليَّ وسلّم عليَّ باسمي وجلس في مقابلي فتعجّبت من معرفته باسمي، وظننته من الّذين أخرج إليهم في بعض الأوقات من أطراف النجف الأشرف فصرت أسأله من أيِّ العرب يكون؟ قال: من بعض العرب فصرت أذكر له الطوائف الّتي في أطراف النجف، فيقول: لا لا، وكلّما ذكرت له طائفة قال: لا لست منها.

فأغضبني وقلت له: أجل أنت من طُريطرة مستهزءاً وهو لفظ بلا معنى، فتبسّم من قولي ذلك، وقال: لا عليك من أينما كنت ما الّذي جاء بك إلى هنا فقلت: وأنت ما عليك السؤال عن هذه الأمور؟ فقال: ما ضرَّك لو أخبرتني فتعجّبت من حسن أخلاقه وعذوبة منطقه، فمال قلبي إليه، وصا كلّما تكلّم ازداد حبي له، فعملت له السبيل من التتن، وأعطيه، فقال: أنت اشرب فأنا ما أشرب، وصببت له في الفنجان قهوة وأعطيته، فأخذه وشرب شيئاً قليلاً منه، ثمَّ ناولني الباقي وقال: أنت اشربه فأخذته وشربته، ولم ألتفت إلى عدم شربه تمام الفنجان، ولكن يزداد حبّي له آناً فآناً.

فقلت له: يا أخي أنت قد أرسلك الله إليَّ في هذه اللّيل تؤنسني أفلا تروح معي إلى أن نجلس في حضرة مسلم عليه السلام، ونتحدّث؟ فقال: أروح معك فحدّث حديثك.

فقلت له: أحكي لك الواقع أنا في غاية الفقر والحاجة، مذ شعرت على نفسي ومع ذلك، معي سعال أتنخّع الدّم، وأقذفه من صدري منذ سنين، ولا أعرف علاجه وما عندي زوجة، وقد علق قلبي بامرأة من أهل محلّتنا في النجف الأشرف، ومن جهة قلّة ما في اليد ما تيسّر لي أخذها.

وقد غرّني هؤلاء الملاّئيّة وقالوا لي: اقصد في حوائجك صاحب الزّمان وبت أربعين ليلة الأربعاء في مسجد الكوفة، فإنّك تراه، ويقضي لك حاجتك وهذه آخر ليلة من الأربعين، وما رأيت فيها شيئاً وقد تحمّلت هذه المشاقّ في هذه اللّيالي فهذا الّذي جاء بي هنا، وهذه حوائجي.

فقال لي وأنا غافل غير ملتفت: أمّا صدرك فقد برئ، وأمّا الامرأة فتأخذها عن قريب، وأمّا فقرك فيبقى على حاله حتّى تموت، وأنا غير ملتفت إلى هذا البيان أبداً.

فقلت: ألا تروح إلى حضرة مسلم؟ قال: قم، فقمت وتوجّه أمامي، فلمّا وردنا أرض المسجد فقال: ألا تصلّي صلاة تحيّة المسجد، فقلت: أفعل، فوقف هو قريباً من الشاخص الموضوع في المسجد، وأنا خلفه بفاصلة، فأحرمت الصلاة وصرت أقرأ الفاتحة.

فبينما أنا أقرأ وإذا يقرأ الفاتحة قراءة ما سمعت أحداً يقرأ مثلها أبداً فمن حسن قراءته قلت في نفسي: لعلّه هذا هو صاحب الزّمان وذكرت بعض كلمات له تدلُّ على ذلك ثمَّ نظرت إليه بعدما خطر في قلبي ذلك، وهو في الصلاة، وإذا به قد أحاطه نور عظيم منعني من تشخيص شخصه الشريف، وهو مع ذلك يصلّي وأنا أسمع قراءته، وقد ارتعدت فرائصي، ولا أستطيع قطع الصلاة خوفاً منه فأكملتها على أيِّ وجه كان، وقد علا النور من وجه الأرض، فصرت أندبه وأبكي وأتضجّر وأعتذر من سوء أدبي معه في باب المسجد، وقلت له: أنت صادق الوعد، وقد وعدتني الرّواح معي إلى مسلم.

فبينما أنا أكلّم النور، وإذا بالنور قد توجّه إلى جهة المسلم، فتبعته فدخل النور الحضرة،

وصار في جوّ القبّة، ولم يزل على ذلك ولم أزل أندبه وأبكي حتّى إذا طلع الفجر، عرج النور.

فلمّا كان الصباح التفتُّ إلى قوله: أمّا صدرك فقد برئ، وإذا أنا صحيح الصدر، وليس معي سعال أبداً وما مضى أُسبوع إلاّ وسهّل الله عليَّ أخذ البنت من حيث لا أحتسب، وبقي فقري على ما كان كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين.

الحكاية السادسة عشرة

حدّثني العالم الجليل، والفاضل النبيل، مصباح المتّقين، وزين المجاهدين السيّد الأيّد مولانا السيّد محمّد ابن العالم السيد هاشم ابن مير شجاعة علي الموسويُّ الرضويُّ النجفيّ المعروف بالهنديّ سلمه الله تعالى وهو من العلماء المتّقين، وكان يؤمُّ الجماعة في داخل حرم أمير المؤمنين عليه السلام وله خبرة وبصيرة بأغلب العلوم المتداولة، وهو الآن من مجاوري بلدتنا الشريفة عمّرها الله تعالى بوجود الأبرار والصلحاء.

قال: كان رجل صالح يسمّى الحاج عبد الواعظ كان كثير التردُّد إلى مسجد السّهلة والكوفة، فنقل لي الثقة الشيخ باقر ابن الشيخ هادي المقدَّم ذكره قال: وكان عالماً بالمقدَّمات وعلم القراءة وبعض علم الجفر، وعنده ملكة الاجتهاد المطلق إلاّ أنّه مشغول عن الاستنباط لأكثر من قدر حاجته بمعيشة العيال، وكان يقرأ المراثي ويؤمُّ الجماعة، وكان صدوقاً خيّراً معتمداً، عن الشيخ مهدي الزّريجاويّ قال: كنت في مسجد الكوفة، فوجدت هذا العبد الصّالح خرج إلى النجف بعد نصف اللّيل ليصل إليه أوّل النّهار، فخرجت معه لأجل ذلك أيضاً.

فلمّا انتهينا إلى قريب من البئر الّتي في نصف الطريق لاح لي أسد على قارعة الطريق، والبريّة خالية من النّاس ليس فيها إلاّ أنا وهذا الرّجل، فوقفت عن المشي، فقال: ما بالك؟ فقلت: هذا الأسد، فقال: امش ولا تبال به، فقلت: كيف يكون ذلك؟ فأصرَّ عليَّ فأبيت فقال لي: إذا رأيتني وصلت إليه ووقفت بحذائه ولم يضرَّني، أفتجوز الطريق وتمشي؟ فقلت نعم، فتقدَّمني إلى الأسد حتّى وضع يده على ناصيته، فلمّا رأيت ذلك أسرعت في مشيي حتّى جزتهما وأنا مرعوب ثمّ لحق بي وبقي الأسد في مكانه.

قال نوّر الله قلبه: قال الشيخ باقر وكنت في أيّام شبابي خرجت مع خالي الشيخ محمّد عليّ القارئ - مصنّف الكتب الثلاثة الكبير والمتوسّط والصّغير، ومؤلّف كتاب التعزية، جمع فيه تفصيل قضيّة كربلا من بدئها إلى ختامها بترتيب حسن وأحاديث منتخبة - إلى مسجد السّهلة وكان في تلك الأوقات موحشاً في اللّيل ليس فيه هذه العمارة الجديدة، والطريق بينه وبين مسجد الكوفة كان صعباً أيضاً ليس بهذه السّهولة الحاصلة بعد الإصلاح.

فلمّا صلّينا تحيّة مقام المهديّ عليه السلام نسي خالي سبيله وتُتُنه، فذكر ذلك بعدما خرجنا وصرنا في باب المسجد فبعثني إليها.

فلمّا دخلت وقت العشاء إلى المقام فتناولت ذلك، وجدت جمرة نار كبيرة تلهب في وسط المقام، فخرجت مرعوباً منها فرآني خالي على هيئة الرُّعب، فقال لي: ما بالك؟ فأخبرته بالجمرة، فقال لي: سنصل إلى مسجد الكوفة، ونسأل العبد الصّالح عنها، فإنّه كثير التردُّد إلى هذا المقام، ولا يخلو من أن يكون له علم بها.

فلمّا سأله خالي عنها قال: كثيراً ما رأيتها في خصوص مقام المهديّ عليه السلام من بين المقامات والزّوايا.

الحكاية السابعة عشرة

قال نضّر الله وجهه وأخبرني الشيخ باقر المزبور عن السيّد جعفر ابن السيّد الجليل السيّد باقر القزوينيّ الآتي ذكره، قال: كنت أسير مع أبي إلى مسجد السّهلة فلمّا قاربناها قلت له: هذه الكلمات الّتي أسمعها من النّاس أنَّ من جاء إلى مسجد السهلة في أربعين فإنّه يرى المهديّ عليه السلام أرى أنّها لا أصل لها، فالتفت إليّ مغضباً وقال لي: ولِمَ ذلك؟ لمحض أنّك لم تره؟ أوكلُّ شيء لم تره عيناك فلا أصل له؟ وأكثر من الكلام عليَّ حتّى ندمت على ما قلت.

ثمّ دخلنا معه المسجد، وكان خالياً من الناس فلمّا قام في وسط المسجد ليصلّي ركعتين للاستجارة أقبل رجل من ناحية مقام الحجّة عليه السلام ومرَّ بالسيّد فسلّم عليه وصافحه والتفت إلى السيّد والدي وقال: فمن هذا؟ فقلت: أهو المهديُّ عليه السلام فقال: فمن؟ فركضت أطلبه فلم أجده في داخل المسجد ولا في خارجه.

الحكاية الثامنة عشرة

وقال أصلح الله باله: وأخبر الشيخ باقر المزبور عن رجل صادق اللّهجة كان حلاّقاً وله أب كبير مسنٌّ، وهو لا يقصر في خدمته، حتّى أنّه يحمل له الإبريق إلى الخلاء، ويقف ينتظره حتّى يخرج فيأخذه منه ولا يفارق خدمته إلاّ ليلة الأربعاء فإنّه يمضي إلى مسجد السّهلة ثمّ ترك الرّواح إلى المسجد، فسألته عن سبب ذلك، فقال: خرجت أربعين أربعاء فلمّا كانت الأخيرة لم يتيسّر لي أن أخرج إلى قريب المغرب فمشيت وحدي وصار اللّيل، وبقيت أمشي حتّى بقي ثلث الطريق، وكانت اللّيلة مقمرة.

فرأيت أعرابيّاً على فرس قد قصدني فقلت في نفسي هذا سيسلبني ثيابي فلمّا انتهى إليَّ كلّمني بلسان البدو من العرب، وسألني عن مقصدي، فقلت: مسجد السّهلة، فقال: معك شيء من المأكول؟ فقلت: لا، فقال: أدخل يدك في جيبك- هذا نقل بالمعنى - وأمّا اللّفظ «دورك يدك لجيبك» فقلت: ليس فيه شيء فكرّر عليَّ القول بزجر حتّى أدخلت يدي في جيبي، فوجدت فيه زبيباً كنت اشتريته لطفل عندي، ونسيته فبقي في جيبي.

ثمّ قال لي الأعرابي: أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود - والعود في لسانهم اسم للأب المسنّ، ثمّ غاب عن بصري فعلمت أنّه المهديُّ عليه السلام وأنّه لا يرضى بمفارقتي لأبي حتّى في ليلة الأربعاء فلم أعد.

الحكاية التاسعة عشرة

وقال أدام الله إكرامه: رأيت في رواية ما يدلُّ على أنّك إذا أردت أن تعرف ليلة القدر، فاقرأ (حم الدخان) كلّ ليلة في شهر رمضان مائة مرّة إلى ليلة ثلاث وعشرين، فعملت ذلك وبدأت في ليلة الثلاث والعشرين أقرأ على حفظي بعد الفطور إلى أن خرجت إلى الحرم العلويّ في أثناء اللّيل، فلم أجد لي موضعاً أستقرُّ فيه إلاّ أن أجلس مقابلاً للوجه، مستدبراً للقبلة، بقرب الشمع المعلّق لكثرة النّاس في تلك اللّيلة.

فتربّعت واستقبلت الشبّاك، وبقيت أقرأ (حم) فبينما أنا كذلك إذ وجدت إلى جنبي أعرابيّاً متربّعاً أيضاً معتدل الظهر أسمر اللّون حسن العينين والأنف والوجه، مهيباً جدّاً كأنّه من شيوخ الأعراب إلاّ أنّه شابٌّ ولا أذكر هل كان له لحية خفيفة أم لم تكن، وأظنُّ الأوّل.

فجعلت في نفسي أقول: ما الّذي أتى بهذا البدويّ إلى هذا الموضع؟ ويجلس هذا الجلوس العجمي؟ وما حاجته في الحرم؟ وأين منزله في هذا اللّيل؟ أهو من شيوخ الخزاعة وأضافه بعض الخدمة مثل الكليد دار أو نائبه، وما بلغني خبره، وما سمعت به.

ثمّ قلت في نفسي: لعلّه المهديُّ عليه السلام وجعلت أنظر في وجهه، وهو يلتفت يميناً وشمالاً إلى الزُّوّار من غير إسراع في الالتفات ينافي الوقار، وجلست امرأة قدّامي لاصقة بظهرها ركبتي، فنظرت إليه متبسّماً ليراها على هذه الحالة فيتبسّم على حسب عادة الناس، فنظر إليها وهو غير متبسّم إليّ ورجع إلى النظر يميناً وشمالاً فقلت: أسأله أنّه أين منزله؟ أو من هو؟

فلمّا هممت بسؤاله انكمش فؤادي انكماشاً تأذّيت منه جدّاً وظننت أنّ وجهي اصفرّ من هذه الحالة، وبقي الألم في فؤادي حتّى قلت في نفسي: اللّهمّ إني لا أسأله، فدعني يا فؤادي وعد إلى السلامة من هذا الألم، فإنّي قد أعرضت عما أردت من سؤاله، وعزمت على السكوت، فعند ذلك سكن فؤادي وعدت إلى التفكّر في أمره.

وهممت مرّة ثانية باستفسار منه، وقلت: أيُّ ضرر في ذلك؟ وما يمنعني من أن أسأله فانكمش فؤادي مرّة ثانية عندما هممت بسؤاله، وبقيت متألّماً مصفرّاً حتّى تأذّيت، وقلت: عزمت أن لا أسأله ولا أستفسر إلى أن سكن فؤادي، وأنا أقرأ لساناً وأنظر إلى وجهه وجماله وهيبته، وأفكّر فيه قلباً، حتّى أخذني الشوق إلى العزم مرّة ثالثة على سؤاله، فانكمش فؤادي وتأذّيت في الغاية وعزمت عزماً صادقاً على ترك سؤاله، ونصبت لنفسي طريقاً إلى معرفته، غير الكلام معه، وهو أنّي لا أفارقه وأتبعه حيث قام ومشى حتّى أنظر أين منزله إن كان من سائر الناس أو يغيب عن بصري إن كان الإمام عليه السلام.

فأطال الجلوس على تلك الهيئة، ولا فاصل بيني وبينه، بل الظاهر أنّ ثيابي ملاصقة لثيابه وأحببت أن أعرف الوقت والسّاعة، وأنا لا أسمع من كثرة أصوات النّاس صوت ساعات الحرم، فصار في مقابلي رجل عنده ساعة، فقمت لأسأله عنها وخطوت خطوة ففاتني صاحب السّاعة، لتزاحم الناس، فعدت بسرعة إلى موضعي ولعلّ إحدى رجليّ لم تفارقه فلم أجد صاحبي وندمت على قيامي ندماً عظيماً وعاتبت نفسي عتاباً شديداً.

الحكاية العشرون

قصّة العابد الصّالح التقيّ السيّد محمّد العامليّ رحمه الله ابن السيّد عبّاس سلّمه الله [آل العبّاس شرف الدين] الساكن في قرية جبشيث من قرى جبل عامل وكان من قصّته أنّه رحمه الله لكثرة تعدّي الجور عليه خرج من وطنه خائفاً هارباً مع شدّة فقره، وقلّة بضاعته، حتّى أنّه لم يكن عنده يوم خروجه إلاّ مقدار لا يسوى قوت يومه، وكان متعفّفاً لا يسأل أحداً.

وساح في الأرض برهة من دهره، ورأى في أيّام سياحته في نومه ويقظته عجائب كثيرة، إلى أن انتهى أمره إلى مجاورة النجف الأشرف على مشرّفها آلاف التحيّة والتّحف، وسكن في بعض الحجرات الفوقانيّة من الصحن المقدّس وكان في شدّة الفقر، ولم يكن يعرفه بتلك الصّفة إلا قليل وتوفّي رحمه الله في النّجف الأشرف، بعد مضيّ خمس سنوات من يوم خروجه من قريته.

وكان أحياناً يراودني، وكان كثير العفّة والحياء يحضر عندي أيّام إقامة التعزية، وربّما استعار منّي بعض كتب الأدعية لشدّة ضيق معاشه، حتّى أنّ كثيراً ما لا يتمكّن لقوته إلاّ [على] تميرات، يواظب الأدعية المأثورة لسعة الرّزق حتّى كأنّه ما ترك شيئاً من الأذكار المرويّة والأدعية المأثورة.

واشتغل بعض أيّامه على عرض حاجته على صاحب الزّمان عليه سلام الله الملك المنّان أربعين يوماً وكان يكتب حاجته، ويخرج كلّ يوم قبل طلوع الشمس من البلد من الباب الصّغير الّذي يخرج منه إلى البحر، ويبعد عن طرف اليمين مقدار فرسخ أو أزيد، بحيث لا يراه أحد ثمّ يضع عريضته في بندقة من الطين ويودعها أحد نوّابه سلام الله عليه، ويرميها في الماء إلى أن مضى عليه ثمانية أو تسعة وثلاثون يوماً.

فلمّا فعل ما يفعله كلّ يوم ورجع قال: كنت في غاية الملالة وضيق الخلق وأمشي مُطرقاً رأسي، فالتفتُّ فإذا أنا برجل كأنّه لحق بي من ورائي وكان في زيّ العرب، فسلّم عليّ فرددت عليه السّلام بأقلّ ما يردّ، وما التفتُّ إليه لضيق خلقي فسايرني مقداراً وأنا على حالي، فقال بلهجة أهل قريتي: سيد محمّد ما حاجتك؟ يمضي عليك ثمانية أو تسعة وثلاثون يوماً تخرج قبل طلوع الشمس إلى المكان الفلانيّ وترمي العريضة في الماء تظنّ أنّ إمامك ليس مطّلعاً على حاجتك؟

قال: فتعجّبت من ذلك لأنّي لم أُطلع أحداً على شغلي، ولا أحد رآني، ولا أحد من أهل جبل عامل في المشهد الشريف لم أعرفه، خصوصاً أنّه لابس الكفّية والعقال وليس مرسوماً في بلادنا، فخطر في خاطري وصولي إلى المطلب الأقصى، وفوزي بالنعمة العظمى، وأنّه الحجّة على البرايا، إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه.

وكنت سمعت قديماً أنَّ يده المباركة في النّعومة بحيث لا يبلغها يد أحد من الناس، فقلت في نفسي: أُصافحه فإن كان يده كما سمعت أصنع ما يحقُّ بحضرته فمددت يدي وأنا على حالي لمصافحته، فمدَّ يده المباركة فصافحته، فإذا يده كما سمعت، فتيقّنت الفوز والفلاح، فرفعت رأسي، ووجّهت له وجهي، وأردت تقبيل يده المباركة، فلم أرَ أحداً.

قلت: ووالده السيّد عبّاس حيٌّ إلى حال التأليف، وهو من بني أعمام العالم الحبر الجليل، والسيّد المؤيّد النبيل، وحيد عصره، وناموس دهره السيّد صدر الدين العاملي المتوطّن في أصبهان تلميذ العلاّمة الطباطبائيّ بحر العلوم أعلى الله مقامهما.

الحكاية الحادية والعشرون

وحدَّث السيّد الصّالح المتقدّم ذكره، قدّس الله روحه قال: وردت المشهد المقدَّس الرضويَّ عليه الصلاة والسلام للزيارة، وأقمت فيه مدَّة، وكنت في ضنك وضيق مع وفور النعمة، ورخص أسعارها، ولمّا أردت الرُّجوع مع سائر الزائرين لم يكن عندي شيء من الزَّاد حتّى قرصة لقوت يومي، فتخلّفت عنهم، وبقيت يومي إلى زوال الشمس فزرت مولاي وأدّيت فرض الصّلاة فرأيت أنّي لو لم ألحق بهم لا يتيسّر لي الرفقة عن قريب وإن بقيت أدركني الشتاء ومتّ من البرد.

فخرجت من الحرم المطهّر مع ملالة الخاطر، وقلت في نفسي: أمشي على أثرهم، فإن متُّ جوعاً استرحت، وإلاّ لحقت بهم، فخرجت من البلد الشّريف وسألت عن الطريق، وصرت أمشي حتّى غربت الشمس وما صادفت أحداً، فعلمت أنّي أخطأت الطريق، وأنا ببادية مهولة لا يرى فيها سوى الحنظل، وقد أشرفت من الجوع والعطش على الهلاك، فصرت أكسر حنظلة حنظلة لعلّي أظفر من بينها بحبحب حتّى كسرت نحواً من خمسمائة، فلم أظفر بها، وطلبت الماء والكلأ حتّى جنّني اللّيل، ويئست منهما، فأيقنت الفناء واستسلمت للموت، وبكيت على حالي.

فتراءى لي مكان مرتفع، فصعدته فوجدت في أعلاه عيناً من الماء فتعجّبت وشكرت الله عزّوجلّ وشربت الماء وقلت في نفسي: أتوضّأ وضوء الصّلاة وأُصلّي لئلاّ ينزل بي الموت وأنا مشغول الذّمّة بها، فبادرت إليها.

فلمّا فرغت من العشاء الآخرة أظلم اللّيل وامتلأ البيداء من أصوات السّباع وغيرها وكنت

أعرف من بينها صوت الأسد والذئب وأرى أعين بعضها تتوقّد كأنّها السراج، فزادت وحشتي إلاّ أنّي كنت مستسلماً للموت، فأدركني النوم لكثرة التعب، وما أفقت إلاّ والأصوات قد انخمدت، والدُّنيا بنور القمر قد أضاءت، وأنا في غاية الضعف، فرأيت فارساً مقبلاً عليّ فقلت في نفسي إنّه يقتلني لأنّه يريد متاعي فلا يجد شيئاً عندي فيغضب لذلك فيقتلني، ولا أقلّ من أن تصيبني منه جراحة.

فلما وصل إليّ سلّم عليّ فرددت عليه السلام وطابت منه نفسي، فقال: ما لك؟ فأومأت إليه بضعفي، فقال: عندك ثلاث بطّيخات، لم لا تأكل منها؟ فقلت: لا تستهزئني ودعني على حالي، فقال لي: انظر إلى ورائك، فنظرت فرأيت شجرة بطّيخ عليها ثلاث بطّيخات كبار، فقال: سدَّ جوعك بواحدة، وخذ معك اثنتين، وعليك بهذا الصراط المستقيم، فامش عليه، وكُل نصف بطّيخة أوّل النهار، والنصف الآخر عند الزّوال، واحفظ بطّيخة فإنّها تنفعك، فإذا غربت الشمس، تصل إلى خيمة سوداء، يوصلك أهلها إلى القافلة، وغاب عن بصري.

فقمت إلى تلك البطّيخات، فكسرت واحدة منها فرأيتها في غاية الحلاوة واللّطافة كأنّي ما أكلت مثلها فأكلتها، وأخذت معي الاثنتين، ولزمت الطريق، وجعلت أمشي حتّى طلعت الشمس، ومضى من طلوعها مقدار ساعة، فكسرت واحدة منهما وأكلت نصفها وسرت إلى زوال الشّمس، فأكلت النصف الآخر وأخذت الطّريق.

فلمّا قرب الغروب بدت لي تلك الخيمة، ورآني أهلها فبادروا إليّ وأخذوني بعنف وشدَّة، وذهبوا بي إلى الخيمة كأنّهم زعموني جاسوساً، وكنت لا أعرف التكلّم إلاّ بلسان العرب، ولا يعرفون لساني، فأتوا بي إلى كبيرهم، فقال لي بشدَّة وغضب: من أين جئت؟ تصدقني وإلاّ قتلتك فأفهمته بكلّ حيلة شرحاً من حالي.

فقال: أيّها السيّد الكذّاب لا يعبر من الطريق الّذي تدّعيه متنفّس إلاّ تلف أو أكله السّباع، ثمّ إنّك كيف قدرت على تلك المسافة البعيدة في الزّمان الّذي تذكره ومن هذا المكان إلى المشهد المقدّس مسيرة ثلاثة أيّام تصدقني وإلاّ قتلتك، وشهر سيفه في وجهي.

فبدا له البطّيخ من تحت عبائي فقال: ما هذا؟ فقصصت عليه قصّته، فقال الحاضرون: ليس في هذا الصّحراء بطّيخ خصوصاً هذه البطّيخة الّتي ما رأينا مثلها أبداً فرجعوا إلى أنفسهم، وتكلّموا فيما بينهم، وكأنّهم علموا صدق مقالتي، وأنَّ هذه معجزة من الإمام عليه آلاف التحيّة والثناء والسّلام فأقبلوا عليّ وقبّلوا يدي وصدّروني في مجلسهم، وأكرموني غاية الإكرام، وأخذوا لباسي تبرُّكاً به وكسوني ألبسة جديدة فاخرة، وأضافوني يومين وليلتين.

فلمّا كان اليوم الثالث أعطوني عشرة توامين، ووجّهوا معي ثلاثة منهم حتّى أدركت القافلة.

الحكاية الثانية والعشرون

السيّد الشهيد القاضي نور الله الشوشتري في مجالس المؤمنين في ترجمة آية الله العلاّمة الحلّي قدّس سرُّه أنَّ من جملة مقاماته العالية، أنّه اشتهر عند أهل الإيمان أنَّ بعض علماء أهل السنّة ممّن تتلمذ عليه العلاّمة في بعض الفنون ألّف كتاباً في ردّ الإماميّة، ويقرأ للناس في مجالسه ويُضلّهم، وكان لا يعطيه أحداً خوفاً من أن يردّه أحد من الإماميّة، فاحتال رحمه الله في تحصيل هذا الكتاب إلى أن جعل تتلمذه عليه وسيلة لأخذه الكتاب منه عارية، فالتجأ الرَّجل واستحيى من ردّه وقال: إنّي آليت على نفسي أن لا أُعطيه أحداً أزيد من ليلة، فاغتنم الفرصة في هذا المقدار من الزّمان، فأخذه منه وأتى به إلى بيته لينقل منه ما تيسّر منه.

فلمّا اشتغل بكتابته وانتصف اللّيل، غلبه النوم، فحضر الحجة عليه السلام وقال: ولّني الكتاب وخذ في نومك فانتبه العلاّمة وقد تمّ الكتاب بإعجازه عليه السلام.

وظاهر عبارته يوهم أنَّ الملاقاة والمكالمة كان في اليقظة وهو بعيد والظاهر أنّه في المنام والله العالم.

الحكاية الثالثة والعشرون

في مجموعة نفيسة عندي كلّها بخطّ العالم الجليل شمس الدِّين محمّد بن عليّ بن الحسن الجباعيّ جدُّ شيخنا البهائيّ وهو الّذي ينتهي نسخ الصحيفة الكاملة إلى الصّحيفة الّتي كانت بخطّه، وكتبها من نسخة الشهيد الأوّل رحمه الله وقد نقل عنه عن تلك المجموعة وغيرها العلاّمة المجلسيُّ كثيراً في البحار، وربّما عبّر هو وغيره كالسيّد نعمة الله الجزائريّ في أوّل شرح الصّحيفة بصاحب الكرامات، ما لفظه:

قال السيّد تاج الدِّين محمّد بن معيّة الحسنيُّ أحسن الله إليه حدَّثني والدي القاسم بن الحسن بن معيّة الحسني تجاوز الله عن سيّئاته أنَّ المعمّر بن غوث السِّنبسيَّ ورد إلى الحلّة مرّتين إحداهما قديمة لا أُحقّق تاريخها والأُخرى قبل فتح بغداد بسنتين قال والدي: وكنت حينئذ ابن ثمان سنوات، ونزل على الفقيه مفيد الدِّين بن جهم، وتردَّد إليه النّاس، وزاره خالي السّعيد تاج الدِّين بن معيّة، وأنا معه طفل ابن ثمان سنوات، ورأيته وكان شخصاً طوالاً من الرِّجال، يعدُّ في الكهول وكان ذراعه كأنّه الخشبة المجلّدة، ويركب الخيل العتاق، وأقام أيّاماً بالحلّة وكان يحكي أنّه كان أحد غلمان الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريِّ عليه السلام وأنّه شاهد ولادة القائم عليه السلام.

قال والدي رحمه الله: وسمعت الشيخ مفيد [الدين] بن جهم يحكي بعد مفارقته وسفره عن الحلّة أنّه قال: أخبرنا بسرّ لا يمكننا الآن إشاعته، وكانوا يقولون إنّه أخبره بزوال ملك بني العبّاس، فلمّا مضى لذلك سنتان أو ما يقاربهما أُخذت بغداد وقتل المستعصم، وانقرض ملك بني العبّاس، فسبحان من له الدّوام والبقاء.

وكتب ذلك محمّد بن عليٍّ الجباعيُّ من خطّ السيّد تاج الدِّين يوم الثلاثاء في شعبان سنة تسع وخمسين وثمانمائة.

ونقل قبل هذه الحكاية عن المعمّر خبرين هكذا من خطّ ابن معيّة ويرفع الإسناد عن المعمّر بن غوث السنبسيّ، عن أبي الحسن الدّاعي بن نوفل السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ الله خلق خلقاً من رحمته لرحمته برحمته وهم الّذين يقضون الحوائج للنّاس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

قلت: أمّا الولد فهو القاضي السيّد النسّابة تاج الدِّين أبو عبد الله محمّد بن القاسم عظيم الشأن جليل القدر، استجاز منه الشهيد الأوّل لنفسه ولولديه محمّد وعليّ، ولبنته ستّ المشايخ وأمّا والده فهو السيّد جلال الدِّين أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن معيّة بن سعيد الدّياجي الحسنيّ الفقيه الفاضل العالم الجليل عظيم الشأن تلميذ عميد الرؤساء وابن السّكون، ومعاصر العلاّمة والرّاوي للصحيفة الشريفة الكاملة عنهما عن السيّد بهاء الشرف المذكور في أوّل الصّحيفة كما تبيّن في محلّه، وأمّا ابن جهم فهو الشيخ الفقيه محمّد بن جهم، وهو الّذي لمّا سأل الخاجة نصير الدِّين عن المحقّق أعلم تلامذته في الأصوليّين، أشار إليه وإلى سديد الدِّين والد العلاّمة.

الحكاية الرابعة والعشرون

العالم الجليل الشيخ يوسف البحرينيُّ في اللّؤلؤة في ترجمة العالم الشيخ إبراهيم القطيفيّ المعاصر للمحقّق الثاني، عن بعض أهل البحرين أنَّ هذا الشيخ دخل عليه الإمام الحجّة عليه السلام في صورة رجل يعرفه الشيخ فسأله أيُّ الآيات من القرآن في المواعظ أعظم؟ فقال الشيخ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فقال: صدقت يا شيخ ثمّ خرج منه، فسأل أهل البيت: خرج فلان؟ فقالوا: ما رأينا أحداً داخلاً ولا خارجاً.

الحكاية الخامسة والعشرون

[قال] السيّد القاضي نور الله الشوشتريُّ في مجالس المؤمنين ما معناه: إنّه وجد هذه الأبيات بخطّ صاحب الأمر عليه السلام مكتوباً على قبر الشيخ المفيد رحمه الله:

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه ... يوم على آل الرّسول عظيم
إن كنت قد غُيّبت في جدث الثرى ... فالعدل والتّوحيد فيك مقيم
والقائم المهديُّ يفرح كلّما ... تُليَت عليك من الدُّروس علوم

الحكاية السادسة والعشرون

في الصراط المستقيم للشيخ زين الدِّين عليّ بن يونس العامليّ البياضيّ قال مؤلّف هذا

الكتاب عليُّ بن محمّد بن يونس: خرجت مع جماعة تزيد على أربعين رجلاً إلى زيارة القاسم ابن موسى الكاظم عليه السلام فكنّا عن حضرته نحو ميل من الأرض فرأينا فارساً معترضاً فظننّاه يريد أخذ ما معنا فخبّينا ما خفنا عليه.

فلمّا وصلنا، رأينا آثار فرسه ولم نره، فنظرنا ما حول القبلة، فلم نر أحداً فتعجّبنا من ذلك مع استواء الأرض، وحضور الشمس، وعدم المانع، فلا يمتنع أن يكون هو الإمام عليه السلام أو أحد الأبدال.

قلت: وهذا الشيخ جليل القدر عظيم الشأن، صاحب المصنّفات الرائقة، وصفه الشيخ إبراهيم الكفعميُّ في بعض كلماته في ذكر الكتب الّتي ينقل عنها بقوله: ومن ذلك «زبدة البيان وإنسان الإنسان المنتزع من مجمع البيان» جمع الإمام العلاّمة فريد الدّهر، ووحيد العصر، مهبط أنوار الجبروت، وفاتح أسرار الملكوت خلاصة الماء والطين، جامع كمالات المتقدّمين والمتأخرين، بقيّة الحجج على العالمين، الشيخ زين الملّة والحقّ والدّين، عليّ ابن يونس لا أخلى الله الزّمان من أنوار شموسه، وإيضاح براهينه ودروسه بمحمّد وآله عليهم السلام.

الحكاية السابعة والعشرون

حدّثني مشافهة العالم العامل فخر الأواخر وذخر الأوائل، شمس فلك الزّهد والتّقى وحاوي درجات السّداد والهدى، الفقيه المؤيّد النبيل، شيخنا الأجلُّ الحاجُّ المولى عليُّ ابن الحاجّ ميرزا خليل الطهرانيُّ المتوطّن في الغريّ حيّاً وميّتاً وكان يزور أئمّة سامرّاء في أغلب السنين، ويأنس بالسرداب المغيب ويستمدُّ فيه الفيوضات ويعتقد فيه رجاء نيل المكرمات.

وكان يقول: إنّي ما زرت مرّة إلاّ ورأيت كرامة ونلت مكرمة، وكان يستر ما رآه غير أنّه ذكر لي وسمعه عنه غيري أنّي كثيراً ما وصلت إلى باب السّرداب الشريف في جوف اللّيل المظلم، وحين هدوء من الناس، فأرى عند الباب قبل النزول من الدَّرج نوراً يشرق من سرداب الغيبة على جدران الدّهليز الأوّل، ويتحرّك من موضع إلى آخر، كأنَّ بيد أحد هناك شمعة مضيئة، وهو ينتقل من مكان إلى آخر فيتحرّك النّور هنا بحركته، ثمّ أنزل وأدخل في السرداب الشريف فما أجد أحداً ولا أرى سراجاً.

الحكاية الثامنة والعشرون

حدّثني السيّد الثقة التقيُّ الصّالح السيّد مرتضى النجفيُّ رحمه الله وقد أدرك الشيخ شيخ الفقهاء وعمادهم الشيخ جعفر النجفي وكان معروفاً عند علماء العراق بالصّلاح والسّداد، وصاحبته سنين سفراً وحضراً فما وقفت منه على عثرة في الدّين قال: كنّا في مسجد الكوفة مع جماعة فيهم أحد من العلماء المعروفين المبرّزين في المشهد الغرويّ، وقد سألته عن اسمه غير مرّة فما كشف عنه، لكونه محلَّ هتك الستر، وإذاعة السرّ.

قال: ولمّا حضرت وقت صلاة المغرب جلس الشيخ لدى المحراب للصلاة والجماعة في تهيئة الصّلاة بين جالس عنده، ومؤذّن ومتطهّر، وكان في ذلك الوقت في داخل الموضع المعروف بالتّنّور ماء قليل من قناة خربة وقد رأينا مجراها عند عمارة مقبرة هانىء بن عروة، والدَّرج الّتي تنزل إليه ضيّقة مخروبة، لا تسع غير واحد.

فجئت إليه وأردت النزول، فرأيت شخصاً جليلاً على هيئة الأعراب قاعداً عند الماء يتوضّأ وهو في غاية السّكينة والوقار والطّمأنينة، وكنت مستعجلاً لخوف عدم إدراك الجماعة فوقفت قليلاً فرأيته كالجبل لا يحرّكه شيء، فقلت: وقد أُقيمت الصّلاة ما معناه لعلّك لا تريد الصلاة مع الشيخ؟ أردت بذلك تعجيله فقال: لا، قلت: ولم؟ قال: لأنّه الشيخ الدُّخني، فما فهمت مراده، فوقفت حتّى أتمّ وضوءه، فصعد وذهب ونزلت وتوضّأت وصلّيت، فلمّا قضيت الصلاة وانتشر الناس وقد ملأ قلبي وعيني هيئته وسكونه وكلامه، فذكرت للشيخ ما رأيت وسمعت منه فتغيّرت حاله وألوانه، وصار متفكّراً مهموماً فقال: قد أدركت الحجة عليه السلام وما عرفته، وقد أخبر عن شيء ما اطّلع عليه إلاّ الله تعالى.

اعلم أنّي زرعت الدُّخنة في هذه السنة في الرُّحبة وهي موضع في طرف الغربيّ من بحيرة الكوفة، محلّ خوف وخطر من جهة أعراب البادية المتردّدين إليه، فلمّا قمت إلى الصلاة ودخلت فيها ذهب فكري إلى زرع الدُّخنة وأهمّني أمره، فصرت أتفكّر فيه وفي آفاته.

هذا خلاصة ما سمعته منه رحمه الله قبل هذا التاريخ بأزيد من عشرين سنة وأستغفر الله من الزيادة والنقصان في بعض كلماته.

الحكاية التاسعة والعشرون

في كتاب نور العيون تأليف الفاضل الخبير الألمعي السيّد محمّد شريف الحسيني الأصبهانيّ عن أستاذه العالم الصالح الزاهد الورع الميرزا محمّد تقي ابن الميرزا محمّد كاظم ابن الميرزا عزيز الله ابن المولى محمّد تقي المجلسي الملقّب بالألماسي وهو من العلماء الزاهدين وكان بصيراً في الفقه والحديث والرِّجال، وقد ذكرنا شرح حاله في رسالة الفيض القدسيّ في ذكر أحوال العلاّمة المجلسيّ رضوان الله عليه.

قال في رسالة له في ذكر من رآه عليه السلام في الغيبة الكبرى: حدّثني بعض أصحابنا عن رجل صالح من أهل بغداد وهو حيٌّ إلى هذا الوقت أي سنة ستّ وثلاثين بعد المائة والألف، قال: إنّي كنت قد سافرت في بعض السنين مع جماعة، فركبنا السفينة وسرنا في البحر، فاتّفق أنّه انكسرت سفينتنا، وغرق جميع من فيها وتعلّقت أنا بلوح مكسور فألقاني البحر بعد مدّة إلى جزيرة، فسرت في أطراف الجزيرة، فوصلت بعد اليأس من الحياة بصحراء فيها جبل عظيم.

فلمّا وصلت إليه رأيته محيطاً بالبحر إلاّ طرفاً منه يتّصل بالصحراء واستشممت منه رائحة الفواكه، ففرحت وزاد شوقي، وصعدت قدراً من الجبل حتّى إذا بلغت إلى وسطه في موضع أملس مقدار عشرين ذراعاً لا يمكن الاجتياز منه أبداً، فتحيّرت في أمري فصرت أتفكّر في أمري فإذا أنا بحيّة عظيمة كالأشجار العظيمة تستقبلني في غاية السرعة، ففررت منها منهزماً مستغيثاً بالله تبارك وتعالى في النجاة من شرّها كما نجّاني من الغرق.

فإذا أنا بحيوان شبه الأرنب قصد الحيّة مسرعاً من أعلى الجبل حتّى وصل إلى ذنبها فصعد منه حتّى إذا وصل رأس الحيّة إلى ذلك الحجر الأملس وبقي ذنبه فوق الحجر، وصل الحيوان إلى رأسها وأخرج من فمه حُمة مقدار أصبع فأدخلها في رأسها ثمّ نزعها وأدخلها في موضع آخر منها وولّى مدبراً فماتت الحيّة في مكانها من وقتها، وحدث فيها عفونة كادت نفسي أن تطلع من رائحتها الكريهة فما كان بأسرع من أن ذاب لحمها، وسال في البحر، وبقي عظامها كسلّم ثابت في الأرض يمكن الصعود منه.

فتفكّرت في نفسي، وقلت: إن بقيت هنا أموت من الجوع فتوكّلت على الله في ذلك، وصعدت منها حتّى علوت الجبل، وسرت من طرف قبلة الجبل فإذا أنا بحديقة بالغة حدّ الغاية في الغضارة والنضارة والطراوة والعمارة فسرت حتّى دخلتها وإذا فيها أشجار مثمرة كثيرة، وبناء عال مشتمل على بيوتات، وغُرف كثيرة في وسطها.

فأكلت من تلك الفواكه، واختفيت في بعض الغرف وأنا أتفرّج الحديقة وأطرافها فإذا أنا بفوارس قد ظهروا من جانب البرّ قاصدي الحديقة، يقدمُهم رجل ذو بهاء وجمال وجلال، و غاية من المهابة، يعلم من ذلك أنّه سيّدهم، فدخلوا الحديقة، ونزلوا من خيولهم وخلّوا سبيلها، وتوسّطوا القصر فتصدّر السيّد وجلس الباقون متأدّبين حوله.

ثمّ أحضروا الطعام، فقال لهم ذلك السيّد: إنّ لنا في هذا اليوم ضيفاً في الغرفة الفلانيّة ولا بدّ من دعوته إلى الطعام فجاء بعضهم في طلبي فخفت وقلت: اعفني من ذلك، فأخبر السيّد بذلك، فقال: اذهبوا بطعامه إليه في مكانه ليأكله، فلمّا فرغنا من الطعام، أمر بإحضاري وسألني عن قصّتي، فحكيت له القصّة، فقال: أتحبُّ أن ترجع إلى أهلك؟ قلت: نعم، فأقبل على واحد منهم، وأمره بإيصالي إلى أهلي، فخرجت أنا وذلك الرّجل من عنده.

فلمّا سرنا قليلاً قال لي الرّجل: انظر فهذا سور بغداد! فنظرت إذا أنا بسوره وغاب عنّي الرّجل، فتفطّنت من ساعتي هذه، وعلمت أنّي لقيت سيّدي ومولاي عليه السلام، ومن سوء حظّي حرمت من هذا الفيض العظيم، فدخلت بلدي وبيتي في غاية من الحسرة والندامة.

قلت: وحدّثني العالم الفقيه النّبيه الصّفيُّ الحاجّ المولى الهادي الطهراني قدّس سرُّه أنه رأى هذه الحكاية في الرسالة المذكورة، والظاهر أنّ اسمها بهجة الأولياء.

الحكاية الثلاثون

وفيه: وعن المولى المتّقي المذكور قال: حدّثني ثقة صالح من أهل العلم من سادات شولستان، عن رجل ثقة أنّه قال: اتّفق في هذه السنين أنّ جماعة من أهل بحرين عزموا على إطعام جمع من المؤمنين على التناوب، فأطعموا حتّى بلغ النوبة إلى رجل منهم لم يكن عنده شيء، فاغتمّ لذلك وكثر حزنه وهمّه، فاتّفق أنه خرج ليلة إلى الصحراء، فإذا بشخص قد وافاه، وقال له: اذهب إلى التاجر الفلانيّ وقل: يقول لك محمّد بن الحسن أعطني الاثنا عشر ديناراً الّتي نذرتها لنا فخذها منه وأنفقها في ضيافتك، فذهب الرّجل إلى ذلك التاجر، وبلّغه رسالة الشخص المذكور.

فقال التاجر: قال لك ذلك محمّد بن الحسن بنفسه؟ فقال البحريني: نعم، فقال: عرفته؟ فقال: لا، فقال التاجر: هو صاحب الزّمان عليه السلام وهذه الدّنانير نذرتها له.

فأكرم الرّجل وأعطاه المبلغ المذكور، وسأله الدُّعاء، وقال له: لمّا قبل نذري أرجو منك أن تعطيني منه نصف دينار وأعطيك عوضه، فجاء البحرينيّ وأنفق المبلغ في مصرفه وقال ذلك الثقة: إنّي سمعت القصّة عن البحرينيّ بواسطتين.

وممّا استطرفناه من هذا الكتاب ويناسب المقصود أنّ المؤلّف ذكرفي باب من رأى أربعة عشر حكاية ذكرنا منها اثنتين وإحدى عشرة منها موجودة في البحار وذكر في الرّابعة عشر قصّة عجيبة.

قال: يقول المؤلّف الضعيف محمّد باقر الشريف إنّ في سنة ألف ومائة وثلاث وسبعين كنت في طريق مكّة المعظّمة، صاحبت رجلاً ورعاً موثقاً يسمّى حاج عبد الغفور في ما بين الحرمين، وهو من تجّار تبريز يسكن في اليزد، وقد حجّ قبل ذلك ثلاث مرّات وبنى في هذا السفر على مجاورة بيت الله سنتين، ليدرك فيض الحجّ ثلاث سنين متوالية.

ثمّ بعد ذلك في سنة ألف ومائة وستّة وسبعين، حين معاودتي من زيارة المشهد الرضويّ على صاحبه السلام، رأيته أيضاً في اليزد، وقد مرّ في رجوعه من مكّة، بعد ثلاث حجّات إلى بندر صورت من بنادر هند لحاجة له، ورجع في سنة إلى بيته فذكر لي عند اللّقاء أنّي سمعت من مير أبو طالب أنّ في السّنة الماضية جاء مكتوب من سلطان الإفرنج إلى الرئيس الّذي يسكن بندر بمبئي من جانبه ويعرف بجندر أنّ في هذا الوقت ورد علينا رجلان عليهما لباس الصوف ويدّعي أحدهما أنّ عمره سبعمائة وخمسين سنة، والآخر سبعمائة سنة، ويقولان: بعثنا صاحب الأمر عليه السلام لندعوكم إلى دين محمّد المصطفى عليه السلام، ويقولان: إن لم تقبلوا دعوتنا ولم تتديّنوا بديننا، يغرق البحر بلادكم بعد ثمان أو عشر سنين، والترديد من الحاجّ المذكور، وقد أمرنا بقتلهما فلم يعمل فيهما الحديد، ووضعناهما على الأثواب وقيناره فلم يحترقا فشددنا أيديهما وأرجلهما وألقيناهما في البحر فخرجا منه سالمين.

وكتب إلى الرئيس أن يتفحّص في أرباب مذاهب الإسلام واليهود والمجوس والنصارى، وأنّهم هل رأوا ظهور صاحب الأمر عليه السلام في آخر الزّمان في كتبهم أم لا؟

قال الحاجُّ المزبور: وقد سألت من قسّيس كان في بندر صورت عن صحّة المكاتبة المذكورة فذكر لي كما سمعت، وسلالة النجباء مير أبو طالب وميرزا بزرك الإيراني، وهم الآن من وجوه معارف البندر المذكور نقلا لي كما ذكرت، وبالجملة الخبر مشهور منتشر في تلك البلدة والله العالم.

الحكاية الحادية والثلاثون

حدَّثني العالم النبيل، والفاضل الجليل، الصالح الثقة العدل الّذي قلَّ له البديل، الحاج المولى محسن الأصفهاني المجاور لمشهد أبي عبد الله عليه السلام حيّاً وميتاً وكان من أوثق أئمّة الجماعة قال: حدَّثني السيّد السند، والعالم المؤيّد، التقيُّ الصفيُّ السيّد محمّد ابن السيّد مال الله ابن السيد معصوم القطيفيّ رحمهم الله، قال: قصدت مسجد الكوفة في بعض ليالي الجمع، وكان في زمان مخوف لا يتردَّد إلى المسجد أحد إلاّ مع عدة وتهيئة، لكثرة من كان في أطراف النجف الأشرف من القطّاع واللّصوص، وكان معي واحد من الطلاّب.

فلمّا دخلنا المسجد لم نجد فيه إلاّ رجلاً واحداً من المشتغلين فأخذنا في آداب المسجد، فلمّا حان غروب الشمس، عمدنا إلى الباب فأغلقناه، وطرحنا خلفه من الأحجار والأخشاب والطوب والمدر إلى أن اطمأننّا بعدم إمكان انفتاحه من الخارج عادة.

ثمَّ دخلنا المسجد، واشتغلنا بالصلاة والدعاء فلمّا فرغنا جلست أنا ورفيقي في دكّة القضاء مستقبل القبلة، وذاك الرَّجل الصالح كان مشغولاً بقراءة دعاء كميل في الدِّهليز القريب من باب الفيل بصوت عال شجيّ، وكانت ليلة قمراء صاحية وكنت متوجّهاً إلى نحو السماء.

فبينا نحن كذلك فإذا بطيب قد انتشر في الهواء، وملأ الفضاء أحسن من ريح نوافج المسك الأذفر، وأروح للقلب من النسيم إذا تسحّر، ورأيت في خلال أشعّة القمر إشعاعاً كشعلة النّار، قد غلب عليها، وانخمد في تلك الحال صوت ذلك الرَّجل الداعي، فالتفتُّ فإذا أنا بشخص جليل، قد دخل المسجد من طرف ذلك الباب المنغلق في زيّ لباس الحجاز، وعلى كتفه الشريف سجّادة كما هو عادة أهل الحرمين إلى الآن، وكان يمشي في سكينة ووقار، وهيبة وجلال قاصداً باب المسلم ولم يبق لنا من الحواسّ إلاّ البصر الخاسر، واللّبُّ الطّائر فلمّا صار بحذائنا من طرف القبلة، سلّم علينا.

قال رحمه الله: أمّا رفيقي فلم يبق له شعور أصلاً، ولم يتمكّن من الردّ وأمّا أنا فاجتهدت كثيراً إلى أن رددت عليه في غاية الصعوبة والمشقّة، فلمّا دخل باب المسجد وغاب عنّا تراجعت

القلوب إلى الصّدور، فقلنا: من كان هذا ومن أين دخل؟ فمشينا نحو ذلك الرَّجل فرأيناه قد خرق ثوبه ويبكي بكاء الواله الحزين فسألناه عن حقيقة الحال، فقال: واظبت هذا المسجد أربعين ليلة من ليالي الجمعة طلباً للتشرُّف بلقاء خليفة العصر، وناموس الدَّهر عجّل الله تعالى فرجه وهذه اللّيلة تمام الأربعين ولم أتزوّد من لقائه ظاهراً، غير أنّي حيث رأيتموني كنت مشغولاً بالدُّعاء فإذا به عليه السلام واقفاً على رأسي فالتفتُّ إليه عليه السلام فقال: ما تفعل؟ أو ما تقرأ؟ والترديد من الفاضل المتقدّم، ولم أتمكّن من الجواب فمضى عنّي كما شاهدتموه، فذهبنا إلى الباب فوجدناه على النحو الّذي أغلقناه، فرجعنا شاكرين متحسّرين.

قلت: وهذا السيّد كان عظيم الشأن، جليل القدر، وكان شيخنا الأستاذ العلامة الشيخ عبد الحسين الطهراني أعلى الله مقامه كثيراً ما يذكره بخير ويثني عليه ثناء بليغاً قال: كان رحمه الله تقيّاً صالحاً وشاعراً مجيداً وأديباً قارئاً غريقاً في بحار محبّة أهل البيت عليهم السلام وأكثر ذكره وفكره فيهم ولهم، حتّى أنّا كثيراً ما نلقاه في الصحن الشريف، فنسأله عن مسألة أدبيّة فيجيبنا، ويستشهد في خلال كلامه بما أنشده هو وغيره في المراثي فتتغيّر حاله فيشرع في ذكر مصائبهم على أحسن ما ينبغي وينقلب مجلس الشعر والأدب إلى مجلس المصيبة والكرب، وله رحمه الله قصائد رائقة في المراثي دائرة على ألسن القرّاء منها القصيدة الّتي أوّلها:

مـا لـي إذا مـا الـلّـيـل جـنّـا أهـفـو لـمـن غـنّـى وحـنّـا

وهي طويلة، ومنها القصيدة الّتي أوّلها:

ألـقـت لـي الأيّـام فـضـل قـيـادها فـأردت غـيـر مـرامـهـا ومـرادهـا

الخ.

ومنها القصيدة الّتي يقول فيها في مدح الشهداء:

وذوي الـمـروّة والـوفـا أنـصـاره لـهـم عـلـى الـجـيـش اللّـهـام زئـيـر
طهرت نفوسهم بطيب أصولها فـعـنـاصـر طـابـت لـهـم وحـجـور
عشقوا العنا للدفع لا عشقوا العنا للنفع لكن أُمضي المقدور
فتمثّلت لهم القصور وما بهم لولا تمثّلت القصور قصور
ما شاقهم للموت إلاّ وعدة الرَّ حـمـن لا ولـدانـهـا والـحـور

الحكاية الثانية والثلاثون

في شهر جمادى الأولى من سنة ألف ومائتين وتسعة وتسعين ورد الكاظمين عليهما السلام رجل اسمه آقا محمّد مهدي وكان من قاطني بندر ملومين من بنادر ماجين وممالك برمه وهو الآن في تصرُّف الانجريز، ومن بلدة كلكتّة قاعدة سلطنة ممالك الهند إليه مسافة ستّة أيّام من البحر مع المراكب الدُّخانيّة، وكان أبوه من أهل شيراز ولكنّه ولد وتعيّش في البندر المذكور، وابتلي قبل التاريخ المذكور بثلاث سنين بمرض شديد، فلمّا عوفي منه بقي أصمّ أخرس.

فتوسّل لشفاء مرضه بزيارة أئمّة العراق عليهم السلام وكان له أقارب في بلدة كاظمين عليهما السلام من التجّار المعروفين، فنزل عليهم وبقي عندهم عشرين يوماً فصادف وقت حركة مركب الدُّخان إلى سرَّ من رأى لطغيان الماء فأتوا به إلى المركب وسلّموه إلى راكبيه، وهم من أهل بغداد وكربلا، وسألوهم المراقبة في حاله والنظر في حوائجه لعدم قدرته على إبرازها وكتبوا إلى بعض المجاورين من أهل سامرًا للتوجّه في أموره.

فلمّا ورد تلك الأرض المشرّفة والناحية المقدّسة، أتى إلى السرداب المنوّر بعد الظهر من يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وكان فيه جماعة من الثقات والمقدّسين إلى أن أتى إلى الصفّة المباركة فبكى وتضرّع فيها زماناً طويلاً وكان يكتب قبيله حاله على الجدار، ويسأل من الناظرين الدُّعاء والشفاعة.

فما تمَّ بكاؤه وتضرُّعه إلاّ وقد فتح الله تعالى لسانه، وخرج بإعجاز الحجّة عليه السلام من ذلك المقام المنيف مع لسان ذلق، وكلام فصيح، وأحضر في يوم السبت في محفل تدريس سيّد الفقهاء وشيخ العلماء رئيس الشيعة، وتاج الشريعة المنتهى إليه رياسة الإماميّة سيّدنا الأفخم وأستاذنا الأعظم الحاجّ الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ متّع الله المسلمين بطول بقائه، وقرأ عنده متبرّكاً سورة المباركة الفاتحة بنحو أذعن الحاضرون بصحّته وحسن قراءته، وصار يوماً مشهوراً ومقاماً محموداً.

وفي ليلة الأحد والاثنين اجتمع العلماء والفضلاء في الصحن الشريف فرحين مسرورين، وأضاؤوا فضاءه من المصابيح والقناديل، ونظموا القصّة ونشروها في البلاد، وكان معه في المركب مادح أهل البيت عليهم السلام الفاضل اللّبيب الحاجّ ملا عباس الصفّار الزنوزي البغداديُّ فقال - وهو من قصيدة طويلة ورآه مريضاً وصحيحاً -:

وفي عامها جئت والزائرين إلى بلدة سرَّ من قد رآها
رأيت من الصين فيها فتىً وكان سميُّ إمام هداها
يشير إذا ما أراد الكلام وللنفس منه ..... كذا براها
وقد قيّد السقم منه الكلام وأطلق من مقلتيه دماها
فوافا إلى باب سرداب من به الناس طرّاً ينال مناها
يروم بغير لسان يزور وللنفس منه دعت بعناها
وقد صار يكتب فوق الجدار ما فيه للرُّوح منه شفاها
أروم الزيارة بعد الدُّعاء ممّن رأى أسطري وتلاها
لعلَّ لساني يعود الفصيح وعلّي أزور وأدعو الإلها
إذا هو في رجل مقبل تراه ورى البعض من أتقياها
تأبّط خير كتاب له وقد جاء من حيث غاب ابن طه

فأومى إليه ادع ما قد كتب ... وجاء فلمّا تلاه دعاها
وأوصى به سيّداً جالساً ... أن أدعوا له بالشفاء شفاها
فقام وأدخله غيبة الإ ... مام المغيّب من أوصياها
وجاء إلى حفرة الصفّة ... الّتي هي للعين نور ضياها
وأسرج آخر فيها السراج ... وأدناه من فمه ليراها
هناك دعا الله مستغفراً ... وعيناه مشغولة ببكاها
ومذ عاد منها يريد الصلاة ... قد عاود النفس منه شفاها
وقد أطلق الله منه اللّسان ... وتلك الصلاة أتمّ أداها

ولمّا بلغ الخبر إلى خرّيت صناعة الشعر السيّد المؤيّد الأديب اللّبيب فخر الطالبيّين، وناموس العلويّين، السيّد حيدر ابن السيّد سليمان الحلّي أيّده الله تعالى بعث إلى سرّ من رأى كتاباً صورته:

بسم الله الرّحمن الرّحيم لمّا هبّت من الناحية المقدّسة نسمات كرم الإمامة فنشرت نفحات عبير هاتيك الكرامة، فأطلقت لسان زائرها من اعتقاله، عندما قام عندها في تضرُّعه وابتهاله، أحببت أن أنتظم في سلك من خدم تلك الحضرة، في نظم قصيدة تتضمّن بيان هذا المعجز العظيم ونشره، وأن أهنّيء علاّمة الزمن وغرّة وجهه الحسن، فرع الأراكة المحمديّة، ومنار الملّة الأحمديّة، علم الشريعة، وإمام الشيعة، لأجمع بين العبادتين في خدمة هاتين الحضرتين، فنظمت هذه القصيدة الغرّاء، وأهديتها إلى دار إقامته وهي سامرًا، راجياً أن تقع موقع القبول، فقلت ومن الله بلوغ المأمول:

كذا يظهر المعجز الباهر ... ويشهده البرُّ والفاجر
وتروى الكرامة مأثورة ... يبلّغها الغائبَ الحاضر
يقرُّ لقوم بها ناظر ... ويقذى لقوم بها ناظر
فقلب لها ترحاً واقع ... وقلب بها فرحاً طائر
أجِلْ طرف فكرك يا مستدلُّ ... وأنجد بطرفك يا غائر
تصفّح مآثر آل الرسول ... وحسبك ما نشر الناشر
و دونكه نبأ صادقاً ... لقلب العدوّ هو الباقر
فمن صاحب الأمر أمس استبان ... لنا معجز أمره باهر
بموضع غيبته مذ ألمّ ... أخو علّة داؤها ظاهر
رمى فمه باعتقال اللّسان ... رام هو الزّمن الغادر
فأقبل ملتمساً للشفاء ... لدى من هو الغائب الحاضر
ولقّنه القول مستأجر ... عن القصد في أمره جائر

فبيناه في تعب ناصب ومن ضجر فكرهُ حائر
إذ انحلّ من ذلك الاعتقال وبارحه ذلك الضائر
فراح لمولاه في الحامدين وهو لآلائه ذاكر
لعمري لقد مسحت داءه يدٌ كلّ خلق لها شاكر
يدٌ لم تزل رحمة للعباد لذلك أنشأها الفاطر
تحذّر وإن كرهت أنفس يضيق شجى صدرها الواغر
وقل إنّ قائم آل النبيّ له النهي وهو هو الآمر
أيمنع زائره الاعتقال ممّا به ينطق الزائر
ويدعوه صدقاً إلى حلّه ويقضي على أنّه القادر
ويكبو مرجّيه دون الغياث وهو يقال به العاثر
فحاشاه بل هو نعم المغيث إذا نضنض الحارث الفاغر
فهذي الكرامة لا ما غدا يلفّقه الفاسق الفاجر
أدم ذكرها يا لسان الزمان وفي نشرها فمك العاطر
وهنّ بها سرّ من را ومن به ربعها آهل عامر
هو السيّد الحسن المجتبى خضمُّ الندى غيثه الهامر
وقل يا تقدّست من بقعة بها يهب الزلّة الغافر
كلا اسميك في الناس باد له بأوجههم أثر ظاهر
فأنت لبعضهم سرّ من رأى وهو نعت لهم ظاهر
وأنت لبعضهم ساء من رأى وبه يوصف الخاسر
لقد أطلق الحسن المكرمات مُحيّاك فهو بهي سافر
فأنت حديقة زهو به وأخلاقه روضك الناضر
عليم تربّى بحجر الهدى ونسج التقى برده الطاهر

إلى أن قال سلّمه الله تعالى:

كذا فلتكن عترة المرسلين وإلاّ فما الفخر يا فاخر

الحكاية الثالثة والثلاثون

حدّثني الثقة العدل الأمين آغا محمّد المجاور لمشهد العسكريّين عليهما السلام المتولّي لأمر الشموعات، لتلك البقعة العالية، فيما ينيف على أربعين سنة، وهو أمين السيد الأجلّ الأستاذ دام علاه، عن أمّه وهي من الصالحات قالت: كنت يوماً في السرداب الشريف، مع أهل بيت العالم الربّاني والمؤيّد السبحانيّ المولى زين العابدين السلماسي المتقدّم ذكره رحمه الله وكان حين مجاورته في هذه البلدة الشريفة لبناء سورها.

قالت: وكان يوم الجمعة، والمولى المذكور يقرأ دعاء الندبة، وكنّا نقرؤها بقراءته، وكان يبكي بكاء الواله الحزين، ويضجُّ ضجيج المستصرخين، وكنّا نبكي ببكائه، ولم يكن معنا فيه غيرنا.

فبينا نحن في هذه الحالة، وإذا بشرق مسك ونفحته قد انتشر في السرداب وملأ فضاءه وأخذ هواءه واشتدَّ نُفاحه، بحيث ذهبت عن جميعنا تلك الحالة فسكتنا كأنَّ على رؤوسنا الطير، ولم نقدر على حركة وكلام، فبقينا متحيّرين إلى أن مضى زمان قليل، فذهب ما كنّا نستشمّه من تلك الرائحة الطيّبة ورجعنا إلى ما كنّا فيه من قراءة الدُّعاء فلمّا رجعنا إلى البيت سألت عن المولى رحمه الله عن سبب ذلك الطيب، فقال: ما لك والسؤال عن هذا وأعرض عن جوابي.

وحدَّثني الأخ الصفيُّ العالم المتقي الآغا علي رضا الأصفهانيُّ الّذي مرَّ ذكرهُ، وكان صديقه وصاحب سرِّه، قال: سألته يوماً عن لقائه الحجّة عليه السلام وكنت أظنُّ في حقّه ذلك كشيخه السيّد المعظّم العلاّمة الطباطبائيّ كما تقدَّم فأجابني بتلك الواقعة، حرفاً بحرف، وقد ذكرت في دار السلام بعض كراماته ومقاماته رحمة الله عليه.

الحكاية الرابعة والثلاثون

قال الفاضل الجليل النحرير الميرزا عبد الله الأصفهانيُّ الشهير بالأفندي في المجلّد الخامس من كتاب رياض العلماء في ترجمة الشيخ ابن [أبي] الجواد النعماني أنّه ممّن رأى القائم عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى، وروى عنه عليه السلام ورأيت في بعض المواضع نقلاً عن خطّ الشيخ زين الدين عليِّ بن الحسن بن محمّد الخازن الحائريِّ تلميذ الشهيد أنّه قد رأى ابن أبي جواد النعمانيّ مولانا المهديَّ عليه السلام فقال له: يا مولاي لك مقام بالنعمانيّة، ومقام بالحلّة، فأين تكون فيهما؟ فقال له: أكون بالنعمانيّة ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء؛ ويوم الجمعة وليلة الجمعة أكون بالحلّة ولكن أهل الحلّة ما يتأدّبون في مقامي، وما من رجل دخل مقامي بالأدب يتأدّب ويسلّم عليَّ وعلى الأئمّة وصلّى عليَّ وعليهم اثني عشر مرّة ثمّ صلّى ركعتين بسورتين، وناجى الله بهما المناجاة؛ إلاّ أعطاه الله تعالى ما يسأله، أحدها المغفرة.

فقلت: يا مولاي علّمني ذلك، فقال: قل: اللّهمَّ قد أخذ التأديب منّي حتّى مسّني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين، وإن كان ما اقترفته من الذُّنوب أستحقُّ به أضعاف أضعاف ما أدّبتني به، وأنت حليم ذو أناة تعفو عن كثير حتّى يسبق عفوك ورحمتك عذابك، وكرّرها عليَّ ثلاثاً حتّى فهمتها.

قلت: والنعمانيّة بلد بين واسط وبغداد، والظاهر أنَّ منه الشيخ أبا عبد الله محمّد بن محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب الشهير بالنعمانيِّ المعروف بابن أبي زينب تلميذ الكلينيِّ وهو صاحب الغيبة والتفسير، وهو والشيخ الصفوانيُّ المعاصر له، قد ضبط كلُّ واحد منهما

نسخة الكافي ولذا ترى أنّه قد يقع في الكافي كثيراً: وفي نسخة النعمانيّ كذا، وفي نسخة الصفوانيّ كذا.

الحكاية الخامسة والثلاثون

السيّد الأجلُّ عليُّ بن طاوس في جمال الأسبوع أنّه شاهد أحد صاحب الزمان عليه السلام وهو يزور بهذه الزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في اليقظة لا في النوم، يوم الأحد وهو يوم أمير المؤمنين عليه السلام:

[السلام] على الشجرة النبويّة، والدَّوحة الهاشمية المضيئة، المثمرة بالنبوّة المونعة بالإمامة، السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيّبين الطاهرين، السلام عليك وعلى الملائكة المحدقين بك، والحافّين بقبرك، يا مولاي يا أمير المؤمنين هذا يوم الأحد، وهو يومك وباسمك، وأنا ضيفك فيه وجارك، فأضفني يا مولاي، وأجرني فإنّك كريم، تحبُّ الضيافة، ومأمول بالإجابة، فافعل ما رغبت إليك فيه، ورجوته منك، بمنزلتك وآل بيتك عند الله ومنزلته عندكم، وبحقّ ابن عمّك رسول الله صلى الله عليه وآله وعليكم أجمعين.

الحكاية السادسة والثلاثون

العلاّمة الحلّيّ رحمه الله في منهاج الصلاح قال: نوع آخر من الاستخارة رويته عن والدي الفقيه سديد الدِّين يوسف بن عليّ بن المطهّر رحمه الله عن السيد رضيّ الدين محمّد الآوي الحسينيّ عن صاحب الأمر عليه السلام وهو أن يقرأ فاتحة الكتاب عشر مرّات وأقلّه ثلاث مرّات، والأدون منه مرّة، ثمّ يقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ عشر مرّات ثمّ يقرأ هذا الدُّعاء ثلاث مرّات: اللّهمّ إنّي أستخيرك لعلمك بعواقب الأمور وأستشيرك لحسن ظنّي بك في المأمول والمحذور، اللهمّ إن كان الأمر الفلانيّ قد نيطت بالبركة أعجازه وبواديه، وحفّت بالكرامة أيّامه ولياليه، فخِرْ لي فيه خيرة تردُّ شموسه ذلولاً، تقعض أيّامه سروراً، اللّهمّ إمّا أمر فائتمر وإمّا نهي فأنتهي اللّهمّ إنّي أستخيرك برحمتك خيرة في عافية.

ثمّ يقبض على قطعة من السّبحة، ويضمر حاجته، ويخرج إن كان عدد تلك القطعة زوجاً فهو افعل وإن كان فرداً لا تفعل، أو بالعكس.

قال الكفعميّ رحمه الله: نيطت تعلّقت، وناط الشيء تعلّق، وهذا منوط بك أي متعلّق، والأنواط المعاليق، ونيط فلان بكذا أي تعلّق قال الشاعر:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وأعجاز الشيء آخره، وبواديه أوّله. ومفتتح الأمر ومبتداه، ومهله وعنفوانه، وأوائله وموارده وبدائهه وبواديه نظائر وشوافعه وتواليه وأعقابه ومصادره ورواجعه ومصائره وعواقبه

وأعجازه نظائر، وقوله شموسه أي صعوبته ورجل شموس: أي صعب الخلق، ولا تقل: شموص بالصاد، وأشمس الفرس منع ظهره، والذّلول ضدُّ الصعوبة، وتقعض أي تردُّ وتعطف، وقعضت العود عطفته وتقعص بالصاد تصحيف والعين مفتوحة لأنّه إذا كانت عين الفعل أو لامه أحد حروف الحلق كان الأغلب فتحها في المضارع.

قال في البحار: وفي كثير من النسخ بالصّاد المهملة، ولعلّه مبالغة في السرور وهذا شائع في العرب والعجم، يقال لمن أصابه سرور عظيم: مات سروراً أو يكون المراد به الانقضاء أي تنقضي بالسّرور، والتعبير به لأنَّ أيّام السّرور سريعة الانقضاء، فإنَّ القعص الموت سريعاً فعلى هذا يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم والمجهول، و«أيّامه» بالرّفع والنصب معاً.

قال الشهيد رحمه الله في الذكرى: ومنها الاستخارة بالعدد ولم يكن هذه مشهورة في العصور الماضية، قبل زمان السيّد الكبير العابد رضيّ الدّين محمّد الآوي الحسينيّ المجاور بالمشهد المقدّس الغرويّ رضي الله عنه، وقد رويناها عنه وجميع مرويّاته عن عدَّة من مشايخنا، عن الشيخ الكبير الفاضل جمال الدّين ابن المطهّر عن السيّد الرضيّ، عن صاحب الأمر عليه السلام وتقدَّم عنه رحمه الله حكاية أُخرى.

وهذه الحكاية ذكرها المحقّق الكاظمينيّ في مسألة الإجماع في بعض وجوهه في عداد من تلقّى عن الحجّة عليه السلام في غيبته الكبرى بعض الأحكام سماعاً أو مكاتبة.

الحكاية السابعة والثلاثون

في كتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للشيخ المحدِّث الجليل محمّد بن الحسن الحرّ العاملي رحمه الله قال: قد أخبرني جماعة من ثقات الأصحاب أنّهم رأوا صاحب الأمر عليه السلام في اليقظة، وشاهدوا منه معجزات متعدِّدات، وأخبرهم بعدَّة مغيبات، ودعا لهم بدعوات مستجابات، وأنجاهم من أخطار مهلكات.

قال رحمه الله: وكنّا جالسين في بلادنا في قرية معشر في يوم عيد، ونحن جماعة من أهل العلم والصلحاء، فقلت لهم: ليت شعري في العيد المقبل من يكون من هؤلاء حيّاً ومن يكون قد مات؟ فقال لي رجل كان اسمه «الشيخ محمّد» وكان شريكنا في الدُّروس: أنا أعلم أنّي أكون في عيد آخر حيّاً وفي عيد آخر حيّاً وعيد آخر إلى ستّة وعشرين سنة، وظهر منه أنّه جازم بذلك من غير مزاح، فقلت له: أنت تعلم الغيب؟ قال: لا، ولكنّي رأيت المهديّ عليه السلام في النوم وأنا مريض شديد المرض، فقلت له: أنا مريض وأخاف أن أموت، وليس لي عمل صالح ألقى الله به، فقال: لا تخف فإنَّ الله تعالى يشفيك من هذا المرض، ولا تموت فيه بل تعيش ستّاً وعشرين سنة ثمّ ناولني كأساً كان في يده فشربت منه وزال عنّي المرض وحصل لي الشفاء، وأنا أعلم أنَّ هذا ليس من الشيطان.

فلمّا سمعت كلام الرَّجل كتبت التاريخ، وكان سنة ألف وتسعة وأربعين ومضت لذلك مدَّة وانتقلت إلى المشهد المقدَّس سنة ألف واثنين وسبعين، فلمّا كانت السنة الأخيرة وقع في قلبي أنَّ المدَّة قد انقضت فرجعت إلى ذلك التاريخ وحسبته فرأيته قد مضى منه ستّ وعشرون سنة، فقلت: ينبغي أن يكون الرَّجل مات.

فما مضت مدَّة نحو شهر أو شهرين حتّى جاءتني كتابة من أخي - وكان في البلاد - يخبرني أنَّ الرَّجل المذكور مات.

الحكاية الثامنة والثلاثون

وفي الكتاب المذكور قال ﵀: إنّي كنت في عصر الصّبى وسنّي عشر سنين أو نحوها أصابني مرض شديد جدّاً حتّى اجتمع أهلي وأقاربي وبكوا وتهيّأوا للتعزية، وأيقنوا أني أموت تلك اللّيلة.

فرأيت النبيَّ والأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم، وأنا فيما بين النائم واليقظان، فسلّمت عليهم وصافحتهم واحداً واحداً، وجرى بيني وبين الصادق عليه السلام كلام، ولم يبق في خاطري إلاّ أنّه دعا لي.

فلمّا سلّمت على الصاحب عليه السلام، وصافحته، بكيت وقلت: يا مولاي أخاف أن أموت في هذا المرض، ولم أقض وطري من العلم والعمل، فقال عليه السلام: لا تخف فإنك لا تموت في هذا المرض بل يشفيك الله تعالى وتعمر عمراً طويلاً ثمّ ناولني قدحاً كان في يده فشربت منه وأفقت في الحال وزال عنّي المرض بالكليّة، وجلست وتعجّب أهلي وأقاربي، ولم أحدّثهم بما رأيت إلاّ بعد أيام.

الحكاية التاسعة والثلاثون

وحدَّثني الثقة الأمين آغا محمّد المتقدّم ذكره قال: كان رجل من أهل سامرَّاء من أهل الخلاف يسمّى مصطفى الحمّود، وكان من الخدَّام الّذين ديدنهم أذيّة الزُّوّار، وأخذ أموالهم بطرق فيها غضب الجبّار، وكان أغلب أوقاته في السرداب المقدَّس على الصُفّة الصّغيرة، خلف الشبّاك الّذي وضعه هناك [ومن جاء] من الزُّوار ويشتغل بالزيارة، يحوّل الخبيث بينه وبين مولاه فينبّهه على الأغلاط المتعارفة الّتي لا تخلو أغلب العوامّ منها، بحيث لم يبق لهم حالة حضور وتوجّه أصلاً.

فرأى ليلة في المنام الحجّة من الله الملك العلاّم عليه السلام، فقال له: إلى متى تؤذي زوّاري ولا تدعهم أن يزوروا؟ ما لك وللدخول في ذلك، خلّ بينهم وبين ما يقولون فانتبه، وقد أصمَّ الله أذنيه، فكان لا يسمع بعده شيئاً واستراح منه الزُّوَّار، وكان كذلك إلى أن ألحقه الله بأسلافه في النار.

الحكاية الأربعون

الشيخ الجليل أمين الإسلام فضل بن الحسن الطبرسيُّ صاحب التفسير في كتاب كنوز النجاح قال: دعاء علّمه صاحب الزّمان عليه السلام الملك المنّان، أبا الحسن محمّد بن أحمد بن أبي اللّيث رحمه الله تعالى في بلدة بغداد، في مقابر قريش، وكان أبو الحسن قد هرب إلى مقابر قريش والتجأ إليه من خوف القتل فنجّي منه ببركة هذا الدُّعاء.

قال أبو الحسن المذكور: إنّه علّمني أن أقول: «اللّهمَّ عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانقطع الرَّجاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض، ومنعت السّماء، وإليك يا ربِّ المشتكى، وعليك المعوَّل في الشدَّة والرَّخاء، اللّهمَّ فصلِّ على محمّد وآل محمّد أولي الأمر الّذين فرضت علينا طاعتهم، فعرَّفتنا بذلك منزلتهم، ففرِّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر، أو هو أقرب، يا محمّد يا عليُّ اكفياني فإنّكما كافياي وانصراني فإنّكما ناصراي، يا مولاي يا صاحب الزمان الغوث الغوث [الغوث] أدركني أدركني أدركني».

قال الرّاوي: إنّه عليه السلام عند قوله: «يا صاحب الزّمان» كان يشير إلى صدره الشريف.

الحكاية الحادية والأربعون

قال العالم النحرير، النقّاد البصير، المولى أبو الحسن الشريف العامليُّ الغرويُّ تلميذ العلاّمة المجلسيِّ وهو جدُّ شيخ الفقهاء في عصره صاحب جواهر الكلام، من طرف أمّه، وينقل عنه في الجواهر كثيراً، صاحب التفسير الحسن الّذي لم يؤلّف مثله وإن لم يبرز منه إلاّ قليل إلاّ أنَّ في مقدّماته من الفوائد ما يشفي العليل، ويروي الغليل، وغيره، قال في كتاب ضياء العالمين، وهو كتاب كبير منيف على ستّين ألف بيت كثير الفوائد، قليل النظير، قال في أواخر المجلّد الأوّل منه في ضمن أحوال الحجّة عليه السلام بعد ذكر قصّة الجزيرة الخضراء، مختصراً ما لفظه:

ثمَّ إنَّ المنقولات المعتبرة في رؤية صاحب الأمر عليه السلام سوى ما ذكرنا كثيرة جدّاً حتّى في هذه الأزمنة القريبة، فقد سمعت أنا من ثقات أنَّ مولانا أحمد الأردبيليَّ رآه عليه السلام في جامع الكوفة، وسأل منه مسائل، وأنَّ مولانا محمّد تقي والد شيخنا رآه في الجامع العتيق بأصبهان، والحكاية الأولى موجودة في البحار وأمّا الثانية فهي غير معروفة، ولم نعثر عليها إلاّ ما ذكره المولى المذكور رحمه الله في شرح مشيخة الفقيه في ترجمة المتوكّل بن عمير راوي الصّحيفة.

قال رحمه الله: إنّي كنت في أوائل البلوغ طالباً لمرضاة الله، ساعياً في طلب رضاه، ولم يكن لي قرار بذكره إلى أن رأيت بين النّوم واليقظة أنَّ صاحب الزّمان صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم بأصبهان قريباً من باب الطنبي الّذي الآن مدرسي، فسلّمت عليه وأردت أن أقبّل رجله، فلم يدعني وأخذني، فقبّلت يده، وسألت عنه مسائل قد أشكلت عليَّ.

منها أنّي كنت أُوسوس في صلاتي، وكنت أقول إنّها ليست كما طلبت منّي وأنا مشتغل بالقضاء، ولا يمكنني صلاة اللّيل، وسألت عنه شيخنا البهائيّ رحمه الله تعالى فقال: صلِّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد صلاة اللّيل، وكنت أفعل هكذا فسألت عن الحجّة عليه السلام أُصلّي صلاة الليل؟ فقال: صلّها، ولا تفعل كالمصنوع الّذي كنت تفعل، إلى غير ذلك من المسائل الّتي لم يبق في بالي.

ثمَّ قلت: يا مولاي لا يتيسّر لي أن أصل إلى خدمتك كلّ وقت فأعطني كتاباً أعمل عليه دائماً فقال عليه السلام: أعطيت لأجلك كتاباً إلى مولانا محمّد التاج، وكنت أعرفه في النّوم، فقال عليه السلام: رُحْ وخذ منه، فخرجت من باب المسجد الّذي كان مقابلاً لوجهه إلى جانب دار البطّيخ محلّة من أصبهان، فلمّا وصلت إلى ذلك الشخص فلمّا رآني قال لي: بعثك الصّاحب عليه السلام إليَّ؟ قلت: نعم، فأخرج من جيبه كتاباً قديماً فلمّا فتحته ظهر لي أنّه كتاب الدُّعاء فقبّلته ووضعته على عيني وانصرفت عنه متوجّهاً إلى الصّاحب عليه السلام فانتبهت ولم يكن معي ذلك الكتاب.

فشرعت في التّضرُّع والبكاء والجؤار لفوت ذلك الكتاب إلى أن طلع الفجر فلمّا فرغت من الصّلاة والتعقيب، وكان في بالي أنَّ مولانا محمّد هو الشيخ وتسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء.

فلمّا جئت إلى مدرسته وكان في جوار المسجد الجامع فرأيته مشتغلاً بمقابلة الصحيفة، وكان القاري السيّد صالح أمير ذو الفقار الجرفادقانيّ فجلست ساعة حتّى فرغ منه والظّاهر أنّه كان في سند الصحيفة لكن للغمّ الّذي كان لي لم أعرف كلامه ولا كلامهم، وكنت أبكي فذهبت إلى الشيخ وقلت له رؤياي وكنت أبكي لفوات الكتاب، فقال الشيخ: أبشر بالعلوم الإلهيّة، والمعارف اليقينيّة وجميع ما كنت تطلب دائماً، وكان أكثر صحبتي مع الشيخ التصوُّف وكان مائلاً إليه، فلم يسكن قلبي وخرجت باكياً متفكّراً إلى أن ألقي في روعي أن أذهب إلى الجانب الّذي ذهبت إليه في النوم، فلمّا وصلت إلى دار البطيخ رأيت رجلاً صالحاً اسمه آغا حسن، وكان يلقب بتاجا، فلما وصلت إليه وسلّمت عليه قال: يا فلان الكتب الوقفيّة الّتي عندي كلُّ من يأخذه من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف وأنت تعمل به، وقال: وانظر إلى هذه الكتب وكلّ ما تحتاج إليه خذه، فذهبت معه إلى بيت كتبه فأعطاني أوّل ما أعطاني الكتاب الّذي رأيته في النوم، فشرعت في البكاء والنحيب، وقلت: يكفيني وليس في بالي أنّي ذكرت له النوم أم لا، وجئت عند الشيخ وشرعت في المقابلة مع نسخته الّتي كتبها جدُّ أبيه مع نسخة الشهيد وكتب الشهيد نسخته مع نسخة عميد الرّؤساء وابن السّكون، وقابلها مع نسخة ابن إدريس بواسطة أو بدونها وكانت النسخة الّتي أعطانيها الصاحب مكتوبة من خطّ الشهيد، وكانت موافقة غاية الموافقة حتّى في النسخ الّتي كانت مكتوبة على هامشها، وبعد أن

فرغت من المقابلة شرع الناس في المقابلة عندي، وببركة إعطاء الحجّة عليه السلام صارت الصحيفة الكاملة في جميع البلاد كالشمس طالعة في كلّ بيت، وسيّما في أصبهان فإنّ أكثر النّاس لهم الصّحيفة المتعدّدة وصار أكثرهم صلحاء وأهل الدُّعاء، وكثير منهم مستجابو الدّعوة، وهذه الآثار معجزة لصاحب الأمر عليه السلام والّذي أعطاني الله من العلوم بسبب الصحيفة لا أُحصيها.
وذكرها العلاّمة المجلسيّ رضوان الله عليه في إجازات البحار مختصراً.

الحكاية الثانية والأربعون

حدَّث السيّد الجليل والمحدِّث العليم النبيل، السيّد نعمة الله الجزائري في مقدّمات شرح العوالي قال: حدَّثني وأجازني السيّد الثقة هاشم بن الحسين الأحسائيُّ في دار العلم شيراز في المدرسة المقابلة للبقعة المباركة، مزار السيد محمّد عابد عليه الرحمة والرضوان، في حجرة من الطبقة الثانية، على يمين الداخل قال: حكى لي أُستاذي الثقة المعدّل الشيخ محمّد الحرفوشي قدّس الله تربته قال: لمّا كنت بالشام، عمدت يوماً إلى مسجد مهجور، بعيد من العمران، فرأيت شيخاً أزهر الوجه، عليه ثياب بيض، وهيئة جميلة، فتجارينا في الحديث، وفنون العلم فرأيته فوق ما يصفه الواصف، ثمّ تحقّقت منه الاسم والنسبة ثمّ بعد جهد طويل قال: أنا معمّر بن أبي الدُّنيا صاحب أمير المؤمنين، وحضرت معه حروب صفّين وهذه الشجّة في رأسي وفي وجهي من زجّة فرسه.

ثمّ ذكر لي من الصفات والعلامات ما تحقّقت معه صدقه في كلّ ما قال، ثمّ استجزته كتب الأخبار، فأجازني عن أمير المؤمنين وعن جميع الأئمّة عليهم السلام حتّى انتهى في الإجازة إلى صاحب الدّار عجّل الله فرجه وكذلك أجازني كتب العربيّة من مصنّفيها كالشيخ عبد القاهر والسّكاكيّ وسعد التفتازانيّ وكتب النحو عن أهلها وذكر العلوم المتعارفة.

ثمّ قال السيّد رحمه الله إنّ الشيخ محمّد الحرفوشي أجازني كتب الأحاديث الأُصول الأربعة، وغيرها من كتب الأخبار بتلك الإجازة، وكذلك أجازني الكتب المصنّفة في فنون العلوم، ثمّ إنّ السيّد رحمه الله أجازني بتلك الإجازة كلّ ما أجازه شيخه الحرفوشي، عن معمّر بن أبي الدُّنيا صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّا أنا فأضمن ثقة المشايخ السيّد والشيخ، وتعديلهما وورعهما ولكنّي لا أضمن وقوع الأمر في الواقع على ما حكيت، وهذه الإجازة العالية لم تتّفق لأحد من علمائنا، ولا محدِّثينا، لا في الصدر السّالف، ولا في الأعصار المتأخّرة انتهى.

وقال سبطه العالم الجليل السيّد عبد الله صاحب شرح النخبة، وغيره في إجازته الكبيرة، لأربعة من علماء حويزة، بعد نقل كلام جدّه وكأنّه رحمه الله استنكر هذه القصّة أو خاف أن تنكر عليه فتبرّأ من عهدتها في آخر كلامه وليست بذلك فإنّ معمّر بن أبي الدُّنيا المغربي له ذكر متكرّر في الكتب، وقصّة طويلة في خروجه مع أبيه في طلب ماء الحياة، وعثوره عليه دون

أصحابه، مذكورة في كتب التواريخ وغيرها، وقد نقل منها نبذاً صاحب البحار في أحوال صاحب الدار عليه السلام وذكر الصّدوق في كتاب إكمال الدّين أنّ اسمه عليّ بن عثمان بن خطّاب ابن مرّة بن مؤيّد الهمدانيّ إلاّ أنّه قال: معمّر أبي الدُّنيا بإسقاط «بن» والظاهر أنّه هو الصواب كما لا يخفى، وذكر أنّه من حضرموت والبلد الّذي هو مقيم فيه طنجة، وروى عنه أحاديث مسندة بأسانيد مختلفة.

وأمّا ما نقله الشيخ في مجالسه عن أبي بكر الجرجانيّ أنّ المعمّر المقيم ببلدة طنجة توفّي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فليس بمناف شيئاً لأنّ الظاهر أنّ أحدهما غير الآخر، لتغاير اسميهما وقصّتيهما وأحوالهما المنقولة، والله يعلم انتهى، وشرح حال المعمّر مذكور في آخر فتن البحار.

وقال السيّد الجليل المعظّم والحبر المكرّم السيّد حسين ابن العالم العليم السيّد إبراهيم القزوينيّ رحمه الله في آخر إجازته لآية الله بحر العلوم: وللعبد طريق آخر إلى الكتب الأربعة وغيرها لم يسمح الأعصار بمثلها، وهو ما أجاز لي السيّد السّعيد الشهيد السيّد نصر الله الحائريّ، عن شيخه مولانا أبي الحسن، عن شيخه الفاضل السيّد نعمة الله، عن شيخه السيّد هاشم الأحسائيّ، إلى آخر ما نقلناه.

والشيخ محمّد الحرفوشيّ من الأجلاّء، قال الشيخ الحرُّ في أمل الآمل: الشيخ محمّد بن عليّ بن أحمد الحرفوشي الحريريّ العامليّ الكركيّ الشاميّ كان فاضلاً عالماً أديباً ماهراً محقّقاً مدقّقاً شاعراً أديباً منشياً حافظاً أعرف أهل عصره بعلوم العربيّة، وذكر له مؤلّفات في الأدبيّة وشرح قواعد الشّهيد، وغيرها وذكره السيّد عليخان في سلافة العصر وبالغ في الثناء بيه وقال: إنّه توفّي سنة ١٠٥٩.

الحكاية الثالثة والأربعون

حدّثني سيّد الفقهاء، وسناد العلماء، العالم الربّانيّ المؤيّد بالألطاف الخفيّة السيّد مهدي القزوينيّ الساكن في الحلّة السيفيّة، صاحب التصانيف الكثيرة والمقامات العالية أعلى الله تعالى مقامه فيما كتب بخطّه قال: حدّثني والدي الرُّوحاني وعمّي الجسماني جناب المرحوم المبرور العلاّمة الفهّامة، صاحب الكرامات، والإخبار ببعض المغيبات، السيّد محمّد باقر نجل المرحوم السيّد أحمد الحسيني القزويني أنّ في الطاعون الشّديد الّذي حدث في أرض العراق من المشاهد وغيرها في عام ستّ وثمانين بعد المائة والألف، وهرب جميع من كان في المشهد الغرويّ من العلماء المعروفين وغيرهم، حتّى العلاّمة الطباطبائيّ والمحقق صاحب كشف الغطاء وغيرهما بعدما توفّي منهم جمٌّ غفير، ولم يبق إلاّ معدودين من أهله، منهم السيّد رحمه الله.

قال: وكان يقول: كنت أقعد اليوم في الصّحن الشريف، ولم يكن فيه ولا في غيره أحد

من أهل العلم إلاّ رجلاً معمّماً من مجاوري أهل العجم، كان يقعد في مقابلي وفي تلك الأيّام لقيت شخصاً معظّماً مبجّلاً في بعض سكك المشهد ما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده، مع كون أهل المشهد في تلك الأيّام محصورين، ولم يكن يدخل عليهم أحد من الخارج، قال: ولمّا رآني قال ابتداء منه: أنت ترزق علم التوحيد بعد حين.

وحدّثني السيّد المعظّم، عن عمّه الجليل أنّه رحمه الله بعد ذلك في ليلة من اللّيالي قد رأى ملكين نزلا عليه بيد أحدهما عدّة ألواح فيها كتابة، وبيد الآخر ميزان فأخذا يجعلان في كلّ كفّة من الميزان لوحاً يوزنونها ثمّ يعرضون الألواح المتقابلة عليّ فأقرؤها وهكذا إلى آخر الألواح، وإذا هما يقابلان عقيدة كلّ واحد من خواصّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وخواصّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام مع عقيدة واحد من علماء الإماميّة من سلمان وأبي ذر إلى آخر البوّابين، ومن الكلينيّ والصّدوقين، والمفيد والمرتضى، والشيخ الطّوسيّ إلى بحر العلوم خالي العلاّمة الطباطبائي ومن بعده من العلماء.

قال: فاطّلعت في ذلك المنام على عقائد جميع الإماميّة من الصّحابة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام وبقيّة علماء الإماميّة، وإذا أنا محيط بأسرار من العلوم لو كان عمري عمر نوح عليه السلام وأطلب هذه المعرفة، لما أحطت بعشر معشار ذلك وذلك بعد أن قال الملك الّذي بيده الميزان للملك الآخر الّذي بيده الألواح: اعرض الألواح على فلان، فإنّا مأمورون بعرض الألواح عليه، فأصبحت وأنا علاّمة زماني في العرفان.

فلمّا جلست من المنام، وصلّيت الفريضة وفرغت من تعقيب صلاة الصّبح فإذا بطارق يطرق الباب، فخرجت الجارية فأتت إليّ بقرطاس مرسول من أخي في الدّين المرحوم الشيخ عبد الحسين الأعشم فيه أبيات يمدحني فيها فإذا قد جرى على لسانه في الشعر تفسير المنام على نحو الإجمال، قد ألهمه الله تعالى ذلك وأمّا أبيات المدح فمنها قوله شعراً:

نرجو سعادة فالي إلى سعادة فالك ... بك اختتام معال قد افتتحن بخالك

وقد أخبرني بعقائد جملة من الصحابة المتقابلة مع بعض العلماء الإماميّة، ومن جملة ذلك عقيدة المرحوم خالي العلاّمة بحر العلوم في مقابلة عقيدة بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله الّذين هم من خواصّه وعقيدة علماء آخرين الّذين يزيدون على السيّد المرحوم المذكور أو ينقصون إلاّ أنّ هذه الأمور لمّا كانت من الأسرار الّتي لا يمكن إباحتها لكلّ أحد، لعدم تحمّل الخلق لذلك، مع أنّه رحمه الله أخذ عليّ العهد ألاّ أبوح به لأحد وكانت تلك الرّؤيا نتيجة قول ذلك القائل الّذي تشهد القرائن بكونه المنتظر المهديّ.

قلت: وهذا السيّد المبجّل كان صاحب أسرار خاله العلاّمة بحر العلوم وخاصّته، وصاحب القبّة المواجهة لقبّة شيخ الفقهاء صاحب جواهر الكلام، في النجف الأشرف، وحدّثني السيد المعظّم المزبور وغيره بجملة من كراماته ذكرناها في دار السلام.

الحكاية الرابعة والأربعون

حدَّثني جماعة من الأفاضل الكرام، والصلحاء الفخام، منهم السيّد السند والحبر المعتمد، زبدة العلماء الأعلام، وعمدة الفقهاء العظام، حاوي فنون الفضل والأدب، وحائز معالي الحسب والنسب الميرزا صالح دام علاه ابن سيّد المحقّقين ونور مصباح المجاهدين، وحيد عصره، وفريد دهره سيدنا المعظّم السيد مهدي المتقدّم ذكره أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه وقد كنت سألت عنه سلّمه الله أن يكتب لي تلك الحكايات الآتية المنسوبة إلى والده المعظّم التي سمعتها من الجماعة فإنَّ أهل البيت أدرى بما فيه، مع ما هو عليه: من الإتقان والحفظ والضّبط والصّلاح والسّداد والاطّلاع، وقد صاحبته في طريق مكّة المعظّمة ذهاباً وإياباً فوجدته أيّده الله بحراً لا ينزح وكنزاً لا ينفد، فكتب إليَّ مطابقاً لما سمعته من تلك العصابة.

وكتب أخوه العالم النحرير، وصاحب الفضل المنير، السيّد الأمجد السيّد محمّد سلّمه الله تعالى في آخر ما كتبه: سمعت هذه الكرامات الثلاثة سماعاً من لفظ الوالد المرحوم المبرور عطّر الله مرقده. صورة ما كتبه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم حدَّثني بعض الصّلحاء الأبرار من أهل الحلّة قال: خرجت غدوة من داري قاصداً داركم لأجل زيارة السيّد أعلى الله مقامه فصار ممرّي في الطريق على المقام المعروف بقبر السيّد محمّد ذي الدّمعة فرأيت على شباكه الخارج إلى الطّريق شخصاً بهيَّ المنظر يقرأ فاتحة الكتاب، فتأمّلته فإذا هو غريب الشكل، وليس من أهل الحلّة.

فقلت في نفسي: هذا رجل غريب قد اعتنى بصاحب هذا المرقد، ووقف وقرأ له فاتحة لكتاب، ونحن أهل البلد نمرُّ ولا نفعل ذلك، فوقفت وقرأت الفاتحة والتوحيد، فلمّا فرغت سلّمت عليه، فردَّ السّلام، وقال لي: يا عليُّ أنت ذاهب لزيارة السيّد مهدي؟ قلت: نعم، قال: فإنّي معك.

فلمّا صرنا ببعض الطريق قال لي: يا عليُّ لا تحزن على ما أصابك من الخسران وذهاب المال في هذه السنة، فإنّك رجل امتحنك الله بالمال فوجدك مؤدّياً للحق وقد قضيت ما فرض الله عليك، وأمّا المال فإنّه عرض زائل يجيء ويذهب، وكان قد أصابني خسران في تلك السنة لم يطّلع عليه أحد مخافة الكسر، فاغتممت في نفسي وقلت: سبحان الله كسري قد شاع وبلغ حتّى إلى الأجانب، إلاّ أنّي قلت له في الجواب: الحمد لله على كلِّ حال، فقال: إنَّ ما ذهب من مالك سيعود إليك بعد مدّة، وترجع كحالك الأوّل، وتقضي ما عليك من الدُّيون.

قال: فسكتُّ وأنا مفكّر في كلامه حتّى انتهينا إلى باب داركم، فوقفت ووقف، فقلت: ادخل يا مولاي فأنا من أهل الدار فقال لي: ادخل أنت أنا صاحب الدّار، فامتنعت فأخذ بيدي وأدخلني أمامه فلمّا صرنا إلى المسجد وجدنا جماعة من الطّلبة جلوساً ينتظرون خروج

السيّد قدّس سرُّه من داخل الدّار لأجل البحث، ومكانه من المجلس خال لم يجلس فيه أحد احتراماً له، وفيه كتاب مطروح.

فذهب الرَّجل، وجلس في الموضع الّذي كان السيّد قدّس سرُّه يعتاد الجلوس فيه ثمَّ أخذ الكتاب وفتحه، وكان الكتاب شرائع المحقّق قدّس سرُّه ثمَّ استخرج من الكتاب كراريس مسوَّدة بخطّ السيّد قدّس سرُّه، وكان خطّه في غاية الضّعف لا يقدر كلُّ أحد على قراءته، فأخذ يقرأ في تلك الكراريس ويقول للطلبة: ألا تعجبون من هذه الفروع وهذه الكراريس؟ هي بعض من جملة كتاب مواهب الأفهام في شرح شرائع الإسلام وهو كتاب عجيب في فنّه لم يبرز منه إلاّ ستّ مجلّدات من أوَّل الطهارة إلى أحكام الأموات.

قال الوالد أعلى الله درجته: لمّا خرجت من داخل الدّار رأيت الرّجل جالساً في موضعي فلمّا رآني قام وتنحّى عن الموضع فألزمته بالجلوس فيه، ورأيته رجلاً بهيَّ المنظر، وسيم الشّكل في زيٍّ غريب، فلمّا جلسنا أقبلت عليه بطلاقة وجه وبشاشة، وسؤال عن حاله واستحييت أن أسأله من هو وأين وطنه؟ ثمَّ شرعت في البحث فجعل الرَّجل يتكلّم في المسألة الّتي نبحث عنها بكلام كأنّه اللّؤلؤ المتساقط فبهرني كلامه فقال له بعض الطلبة: اسكت ما أنت وهذا، فتبسّم وسكت.

قال رحمه الله: فلمّا انقضى البحث قلت له: من أين كان مجيئك إلى الحلّة؟ فقال: من بلد السليمانيّة، فقلت: متى خرجت؟ فقال: بالأمس خرجت منها، وما خرجت منها حتّى دخلها نجيب باشا فاتحاً لها عنوة بالسيف وقد قبض على أحمد باشا الباباني المتغلّب عليها، وأقام مقامه أخاه عبد الله باشا، وقد كان أحمد باشا المتقدِّم قد خلع طاعة الدولة العثمانية وادّعى السلطنة لنفسه في السّليمانية.

قال الوالد قدّس سرُّه: فبقيت مفكّراً في حديثه وأنَّ هذا الفتح وخبره لم يبلغ إلى حكّام الحلّة، ولم يخطر لي أن أسأله كيف وصلت إلى الحلّة وبالأمس خرجت من السّليمانيّة، وبين الحلّة والسليمانيّة ما يزيد على عشرة أيام للراكب المجدّ.

ثمَّ إنَّ الرَّجل أمر بعض خدمة الدّار أن يأتيه بماء فأخذ الخادم الإناء ليغترف به ماء من الحبِّ فناداه لا تفعل! فإنَّ في الإناء حيواناً ميّتاً فنظر فيه، فإذا فيه سامُّ أبرص ميّت فأخذ غيره وجاء بالماء إليه فلمّا شرب قام للخروج.

قال الوالد قدّس سرُّه فقمت لقيامه فودَّعني وخرج فلمّا صار خارج الدّار قلت للجماعة هلاّ أنكرتم على الرَّجل خبره في فتح السليمانيّة فقالوا: هلاّ أنكرت عليه؟

قال: فحدَّثني الحاج عليّ المتقدِّم بما وقع له في الطريق وحدَّثني الجماعة بما وقع قبل خروجي من قراءته في المسوَّدة، وإظهار العجب من الفروع الّتي فيها.

قال الوالد أعلى الله مقامه: فقلت: اطلبوا الرَّجل وما أظنّكم تجدونه هو والله صاحب

الأمر روحي فداه فتفرّق الجاعة في طلبه فما وجدوا له عيناً ولا أثراً فكأنما صعد في السماء أو نزل في الأرض.

قال: فضبطنا اليوم الّذي أخبر فيه عن فتح السليمانيّة فورد الخبر ببشارة الفتح إلى الحلّة بعد عشرة أيّام من ذلك اليوم، وأعلن ذلك عند حكّامها بضرب المدافع المعتاد ضربها عند البشائر، عند ذوي الدولة العثمانيّة.

قلت: الموجود فيما عندنا من كتب الأنساب أنّ اسم ذا الدّمعة حسين ويلقّب أيضاً بذي العبرة، وهو ابن زيد الشهيد ابن عليّ بن الحسين عليه السلام ويكنّى بأبي عاتقة، وإنّما لقّب بذي الدّمعة لبكائه في تهجّده في صلاة اللّيل، وربّاه الصادق عليه السلام فأوّرثه علماً جمّاً وكان زاهداً عابداً وتوفّي سنة خمس وثلاثين ومائة وزوّج ابنته بالمهديّ الخليفة العباسيّ وله أعقاب كثيرة، ولكنّه سلّمه الله أعرف بما كتب.

الحكاية الخامسة والأربعون

قال سلّمه الله: وحدّثني الوالد أعلى الله مقامه قال: لازمت الخروج إلى الجزيرة مدّة مديدة لأجل إرشاد عشائر بني زبيد إلى مذهب الحقّ، وكانوا كلّهم على رأي أهل التسنّن، وببركة هداية الوالد قدّس سرّه وإرشاده، رجعوا إلى مذهب الإماميّة كما هم عليه الآن، وهم عدد كثير يزيدون على عشرة آلاف نفس وكان في الجزيرة مزار معروف بقبر الحمزة بن الكاظم، يزوره النّاس ويذكرون له كرامات كثيرة، وحوله قرية تحتوي على مائة دار تقريباً.

قال قدّس سرّه: فكنت أستطرق الجزيرة وأمرّ عليه ولا أزوره لما صحّ عندي أنّ الحمزة بن الكاظم مقبور في الريّ مع عبد العظيم الحسنيّ فخرجت مرّة على عادتي ونزلت ضيفاً عند أهل تلك القرية، فتوقّعوا منّي أن أزور المرقد المذكور فأبيت وقلت لهم: لا أزور من لا أعرف، وكان المزار المذكور قلّت رغبة النّاس فيه لإعراضي عنه.

ثمّ ركبت من عندهم وبتّ تلك اللّيلة في قرية المزيديّة، عند بعض ساداتها فلمّا كان وقت السحر جلست لنافلة اللّيل وتهيّأت للصلاة، فلمّا صلّيت النافلة بقيت أرتقب طلوع الفجر، وأنا على هيئة التعقيب إذ دخل عليّ سيّد أعرفه بالصلاح والتقوى، من سادة تلك القرية، فسلّم وجلس.

ثمّ قال: يا مولانا بالأمس تضيّفت أهل قرية الحمزة، وما زرته؟ قلت: نعم قال: ولم ذلك؟ قلت: لأنّي لا أزور من لا أعرف، والحمزة بن الكاظم مدفون بالريّ، فقال: ربّ مشهور لا أصل له، ليس هذا قبر الحمزة بن موسى الكاظم وإن اشتهر أنّه كذلك بل هو قبر أبي يعلى حمزة بن القاسم العلويّ العباسيّ أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرّجال في كتبهم، وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فقلت في نفسي: هذا السيّد من عوام السادة، وليس من أهل الاطّلاع على الرِّجال والحديث، فلعلّه أخذ هذا الكلام عن بعض العلماء، ثمَّ قمت لأرتقب طلوع الفجر، فقام ذلك السيّد وخرج وأُغفلت أن أسأله عمّن أخذ هذا لأنَّ الفجر قد طلع، وتشاغلت بالصلاة.

فلمّا صلّيت جلست للتعقيب حتّى طلع الشمس وكان معي جملة من كتب الرجال فنظرت فيها وإذا الحال كما ذكر فجاءني أهل القرية مسلّمين عليَّ وفي جملتهم ذلك السيّد فقلت: جئتني قبل الفجر وأخبرتني عن قبر الحمزة أنّه أبو يعلى حمزة بن القاسم العلويُّ فمن أين لك هذا وعمّن أخذته؟ فقال: والله ما جئتك قبل الفجر ولا رأيتك قبل هذه الساعة، ولقد كنت ليلة أمس بائتاً خارج القرية - في مكان سمّاه - وسمعنا بقدومك فجئنا في هذا اليوم زائرين لك.

فقلت لأهل القرية: الآن لزمني الرجوع إلى زيارة الحمزة فإنّي لا أشكُّ في أنَّ الشخص الّذي رأيته هو صاحب الأمر عليه السلام، قال: فركبت أنا وجميع أهل تلك القرية لزيارته، ومن ذلك الوقت ظهر هذا المزار ظهوراً تامّاً على وجه صار بحيث تشدُّ الرحال إليه من الأماكن البعيدة.

قلت: في رجال النجاشي: حمزة بن القاسم بن عليِّ بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام أبو يعلى ثقة جليل القدر من أصحابنا كثير الحديث له كتاب «من روى عن جعفر بن محمّد عليه السلام من الرِّجال» وهو كتاب حسن.

وذكر الشيخ الطوسيُّ أنّه يروي عن سعد بن عبد الله ويروي عنه التلّعكبريُّ رحمه الله إجازة فهو في طبقة والد الصدوق.

الحكاية السادسة والأربعون

قال أيّده الله: وحدَّثني الوالد أعلى الله مقامه قال: خرجت يوم الرابع عشر من شهر شعبان من الحلّة أُريد زيارة الحسين عليه السلام ليلة النصف منه، فلمّا وصلت إلى شطِّ الهنديّة، وعبرت إلى الجانب الغربيِّ منه، وجدت الزُّوّار الذاهبين من الحلّة وأطرافها، والواردين من النجف ونواحيه، جميعاً محاصَرين في بيوت عشيرة بني طرف من عشائر الهنديّة، ولا طريق لهم إلى كربلاء لأنَّ عشيرة عنزة قد نزلوا على الطريق، وقطعوه عن المارَّة، ولا يدعون أحداً يخرج من كربلا ولا أحداً يلج إلّا انتهبوه.

قال: فنزلت على رجل من العرب وصلّيت صلاة الظهر والعصر، وجلست أنتظر ما يكون من أمر الزُّوّار، وقد تغيّمت السماء ومطرت مطراً يسيراً.

فبينما نحن جلوس إذ خرجت الزُّوّار بأسرها من البيوت متوجّهين نحو طريق كربلا، فقلت لبعض من معي: اخرج واسأل ما الخبر؟ فخرج ورجع إليَّ وقال لي: إنَّ عشيرة بني طرف قد

خرجوا بالأسلحة النارية، وتجمّعوا لإيصال الزُّوّار إلى كربلا، ولو آل الأمر إلى المحاربة مع عنزة.

فلمّا سمعت قلت لمن معي: هذا الكلام لا أصل له، لأنّ بني طرف لا قابليّة لهم على مقابلة عنزة في البرّ، وأظنّ هذه مكيدة منهم لإخراج الزُّوّار عن بيوتهم لأنّهم استثقلوا بقاءهم عندهم، وفي ضيافتهم.

فبينما نحن كذلك إذ رجعت الزُّوّار إلى البيوت وجلسوا في ظلالها والسماء متغيّمة، فأخذتني لهم رقّة شديدة، وأصابني انكسار عظيم، وتوجّهت إلى الله بالدُّعاء والتوسّل بالنبيّ وآله، وطلبت إغاثة الزُّوّار ممّا هم فيه.

فبينما أنا على هذا الحال إذ أقبل فارس على فرس رابع كريم لم أر مثله وبيده رمح طويل وهو مشمّر عن ذراعيه، فأقبل يخبُّ به جواده حتّى وقف على البيت الّذي أنا فيه، وكان بيتاً من شعر مرفوع الجوانب، فسلّم فرددنا عليه السّلام ثمّ قال: يا مولانا - يسمّيني باسمي - بعثني من يسلّم عليك، وهم كنج محمّد آغا وصفر آغا، وكانا من قوّاد العساكر العثمانيّة يقولان فليأت بالزُّوّار، فإنّا قد طردنا عنزة عن الطريق، ونحن ننتظره مع عسكرنا في عرقوب السليمانيّة على الجادّة، فقلت له: وأنت معنا إلى عرقوب السليمانيّة؟ قال: نعم، فأخرجت الساعة وإذا قد بقي من النهار ساعتان ونصف تقريباً فقلت بخيلنا، فقدّمت إلينا، فتعلّق بي ذلك البدويّ الّذي نحن عنده وقال: يا مولاي لا تخاطر بنفسك وبالزُّوّار وأقم اللّيلة حتّى يتّضح الأمر، فقلت له: لا بدّ من الركوب لإدراك الزيارة المخصوصة.

فلمّا رأتنا الزُّوّار قد ركبنا، تبعوا أثرنا بين حاشر وراكب فسرنا والفارس المذكور بين أيدينا كأنّه الأسد الخادر، ونحن خلفه، حتّى وصلنا إلى عرقوب السليمانيّة فصعد عليه وتبعناه في الصعود، ثمّ نزل وارتقينا على أعلى العرقوب فنظرنا ولم نر له عيناً ولا أثراً، فكأنّما صعد في السماء أو نزل في الأرض ولم نر قائداً ولا عسكراً.

فقلت لمن معي: أبقي شكٌّ في أنّه صاحب الأمر؟ فقالوا: لا والله، وكنت وهو بين أيدينا أطيل النظر إليه كأنّي رأيته قبل ذلك، لكنّني لا أذكر أين رأيته فلمّا فارقنا تذكّرت أنه هو الشخص الّذي زارني بالحلّة، وأخبرني بواقعة السليمانيّة.

وأمّا عشيرة عنزة، فلم نر لهم أثراً في منازلهم، ولم نر أحداً نسأله عنهم سوى أنّا رأينا غبرة شديدة مرتفعة في كبد البرّ، فوردنا كربلا تخبُّ بنا خيولنا فوصلنا إلى باب البلاد، وإذا بعسكر على سور البلد فنادوا من أين جئتم؟ وكيف وصلتم؟ ثمّ نظروا إلى سواد الزُّوّار ثمّ قالوا سبحان الله هذه البرية قد امتلأت من الزُّوّار أجل أين صارت عنزة؟ فقلت لهم: اجلسوا في البلد وخذوا أرزاقكم ولمكّة ربٌّ يرعاها.

ثمّ دخلنا البلد فإذا أنا بكنج محمّد آغا جالساً على تخت قريب من الباب فسلّمت عليه فقام

في وجهي فقلت له: يكفيك فخراً أنّك ذكرت باللسان، فقال: ما الخبر؟ فأخبرته بالقصّة، فقال لي: يا مولاي من أين لي علم بأنّك زائر حتّى أرسل لك رسولاً وأنا وعسكري منذ خمسة عشر يوماً محاصَرين في البلد لا نستطيع أن نخرج خوفاً من عنزة، ثمّ قال: فأين صارت عنزة؟ قلت: لا علم لي سوى أنّي رأيت غبرة شديدة في كبد البرّ كأنّها غبرة الظعائن ثمّ أخرجت الساعة وإذا قد بقي من النهار ساعة ونصف، فكان مسيرنا كلّه في ساعة وبين منازل بني طرف وكربلا ثلاث ساعات ثمّ بتنا تلك اللّيلة في كربلا.

فلمّا أصبحنا سألنا عن خبر عنزة فأخبر بعض الفلاّحين الذين في بساتين كربلا قال: بينما عنزة جلوس في أنديتهم وبيوتهم إذا بفارس قد طلع عليهم على فرس مطهّم، وبيده رمح طويل، فصرخ فيهم بأعلى صوته يا معاشر عنزة قد جاء الموت الزّؤام عساكر الدّولة العثمانيّة تجبّهت عليكم بخيلها ورجلها، وها هم على أثري مقبلون فارحلوا وما أظنّكم تنجون منهم.

فألقى الله عليهم الخوف والذُّلّ حتّى أنَّ الرجل يترك بعض متاع بيته استعجالاً بالرّحيل، فلم تمض ساعة حتّى ارتحلوا بأجمعهم وتوجّهوا نحو البرّ فقلت له: صف لي الفارس فوصف لي وإذا هو صاحبنا بعينه، وهو الفارس الّذي جاءنا والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين حرّره الأقلّ ميرزا صالح الحسينيّ.

قلت: وهذه الحكاية سمعتها شفاهاً منه أعلى الله مقامه، ولم يكن هذه الكرامات منه بعيدة، فإنّه ورث العلم والعمل من عمّه الأجلّ الأكمل السيّد باقر القزوينيّ خاصّة السيّد الأعظم، والطود الأشيم، بحر العلوم أعلى الله تعالى درجتهم، وكان عمّه أدّبه وربّاه وأطلعه على الخفايا والأسرار، حتّى بلغ مقاماً لا يحوم حوله الأفكار، وحاز من الفضائل والخصائص ما لم يجتمع في غيره من العلماء الأبرار.

منها أنّه بعدما هاجر إلى الحلّة واستقرّ فيها وشرع في هداية الناس وإيضاح الحقّ وإبطال الباطل، صار ببركة دعوته من داخل الحلّة وأطرافها من الأعراب قريباً من مائة ألف نفس شيعيّاً إماميّاً مخلصاً موالياً لأولياء الله، ومعادياً لأعداء الله.

بل حدَّثني طاب ثراه أنّه لمّا ورد الحلّة لم يكن في الّذين يدّعون التشيّع من علائم الإماميّة وشعارهم، إلاّ حمل موتاهم إلى النجف الأشرف، ولا يعرفون من أحكامهم شيئاً حتّى البراءة من أعداء الله، وصاروا بهدايته صلحاء أبرار أتقياء وهذه منقبة عظيمة اختصّ بها من بين من تقدّم عليه وتأخّر.

ومنها الكمالات النفسانيّة من الصبر والتقوى، وتحمّل أعباء العبادة، وسكون النفس، ودوام الاشتغال بذكر الله تعالى، وكان رحمه الله لا يسأل في بيته عن أحد من أهله وأولاده ما يحتاج إليه من الغذاء والعشاء والقهوة والغليان وغيرها عند وقتها، ولا يأمر عبيده وإماءه بشيء منها، ولولا التفاتهم ومواظبتهم لكان يمرُّ عليه اليوم واللّيلة من غير أن يتناول شيئاً منها

مع ما كان عليه من التمكّن والثروة والسلطنة الظاهرة، وكان يجيب الدّعوة، ويحضر الولائم والضيافات، لكن يحمل معه كتباً ويقعد في ناحية، ويشتغل بالتأليف، ولا خبر له عمّا فيه القوم، ولا يخوض معهم في حديثهم إلاّ أن يسأل عن أمر دينيّ فيجيبهم.

وكان دأبه في شهر الصيام أن يصلّي المغرب في المسجد ويجتمع الناس، ويصلّي بعده النوافل المرتّبة في شهر رمضان، ثمّ يأتي منزله ويفطر ويرجع ويصلّي العشاء بالناس، ثمّ يصلّي نوافلها المرتّبة، ثمّ يأتي منزله والناس معه على كثرتهم فلمّا اجتمعوا واستقرّوا، شرع واحد من القرّاء فيتلو بصوت حسن رفيع آيات من كتاب الله في التحذير والترغيب، والموعظة، ممّا يذوب منه الصخر الأصمّ ويرقّ القلوب القاسية، ثمّ يقرأ آخراً خطبة من مواعظ نهج البلاغة، ثمّ يقرأ آخراً تعزية أبي عبد الله عليه السلام ثمّ يشرع أحد من الصلحاء في قراءة أدعية شهر رمضان ويتابعه الآخرون إلى أن يجيء وقت السّحور، فيتفرّقون ويذهب كلٌّ إلى مستقرّه.

وبالجملة فقد كان في المراقبة، ومواظبة الأوقات والنوافل والسنن والقراءة مع كونه طاعناً في السنّ آية في عصره، وقد كنّا معه في طريق الحجّ ذهاباً وإياباً وصلّينا معه في مسجد الغدير، والجحفة، وتوفّي رحمه الله الثاني عشر من ربيع الأوّل سنة ١٣٠٠ قبل الوصول إلى سماوة، بخمس فراسخ تقريباً، وقد ظهر منه حين وفاته من قوّة الإيمان والطمأنينة والإقبال وصدق اليقين ما يقضي منه العجب، وظهر منه حينئذ كرامة باهرة بمحضر من جماعة، من الموافق والمخالف ليس هنا مقام ذكرها.

ومنها التصانيف الرائقة الكثيرة، في الفقه والأصول والتوحيد والكلام وغيرها، ومنها كتاب في إثبات كون الفرقة الناجية فرقة الإماميّة أحسن ما كتب في هذا الباب، طوبى له وحسن مآب.

الحكاية السابعة والأربعون

حدّثني العالم الجليل، والحبر النبيل، مجمع الفضائل والفواضل، الصفيّ الوفيّ المولى عليّ الرشتي طاب ثراه وكان عالماً تقيّاً زاهداً حاوياً لأنواع العلم بصيراً ناقداً من تلامذة السيّد السّند الأستاذ الأعظم دام ظلّه، ولمّا طال شكوى أهل الأرض، حدود فارس ومن والاه إليه من عدم وجود عالم عامل كامل نافذ الحكم فيهم أرسله إليهم عاش فيهم سعيداً ومات هناك حميداً رحمه الله، وقد صاحبته مدّة سفراً وحضراً ولم أجد في خلقه وفضله نظيراً إلاّ يسيراً.

قال: رجعت مرّة من زيارة أبي عبد الله عليه السلام عازماً للنجف الأشرف من طريق الفرات، فلمّا ركبنا في بعض السّفن الصغار الّتي كانت بين كربلا وطويرج، رأيت أهلها من أهل حلّة، ومن طويرج تفترق طريق الحلّة والنجف، واشتغل الجماعة باللّهو واللّعب والمزاح، رأيت

واحداً منهم لا يدخل في عملهم، عليه آثار السكينة والوقار لا يمازح ولا يضاحك، وكانوا يعيبون على مذهبه ويقدحون فيه، ومع ذلك كان شريكاً في أكلهم وشربهم، فتعجّبت منه إلى أن وصلنا إلى محلّ كان الماء قليلاً فأخرجنا صاحب السفينة فكنّا نمشي على شاطىء النّهر.

فاتّفق اجتماعي مع هذا الرجل في الطريق، فسألته عن سبب مجانبته عن أصحابه، وذمّهم إيّاه، وقدحهم فيه، فقال: هؤلاء من أقاربي من أهل السُّنّة، وأبي منهم وأُمّي من أهل الإيمان، وكنت أيضاً منهم، ولكنّ الله منَّ عليَّ بالتشيّع ببركة الحجّة صاحب الزّمان عليه السلام.
فسألت عن كيفيّة إيمانه، فقال: اسمي ياقوت وأنا أبيع الدُّهن عند جسر الحلّة، فخرجت في بعض السّنين لجلب الدُّهن، من أهل البراري خارج الحلّة، فبعدت عنها بمراحل، إلى أن قضيت وطري من شراء ما كنت أُريده منه، وحملته على حماري ورجعت مع جماعة من أهل الحلّة، ونزلنا في بعض المنازل ونمنا وانتبهت فما رأيت أحداً منهم وقد ذهبوا جميعاً وكان طريقنا في بريّة قفر، ذات سباع كثيرة، ليس في أطرافها معمورة إلاّ بعد فراسخ كثيرة.

فقمت وجعلت الحمل على الحمار، ومشيت خلفهم فضلَّ عنّي الطريق، وبقيت متحيّراً خائفاً من السباع والعطش في يومه، فأخذت أستغيث بالخلفاء والمشايخ وأسألهم الإعانة وجعلتهم شفعاء عند الله تعالى وتضرَّعت كثيراً فلم يظهر منهم شيء فقلت في نفسي: إنّي سمعت من أُمّي أنها كانت تقول: إنَّ لنا إماماً حيّاً يكنّى أبا صالح يرشد الضّالّ، ويغيث الملهوف، ويعين الضّعيف، فعاهدت الله تعالى إن استغثت به فأغاثني، أن أدخل في دين أمّي.

فناديته واستغثت به، فإذا بشخص في جنبي، وهو يمشي معي وعليه عمامة خضراء قال رحمه الله: وأشار حينئذ إلى نبات حافّة النهر، وقال: كانت خضرتها مثل خضرة هذا النبات.

ثمَّ دلّني على الطريق وأمرني بالدُّخول في دين أُمّي، وذكر كلمات نسيتها، وقال: ستصل عن قريب إلى قرية أهلها جميعاً من الشيعة، قال: فقلت: يا سيّدي أنت لا تجيء معي إلى هذه القرية، فقال ما معناه: لا، لأنّه استغاث بي ألف نفس في أطراف البلاد أُريد أن أُغيثهم، ثم غاب عنّي، فما مشيت إلاّ قليلاً حتّى وصلت إلى القرية، وكان في مسافة بعيدة، ووصل الجماعة إليها بعدي بيوم فلمّا دخلت الحلّة ذهبت إلى سيّد الفقهاء السيّد مهدي القزوينيّ طاب ثراه، وذكرت له القصّة، فعلّمني معالم ديني، فسألت عنه عملاً أتوصّل به إلى لقائه عليه السلام مرّة أُخرى فقال: زر أبا عبد الله عليه السلام أربعين ليلة الجمعة، قال: فكنت أزوره من الحلّة في ليالي الجُمع إلى أن بقي واحدة فذهبت من الحلّة في يوم الخميس، فلمّا وصلت إلى باب البلد، فإذا جماعة من أعوان الظّلمة يطالبون الواردين التذكرة، وما كان عندي تذكرة ولا قيمتها، فبقيت متحيّراً والنّاس متزاحمون على الباب فأردت مراراً أن أتخفّى وأجوز عنهم، فما تيسّر لي، وإذا بصاحبي صاحب الأمر عليه السلام في زيّ لباس طلبة الأعاجم عليه

عمامة بيضاء في داخل البلد، فلمّا رأيته استغثت به فخرج وأخذني معه، وأدخلني من الباب فما رآني أحد فلمّا دخلت البلد افتقدته من بين النّاس، وبقيت متحيّراً على فراقه عليه السلام، وقد ذهب عن خاطري بعض ما كان في تلك الحكاية.

الحكاية الثامنة والأربعون

حدّثني العالم الجليل، والمولى النبيل العدل الثقة الرضيّ المرضيّ الميرزا إسماعيل السّلماسيّ وهو من أوثق أهل العلم والفضل وأئمّة الجماعة في مشهد الكاظم عليه السلام عن والده العالم العليم المتقدّم ذكره عن المولى زين العابدين السّلماسيّ أو عن أخيه الثقة الصّالح الأكبر منه في السّنّ الميرزا محمّد باقر رحمه الله قال سلّمه الله والترديد لتطاول الزّمان لأنّ سماعي لهذه الحكاية يقرب من خمسين سنة قال: قال والدي: ممّا ذكر من الكرامات للأئمّة الطّاهرين عليهم السلام في سرّ من رأى في المائة الثانية، والظاهر أنّه أواخر المائة أو في أوائل المائة الثالثة بعد الألف من الهجرة أنّه جاء رجل من الأعاجم إلى زيارة العسكريّين عليهما السلام وذلك في زمن الصّيف وشدّة الحرّ، وقد قصد الزيارة في وقت كان الكليد دار في الرّواق ومغلّقاً أبواب الحرم، ومتهيّئاً للنوم، عند الشباك الغربيّ.

فلمّا أحسّ بمجيء الزّوّار، فتح الباب وأراد أن يزوّره فقال له الزائر: خذ هذا الدّينار واتركني حتّى أزور بتوجّه وحضور فامتنع المزوّر وقال: لا أخرم القاعدة فدفع إليه الدينار الثاني والثالث فلمّا رأى المزوّر كثرة الدّنانير ازداد امتناعاً ومنع الزائر من الدّخول إلى الحرم الشريف وردّ إليه الدنانير.

فتوجّه الزائر إلى الحرم وقال بانكسار: بأبي أنتما وأمّي أردت زيارتكما بخضوع وخشوع، وقد اطّلعتما على منعه إيّاي، فأخرجه المزوّر، وغلّق الأبواب ظنّاً منه أنّه يرجع إليه ويعطيه بكلّ ما يقدر عليه، وتوجّه إلى الطرف الشرقيّ قاصداً السلوك إلى الشباك الّذي في الطرف الغربيّ.

فلمّا وصل إلى الركن وأراد الانحراف إلى طرف الشّباك، رأى ثلاثة أشخاص مقبلين صافّين إلاّ أنّ أحدهم متقدّم على الّذي في جنبه بيسير وكذا الثاني ممّن يليه، وكان الثالث هو أصغرهم وفي يده قطعة رمح وفي رأسه سنان فبهت المزوّر عند رؤيتهم، فتوجّه صاحب الرّمح إليه وقد امتلأ غيظاً واحمرّت عيناه من الغضب، وحرّك الرّمح مريداً طعنه قائلاً: يا ملعون ابن الملعون كأنّه جاء إلى دارك أو إلى زيارتك فمنعته؟

فعند ذلك توجّه إليه أكبرهم مشيراً بكفّه مانعاً له قائلاً: جارك ارفق بجارك فأمسك صاحب الرّمح، ثمّ هاج غضبه ثانياً محرّكاً للرّمح قائلاً ما قاله أوّلاً فأشار إليه الأكبر أيضاً كما فعل، فأمسك صاحب الرّمح.

وفي المرَّة الثالثة لم يشعر المزوِّر أن سقط مغشياً عليه، ولم يفق إلاّ في اليوم الثاني أو الثالث وهو في داره أتوا به أقاربه، بعد أن فتحوا الباب عند المساء لمّا رأوه مغلّقاً، فوجدوه كذلك وهم حوله باكون فقصَّ عليهم ما جرى بينه وبين الزائر والأشخاص وصاح أدركوني بالماء فقد احترقت وهلكت، فأخذوا يصبّون عليه الماء، وهو يستغيث إلى أن كشفوا عن جنبه فرأوا مقدار درهم منه قد اسودَّ وهو يقول قد طعنني صاحب القطعة.

فعند ذلك أشخصوه إلى بغداد، وعرضوه على الأطبّاء، فعجز الأطبّاء من علاجه فذهبوا به إلى البصرة وعرضوه على الطبيب الإفرنجيّ فتحيّر في علاجه لأنّه جسَّ يده فما أحسَّ بما يدلُّ على سوء المزاج وما رأى ورماً ومادّة في الموضع المذكور فقال مبتدئاً: إنّي أظنُّ أنَّ هذا الشخص قد أساء الأدب مع بعض الأولياء فاشتدَّ بهذا البلاء، فلمّا يئسوا من العلاج رجعوا به إلى بغداد فمات في الرُّجوع إمّا في الطريق أو في بغداد والظاهر أن اسم هذا الخبيث كان حسّاناً.

الحكاية التاسعة والأربعون

بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد للشيخ الفاضل الأجلّ تلميذه محمّد بن عليِّ بن الحسن العوديِّ قال في ضمن وقائع سفر الشهيد رحمه الله من دمشق إلى مصر ما لفظه:

واتّفق له في الطريق ألطاف إلهيّة، وكرامات جليّة حكى لنا بعضها.

منها ما أخبرني به ليلة الأربعاء عاشر ربيع الأوّل سنة ستّين وتسعمائة أنّه في الرملة مضى إلى مسجدها المعروف بالجامع الأبيض لزيارة الأنبياء والّذين في الغار وحده، فوجد الباب مقفولاً وليس في المسجد أحد، فوضع يده على القفل وجذبه فانفتح فنزل إلى الغار، واشتغل بالصّلاة والدُّعاء، وحصل له إقبال على الله بحيث ذهل عن انتقال القافلة، فوجدها قد ارتحلت، ولم يبق منها أحد فبقي متحيراً في أمره مفكّراً في اللّحاق مع عجزه عن المشي وأخذ أسبابه ومخافته وأخذ يمشي على أثرها وحده فمشى حتّى أعياه التّعب، فلم يلحقها، ولم يرها من البعد، فبينما هو في هذا المضيق إذ أقبل عليه رجل لاحق به وهو راكب بغلاً، فلمّا وصل إليه قال له: اركب خلفي فردفه ومضى كالبرق، فما كان إلاّ قليلاً حتّى لحق به القافلة وأنزله وقال له: اذهب إلى رفقتك، ودخل هو في القافلة قال: فتحرَّيته مدّة الطريق أنّي أراه ثانياً ما رأيته أصلاً ولا قبل ذلك.

الحكاية الخمسون

قال الشيخ الأجلُّ الأكمل الشيخ عليٌّ ابن العالم النحرير الشيخ محمّد ابن المحقّق المدقّق الشيخ حسن ابن العالم الرّبانيّ الشهيد الثاني في الدُّرّ المنثور في ضمن أحوال والده الأمجد وكان مجاوراً بمكّة حيّاً وميّتاً أخبرتني زوجته بنت السيّد محمّد بن أبي الحسن رحمه الله وأمُّ ولده أنّه لمّا توفّي كنَّ يسمعن عنده تلاوة القرآن، طول تلك اللّيلة.

وممّا هو مشهور أنّه كان طائفاً فجاءه رجل بورد من ورد شتاء ليست في تلك البلاد، ولا في ذلك الأوان، فقال له: من أين أتيت؟ فقال: من هذه الخرابات ثمّ أراد أن يراه بعد ذلك السؤال فلم يره.

قلت: ونقل نظيره في البحار عن شيخه وأُستاذه السيّد المؤيّد الأمجد الميرزا محمّد الاسترابادي صاحب الكتب في الرّجال وآيات الأحكام وغيرها ويحتمل الاتّحاد وكون الوهم من الرّاوي لاتّحاد الاسم والمكان والعمل، والله العالم، وهذا المقام من الشيخ المزبور غير بعيد فقد رأينا في ظهر نسخة من شرحه على الاستبصار وكانت من متملّكاته، وكان في مواضع منها خطّه وفي ظهره خطّ ولده المذكور ما صورته: انتقل مصنّف هذا الكتاب وهو الشيخ السعيد الحميد بقيّة العلماء الماضين وخلف الكملاء الرّاسخين أعني شيخنا ومولانا ومن استفدنا من بركاته العلوم الشرعيّة من الحديث والفروع والرّجال وغيره، الشيخ محمّد ابن الشهيد الثاني من دار الغرور إلى دار السّرور ليلة الاثنين العاشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ألف وثلاثين من هجرة سيّد المرسلين، وقد سمعت منه قدّس الله روحه قبيل انتقاله بأيام قلائل مشافهة، وهو يقول لي: إني أنتقل في هذه الأيّام، عسى الله أن يعينني عليها، وكذا سمعه غيري، وذلك في مكّة المشرّفة، ودفنّاه برّد الله مضجعه في المعلّى قريباً من مزار خديجة الكبرى، حرّره الفقير إلى الله الغنيّ حسين بن حسن العامليّ المشغري عامله الله بلطفه الخفيّ والجليّ بالنبيّ والوليّ والصحب الوفيّ في التاريخ المذكور، ونقل في الدّرّ المنثور هذه العبارة عن النسخة المذكورة الّتي كانت عنده، ورزقنا الله زيارته.

وفي أمل الآمل: الشيخ حسين بن الحسن العامليّ المشغريّ كان فاضلاً صالحاً جليل القدر شاعراً أديباً قرأ عليّ.

الحكاية الحادية والخمسون

ما في كتاب الدّمعة الساكبة لبعض الصلحاء من المعاصرين في آخر اللّمعة الأُولى، من النور السادس منه، في معجزات الحجّة عليه السلام.

قال: فالأولى أن يختم الكلام، بذكر ما شاهدته في سالف الأيّام، وهو أنه أصاب ثمرة فؤادي ومن انحصرت فيه ذكور أولادي، قرّة عيني علي محمّد حفظه الله الفرد الصمد، مرض يزداد آناً فآناً ويشتدّ فيورثني أحزاناً وأشجاناً إلى أن حصل للناس من برئه اليأس وكانت العلماء والطلاب والسادات الأنجاب يدعون له بالشفاء في مظانّ استجابة الدّعوات كمجالس التعزية وعقيب الصلوات.

فلمّا كان اللّيلة الحادية عشرة من مرضه، اشتدّت حاله وثقلت أحواله وزاد اضطرابه، وكثر التهابه، فانقطعت بي الوسيلة، ولم يكن لنا في ذلك حيلة فالتجأت بسيّدنا القائم عجّل الله ظهوره وأرانا نوره، فخرجت من عنده وأنا في غاية الاضطراب ونهاية الالتهاب،

وصعدت سطح الدار، وليس لي قرار، وتوسّلت به عليه السلام خاشعاً، وانتدبت خاضعاً، وناديته متواضعاً، وأقول: يا صاحب الزّمان أغثني يا صاحب الزّمان أدركني، متمرّغاً في الأرض، ومتدحرجاً في الطول والعرض، ثمّ نزلت ودخلت عليه، وجلست بين يديه، فرأيته مستقرّ الأنفاس مطمئنّ الحواسّ قد بلّه العرق لا بل أصابه الغرق، فحمدت الله وشكرت نعماءه الّتي تتوالى فألبسه الله تعالى لباس العافية ببركته عليه السلام.

الحكاية الثانية والخمسون

العالم الفاضل السيّد علي خان الحويزاويّ في كتاب خير المقال عند ذكر من رأى القائم عليه السلام قال: فمن ذلك ما حدّثني به رجل من أهل الإيمان ممّن أثق به أنّه حجّ مع جماعة على طريق الأحساء في ركب قليل، فلمّا رجعوا كان معهم رجل يمشي تارة ويركب أخرى، فاتّفق أنّهم أولجوا في بعض المنازل أكثر من غيره ولم يتّفق لذلك الرّجل الركوب، فلمّا نزلوا للنوم واستراحوا، ثمّ رحلوا من هناك لم يتنبّه ذلك الرّجل من شدّة التعب الّذي أصابه، ولم يفتقدوه هم وبقي نائماً إلى أن أيقظه حرّ الشمس.

فلمّا انتبه لم ير أحداً، فقام يمشي وهو موقن بالهلاك، فاستغاث بالمهدي عليه السلام فبينما هو كذلك، فإذا هو برجل في زيّ أهل البادية، راكب ناقته قال: فقال: يا هذا أنت منقطع بك؟ قال: فقلت: نعم، قال: فقال: أتحبُّ أن ألحقك برفقائك؟ قال: قلت: هذا والله مطلوبي لا سواه، فقرب منّي وأناخ ناقته، وأردفني خلفه، ومشى فما مشينا خُطا يسيرة إلاّ وقد أدركنا الركب، فلمّا قربنا منهم أنزلني وقال: هؤلاء رفقاؤك ثمّ تركني وذهب.

الحكاية الثالثة والخمسون

وفيه ومن ذلك ما حدّثني به رجل من أهل الإيمان من أهل بلادنا، يقال له: الشيخ قاسم، وكان كثير السفر إلى الحجّ قال: تعبت يوماً من المشي، فنمت تحت شجرة فطال نومي ومضى عنّي الحاجّ كثيراً فلمّا انتبهت علمت من الوقت أنّ نومي قد طال وأنّ الحاجّ بَعُد عنّي، وصرت لا أدري إلى أين أتوجّه، فمشيت على الجهة وأنا أصيح بأعلى صوتي: يا أبا صالح قاصداً بذلك صاحب الأمر عليه السلام كما ذكره ابن طاوس في كتاب الأمان فيما يقال عند إضلال الطريق.

فبينا أنا أصيح كذلك وإذا براكب على ناقة وهو على زيّ البدو، فلمّا رآني قال لي: أنت منقطع عن الحاجّ؟ فقلت: نعم، فقال: اركب خلفي لألحقك بهم فركبت خلفه، فلم يكن إلاّ ساعة وإذا قد أدركنا الحاجّ، فلمّا قربنا أنزلني وقال لي: امض لشأنك! فقلت له: إنّ العطش قد أضرّ بي فأخرج من شداده ركوة فيها ماء، وسقاني منه، فوالله إنّه ألذّ وأعذب ماء شربته.

ثمّ إنّي مشيت حتّى دخلت الحاجّ والتفتّ إليه فلم أره، ولا رأيته في الحاجّ قبل ذلك، ولا بعده، حتّى رجعنا.

قلت: إنّ الأصحاب ذكروا أمثال هذه الوقائع في باب من رآه عليه السلام بناء منهم على أنّ إغاثة الملهوف كذلك في الفلوات، وصدور هذه المعجزات والكرامات لا يتيسّر لأحد إلاّ لخليفة الله في البريّات، بل هو من مناصبه الإلهيّة كما يأتي في الفائدة الأولى، وأبو صالح كنيته عند عامّة العرب، يكنّونه به في أشعارهم، ومراثيهم وندبهم، والظاهر أنّهم أخذوه من الخبر المذكور وأنّه عليه السلام المراد من أبي صالح الّذي هو مرشد الضالّ في الطريق، ولو نوقش في ذلك وادُّعي إمكان صدورها من بعض الصلحاء والأولياء فهو أيضاً يدلّ على المطلوب إذ لا يستغيث شيعته ومواليه عليه السلام إلاّ من هو منهم، وواسطة بينهم وبين إمامهم الغائب عنهم، بل هو من رجاله وخاصّته وحواشيه وأهل خدمته، فالمضطرّ رأى من رآه عليه السلام.

وقال الشيخ الكفعميّ رحمه الله، في هامش جنّته عند ذكر دعاء أُمّ داود: قيل: إنّ الأرض لا يخلو من القطب، وأربعة أوتاد، وأربعين أبدالاً وسبعين نجيباً وثلاثمائة وستّين صالحاً، فالقطب هو المهديّ عليه السلام، ولا يكون الأوتاد أقلّ من أربعة لأنّ الدُّنيا كالخيمة والمهديُّ كالعمود وتلك الأربعة أطنابها، وقد يكون الأوتاد أكثر من أربعة، والأبدال أكثر من أربعين، والنجباء أكثر من سبعين والصلحاء أكثر من ثلاثمائة وستّين، والظاهر أنّ الخضر وإلياس، من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

وأمّا صفة الأوتاد، فهم قوم لا يغفلون عن ربّهم طرفة عين، ولا يجمعون من الدُّنيا إلاّ البلاغ، ولا تصدر منهم هفوات الشرّ ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان، بل من فعل القبيح، ويشترط ذلك في القطب.

وأما الأبدال فدون هؤلاء في المراقبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكّر، ولا يتعمّدون ذنباً.

وأمّا النجباء فهم دون الأبدال.

وأمّا الصلحاء، فهم المتّقون الموفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذّنب فيتداركونه بالاستغفار والنّدم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ جعلنا الله من قسم الأخير لأنّا لسنا من الأقسام الأُول لكن ندين الله بحبّهم وولايتهم ومن أحبّ قوماً حشر معهم.

وقيل: إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين وإذا نقص أحد من الأربعين وضع بدله من السبعين، وإذا نقص أحد من السبعين، وضع بدله من الثلاثمائة وستّين، وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستّين، وضع بدله من سائر الناس.

الحكاية الرابعة والخمسون

حدّثني العالم الفاضل الصالح الورع في الدّين الميرزا حسين اللاهيجيُّ المجاور للمشهد

الغرويّ أيّده الله، وهو من الصلحاء الأتقياء، والثقة الثبت عند العلماء، قال: حدَّثني العالم الصفيُّ المولى زين العابدين السلماسيُّ المتقدِّم ذكره قدَّس الله روحه أنَّ السيد الجليل بحر العلوم، أعلى الله مقامه، ورد يوماً في حرم أمير المؤمنين عليه آلاف التحيّة والسلام. فجعل يترنّم بهذا المصرع:

چه خوش است صوت قرآن ز تو دل ربا شنيدن

فسئل رحمه الله عن سبب قراءته هذا المصرع، فقال: لمّا وردت في الحرم المطهّر رأيت الحجّة عليه السلام جالساً عند الرأس يقرأ القرآن بصوت عال، فلمّا سمعت صوته قرأت المصرع المزبور ولمّا وردت الحرم ترك قراءة القرآن، وخرج من الحرم الشريف.

الحكاية الخامسة والخمسون

رأيت في ملحقات كتاب أنيس العابدين، وهو كتاب كبير في الأدعية والأوراد ينقل عنه العلامة المجلسيُّ في المجلّد التاسع عشر من البحار والآميرزا عبد الله تلميذه في الصحيفة الثالثة ما لفظه: نقل عن ابن طاوس رحمه الله أنه سمع سحراً في السرداب عن صاحب الأمر عليه السلام أنّه يقول: اللّهمّ إنَّ شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقيّة طينتنا، وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتّكالاً على حبّنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقاصَّ بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنّة، وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك.

قلت: ويوجد في غير واحد من مؤلّفات جملة من المتأخّرين الّذين قاربنا عصرهم والمعاصرين هذه الحكاية بعبارة تخالف العبارة الأولى وهي هكذا: «اللّهمّ إنَّ شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا اللّهمّ اغفر لهم من الذُّنوب ما فعلوه اتّكالاً على حبّنا وولائنا يوم القيامة، ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيّئات إكراماً لنا، ولا تقاصّهم يوم القيامة مقابل أعدائنا فإن خفّفت موازينهم فثقّلها بفاضل حسناتنا».

ولم نجد أحداً منهم إلى الآن أسند هذه الحكاية إلى أحد رواها عن السيّد أو رآها في واحد من كتبه، ولا نقله العلامة المجلسيُّ ومعاصروه ومن تقدمَّ عليه إلى عهد السيّد، ولا يوجد في شيء من كتبه الموجودة الّتي لم يكن عندهم أزيد منها.

نعم الموجود في أواخر المهج وقد نقله في البحار أيضاً هكذا: كنت أنا بسرَّ من رأى، فسمعت سحراً دعاء القائم عليه السلام فحفظت منه [من] الدُّعاء لمن ذكره «الأحياء والأموات وأبقهم أو قال وأحيهم في عزّنا وملكنا وسلطاننا ودولتنا» وكان ذلك في ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وستّمائة.

وأظنُّ وإن كان بعض الظنِّ إثماً أنَّ ما نقلناه أوّلاً مأخوذ من كلام الحافظ الشيخ رجب

البرسيّ ونقل كلماته بالمعنى فإنّه قال: في أواخر مشارق الأنوار بعد نقل كلام المهج إلى قوله «ملكنا» ما لفظه: ومملكتنا وإن كان شيعتهم منهم وإليهم وعنايتهم مصروفة إليهم، فكأنّه عليه السلام يقول:

اللّهمّ إنّ شيعتنا منّا ومضافين إلينا، وإنّهم قد أساؤوا وقد قصّروا وأخطأوا رأونا صاحباً لهم رضاً منهم، وقد تقبّلنا عنهم بذنوبهم، وتحمّلنا خطاياهم لأنّ معوّلهم علينا، ورجوعهم إلينا، فصرنا لاختصاصهم بنا، واتكالهم علينا كأنا أصحاب الذنوب، إذ العبد مضاف إلى سيّده، ومعوّل المماليك إلى مواليهم.

اللّهمّ اغفر لهم من الذُّنوب ما فعلوه اتّكالاً على حبّنا وطمعاً في ولايتنا وتعويلاً على شفاعتنا، ولا تفضحهم بالسيّئات عند أعدائنا، وولّنا أمرهم في الآخرة كما ولّيتنا أمرهم في الدُّنيا، وإن أحبطت أعمالهم، فثقّل موازينهم بولايتنا، وارفع درجاتهم بمحبّتنا. انتهى.

وهذه الكلمات كما ترى من تلفيقاته شرحاً لكلمات الإمام عليه السلام تقارب العبارة الشائعة، وعصره قريب من عصر السيّد، وحرصه على ضبط مثل هذه الكلمات أشدُّ من غيره، فهو أحقُّ بنقلها من غيره لو صحّت الرواية وصدقت النسبة وإن لم يكن بعيداً من مقام السيّد بعد كلام مهجه، بل له في كتاب كشف المحجّة كلمات تنبيء عن أمر عظيم ومقام كريم:

منها قوله: واعلم يا ولدي محمّد ألهمك الله ما يريده منك، ويرضى به عنك أنّ غيبة مولانا المهديّ صلوات الله عليه الّتي تحيّرت المخالف وبعض المؤالف هي من جملة الحجج على ثبوت إمامته، وإمامة آبائه الطاهرين صلوات الله على جدّه محمّد وعليهم أجمعين لأنّك إذا وقفت على كتب الشيعة وغيرهم، مثل كتاب الغيبة لابن بابويه، وكتاب الغيبة للنعمانيّ ومثل كتاب الشفاء والجلاء، ومثل كتاب أبي نعيم الحافظ في أخبار المهديّ ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته، والكتب الّتي أشرت إليها في الطوائف، وجدتها أو أكثرها تضمّنت قبل ولادته أنّه يغيب عليه السلام غيبة طويلة، حتّى يرجع عن إمامته بعض من كان يقول بها، فلو لم يغب هذه الغيبة، كان طعناً في إمامة آبائه وفيه، فصارت الغيبة حجّة لهم عليهم السلام وحجّة له على مخالفيه في ثبوت إمامته، وصحّة غيبته، مع أنّه عليه السلام حاضر مع الله على اليقين، وإنّما غاب من لم يلقه عنهم لغيبتهم عن حضرة المتابعة له ولربِّ العالمين.

ومنها قوله فيه: وإن أدركت يا ولدي موافقة توفيقك لكشف الأسرار عليك عرّفتك من حديث المهديّ صلوات الله عليه ما لا يشتبه عليك، وتستغني بذلك عن الحجج المعقولات ومن الروايات فإنّه صلّى الله عليه وآله حيٌّ موجود على التحقيق، ومعذور عن كشف أمره إلى أن يأذن له تدبير الله الرَّحيم الشفيق، كما جرت عليه عادة كثير من الأنبياء والأوصياء، فاعلم ذلك يقيناً واجعله عقيدة وديناً، فإنّ أباك عرفه أبلغ من معرفة ضياء شمس السماء.

ومنها قوله: واعلم يا ولدي محمّد زيّن الله جلَّ جلاله سرائرك وظواهرك بموالاة أوليائه

ومعاداة أعدائه أنّني كنت لمّا بلغتني ولادتك بمشهد الحسين عليه السلام في زيارة عاشورا قمت بين يدي الله جلّ جلاله مقام الذّلّ والانكسار والشكر لما رأفني به من ولادتك من المسارّ والمبارّ، وجعلتك بأمر الله جلّ جلاله عبد مولانا المهديّ عليه السلام ومتعلّقاً عليه، وقد احتجنا كَم مرّة عند حوادث حدث لك إليه ورأيناه في عدّة مقامات في مناجاة، وقد تولّى قضاء حوائجك بإنعام عظيم في حقّنا وحقّك لا يبلغ وصفي إليه.

فكن في موالاته والوفاء له، وتعلّق الخاطر به على قدر مراد الله جلّ جلاله ومراد رسوله ومراد آبائه عليهم السلام ومراده عليه السلام منك، وقدّم حوائجه على حوائجك عند صلاة الحاجات، والصدقة عنه قبل الصدقة عنك وعمّن يعزّ عليك، والدّعاء له قبل الدّعاء لك، وقدّمه عليه السلام في كلّ خير يكون وفاء له، ومقتضياً لإقباله عليك وإحسانه إليك، واعرض حاجاتك عليه كلّ يوم الاثنين ويوم الخميس، من كلّ أسبوع بما يجب له من أدب الخضوع.

ومنها قوله بعد تعليم ولده كيفيّة عرض الحاجة إليه عليه السلام : واذكر له أنّ أباك قد ذكر لك أنّه أوصى به إليك، وجعلك بإذن الله جلّ جلاله عبده، وأنّني علّقتك عليه، فإنّه يأتيك جوابه صلوات الله وسلامه عليه.

وممّا أقول لك يا ولدي محمّد ملأ الله جلّ جلاله عقلك وقلبك من التصديق لأهل الصّدق، والتوفيق في معرفة الحقّ: أنّ طريق تعريف الله جلّ جلاله لك بجواب مولانا المهديّ صلوات الله وسلامه عليه على قدرته جلّ جلاله ورحمته:

فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب الكلينيّ في كتاب الوسائل عمّن سمّاه قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أنّ الرجل يحبّ أن يفضي إلى إمامه ما يحبّ أن يفضي به إلى ربّه قال: فكتب إن كانت لك حاجة فحرّك شفتيك فإنّ الجواب يأتيك.

ومن ذلك ما رواه هبة الله بن سعيد الراونديّ في كتاب الخرائج عن محمّد بن الفرج قال: قال لي عليّ بن محمّد عليه السلام : إذا أردت أن تسأل مسألة فاكتبها، وضع الكتاب تحت مصلاّك، ودعه ساعة ثمّ أخرجه وانظر فيه، قال: ففعلت فوجدت ما سألته عنه موقّعاً فيه، وقد اقتصرت لك على هذا التنبيه، والطريق مفتوحة إلى إمامك لمن يريد الله جلّ جلاله عنايته به، وتمام إحسانه إليه.

ومنها قوله في آخر الكتاب؛ ثمّ ما أوردناه بالله جلّ جلاله من هذه الرسالة ثمّ عرضناه على قبول واهبه صاحب الجلالة نائبه عليه السلام في النبوّة والرسالة، وورد الجواب في المنام، بما يقتضي حصول القبول والانعام، والوصيّة بأمرك، والوعد ببرّك وارتفاع قدرك انتهى.

وعليك بالتأمّل في هذه الكلمات، الّتي تفتح لك أبواباً من الخير والسعادات ويظهر منها عدم استبعاد كلّ ما ينسب إليه من هذا الباب، والله الموفّق لكلّ خير وثواب.

الحكاية السادسة والخمسون

قال العالم الفاضل المتبحّر النبيل الصمدانيُّ الحاجُّ المولى رضا الهمدانيُّ في المفتاح الأوّل من الباب الثالث من كتاب مفتاح النبوّة في جملة كلام له في أنَّ الحجّة عليه السلام قد يظهر نفسه المقدّسه لبعض خواصِّ الشيعة: أنّه عليه السلام قد أظهر نفسه الشريفة قبل هذا بخمسين سنة لواحد من العلماء المتّقين المولى عبد الرَّحيم الدّماونديِّ الّذي ليس لأحد كلام في صلاحه وسداده.

قال: وقال هذا العالم في كتابه: إنّي رأيته عليه السلام في داري في ليلة مظلمة جدّاً بحيث لا تبصر العين شيئاً واقفاً في جهة القبلة وكان النور يسطع من وجهه المبارك حتّى أنّي كنت أرى نقوش الفراش بهذا النور.

الحكاية السابعة والخمسون

في كتاب المقامات للعالم الجليل المحدِّث السيّد نعمة الله الجزائريِّ حكاية أُخرى: حدَّثني رجل من أوثق إخواني في شوشتر في دارنا القريبة من المسجد الأعظم قال: لمّا كنّا في بحور الهند تعاطينا عجائب البحر، فحكى لنا رجل من الثقات قال: روى من أعتمد عليه أنّه كان منزله في بلد على ساحل البحر، وكان بينهم وبين جزيرة من جزائر البحر مسير يوم أو أقلّ، وفي تلك الجزيرة مياههم وحطبهم وثمارهم، وما يحتاجون إليه، فاتّفق أنّهم على عادتهم ركبوا في سفينة قاصدين تلك الجزيرة، وحملوا معهم زاد يوم.

فلمّا توسّطوا البحر، أتاهم ريح عدلهم عن ذلك القصد، وبقوا على تلك الحالة تسعة أيّام حتّى أشرفوا على الهلاك من قلّة الماء والطّعام، ثمَّ إنَّ الهوى رماهم في ذلك اليوم على جزيرة في البحر، فخرجوا إليها وكان فيها المياه العذبة والثمار الحلوة، وأنواع الشّجر، فبقوا فيها نهاراً ثمَّ حملوا منها ما يحتاجون إليه وركبوا سفينتهم، ودفعوا.

فلمّا بعدوا عن السّاحل، نظروا إلى رجل منهم بقي في الجزيرة فناداهم ولم يتمكّنوا من الرُّجوع فرأوه قد شدَّ حزمة حطب، ووضعها تحت صدره، وضرب البحر عليها قاصداً لحوق السفينة، فحال اللّيل بينهم وبينه وبقي في البحر.

وأمّا أهل السفينة، فما وصلوا إلاّ بعد مضيِّ أشهر، فلمّا بلغوا أهلهم أخبروا أهل ذلك الرَّجل فأقاموا مأتمه، فبقوا على ذلك عاماً أو أكثر، ثمَّ رأوا أنَّ ذلك الرَّجل قدم إلى أهله، فتباشروا به، وجاء إليه أصحابه فقصَّ عليهم قصّته.

فقال: لمّا حال اللّيل بيني وبينكم بقيت تقلّبني الأمواج وأنا على الحزمة يومين حتّى أوقعتني على جبل في السّاحل، فتعلّقت بصخرة منه، ولم أُطق الصّعود إلى جوفه لارتفاعه، فبقيت في الماء وما شعرت إلاّ بأفعى عظيمة، أطول من المنار وأغلظ منها، فوقعت على

ذلك الجبل، ومدَّت رأسها تصطاد الحيتان من الماء فوق رأسي فأيقنت بالهلاك وتضرَّعت إلى الله تعالى فرأيت عقرباً يدبُّ على ظهر الأفعى فلما وصل إلى دماغها لسعتها بإبرته، فإذا لحمها قد تناثر عن عظامها، وبقي عظم ظهرها وأضلاعها كالسُّلَّم العظيم الّذي له مراقي يسهل الصّعود عليها.

قال: فرقيت على تلك الأضلاع حتّى خرجت إلى الجزيرة شاكراً لله تعالى على ما صنع فمشيت في تلك الجزيرة إلى قريب العصر، فرأيت منازل حسنة مرتفعة البنيان إلاّ أنها خالية لكن فيها آثار الإنس.

قال: فاستترت في موضع منها فلمّا صار العصر رأيت عبيداً وخدماً كلُّ واحد منهم على بغل فنزلوا وفرشوا فرشاً نظيفة، وشرعوا في تهيئة الطعام، وطبخه، فلمّا فرغوا منه رأيت فرساناً مقبلين، عليهم ثياب بيض، وخضر، ويلوح من وجوههم الأنوار فنزلوا وقدّم إليهم الطعام.

فلمّا شرعوا في الأكل قال أحسنهم هيئة، وأعلاهم نوراً: ارفعوا حصّة من هذا الطعام لرجل غائب، فلمّا فرغوا ناداني يا فلان ابن فلان أقبل فعجبت منه فأتيت إليهم، ورحّبوا بي فأكلت ذلك الطعام، وما تحقّقت إلاّ أنّه من طعام الجنّة فلمّا صار النهار ركبوا بأجمعهم، وقالوا لي: انتظر هنا، فرجعوا وقت العصر وبقيت معهم أيّاماً فقال لي يوماً ذلك الرَّجل الأنور: إن شئت الإقامة معنا في هذه الجزيرة أقمت، وإن شئت المضيّ إلى أهلك، أرسلنا معك من يبلغك إلى بلدك.

فاخترت على شقاوتي بلادي فلمّا دخل اللّيل أمر لي بمركب وأرسل معي عبداً من عبيده، فسرنا ساعة من اللّيل وأنا أعلم أنّ بيني وبين أهلي مسيرة أشهر وأيّام، فما مضى من اللّيل قليل منه إلاّ وقد سمعنا نبيح الكلاب، فقال لي ذلك الغلام: هذا نبيح كلابكم، فما شعرت إلاّ وأنا واقف على باب داري فقال: هذه دارك انزل إليها.

فلمّا نزلت، قال لي: قد خسرت الدُّنيا والآخرة، ذلك الرَّجل صاحب الدَّار عليه السلام فالتفتُّ إلى الغلام فلم أره، وأنا في هذا الوقت بينكم نادماً على ما فرَّطت، هذه حكايتي. وأمثال هذه الغرائب كثيرة لا نطول الكلام بها.

قلت: قد ذكرنا حكاية عن كتاب نور العيون تقرب من هذه إلاّ أنَّ بينهما اختلاف كثير، والله العالم بالاتّحاد والتعدُّد.

الحكاية الثامنة والخمسون

حدَّثني جماعة من الأتقياء الأبرار، منهم السيّد السّند، والحبر المعتمد العالم العامل والفقيه النبيه، الكامل المؤيّد المسدَّد السيّد محمّد ابن العالم الأوحد السيّد أحمد ابن العالم

الجليل، والحبر المتوحّد النبيل، السيّد حيدر الكاظمي أيّده الله تعالى وهو من أجلاّء تلامذة المحقق الأستاذ الأعظم الأنصاريّ طاب ثراه وأحد أعيان أتقياء بلد الكاظمين عليهما السلام وملاذ الطلاّب والزّوّار والمجاورين، وهو وإخوته وآباؤه أهل بيت جليل، معروفون في العراق بالصلاح والسّداد، والعلم والفضل والتقوى، يعرفون ببيت السيد حيدر جدّه سلّمه الله تعالى.

قال فيما كتبه إليّ وحدّثني به شفاهاً أيضاً: قال محمّد بن أحمد بن حيدر الحسني الحسينيّ: لمّا كنت مجاوراً في النجف الأشرف لأجل تحصيل العلوم الدينيّة وذلك في حدود السنة الخامسة والسّبعين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية كنت أسمع جماعة من أهل العلم وغيرهم من أهل الديانة، يصفون رجلاً يبيع البقل وشبهه أنّه رأى مولانا الإمام المنتظر سلام الله عليه فطلبت معرفة شخصه حتّى عرفته، فوجدته رجلاً صالحاً متديّناً وكنت أحبُّ الاجتماع معه، في مكان خال لأستفهم منه كيفيّة رؤيته مولانا الحجّة روحي فداه، فصرت كثيراً ما أسلّم عليه وأشتري منه ممّا يتعاطى ببيعه، حتّى صار بيني وبينه نوع مودّة، كلُّ ذلك مقدّمة لتعرّف خبره المرغوب في سماعه عندي حتّى اتّفق لي أنّي توجّهت إلى مسجد السّهلة للاستجارة فيه، والصلاة والدّعاء في مقاماته الشريفة ليلة الأربعاء.

فلمّا وصلت إلى باب المسجد رأيت الرّجل المذكور على الباب، فاغتنمت الفرصة وكلّفته المقام معي تلك اللّيلة، فأقام معي حتّى فرغنا من العمل الموظّف في مسجد سهيل وتوّجهنا إلى المسجد الأعظم مسجد الكوفة على القاعدة المتعارفة في ذلك الزمان، حيث لم يكن في مسجد السّهلة معظم الإضافات الجديدة من الخدّام والمساكن.

فلمّا وصلنا إلى المسجد الشريف، واستقرّ بنا المقام، وعملنا بعض الأعمال الموظّفة فيه، سألته عن خبره والتمست منه أن يحدّثني بالقصّة تفصيلاً، فقال ما معناه:

إنّي كنت كثيراً ما أسمع من أهل المعرفة والديانة أنّ من لازم عمل الاستجارة في مسجد السّهلة أربعين ليلة أربعاء متوالية، بنيّة رؤية الإمام المنتظر عليه السلام وفّق لرؤيته، وأنَّ ذلك قد جرّبت مراراً فاشتاقت نفسي إلى ذلك، ونويت ملازمة عمل الاستجارة في كلّ ليلة أربعاء، ولم يمنعني من ذلك شدّة حرّ ولا برد، ولا مطر ولا غير ذلك، حتّى مضى لي ما يقرب من مدّة سنة، وأنا ملازم لعمل الاستجارة وأبات في مسجد الكوفة على القاعدة المتعارفة.

ثمّ إنّي خرجت عشيّة يوم الثلاثاء ماشياً على عادتي وكان الزّمان شتاء، وكانت تلك العشية مظلمة جداً لتراكم الغيوم مع قليل مطر، فتوجّهت إلى المسجد وأنا مطمئنٌّ بمجيء الناس على العادة المستمرّة، حتّى وصلت إلى المسجد، وقد غربت الشمس واشتدَّ الظلام وكثر الرعد والبرق، فاشتدَّ بي الخوف وأخذني الرُعب من الوحدة لأنّي لم أصادف في المسجد الشريف أحداً أصلاً حتّى أنَّ الخادم المقرّر للمجيء ليلة الأربعاء لم يجيء تلك اللّيلة.

فاستوحشت لذلك للغاية ثمّ قلت في نفسي: ينبغي أن أصلّي المغرب وأعمل عمل الاستجارة عجالة، وأمضي إلى مسجد الكوفة فصبّرت نفسي، وقمت إلى صلاة المغرب فصلّيتها، ثمّ توجّهت لعمل الاستجارة، وصلاتها ودعائها، وكنت أحفظه.

فبينما أنا في صلاة الاستجارة، إذ حانت منّي التفاتة إلى المقام الشريف المعروف بمقام صاحب الزّمان عليه السلام، وهو في قبلة مكان مصلاّي، فرأيت فيه ضياء كاملاً وسمعت فيه قراءة مصلّ فطابت نفسي، وحصل كمال الأمن والاطمئنان، وظننت أنّ في المقام الشريف بعض الزُّوّار، وأنا لم أطّلع عليهم وقت قدومي إلى المسجد فأكملت عمل الاستجارة، وأنا مطمئنُّ القلب.

ثمّ توجّهت نحو المقام الشريف ودخلته، فرأيت فيه ضياء عظيماً لكنّي لم أر بعيني سراجاً ولكنّي في غفلة عن التفكّر في ذلك، ورأيت فيه سيّداً جليلاً مُهاباً بصورة أهل العلم، وهو قائم يصلّي فارتاحت نفسي إليه، وأنا أظنُّ أنّه من الزُّوّار الغرباء لأنّي تأمّلته في الجملة فعلمت أنّه من سكنة النجف الأشرف.

فشرعت في زيارة مولانا الحجّة سلام الله عليه عملاً بوظيفة المقام، وصلّيت صلاة الزّيارة، فلمّا فرغت أردت أكلّمه في المضيّ إلى مسجد الكوفة، فهبته وأكبرته، وأنا أنظر إلى خارج المقام، فأرى شدّة الظلام، وأسمع صوت الرّعد والمطر، فالتفت إليّ بوجهه الكريم برأفة وابتسام، وقال لي: تحبُّ أن تمضي إلى مسجد الكوفة؟ فقلت: نعم يا سيّدنا عادتنا أهل النجف إذا تشرّفنا بعمل هذا المسجد نمضي إلى مسجد الكوفة، ونبات فيه، لأنّ فيه سكّاناً وخدّاماً وماء.

فقام، وقال: قم بنا نمضي إلى مسجد الكوفة، فخرجت معه وأنا مسرور به وبحسن صحبته فمشينا في ضياء وحسن هواء وأرض يابسة لا تعلّق بالرّجل وأنا غافل عن حال المطر والظلام الّذي كنت أراه، حتّى وصلنا إلى باب المسجد وهو روحي فداه معي وأنا في غاية السّرور والأمن بصحبته، ولم أر ظلاماً ولا مطراً.

فطرقت باب الخارجة عن المسجد، وكانت مغلّقة فأجابني الخادم من الطارق؟ فقلت: افتح الباب، فقال: من أين أقبلت في هذه الظلمة والمطر الشديد؟ فقلت: من مسجد السهلة، فلمّا فتح الخادم الباب التفتُّ إلى ذلك السيّد الجليل فلم أره وإذا بالدُّنيا مظلمة للغاية، وأصابني المطر فجعلت أُنادي يا سيّدنا يا مولانا تفضّل فقد فتحت الباب، ورجعت إلى ورائي أتفحّص عنه وأُنادي فلم أر أحداً أصلاً وأضرّ بي الهواء والمطر والبرد في ذلك الزمان القليل.

فدخلت المسجد وانتبهت من غفلتي وكأنّي كنت نائماً فاستيقظت وجعلت ألوم نفسي على عدم التنبّه لما كنت أرى من الآيات الباهرة، وأتذكر ما شاهدته وأنا غافل من كراماته: من الضياء العظيم في المقام الشريف مع أنّي لم أر سراجاً ولو كان في ذلك المقام عشرون سراجاً

لما وفى بذلك الضياء وذكرت أنّ ذلك السيّد الجليل سمّاني باسمي مع أنّي لم أعرفه ولم أره قبل ذلك.

وتذكّرت أنّي لمّا كنت في المقام كنت أنظر إلى فضاء المسجد، فأرى الظلام الشديد، وأسمع صوت المطر والرّعد، وإنّي لما خرجت من المقام مصاحباً له سلام الله عليه، كنت أمشي في ضياء بحيث أرى موضع قدمي، والأرض يابسة والهواء عذب، حتّى وصلنا إلى باب المسجد، ومنذ فارقني شاهدت الظلمة والمطر وصعوبة الهواء، إلى غير ذلك من الأمور العجيبة، الّتي أفادتني اليقين بأنّه الحجّة صاحب الزّمان عليه السلام الّذي كنت أتمنّى من فضل الله التشرّف برؤيته، وتحمّلت مشاقّ عمل الاستجارة عند قوّة الحرّ والبرد لمطالعة حضرته سلام الله عليه فشكرت الله تعالى شأنه، والحمد لله.

الحكاية التاسعة والخمسون

وقال أدام الله أيّام سعادته في كتابه إليّ: حكاية أخرى اتّفقت لي أيضاً وهي أنّي منذ سنين متطاولة كنت أسمع بعض أهل الديانة والوثاقة يصفون رجلاً من كسبة أهل بغداد أنّه رأى مولانا الإمام المنتظر عليه السلام، وكنت أعرف ذلك الرجل، وبيني وبينه مودّة، وهو ثقة عدل، معروف بأداء الحقوق الماليّة، وكنت أحبُّ أن أساله بيني وبينه، لأنّه بلغني أنّه يخفي حديثه ولا يبديه إلاّ لبعض الخواصّ ممّن يأمن إذاعته خشية الاشتهار، فيهزأ به من ينكر ولادة المهديّ وغيبته أو ينسبه العوامُّ إلى الفخر وتنزيه النفس، وحيث إنّ هذا الرّجل في الحياة لا أحبُّ أن أصرّح باسمه خشية كراهته.

وبالجملة فإنّي في هذه المدّة كنت أحبُّ أن أسمع منه تفصيلاً حتّى اتّفق لي أنّي حضرت تشييع جنازة من أهل بغداد في أواسط شهر شعبان من هذه السنة، وهي سنة اثنتين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة الشريفة في حضرة الإمامين: مولانا موسى بن جعفر وسيّدنا محمّد بن عليّ الجواد صلوات الله عليهما وكان الرّجل المزبور في جملة المشيّعين، فذكرت ما بلغني من قصّته، ودعوته وجلسنا في الرّواق الشريف، عند باب الشبّاك النافذ إلى قبّة مولانا الجواد عليه السلام، فكلّفته بأن يحدّثني بالقصّة، فقال ما معناه:

إنّه في سنة من سني عشرة السبعين، كان عندي مقدار من مال الإمام عليه السلام عزمت على إيصاله إلى العلماء الأعلام في النجف الأشرف، وكان لي طلب على تجّارها فمضيت إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى زياراته المخصوصة واستوفيت ما أمكنني استيفاؤه من الدّيون الّتي كانت لي وأوصلت ذلك إلى متعدّدين من العلماء الأعلام من طرف الإمام عليه السلام لكن لم يف بما كان عليّ منه، بل بقي عليّ مقدار عشرين توماناً فعزمت على إيصال ذلك إلى أحد علماء مشهد الكاظمين.

فلمّا رجعت إلى بغداد أحببت أداء ما بقي في ذمّتي على التعجيل، ولم يكن عندي من

النقد شيء فتوجّهت إلى زيارة الإمامين عليهما السلام في يوم خميس، وبعد التشرُّف بالزيارة، دخلت على المجتهد دام توفيقه وأخبرته بما بقي في ذمّتي من مال الإمام عليه السلام وسألته أن يحوّل ذلك عليَّ تدريجاً ورجعت إلى بغداد في أواخر النهار حيث لم يسعني لشغل كان لي، وتوجّهت إلى بغداد ماشياً لعدم تمكّني من كراء دابّة.

فلمّا تجاوزت نصف الطريق رأيت سيّداً جليلاً مُهاباً متوجّهاً إلى مشهد الكاظمين عليهما السلام ماشياً، فسلّمت عليه فردَّ عليَّ السلام، وقال لي: يا فلان وذكر اسمي - لِم لم تبق هذه اللّيلة الشريفة ليلة الجمعة في مشهد الإمامين؟ فقلت: يا سيّدنا عندي مطلب مهمٌّ منعني من ذلك، فقال لي: ارجع معي وبت هذه اللّيلة الشريفة عند الإمامين عليهما السلام وارجع إلى مهمّك غداً إن شاء الله.

فارتاحت نفسي إلى كلامه، ورجعت معه منقاداً لأمره، ومشيت معه بجنب نهر جار تحت ظلال أشجار خضرة نضرة، متدلّية على رؤوسنا، وهواء عذب، وأنا غافل عن التفكّر في ذلك، وخطر ببالي أنَّ هذا السيّد الجليل سمّاني باسمي مع أنّه لم أعرفه، ثمَّ قلت في نفسي: لعلّه هو يعرفني وأنا ناس له.

ثمَّ قلت في نفسي: إنَّ هذا السيّد كأنه يريد منّي من حقّ السادة وأحببت أن أوصل إلى خدمته شيئاً من مال الإمام الّذي عندي، فقلت له: يا سيّدنا عندي من حقّكم بقيّة، لكن راجعت فيه جناب الشيخ الفلانيّ لأؤدّي حقّكم بإذنه - وأنا أعني السادة - فتبسّم في وجهي، وقال: نعم، وقد أوصلت بعض حقّنا إلى وكلائنا في النجف الأشرف أيضاً، وجرى على لساني أنّي قلت له: ما أدّيته مقبول؟ فقال: نعم، ثمَّ خطر في نفسي أنَّ هذا السيّد يقول بالنسبة إلى العلماء الأعلام «وكلائنا» واستعظمت ذلك: ثمَّ قلت: العلماء وكلاء على قبض حقوق السادة وشملتني الغفلة.

ثمَّ قلت: يا سيّدنا قرّاء تعزية الحسين عليه السلام يقرؤون حديثاً أنَّ رجلاً رأى في المنام هودجاً بين السماء والأرض فسأل عمّن فيه، فقيل له: فاطمة الزهراء وخديجة الكبرى، فقال: إلى أين يريدون؟ فقيل: زيارة الحسين عليه السلام في هذه اللّيلة ليلة الجمعة، ورأى رقاعاً تتساقط من الهودج، مكتوب فيها أمان من النار لزوّار الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة، هذا الحديث صحيح؟ فقال عليه السلام: نعم زيارة الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة أمان من النار يوم القيامة.

قال: وكنت قبل هذه الحكاية بقليل قد تشرَّفت بزيارة مولانا الرضا عليه السلام فقلت له: يا سيّدنا قد زرت الرِّضا عليَّ بن موسى عليه السلام وقد بلغني أنّه ضمن لزوّاره الجنّة، هذا صحيح؟ فقال عليه السلام: هو الإمام الضامن، فقلت: زيارتي مقبولة؟ فقال عليه السلام: نعم مقبولة.

وكان معي في طريق الزيارة رجل متديّن من الكسبة، وكان خليطاً لي وشريكاً في المصرف، فقلت له: يا سيّدنا إنَّ فلاناً كان معي في الزّيارة زيارته مقبولة؟ فقال: نعم، العبد الصالح فلان

ابن فلان زيارته مقبولة، ثمّ ذكرت له جماعة من كسبة أهل بغداد كانوا معنا في تلك الزيارة وقلت: إنّ فلاناً وفلاناً وذكرت أسماءهم كانوا معنا، زيارتهم مقبولة؟ فأدار عليه السلام وجهه إلى الجهة الأُخرى وأعرض عن الجواب، فهبته وأكبرته وسكتّ عن سؤاله.

فلم أزل ماشياً معه على الصفة الّتي ذكرتها حتّى دخلنا الصحن الشريف ثمّ دخلنا الرّوضة المقدّسة، من الباب المعروف بباب المراد، فلم يقف على باب الرّواق، ولم يقل شيئاً حتّى وقف على باب الرّوضة من عند رجلي الإمام موسى عليه السلام ، فوقفت بجنبه، وقلت له: يا سيّدنا اقرأ حتّى أقرأ معك، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين، وساق على باقي أهل العصمة عليهم السلام حتّى وصل إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام .

ثمّ التفت إليّ بوجهه الشريف، ووقف متبسّماً وقال: أنت إذا وصلت إلى السلام على الإمام العسكريّ ما تقول؟ فقلت: أقول: السلام عليك يا حجّة الله يا صاحب الزّمان، قال: فدخل الرّوضة الشريفة، ووقف على قبر الإمام موسى عليه السلام والقبلة بين كتفيه.

فوقفت إلى جنبه، وقلت: يا سيّدنا زر حتّى أزور معك، فبدأ عليه السلام بزيارة أمين الله الجامعة المعروفة فزار بها وأنا أتابعه، ثمّ زار مولانا الجواد عليه السلام ، ودخل القبّة الثانية قبّة محمّد بن عليّ عليه السلام ووقف يصلّي فوقفت إلى جنبه متأخراً عنه قليلاً، احتراماً له، ودخلت في صلاة الزّيارة فخطر ببالي أن أسأله أن يبات معي تلك الليلة لأتشرّف بضيافته وخدمته، ورفعت بصري إلى جهته، وهو بجنبي متقدّماً عليّ قليلاً فلم أره.

فخفّفت صلاتي، وقمت وجعلت أتصفّح وجوه المصلّين والزّوّار لعلّي أصل إلى خدمته، حتّى لم يبق مكان في الرّوضة والرّواق إلاّ ونظرت فيه، فلم أر له أثراً أبداً، ثمّ انتبهت وجعلت أتأسّف على عدم التنبّه لما شاهدته من كراماته وآياته من انقيادي لأمره [مع] ما كان لي من الأمر المهمّ في بغداد، ومن تسميته إيّاي مع أنّي لم أكن رأيته ولا عرفته، ولما خطر في قلبي أن أدفع إليه شيئاً من حقّ الإمام عليه السلام وذكرت له أنّي راجعت في ذلك المجتهد الفلانيّ لأدفع إلى السادة بإذنه، قال لي ابتداءً منه: نعم وأوصلت بعض حقّنا إلى وكلائنا في النجف الأشرف.

ثمّ تذكّرت أنّي مشيت معه بجنب نهر جار تحت أشجار مزهرة متدلّية على رؤوسنا، وأين طريق بغداد وظلّ الأشجار الزاهرة في ذلك التاريخ، وذكرت أيضاً أنّه سمّى خليطي في سفر زيارة مولانا الرّضا باسمه، ووصفه بالعبد الصالح، وبشّرني بقبول زيارته وزيارتي ثمّ إنّه أعرض بوجهه الشريف عند سؤالي إيّاه عن حال جماعة من أهل بغداد من السوقة كانوا معنا في طريق الزّيارة، وكنت أعرفهم بسوء العمل، مع أنّه ليس من أهل بغداد، ولا كان مطّلعاً على أحوالهم لولا أنّه من أهل بيت النبوّة والولاية، ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق.

وممّا أفادني اليقين بأنّه المهديُّ عليه السلام أنه لمّا سلّم على أهل العصمة عليهم السلام في مقام طلب الإذن، ووصل السلام إلى مولانا الإمام العسكريِّ، التفت إليَّ وقال لي: أنت ما تقول إذا وصلت إلى هنا؟ فقلت: أقول: السلام عليك يا حجّة الله يا صاحب الزّمان، فتبسّم ودخل الرّوضة المقدّسة ثمَّ افتقادي إيّاه وهو في صلاة الزّيارة لمّا عزمت على تكليفه بأن أقوم بخدمته وضيافته تلك اللّيلة، إلى غير ذلك ممّا أفادني القطع بأنّه هو الإمام الثاني عشر صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والحمد لله ربِّ العالمين.

وينبغي أن يعلم أنَّ هذا الرَّجل والرَّجل المتقدّم ذكره في القصّة السابقة هما من السوقة، وقد حدَّثاني بهذين الحديثين باللّغة المصحّفة الّتي هي لسان أهل هذا الزمان، فاللّفظ منّي، مع المحافظة التامّة على المعنى، فهو حديث بالمعنى وكتب أقلُّ أهل العلم، محمّد بن أحمد ابن الحسن الحسيني الكاظمي مسكناً.

قلت: ثم سألته أيّده الله تعالى عن اسمه وحدّثني غيره أيضاً اسمه الحاجّ عليّ البغداديّ وهو من التجّار وأغلب تجارته في طرف جدّة ومكّة وما والاها، بطريق المكاتبة، وحدّثني جماعة من أهل العلم والتقوى من سكنة بلدة الكاظم عليه السلام بأنَّ الرجل من أهل الصلاح والديانة والورع، والمواظبين على أداء الأخماس والحقوق وهو في هذا التاريخ طاعن في السنِّ أحسن الله عافيته.

فائدتان مهمتان

الأولى: روى الشيخ الطوسيُّ في كتاب الغيبة عن الحسن بن أحمد المكتّب والطبرسيُّ في الاحتجاج مرسلاً أنّه خرج التوقيع إلى أبي الحسن السمريِّ:

يا عليَّ بن محمّد السمريَّ اسمع أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وما بين ستّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانيِّ والصيحة، فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العظيم.

وهذا الخبر بظاهره ينافي الحكايات السابقة وغيرها ممّا هو مذكور في البحار والجواب عنه من وجوه:

الأول: أنّه خبر واحد مرسل، غير موجب علماً، فلا يعارض تلك الوقائع والقصص الّتي يحصل القطع عن مجموعها بل ومن بعضها المتضمّن لكرامات ومفاخر لا يمكن صدورها من غيره عليه السلام، فكيف يجوز الإعراض عنها لوجود خبر ضعيف لم يعمل به ناقله، وهو الشيخ في الكتاب المذكور كما يأتي كلامه فيه، فكيف بغيره والعلماء الأعلام تلقّوها

بالقبول، وذكروها في زبرهم وتصانيفهم، معوِّلين عليها معتنين بها.

الثاني: ما ذكره في البحار بعد ذكر الخبر المزبور ما لفظه: لعلّه محمول على من يدَّعي المشاهدة مع النيابة، وإيصال الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء لئلاّ ينافي الأخبار الّتي مضت وسيأتي فيمن رآه عليه السلام والله يعلم.

الثالث: ما يظهر من قصّة الجزيرة الخضراء، قال الشيخ الفاضل عليُّ بن فاضل المازندرانيّ: فقلت للسيّد شمس الدِّين محمّد وهو العقب السادس من أولاده عليه السلام: يا سيِّدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنّه قال لمّا أُمر بالغيبة الكبرى: من رآني بعد غيبتي فقد كذب، فكيف فيكم من يراه؟ فقال: صدقت إنّه عليه السلام إنّما قال ذلك في ذلك الزّمان لكثرة أعدائه من أهل بيته، وغيرهم من فراعنة بني العبّاس، حتّى أنَّ الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدُّث بذكره، وفي هذا الزّمان تطاولت المدَّة وأيس منه الأعداء، وبلادنا نائية عنهم، وعن ظلمهم وعنائهم، الحكاية.

وهذا الوجه كما ترى يجري في كثير من بلاد أوليائه عليهم السلام.

الرابع: ما ذكره العلاّمة الطباطبائي في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات المشهورة الصادرة منه عليه السلام في حقّه ما لفظه: وقد يشكل أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى، مع جهالة المبلّغ، ودعواه المشاهدة المنافية بعد الغيبة الصغرى، ويمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التوقيع على الملاحم والإخبار عن الغيب الّذي لا يطّلع عليه إلاّ الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وأنَّ المشاهدة المنفيّة أن يشاهد الإمام عليه السلام ويعلم أنّه الحجّة عليه السلام حال مشاهدته له، ولم يعلم من المبلّغ ادّعاؤه لذلك.

وقال رحمه الله في فوائده في مسألة الإجماع بعد اشتراط دخول كلّ من لا نعرفه: وربّما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول الإمام عليه السلام بعينه على وجه لا ينافي امتناع الرُّؤية في مدَّة الغيبة، فلا يسعه التصريح بنسبة القول إليه عليه السلام فيبرزه في صورة الإجماع، جمعاً بين الأمر بإظهار الحقِّ والنهي عن إذاعة مثله بقول مطلق، انتهى.

ويمكن أن يكون نظره في هذا الكلام إلى الوجه الآتي:

الخامس: ما ذكره رحمه الله فيه أيضاً بقوله: وقد يمنع أيضاً امتناعه في شأن الخواصِّ وإن اقتضاه ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار، ودلالة بعض الآثار.

ولعلَّ مراده بالآثار الوقائع المذكورة هنا وفي البحار أو خصوص ما رواه الكلينيّ في الكافي والنعمانيُّ في غيبته والشيخ في غيبته بأسانيدهم المعتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بدَّ له في غيبته من عزلة، وما بثلاثين من وحشة.

وظاهر الخبر كما صرَّح به شرَّاح الأحاديث أنّه عليه السلام يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيبته، وقيل: إنَّ المراد أنّه على هيئة مَن سنّه ثلاثون أبداً وما في هذا السنِّ وحشة وهذا

المعنى بمكان من البعد والغرابة، وهذه الثلاثون الّذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لا بدّ أن يتبادلوا في كلّ قرن إذ لم يقدّر لهم من العمر ما قدّر لسيّدهم عليه السلام ففي كلّ عصر يوجد ثلاثون مؤمناً وليّاً يتشرّفون بلقائه.

وفي خبر عليّ بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازيّ المرويّ في إكمال الدّين وغيبة الشيخ ومسند فاطمة عليها السلام لأبي جعفر بن جرير الطبريّ وفي لفظ الأخير أنّه قال له الفتى الّذي لقيه عند باب الكعبة، وأوصله إلى الإمام عليه السلام: ما الّذي تريد يا أبا الحسن؟ قال: الإمام المحجوب عن العالم، قال: ما هو محجوب عنكم ولكن حجبه سوء أعمالكم. الخبر.

وفيه إشارة إلى أنّ من ليس له عمل سوء فلا شيء يحجبه عن إمامه عليه السلام وهو من الأوتاد أو من الأبدال، في الكلام المتقدّم عن الكفعميّ، رحمه الله.

وقال المحقّق الكاظميّ في أقسام الإجماع الّذي استخرجه من مطاوي كلمات العلماء، وفحاوي عباراتهم، غير الإجماع المصطلح المعروف: وثالثها أن يحصل لأحد من سفراء الإمام الغائب عجّل الله فرجه، وصلّى عليه، العلم بقوله إمّا بنقل مثله له سرّاً، أو بتوقيع أو مكاتبة، أو بالسماع منه شفاهاً، على وجه لا ينافي امتناع الرّؤية في زمن الغيبة، ويحصل ذلك لبعض حملة أسرارهم، ولا يمكنهم التصريح بما اطّلع عليه، والإعلان بنسبة القول إليه، والاتّكال في إبراز المدّعى على غير الإجماع من الأدلّة الشّرعيّة، لفقدها.

وحينئذ فيجوز له إذا لم يكن مأموراً بالإخفاء، أو كان مأموراً بالإظهار لا على وجه الإفشاء أن يبرزه لغيره في مقام الاحتجاج، بصورة الإجماع، خوفاً من الضياع وجمعاً بين امتثال الأمر بأظهار الحق بقدر الامكان، وامتثال النهي عن إذاعة مثله لغير أهله من أبناء الزّمان، ولا ريب في كونه حجّة إمّا لنفسه فلعلمه بقول الإمام عليه السلام، وإمّا لغيره فلكشفه عن قول الإمام عليه السلام أيضاً غاية ما هناك أنّه يستكشف قول الإمام عليه السلام بطريق غير ثابت، ولا ضير فيه، بعد حصول الوصول إلى ما أنيط به حجّيّة الإجماع، ولصحّة هذا الوجه وإمكانه شواهد تدلّ عليه:

منها كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة الّتي تداولت بين الإماميّة ولا مستند لها ظاهراً من أخبارهم، ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمّة عليهم السلام وأسرارهم، ولا أمارة تشهد بأنّ منشأها أخبار مطلقة، أو وجوه اعتباريّة مستحسنة، هي الّتي دعتهم إلى إنشائها وترتيبها، والاعتناء لجمعها وتدوينها كما هو الظاهر في جملة منها، نعم لا نضايق في ورود الأخبار في بعضها.

ومنها ما رواه والد العلاّمة ابن طاوس عن السيّد الكبير العابد رضيّ الدّين محمّد بن محمّد الآوي - إلى آخر ما مرّ في الحكاية السادسة والثلاثين.

ومنها قصّة الجزيرة الخضراء المعروفة المذكورة في البحار، وتفسير الأئمّة عليهم السلام وغيرها.

ومنها ما سمعه منه عليّ بن طاوس في السّرداب الشريف.

ومنها ما علّم محمّد بن عليّ العلويّ الحسينيّ المصري في الحائر الحسينيّ وهو بين النوم واليقظة، وقد أتاه الإمام عليه السلام مكرّراً وعلّمه إلى أن تعلّمه في خمس ليال وحفظه ثمّ دعا به واستجيب دعاؤه، وهو الدُّعاء المعروف بالعلويّ المصريّ وغير ذلك.

ولعلّ هذا هو الأصل أيضاً في كثير من الأقوال المجهولة القائل، فيكون المطّلع على قول الإمام عليه السلام لمّا وجده مخالفاً لما عليه الإماميّة أو معظمهم، ولم يتمكّن من إظهاره على وجهه، وخشي أن يضيع الحقّ ويذهب عن أهله، جعله قولاً من أقوالهم، وربّما اعتمد عليه وأفتى به من غير تصريح بدليله لعدم قيام الأدلّة الظاهرة بإثباته، ولعلّه الوجه أيضاً فيما عن بعض المشايخ من اعتبار تلك الأقوال أو تقويتها بحسب الإمكان، نظراً إلى احتمال كونها قول الإمام عليه السلام ألقاها بين العلماء، كيلا يجمعوا على الخطأ، ولا طريق لإلقائها حينئذ إلّا بالوجه المذكور.

وقال السيّد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء في جواب من قال: «فإذا كان الإمام عليه السلام غائباً بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا ينتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه الخ»: قلنا الجواب أوّل ما تقوله: إنّا غير قاطعين على أنّ الإمام لا يصل إليه أحد، ولا يلقاه بشر، فهذا أمر غير معلوم، ولا سبيل إلى القطع عليه الخ.

وقال أيضاً في جواب من قال: إذا كانت العلّة في استتار الإمام، خوفه من الظالمين، واتّقاءه من المعاندين، فهذه العلّة زائلة في أوليائه وشيعته، فيجب أن يكون ظاهراً لهم: بعد كلام له - وقلنا أيضاً إنّه غير ممتنع أن يكون الإمام يظهر لبعض أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف، وإنّ هذا ممّا لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه، وإنّما يعلم كلّ واحد من شيعته حال نفسه، ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره.

وله في كتاب المقنع في الغيبة كلام يقرب ممّا ذكره هناك.

وقال الشيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه في كتاب الغيبة في الجواب عن هذا السّؤال بعد كلام له: والّذي ينبغي أن يجاب عن هذا السؤال الّذي ذكرناه عن المخالف أن نقول: إنّا أوّلاً لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه بل يجوز أن يبرز لأكثرهم ولا يعلم كلّ إنسان إلّا حال نفسه، فإن كان ظاهراً له فعلّته مزاحة، وإن لم يكن ظاهراً علم أنّه إنّما لم يظهر له لأمر يرجع إليه، وإن لم يعلمه مفصّلاً لتقصير من جهته الخ.

وتقدّم كلمات للسيّد عليّ بن طاوس تناسب المقام خصوصاً قوله مع أنّه عليه السلام حاضر مع الله جلّ جلاله على اليقين وإنّما غاب من لم يلقه عنهم، لغيبته عن حضرة المتابعة له، ولربّ العالمين.

وفيما نقلنا من كلماتهم وغيرها ممّا يطول بنقله الكتاب كفاية لرفع الاستبعاد وعدم حملهم الخبر على ظاهره، وصرفه إلى أحد الوجوه الّتي ذكرناها.

السادس: أن يكون المخفيُّ على الأنام، والمحجوب عنهم، مكانه عليه السلام ومستقرُّه الّذي يقيم فيه، فلا يصل إليه أحد، ولا يعرفه غيره حتّى ولده، فلا ينافي لقاءه ومشاهدته في الأماكن والمقامات الّتي قد مرَّ ذكر بعضها، وظهوره عند المضطرّ المستغيث به، الملتجيء إليه الّتي انقطعت عنه الأسباب وأُغلقت دونه الأبواب.

وفي دعوات السيّد الراونديّ ومجموع الدّعوات للتلّعكبريّ وقبس المصباح للصّهرشتيّ في خبر أبي الوفاء، الشيرازيّ أنّه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في النّوم: وأمّا الحجّة، فإذا بلغ منك السيف للذّبح، وأومأ بيده إلى الحلق، فاستغث به فإنّه يغيثك، وهو غياث وكهف لمن استغاث، فقل: يا مولاي يا صاحب الزّمان أنا مستغيث بك، وفي لفظ: وأمّا صاحب الزّمان فإذا بلغ منك السيف هنا، ووضع يده على حلقه، فاستعن به فإنّه يعينك.

وممّا يؤيّد هذا الاحتمال ما رواه الشيخ والنعمانيّ في كتابي الغيبة عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما يطول، حتّى يقول بعضهم مات، ويقول بعضهم قتل، ويقول بعضهم ذهب حتّى لا يبقى على أمره من أصحابه إلاّ نفر يسير، لا يطّلع على موضعه أحد من ولده، ولا غيره إلاّ الّذي [يلي] أمره.

وروى الكلينيّ عن إسحاق بن عمّار قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة: الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة مواليه.

ورواه النعمانيّ وفي لفظه بدون الاستثناء في الثاني، ورواه بسند آخر عنه عليه السلام قال: للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة الأولى لا يعلم بمكانه إلاّ خاصّة [شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه إلاّ خاصّة] مواليه في دينه.

وليس في تلك القصص ما يدلُّ على أنَّ أحداً لقيه عليه السلام في مقرّ سلطنته ومحلّ إقامته.

ثمّ لا يخفى على الجائس في خلال ديار الأخبار أنّه عليه السلام ظهر في الغيبة الصّغرى لغير خاصّته ومواليه أيضاً، فالّذي انفرد به الخواصُّ في الصغرى هو العلم بمستقرّه، وعرض حوائجهم عليه عليه السلام فيه، فهو المنفيُّ عنهم في الكبرى، فحالهم وحال غيرهم فيها كغير الخواصّ في الصغرى، والله العالم.

الثانية: إنّه قد علم من تضاعيف تلك الحكايات أنّ المداومة على العبادة، والمواظبة، على التضرُّع والإنابة، في أربعين ليلة الأربعاء في مسجد السّهلة أو ليلة الجمعة فيها أو في مسجد الكوفة أو الحائر الحسينيّ على مشرّفه السّلام أو أربعين ليلة من أيّ اللّيالي في أيّ محلّ ومكان، كما في قصّة الرّمّان المنقولة في البحار طريق إلى الفوز بلقائه عليه السلام ومشاهدة جماله، وهذا عمل شائع، معروف في المشهدين الشريفين، ولهم في ذلك حكايات كثيرة، ولم نتعرّض لذكر أكثرها لعدم وصول كلّ واحد منها إلينا بطريق يعتمد عليه، إلاّ أنّ الظّاهر أنّ

العمل من الأعمال المجرّبة. وعليه العلماء والصلحاء والأتقياء، ولم نعثر لهم على مستند خاصّ وخبر مخصوص، ولعلّهم عثروا عليه أو استنبطوا ذلك من كثير من الأخبار الّتي يستظهر منها أنَّ للمداومة على عمل مخصوص من دعاء أو صلاة أو قراءة أو ذكر أو أكل شيء مخصوص أو تركه في أربعين يوماً تأثير في الانتقال والترقّي من درجة إلى درجة، ومن حالة إلى حالة، بل في النزول كذلك، فيستظهر منها أنَّ في المواظبة عليه في تلك الأيّام تأثير لإنجاح كلّ مهمّ أراده.

ففي الكافي: ما أخلص عبد الإيمان بالله وفي رواية ما أجمل عبد ذكر الله أربعين صباحاً إلاّ زهّده في الدُّنيا، وبصّره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قبله [وأنطق بها لسانه].

وفي النبويّ المرويّ في لبّ اللّباب للقطب الراونديّ: من أخلص العبادة لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وفي أخبار كثيرة ما حاصلها: النطفة تكون في الرَّحم أربعين يوماً، ثمَّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمَّ تصير مضغة أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سويّاً يدعو ما بينه وبين تلك الأربعة أشهر.

وفي الكافي أنّه قيل للكاظم عليه السلام: إنّا روينا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من شرب الخمر لم يحتسب له صلاته أربعين يوماً - إلى أن قال: إذا شرب الخمر بقي في مشاشه أربعين يوماً، على قدر انتقال خلقته، ثمَّ قال: كذلك جميع غذاء أكله وشربه يبقى في مشاشه أربعين.

وورد أنَّ من ترك اللّحم أربعين صباحاً ساء خلقه، لأنَّ انتقال النطفة في أربعين يوماً، ومن أكل اللّحم أربعين صباحاً ساء خلقه، ومن أكل الزَّيت وادَّهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً، ومن شرب السّويق أربعين صباحاً امتلأت كتفاه قوّة، ومن أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه.

وفي أمالي الصّدوق في خبر بهلول النبّاش والتجائه إلى بعض جبال المدينة وتضرُّعه وإنابته أربعين يوماً، وقبول توبته في يوم الأربعين، ونزول الآية فيه وذهاب النبيّ صلى الله عليه وآله عنده، وقراءتها عليه، وبشارته بقبول التوبة، ثمَّ قال صلى الله عليه وآله لأصحابه: هكذا تدارك الذُّنوب كما تداركها بهلول.

وورد أنَّ داود عليه السلام بكى على الخطيئة أربعين يوماً.

وأحسن من الجميع شاهداً أنّه تعالى جعل ميقات نبيّه موسى أربعين يوماً وفي النبويّ أنّه ما أكل وما شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه.

وفي تفسير العسكريّ عليه السلام كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرّج الله عنكم، وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من عند ربّكم يشمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله، فلمّا فرّج الله عنهم أمره الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل

الجبل، إلى أن قال: فأوحى الله إليه: صم عشراً أُخر وكان وعد الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة.

بل ورد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أن يهجر خديجة أربعين يوماً قبل يوم بعثه.

ومن الشّواهد الّتي تناسب المقام ما روي بالأسانيد المعتبرة عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: من دعا إلى الله تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا فإن مات قبله أخرجه الله من قبره وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيّئة، وهو اللّهمّ ربّ النور العظيم، الدُّعاء.

وفي إكمال الدّين في حديث حكيمة في ولادة المهديّ صلوات الله عليه أنّه عليه السلام لمّا ولد وسجد، وشهد بالتوحيد والرسالة، وإمامة آبائه عليهم السلام قالت: فصاح أبو محمّد الحسن عليه السلام فقال: يا عمّة تناوليه فهاتيه، فتناولته وأتيت به نحوه فلمّا مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي، سلّم على أبيه، فتناوله الحسن عليه السلام والطّير ترفرف على رأسه، فصاح بطير منها فقال: احمله واحفظه وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً فتناوله الطّير وطار به في جوّ السماء، واتّبعه سائر الطّيور فسمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: أستودعك الّذي استودعته أمّ موسى عليه السلام فبكت نرجس فقال لها: اسكتي فإنّ الرّضاع محرّم عليه إلاّ من ثديك إلى أن قال: قالت حكيمة: فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه إليّ ابن أخي فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بصبيّ يمشي بين يديه إلى أن قال: قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبيّ كلّ أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضيّ أبي محمّد عليه السلام الخبر.

واعلم، أنّا قد ذكرنا في الفصل الأوّل من المجلّد الثاني من كتابنا دار السلام أعمالاً مخصوصة عند المنام للتوسّل إلى رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام في المنام، وأكثرها مختصّ بالنبيّ وبعضها بالوصيّ صلوات الله عليهما، ولعلّه يجري في سائر الأئمّة ما جرى لهما صلوات الله عليهما لبعض عمومات المنزلة. وبذلك صرّح المحقّق الجليل المولى زين العابدين الجرفادقاني رحمه الله في شرح المنظومة، حيث قال: في شرح قوله في غايات الغسل:

ورؤية الإمام في المنام لدرك ما يقصد من مرام

إنّه يدلّ عليه النبويُّ المرويُّ في الإقبال في أعمال ليلة النصف من شعبان «فأحسن الطهر - إلى أن قال -: ثمّ سأل الله تعالى أن يراني من ليلته يراني» ولكن فيه مضافاً إلى استهجان خروج المورد عن البيت إلاّ بتكلّف لا يخفى أنّ الظاهر بل المقطوع أنّ نظر السيّد رحمه الله إلى ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الاختصاص عن أبي المغرى عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: من كانت له إلى الله حاجة وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه، فليغتسل ثلاث ليال يناجي بنا، فإنّه يرانا ويغفر له بنا، ولا يخفى عليه موضعه، الخبر.

قوله عليه السلام: «يناجي بنا» أي يناجي الله تعالى بنا، ويعزم عليه ويتوسّل إليه بنا أن يرينا إيّاه، ويعرف موضعه عندنا وقيل أي يهتمّ برؤيتنا، ويحدّث نفسه بنا، ورؤيتنا ومحبّتنا، فإنّه يراهم أو يسألنا ذلك.

وفي الجنّة الواقية للشيخ إبراهيم الكفعميّ: رأيت في بعض كتب أصحابنا أنّه من أراد رؤية أحد من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أو الوالدين في نومه فليقرأ: والشمس، والقدر، والجحد، والإخلاص، والمعوّذتين ثمّ يقرأ الإخلاص مائة مرّة ويصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله مائة مرّة، وينام على الجانب الأيمن على وضوئه فإنّه يرى من يريده إن شاء الله تعالى، ويكلّمهم بما يريد من سؤال وجواب.

ورأيت في نسخة أخرى هذا بعينه غير أنّه، يفعل ذلك سبع ليال بعد الدُّعاء الّذي أوّله: اللّهمّ أنت الحيّ الّذي الخ، وهذا الدُّعاء رواه السيد عليّ بن طاوس في فلاح السائل، مسنداً عن بعض الأئمّة عليهم السلام قال: إذا أردت أن ترى ميّتك، فبت على طهر، وانضجع على يمينك، وسبّح تسبيح فاطمة عليها السلام.

وقال الشيخ الطوسيّ في مصباحه: ومن أراد رؤيا ميّت في منامه فليقل [في منامه]: اللّهمّ أنت الحيّ الّذي لا يوصف، والإيمان يعرف منه، منك بدأت الأشياء وإليك تعود فما أقبل منها كنت ملجأه ومنجاه، وما أدبر منها لم يكن له ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، فأسألك بلا إله إلاّ أنت، وأسألك ببسم الله الرّحمن الرّحيم وبحقّ حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله سيّد النبيّين، وبحقّ عليّ خير الوصيّين، وبحقّ فاطمة سيّدة نساء العالمين، وبحقّ الحسن والحسين اللذين جعلتهما سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين أن تصلّي على محمّد وآله وأهل بيته، وأن تريني ميتي في الحال الّتي هو فيها فإنّك تراه إن شاء الله تعالى.

ومقتضى إطلاق صدر الخبر أن يكون للداعي إذا عمل بهذه النسخة أن يبدّل آخر الدُّعاء بما يناسب رؤية الإمام الحيّ والنبيّ الحيّ بل الظاهر أن يكون له ذلك إن أراد رؤية كلّ واحد من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام حيّاً كان أو ميّتاً.

بل في كتاب تسهيل الدّواء، بعد ذكر الدُّعاء المذكور، وذكر مشايخنا أنّ من أراد أن يرى أحداً من الأنبياء أو أئمّة الهدى صلوات الله عليهم فليقرأ الدُّعاء المذكور إلى قوله أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ثمّ يقول: أن تريني فلاناً ويقرأ بعده سورة والشمس، واللّيل، والقدر، والجحد، والإخلاص والمعوّذتين، ثمّ يقرأ مائة مرّة سورة التوحيد فكلّ من أراده يراه ويسأل عنه ما أراده، ويجيبه إن شاء الله.

وحيث بلغ بنا الكلام إلى هذا المقام، فالأولى أن نتبرّك بذكر بعض الأعمال المختصرة للغاية المذكورة، بناء على ما احتملناه وصرّح به المحقّق المذكور، وهو من أعاظم العلماء الّذين عاصرناهم.

فمنها: في فلاح السائل للسيّد عليّ بن طاوس لرؤيا أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، قال: إذا أردت ذلك، فقل عند مضجعك اللّهمّ إنّي أسألك يا من لطفه خفيٌّ، وأياديه باسطة لا تنقضي، أسألك بلطفك الخفيّ، الّذي ما لطفت به لعبد إلاّ كفي، أن ترينى مولاي عليّ بن أبي طالب عليه السلام في منامي.

وحدّثني بعض الصلحاء الأبرار طاب ثراه أنّه جرّبه مراراً.

ومنها: ما في المصباح للكفعميّ وتفسير البرهان عن كتاب خواصّ القرآن عن الصادق عليه السلام أنّ من أدمن قراءة سورة المزّمّل رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسأله ما يريد وأعطاه الله كلّ ما يريد من الخير.

ومنها ما رواه الأوّل أنّ من قرأ [سورة] القدر عند زوال الشمس مائة مرّة رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه.

ومنها ما في المجلّد الأوّل من كتاب المجموع الرائق للسيّد الجليل هبة الله بن أبي محمّد الموسوي المعاصر للعلامة رحمه الله أنّ من أدمن تلاوة سورة الجنّ رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسأله ما يريد.

ومنها ما فيه أنّ من قرأ سورة الكافرون نصف اللّيل من ليلة الجمعة، رأى النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومنها قراءة دعاء المجير على طهارة سبعاً عند النوم، بعد صوم سبعة أيّام، رواه الكفعميّ في جنّته.

ومنها قراءة الدُّعاء المعروف بالصحيفة المرويّ في مهج الدعوات خمس مرّات على طهارة.

ومنها ما رواه الكلينيّ عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من قرأ سورة القدر بعد صلاة الزّوال وقبل الظهر، إحدى وعشرين مرّة، لم يمت حتّى يرى النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومنها ما في بعض المجاميع المعتبرة أنّ من أراد أن يرى سيّد البريّات في المنام فليصلّ ركعتين بعد صلاة العشاء بأيّ سورة أراد، ثمّ يقرأ هذا الدُّعاء مائة مرّة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم يا نور النور، يا مدبّر الأمور، بلّغ منّي روح محمّد وأرواح آل محمّد تحيّة وسلاماً.

ومنها ما في جنّة الكفعميّ عن كتاب خواص القرآن أنّه من قرأ ليلة الجمعة بعد صلاة يصلّيها من اللّيل الكوثر ألف مرّة، وصلّى على محمّد وآل محمّد ألف مرّة رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في نومه.

تلك عشرة كاملة وباقي الأعمال والأوراد والصلوات يطلب من كتابنا المذكور فإنّ فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين.

ولنختم هذه المقالة الشريفة بذكر ندبة أنشأها السيّد السند الصالح الصفيّ إمام شعراء العراق، بل سيّد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق، السيد حيدر ابن السيّد سليمان

الحلّي، المؤيّد من عند الملك العليّ، وقد جمع أيّده الله تعالى بين فصاحة اللّسان، وبلاغة البيان، وشدَّة التقوى، وقوَّة الإيمان، بحث لو رآه أحد لا يتوهّم في حقّه القدرة على النظم، فكيف بأعلى مراتبه.

أنشأها بأمر سيّد الفقهاء السيّد المهديّ القزوينيّ النزيل في الحلّة في السنة الّتي صار عمر باشا والياً على أهل العراق، وشدَّد عليهم، وأمر بتحرير النفوس لاجراء القرعة، وأخذ العسكر من أهل القرى والأمصار سواء الشريف فيه والوضيع والعالم فيه والجاهل، والعلويّ فيه وغيره، والغنيّ فيه والفقير، فاشتدَّ عليهم الأمر وعظم البلاء، وضاقت الأرض، ومنعت السماء، فأنشأ السيّد هذه الندبة المشجية فرأى واحد من صلحاء المجاورين في النجف الأشرف الحجّة المنتظر عليه السلام فقال له ما معناه: قد أقلقني السيّد حيدر قل له: لا يؤذيني فإنَّ الأمر ليس بيدي ورفع الله عنهم القرعة في أيّامه وبعده بسنين، وهي هذه:

يا غمرة من لنا بمعبرها ... موارد الموت دون مصدرها
يطفح موج البلا الخطير بها ... فيغرق العقل في تصوُّرها
وشدَّة عندها انتهت عظماً ... شدائد الدَّهر مع تكثّرها
ضاقت ولم يأتها مفرّجها ... فجاشت النفس من تحيّرها
الآن رجس الضلالة استغرق ... الأرض فضجّت إلى مطهّرها
وملّة الله غيّرت فغدت ... تصرخُ لله من مغيّرها
من مُخبري والنفوس عاتبة ... ماذا يؤدّي لسان مخبرها
لِمْ صاحب الأمر عن رعيّته ... أغضى فغضّت بجور أكفرها
ما عذره نصب عينه أُخذت ... شيعته وهو بين أظهرها
يا غيرة الله لا قرار على ... ركوب فحشائها ومنكرها
سيفك والضرب إنَّ شيعتكم ... قد بلغ السيف حزَّ منحرها
مات الهدى سيّدي فقم وأمت ... شمس ضحاها بليل عيثرها
واترك منايا العدى بأنفسهم ... تكثر في الرَّوع من تعثّرها
لم يشف من هذه الصدور سوى ... كسرك صدر القنا بموغرها
وهذه الصحف محو سيفك للأ ... عمار منهم امّحى لأسطرها
فالنطف اليوم تشتكي وهي في الأ ... رحام منها إلى مصوّرها
فالله يا ابن النبيّ في فئة ... ما ذخرت غيركم لمحشرها
ماذا لأعدائها تقول إذا ... لم تنجها اليوم من مدمّرها
أشقّة البعد دونك اعترضت ... أم حجبت منك عين مبصرها
فهاك قلّب قلوبنا ترها ... تفطّرت فيك من تنضّرها

كم سهرت أعين وليس سوى | انتظارها غوثكم بمسهرها
أين الحفيظ العليم للفئة | المضاعة الحقّ عند أفخرها
تغضي وأنت الأب الرَّحيم لها | ما هكذا الظنُّ في ابن أطهرها
إن لم تغثها لجُرم أكبرها | فارحم لها ضعف جرم أصغرها
كيف رقاب من الجحيم بكم | حرَّرها الله في تبصّرها
ترضى بأن تسترقّها عصب | لم تله عن نأيها ومزهرها
إن ترض يا صاحب الزّمان بها | ودام للقوم فعل منكرها
مات شعار الإيمان واندفنت | ما بين خمر العدى وميسرها
أبعِد بها خطّة تزاد لها | لا قرَّب الله دار مؤثرها
الموت خير من الحياة بها | لو تملك النفس من تخيّرها
ما غرَّ أعداءنا بربّهم | وهو مليء بقصم أظهرها
مهلاً فللّه من بريّته | عوائد جلَّ قدر أيسرها
فدعوة النّاس إن تكن حجبت | لأنّها ساء فعل أكثرها
فربَّ جرى حشى لواحدها! | شكت إلى الله في تصوُّرها
توشك أنفاسها وقد صعدت | أن تحرق القوم في تسعّرها

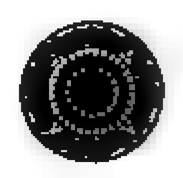
وله أيّد الله تعالى ندبة أخرى تجري في هذا المجرى، تورث في العين قذى، وفي القلب شجى:

أقائم بيت الهدى الطاهر | كم الصبر فتّ حشى الصابر
وكم يتظلّم دين الإ | لّه إليك من النفر الجائر
يمدُّ يداً تشتكي ضعفها | لطبّك في نبضها الفاتر
ترى منك ناصره غائباً | وشرك العدى حاضر الناصر
فنوسع سمعك عتباً يكاد | يثيرك قبل ندا الآمر
نهزُّك لا مؤثراً للقعود | على وثبة الأسد الخادر
ونوقظ عزمك لا بائتاً | بمقلة من ليس بالساهر
ونعلم أنّك عمّا تروم | لم يك باعك بالقاصر
ولم تخش من قاهر حيث ما | سوى الله فوقك من قاهر
ولا بدَّ من أن نرى الظالمين | بسيفك مقطوعة الدابر
بيوم به ليس تبقى ظباك | على دارع الشرك والحاسر
ولو كنت تملك أمر النهوض | أخذت له أُهبة الثائر
وإنّا وإن ضرَّستنا الخطوب | لنعطيك جهد رضى العاذر
ولكن نرى ليس عند الإله | أكبر من جاهك الوافر

فلو نسأل الله تعجيله ظهورك في الزّمن الحاضر
لوافتك دعوته في الظهور بأسرع من لمحة الناظر
فثقّف عدلك من ديننا قنا عجمتها يد الأطر
وسكّن أمنك منّا حشىً غدت بين خافقتي طائر
إلام وحتّى م تشكو العقام لسيفك أمّ الوغى العاقر
ولم تتلظّى عطاش السيوف إلى ورد ماء الطّلى الهامر
أما لقعودك من آخر أثِرها فديتك من ثائر
وقدها يميت ضحى المشرقين بظلمة قسطلها المائر
يردن بمن لا يغير الحمام أو درك الوتر بالصادر
وكلّ فتى حنّبت ضلعه على قلب ليث شرى هامر
يحدّثه أسمر حاذق بزجر عقاب الوغا الكاسر
بأنّ له أن يسر مستميتاً لطعن العدى أوبة الظافر
فيغدو أخفّ لضمّ الرّماح منه لضمّ المها العاطر
أولئك آل الوغى الملبسون عدوّهم ذلّة الصاغر
هم صفوة المجد من هاشم وخالصة الحسب الفاخر
كواكب منك بليل الكفاح تحفّ بنيّرها الباهر
لهم أنت قطب وغى ثابت وهم لك كالفلك الدائر
ظماء الجياد ولكنّهم رأوا المثقف والباتر
كُماة تلقّب أرماحهم برضاعة الكبد الواغر
وتسمى سيوفهم الماضيات لدى الروع بالأجل الحاضر
فإن سدّدوا السمر حكّوا السماء وسدّوا الفضاء على الطائر
وإن جرّدوا البيض فالصافنات تعوم ببحرِ دَم زاخر
فثمّة طعن قنا لا تقبل أسنّتها عثرة الغادر
وضرب يؤلّف بين النّفوس وبين الرّدي أُلفة القاهر
ألا أين أنت أيا طالباً بماضي الذُّحول وبالغابر
وأين المعدُّ لمحو الضّلال وتجديد رسم الهدى الدّاثر
وناشر راية دين الإله وناعش جدّ التّقى العاثر
ويا بن العلى ورثوا كابراً حميد المآثر عن كابر
ومدحهم مفخر المادحين وذكرهم شرف الذّاكر
ومن عاقدوا الحرب أن لا تنام عن السّيف عنهم يد الشّاهر
تدارك بسيفك وتر الهدى فقد أمكنتك طلى الواتر

كفى أسفاً أن يمرَّ الزَّمان ولست بناه ولا آمر
وأن ليس أعيننا تستضيء بمصباح طلعتك الزَّاهر
على أنَّ فينا اشتياقاً إليك كشوق الرُّبا للحيا الماطر
عليك إمام الهدى غرَّ ما غدا البرُّ تلقى من الفاخر
لك الله حلمك غرَّ النَّعام فأنساهم بطشة القادر
وطول انتظارك فتَّ القلوب وأغضى الجفون على عائر
فكم ينحت الهمُّ أحشاءنا وكم تستطيل يد الجائر
وكم نصب عينك يا ابن النبيِّ نساط بقدر البلا الفاتر
وكم نحن في كهوات الخطوب نناديك من فمها الفاغر
ولم تك منّا عيون الرَّجا ء بغيرك معقودة الناظر
أصبراً على مثل حزِّ المدى ونفحة جمر الغضا السّاغر
أصبراً وهذي تيوس الضلال قد أمنت شفرة الجازر
أصبراً وسرب العدى واقع يروح ويغدو بلا ذاعر
نرى سيف أوّلهم منتضى على هامنا بيد الآخر
به تعرق اللّحم منّا وفيه تشظّى العظام يد الكاسر
وفيه يسوموننا خطّة بها ليس يرضى سوى الكافر
فنشكو إليهم ولا يعطفون كشكوى العقيرة للعاقر
وحين البطان التقت حلقتاه ولم نر للبغي من زاجر
عججنا إليك من الظالمين عجيج الجمال من النّاحر

تمّت الرّسالة الشريفة بيد مؤلّفها العبد المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي النوريّ الطبرسيّ في عصر يوم الأحد الثالث عشر من شوّال المكرّم سنة ١٣٠٢ في بلدة سرَّ من رأى حامداً مصلّياً مستغفراً، اللّهمَّ وفّقه وكلَّ المؤلّفين والبانين للخير بحق محمّدٍ وآله.





الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الرابع والخمسون

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي

الحمد لله خالق الأرضين والسّماوات، وسامك المسموكات، وداحي المدحوّات ومخرج عباده إلى النّور من الظلمات، مزوّج الآباء العلويّة أمّهات السفليّات ومثمر المواليد من أرحام الأسطقسّات ومظهر الأنواع المتوالدة والمتولّدة من مشائم القابليّات. والصلاة على أشرف الخلائق والبريّات وعين أعيان المكوّنات أفضل نتائج الآباء والأمّهات، محمّد المصطفى وأهل بيته الأقدسين الّذين بهم جرت جميع النعم على الكائنات، وبنورهم يهتدى إلى مناهج السعادات، وبذكر شفاعتهم يشفى غليل صدور أرباب الجرائم والسيّئات.

أمّا بعد فيقول أفقر العباد إلى عفو ربّه الغافر محمّد بن محمّد تقيّ المدعوّ بباقر رزقهما الله السّعادة في اليوم الآخر، وثبّت أقدامهما في المزالق والمعاثر: هذا هو المجلد الرابع عشر من كتاب بحار الأنوار المسمّى بكتاب السّماء والعالم لاشتماله على كشف الغطاء عن غوامض أسرار الآيات والروايات المتعلّقة بخلق اللّوح والقلم والعرش والكرسيّ والحجب والسرادقات والسّماوات، وأصناف الملائكة والكواكب والنجوم وصفاتها وأحكامها وآثارها والأرضين والعناصر والمواليد من المعادن والنباتات والحيوانات، وخواصّها وحلّها وحرمتها وصيدها وذبحها، ومنافع الأدوية والثمار والحشائش والعقاقير وخواصّها وفوائدها، وأحوال الإنسان والنّفس والروح وتشريح الأبدان وعلم الطبّ، وأحوال البقاع والبلدان والأصقاع وسائر ما يتعلّق بتلك الأعيان. وهذا ممّا لم يسبقني إليه أحد من علمائنا والمخالفين وأرجو بفضله سبحانه أن يكون ممّا تقرّ به أعين المؤمنين ويُسخن عيون المنافقين والملحدين، وأستهدّ المعونة في ذلك من ربّي جلّ شأنه ثمّ من مواليّ الأكرمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أبواب كلّيّات أحوال العالم وما يتعلّق بالسّماويّات

١ - باب حدوث العالم وبدء خلقه وكيفيته وبعض كلّيات الأمور

الآيات: البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٢٩».

الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ «١».

الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٥٤».

يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ «٣».

هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ «٧».

الكهف: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ «٥١».

الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ «٣٠».

الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ «٥٩».

السجدة [التنزيل]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٤».

فصلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ «٣٨».

الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٤».

النازعات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾.

تفسير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ امتنان على العباد بخلق ما يتوقّف

عليه بقاؤهم ويتمّ به معاشهم ومعنى ﴿لَكُم﴾ لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستعمالكم بها في مصالح أبدانكم بوسط أو غير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرّف بما يلائمها من لذّات الآخرة وآلامها. وهذا ممّا يستدلّ به على إباحة جميع الأشياء إلاّ ما أخرجه الدّليل. و﴿مَّا﴾ يعمّ كلّ ما في الأرض، لا الأرض، إلاّ إذا أريد به جهة السفل كما يراد بالسّماء جهة العلو. ﴿جَمِيعًا﴾ حال عن الموصول الثاني ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إليها بإرادته من قولهم: «استوى إليه» إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء. وقيل: استوى أي استولى وملك قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

والمراد بالسّماء الأجرام العلويّة أو جهات العلو كما قيل.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي عدلهنّ وخلقهنّ مصونة من العوج والفطور، وقيل: (هُنَّ) ضمير السّماء إن فسّرت بالأجرام لأنّها جمع أو في معنى الجمع، وإلاّ فمبهم يفسّره ما بعده كقولهم: ربّه رجلاً ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ بدل أو تفسير، والسبع لا ينافي التسع الّتي أثبتوها أصحاب الأرصاد، إذ الثامن والتاسع مسمّيان في لسان الشرع بالكرسيّ والعرش. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قيل: فيه تعليل كأنّه قال ولكونه عالماً بتلك الأشياء كلّها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع، والاستدلال بأنّ من كان فعله على هذا النّسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليماً، وتدلّ الآية على حدوث السّماوات بل الأرض أيضاً كما سيأتي بيانه.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أخبر بأنّه تعالى حقيق بالحمد ونبّه على أنّه المستحقّ له على هذه النعم الجسام حُمِد أو لم يُحمد ليكون حجّة على الّذين هم بربّهم يعدلون، وجمع السّماوات دون الأرض وهي مثلهنّ لأنّ طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدّمها لشرفها وعلوّ مكانها ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ أي أنشأهما والفرق بين ﴿خَلَقَ﴾ و﴿جَعَلَ﴾ الّذي له مفعول واحد أنّ ﴿خَلَقَ﴾ فيه معنى التقدير و﴿جَعَلَ﴾ فيه معنى التضمين، ولذلك عبّر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيهاً على أنّهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنويّة، وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها أو لأنّ المراد بالظلمة الضلال، وبالنّور الهدى، والهدى واحد والضلال متعدّد. وتقديمها لتقدّم الأعدام على الملكات.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ المشهور أنّ المراد بالأيّام هنا مقدار أيّام الدنيا، وروي عن ابن عباس أنّها من أيّام الآخرة كلّ يوم منها ألف سنة ممّا تعدّون.

أقول: وبمثل هذا الخبر لا يمكن صرف الآية عن ظاهرها. ثمّ إنّه سبحانه إنّما خلق في هذه المدّة مع أنّه كان قادراً على خلقها في طرفة عين إمّا لعبرة من خلقها من الملائكة، إذ الاعتبار في التدريج أكثر كما ورد في الخبر، أو ليعلم بذلك أنّها صادرة من قادر مختار عالم

بالمصالح ووجوه الأحكام، إذ لو حصلت من مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة، أو ليعلّم النّاس التأنّي في الأمور وعدم الاستعجال فيها كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق ولكنّه جعل الأناء والمداراة مثالاً لأمنائه وإيجاباً للحجّة على خلقه».

وأورد هنا إشكال وهو أنّ اليوم إنّما يحصل بحركة الشمس وطلوعها وغروبها فما معنى اليوم ههنا؟ ويمكن أن يجاب بوجوه:

الأوّل: أنّ مناط تمايز الأيّام وتقدُّرها إنّما هو حركة الفلك الأعلى دون السّماوات السبع، والمخلوق في الأيّام المتمايزة إنّما هو السّماوات السبع والأرض وما بينهما دون ما فوقهما، ولا يلزم من ذلك الخلاء لتقدّم الماء الّذي خلق منه الجميع على الجميع.

الثاني: أنّ المراد بالأيّام الأوقات، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾.

الثالث: أنّ المراد: في مقدار ستّة أيّام، ومرجع الجميع إلى واحد، إذ قبل وجود الشمس لا يتصوّر يوم حقيقة، فالمراد إمّا مقدار من الزمان مطلقاً، أو مقدار حركة الشمس هذا القدر، وعلى التقديرين إمّا مبني على كون الزمان أمراً موهوماً منتزعاً من بقائه سبحانه، أو من أوّل الأجسام المخلوقة كالماء، أو من الأرواح المخلوقة قبل الأجسام على القول به، أو من الملائكة كما هو ظاهر الخبر الآتي، وإمّا بالقول بخلق فلك متحرّك قبل ذلك بناءً على القول بوجود الزّمان وأنّه مقدار حركة الفلك، فإنّ التجدّد والتقضّي والتصرّم الّذي هو منشأ تحقّق الزمان عندهم في الجميع متصوّر.

وقال بعض الصوفية: للزمان الماديّ زمان مجرّد كالنفس للجسد، وللمكان الماديّ مكان مجرّد وهما عارضان للمجرّدات ولا يمكن فهمه وخارج عن طور العقل كسائر خيالاتهم وأقوالهم.

وعلى أيّ حال هذه الآية وما سيأتي من أشباهها تدلّ على حدوث السّماوات والأرض وما بينهما لأنّ الحادث في اليوم الأخير مثلاً مسبوق بخمسة أيّام فيكون متناهي البقاء منقطع الوجود في جهة الماضي، والموجود في اليوم الأوّل زمان وجوده أزيد على الأخير بقدر متناه فالجميع متناهي الوجود حادث فيرد على الحكماء كون الزّمان أيضاً حادثاً متناهياً لأنّه عندهم مقدار حركة الفلك.

وأمّا ما ذكره الرازيّ في تفسيره من أنّ المراد بستّة أيّام ستّة أحوال، وذلك لأنّ السّماء والأرض وما بينهما ثلاثة أشياء ولكلّ واحد منهما ذات وصفة فنظراً إلى خلقه ذات السّماء حالة، وإلى خلقه صفاتها أخرى، ونظراً إلى خلقه ذات الأرض وإلى صفاتها كذلك، ونظراً إلى ذوات ما بينهما وإلى صفاتها أخرى فهي ستّة أشياء في ستّة أحوال، وإنّما ذكر الأيّام لأنّ الإنسان إذا رأى إلى الخلق رآه فعلاً، والفعل ظرفه الزّمان، والأيّام أشهر الأزمنة، وإلاّ فقبل

السّماوات لم يكن ليل ولا نهار، وهذا مثل ما يقول القائل لغيره: «إنّ يوماً ولدت فيه كان يوماً مباركاً» وقد يجوز أن يكون ولد ذلك ليلاً ولا يخرج عن مراده لأنّ المراد الزّمان الّذي هو ظرف ولادته[1]. فهو تكلّف بعيد مستغنى عنه، وما ذكرنا أقرب إلى لفظ الآية الكريمة، وأوفق بالمراد. وسيأتي معاني «العرش» و«استوى عليه».

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قال البيضاويّ: أي قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا أنّه كان موضوعاً على متن الماء واستدلّ به على إمكان الخلاء وأنّ الماء أوّل حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل: كان الماء على متن الرّيح والله أعلم بذلك «انتهى»[2] وقال الطّبرسيّ: وفي هذا دلالة على أنّ العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السّماوات والأرض وكان الماء قائماً بقدرة الله على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفي ذلك أعظم الاعتبار لأهل الإنكار، وقيل: المراد بقوله «عرشه» بناؤه يدلّ عليه «وممّا يعرشون» أي يبنون فالمعنى: وكان بناؤه على الماء، فإنّ البناء على الماء أبدع وأعجب، عن أبي مسلم «انتهى»[3].

وقال الرازيّ في تفسيره: قال كعب: خلق الله تعالى ياقوتة خضراء، ثمّ نظر إليها بالهيبة فصارت ماءً يرتعد ثمّ خلق الريح فجعل الماء على متنها ثمّ وضع العرش على الماء. قال أبو بكر الأصمّ: ومعنى قوله «وكان عرشه على الماء» كقولهم السّماء على الأرض، وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقاً بالآخر وكيف كانت الواقعة يدل على أنّ العرش والماء كانا قبل السّماوات والأرض، قالت المعتزلة: وفي الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما لأنّه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد ينتفع بالعرش والماء «انتهى»[4].

وفي بعض الأخبار أنّ المراد حمل علمه ودينه الماء، وربّما يؤوّل من قال بالهيولى الماء بها.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي خلقهنّ لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النّعم ويكلّفهم ويعرّضهم لثواب الآخرة ولما أشبه ذلك اختبار المختبر، قال «ليبلوكم» أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون. وعن الصّادق عليه السلام: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال الطّبرسيّ رحمه الله أي ما أحضرتُ إبليس وذريّته خلق السّماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك، ولا استعنت ببعضهم على

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٥ ص ١٦٨.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٥٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٤٥.
(٤) تفسير فخر الرازي، ج ١٧ ص ١٨٧.

خلق بعض، وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، أي الشّياطين الّذين يضلّون النّاس أعواناً يعضدونني عليه. وكثيراً ما يستعمل العضد بمعنى العون. وقيل: المعنى أنّكم اتّبعتم الشياطين كما يتّبع من يكون عنده علم لا ينال إلاّ من جهته وأنا ما أطلعتهم على خلق السّماوات ولا على خلق أنفسهم، ولم أعطهم العلم بأنّه كيف يخلق الأشياء فمن أين يتّبعونهم؟ وقيل: معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفّار خلق السّماوات والأرض ولا بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن أين قالوا إنّ الملائكة بنات الله ومن أين ادّعوا ذلك؟ «انتهى»[1].

وزاد الرّازيّ وجهين آخرين: أحدهما: أنّ الضمير عائد إلى الكفّار الذين قالوا له ﷺ: إن لم تطرد عن مجلسك هؤلاء الفقراء فلا نؤمن بك، فكأنّه تعالى قال: إنّ هؤلاء الّذين أتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنُّت الباطل ما كانوا شركائي في خلق العالم وتدبير الدّنيا والآخرة بل هم كسائر الخلق، فلم أقدموا على هذا الاقتراح؟ ونظيره أنّ من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فإنّك تقول له: لست بسلطان البلد ولا وزير الملك حتّى نقبل منك هذه الاقتراحات.

وثانيهما: أن يكون المراد هؤلاء الكفّار أيضاً ويكون المعنى: أنتم جاهلون بما جرى به القلم من أحوال السّعادة والشقاوة فكيف يمكنكم أن تحكموا لأنفسكم بالرفعة والكمال والعلوّ ولغيركم بالذّل والدّناءة «انتهى»[2].

وروى العيّاشيّ عن الباقر عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ قال: اللّهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب أو بأبي جهل بن هشام فأنزل الله هذه الآية يعنيهما[3].

وفي الكافي عن الجواد عليه السلام: إنّ الله تعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمرها إليهم (الخبر) وهذا الخبر صريح في حدوث جميع أجزاء العالم[4].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: استفهام يراد به التقريع والمعنى: أولم يعلموا أنّ الله سبحانه الّذي يفعل هذه الأشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحقّ للعبادة دون غيره ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ تقديرها: كانتا ذواتي رتق والمعنى: كانتا ملتزقتين منسدّتين ففصلنا بينهما بالهواء، عن ابن عبّاس وغيره. وقيل: كانت السّماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات، وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين، عن مجاهد والسّدي. وقيل: كانت السّماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتقنا السّماء

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٥٥. (٢) تفسير فخر الرازي، ج ٢١ ص ١٣٨.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٥ ح ٤٠ من سورة الكهف.
(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣ باب مولد النبي ﷺ ح ٥.

بالمطر والأرض بالنّبات، عن عكرمة وعطيّة وابن زيد، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام «انتهى»[١].

وقال الرّازيّ: الرؤية إمّا بمعنى الإبصار أو العلم، والأوّل مشكل لأنّ القوم ما رأوهما، ولقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والثّاني أيضاً مشكل لأنّ الأجسام قابلة للرّتق والفتق في أنفسها فالحكم عليها بالرّتق أوّلاً وبالفتق ثانياً لا سبيل إليه إلاّ السّمع، والمناظرة مع الكفّار المنكرين للرّسالة، فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال؟ ودفع الإشكال بعد اختيار الثاني بوجوه:

أحدها: أنّا نثبت نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله بسائر المعجزات ثمّ نستدلّ بقوله، ثمّ نجعلهما دليلاً على حصول المصالح في العالم وانتفاء الفساد عنه. **وثانيها**: أن نحمل الرتق والفتق على إمكانهما والعقل يدلّ عليه لأنّ الأجسام يصحّ عليها الاجتماع والافتراق فاختصاصها بالاجتماع دون الافتراق أو بالعكس يستدعي مخصّصاً **وثالثها**: أنّ اليهود والنّصارى كانوا عالمين بذلك، فإنّه جاء في التوراة أنّ الله تعالى خلق جوهرة ثمّ نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثمّ خلق السّماوات والأرض وفتق بينهما. وكان بين عبدة الأوثان وبين اليهود نوع صداقة بسبب الاشتراك في عداوة محمّد صلى الله عليه وآله فاحتجّ الله تعالى عليهم بهذه الحجّة بناء على أنّهم يقبلون قول اليهود في ذلك.

ثمّ قال: اختلف المفسّرون في المراد من الرتق والفتق على أقوال: أحدها وذكر الوجه الأوّل من وجوه الطّبرسيّ ثمّ قال: - هذا القول يوجب أنّ خلق الأرض مقدّم على خلق السّماء لأنّه تعالى لمّا فصّل بينهما ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السّماوية، قال كعب: خلق الله السّماوات والأرضين ملتصقتين ثمّ خلق ريحاً توسّطهما ففتقتا بها، ثمّ ذكر الثّاني والثّالث ورجّح الثالث بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ وبقوله سبحانه ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ ثمّ قال: ورابعها: قول أبي مسلم الأصفهانيّ، قال: يجوز أن يراد بالفتق، الإيجاد والإظهار كقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرّتق.

أقول: وتحقيقه أنّ العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميّزة، وأعيان متباينة، بل كأنّه أمرٌ واحد متّصل متشابه، فإذا وجدت الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميّز بعضها عن بعض، فبهذا الطريق جعل الرّتق مجازاً عن العدم، والفتق عن الوجود. **وخامسها**: أنّ اللّيل سابق على النّهار بقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ فكانت السّماوات والأرض مظلمة ففتقهما الله بإظهار النّهار المبصر «انتهى»[٢].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٢ ص ١٦٢.

وأقول: سيأتي في الأخبار ما يؤيّد الوجه الثالث، ويومئ بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الثاني كما ستعرف. وروى الكلينيّ في الروضة عن عدّة من أصحابه عن أحمد بن محمّد بن خالد عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثماليّ قال: سأل نافع أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى أهبط آدم إلى الأرض وكانت السّماوات رتقاً لا تمطر شيئاً وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلمّا تاب الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام أمر السّماء فتقطّرت بالغمام، ثمّ أمرها فأرخت عزاليها ثمّ أمر الأرض فأنبتت الأشجار وأثمرت الثّمار، وتفهّقت بالأنهار، فكان ذلك رتقها وهذا فتقها. فقال نافع: صدقت يا ابن رسول الله «إلى آخر الخبر»[1] وهذا يدلّ على الثالث.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قال الطّبرسيّ: أي وأحيينا بالماء الّذي ننزّله من السّماء كلّ شيء حيّ، وقيل: وخلقنا من النّطفة كلّ مخلوق. والأوّل أصحّ. وروى العيّاشيّ بإسناده عن الحسين بن علوان قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن طعم الماء فقال: سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً طعم الماء طعم الحياة، قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. وقيل: معناه وجعلنا من الماء حياة كلّ ذي روح ونماء كلّ نام فيدخل فيه الحيوان والنّبات والأشجار، عن أبي مسلم.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أفلا يصدّقون بالقرآن وبما يشاهدون من الدّليل والبرهان[2].

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ قيل: خبر للّذي إن جعلته مبتدأ، ولمحذوف إن جعلته صفة للحيّ، أو بدل من المستكنّ في ﴿اسْتَوَىٰ﴾ وقرئ بالجرّ صفة للحيّ ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ أي فاسأل عمّا ذكر من الخلق والإستواء عالماً يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبرئيل أو من وجده في الكتب المتقدّمة ليصدّقك فيه. وقيل: الضمير للرّحمن، والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا ما يرادفه في كتبهم. وعلى هذا يجوز أن يكون الرّحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدّى بعن لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء. وقيل: إنّه صلة خبيراً[3].

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال البيضاويّ: أي مقدار يومين أو بنوبتين، وخلق في كلّ نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعلّ المراد بالأرض ما في جهة السّفل من الأجرام البسيطة، ومن خلقها في يومين أنّه خلق لها أصلاً مشتركاً ثمّ خلق لها صوراً صارت بها أنواعاً، وكفرهم به إلحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ ولا يصحّ أن

(١) روضة الكافي، ج ٩٣.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨٢.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٣٤.

يكون له ندّ ﴿ذَلِكَ﴾ الّذي خلق الأرض في يومين ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربّيها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ استئناف غير معطوف على ﴿خَلَقَ﴾ للفصل بما هو خارج عن الصّلة ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظّار ما فيها من وجوه الاستبصار، وتكون منافعها معرضة للطّلاّب[١].

أقول: وقال الرّازيّ: إذ لو جعلت تحتها لأوهم ذلك أنّها أساطين تمسكها فجعلها فوقها ليرى الإنسان أنّ الأرض والجبال أثقال على أثقال وكلّها مفتقرة إلى ممسك وحافظ وليس ذلك إلاّ الله سبحانه[٢].

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ قال البيضاويّ: أي وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي أقوات أهلها بأن عيّن لكلّ نوع ما يصلحه ويعيش به، أو أقواتاً تنشأ منها بأن خصّ حدوث كلّ قوت بقطر من أقطارها. وقرئ «وقسم فيها أقواتها». ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي في تتمّة أربعة أيّام كقولك سرت من البصرة إلى بغداد في عشر وإلى الكوفة في خمس عشرة. ولعلّه قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار باتّصالهما باليومين الأوّلين، والتّصريح على الفذلكة[٣].

أقول: وقد يحمل على أنّ المراد أربعة أوقات، وهي الّتي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البرّ والبحر من الخلق، من الثمار والنّبات والشّجر وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه، وهي الرّبيع والصّيف والخريف والشّتاء. ولا يخفى بعده عن السياق.

﴿سَوَآءً﴾ أي استوت سواء بمعنى استواء، والجملة صفة أيّام، ويدلّ عليه قراءة يعقوب بالجر، وقيل: حال من الضمير في ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أو في ﴿فِيهَآ﴾ وقرئ بالرّفع على «هي سواء». ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ متعلّق بمحذوف تقديره: هذا الحصر للسّائلين عن مدّة خلق الأرض وما فيها، أو بـ «مقدّر» أي قدّر فيها الأقوات للطّالبين[٤].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قصد نحوها، من قولهم: «استوى إلى مكان كذا»، إذا توجّه إليه توجّهاً لا يلوي على غيره ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ قال البيضاويّ: أي أمر ظلمانيّ، ولعلّه أراد به مادّتها والأجزاء المتصغّرة الّتي ركّبت منها[٥]. وقال الطبرسيّ: قال ابن عبّاس: كانت بخار الأرض، وقيل: معناه ثمّ استوى أمره إلى السّماء. وقال الرّازيّ: وذكر صاحب الأثر أنّه كان عرش الله على الماء منذ خلق السّماوات والأرض، فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع منه زبد ودخان فبقي على وجه الماء، فخلق الله تعالى فيه اليبوسة وأحدث منه الأرض، وأمّا

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٧١. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ١٠٢.
(٣) - (٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٧٢.

الدّخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السّماوات. واعلم أنّ هذه القصّة غير موجودة في القرآن فإن دلّ عليها دليل صحيح قبلت وإلاّ فلا، وهذه القصّة مذكورة في أوّل الكتاب الّذي تزعم اليهود أنّه التوراة، وفيه أنّه تعالى خلق السّماء من أجزاء مظلمة، وهذا هو المعقول لأنّا قد دلّلنا في المعقولات على أنّ الظّلمة ليست كيفيّة وجوديّة بل هي عبارة عن عدم النّور فالله سبحانه لمّا خلق الأجزاء الّتي لا تتجزّأ فقبل أن يخلق فيها كيفيّة الضوء كانت مظلمة عديمة النّور، ثمّ إذ ركّبها وجعلها سماوات وكواكب وشمساً وقمراً وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذٍ صارت مستنيرة، فثبت أنّ تلك الأجزاء حين قصد الله تعالى أن يخلق منها السّماوات والشمس والقمر كانت مظلمة فصحّ تسميتها بالدّخان، لأنّه لا معنى للدّخان إلاّ أجزاء متفرّقة غير متواصلة عديمة النّور[1] [2].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ قال البيضاويّ: أي بما خلقت فيكما من التّأثير والتّأثّر، وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوّعة أو ائتيا في الوجود على أنّ الخلق السابق بمعنى التقدير أو التّرتيب للرّتبة أو الإخبار أو إتيان السّماء بحدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوّة، أو ليأت كلّ منكما الأخرى في حدوث ما أريد توليده منكما، ويؤيّده قراءة «آتيا» من المؤاتاة أي ليوافق كلّ واحدة منكما أختها فيما أردت منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ شئتما ذلك أو أبيتما، أو المراد إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطّوع والكره لهما، وهما مصدران وقعا موقع الحال. ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي منقادين بالذّات. والأظهر أنّ المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثّرهما بالذّات عنها وتمثيلها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وما قيل أنّه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنّما يتصوّر على الوجه الأوّل والأخير وإنّما قال ﴿طَائِعِينَ﴾ على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله تعالى: ﴿سَاجِدِينَ﴾[3].

وقال الطّبرسيّ - قدّس سرّه -: قال ابن عبّاس: أتت السّماء بما فيها من الشمس والقمر والنّجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثّمار وليس هناك أمر بالقول حقيقة ولا جواب لذلك القول، بل أخبر سبحانه عن اختراعه السّماوات والأرض وإنشائه لهما من غير تعذّر ولا كلفة ولا مشقّة بمنزلة ما يقال إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقّف ولا تأنّ فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة، وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وإنّما قال ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ولم يقل طائعتين لأنّ المعنى: أتينا بمن فينا من العقلاء، فغلب حكم العقلاء. وقيل: إنّه لمّا خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٠.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ١٠٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٧٣.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٠.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ قال البيضاويّ: أي فخلقهنّ خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهنّ، والضمير للسّماء على المعنى أو مبهم. ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ حال على الأوّل، وتمييز على الثاني. ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: خلق السّماوات يوم الخميس والشّمس والقمر والنجوم يوم الجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ شأنها وما يتأتّى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً، وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ فإنّ الكواكب كلّها تُرى كأنّها تتلألأ عليها. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظاً. وقيل: مفعول له على المعنى، كأنّه قال: خصّصنا السّماء الدّنيا بمصابيح زينةً وحفظاً. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم[(١)].

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال الطّبرسيّ: أي تعب ونصب، أكذب الله تعالى بهذا اليهود، فإنّهم قالوا: استراح الله يوم السّبت فلذلك لا نعمل فيه شيئاً[(٢)].

وقال الرازيّ في تفسيره: قال بعض المفسّرين: المراد من الآية الردُّ على اليهود حيث قالوا: بدأ الله خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستّة أيّام آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السّبت واستوى على عرشه. فقال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ رادّاً عليهم، والظّاهر أنّ المراد الردُّ على المشرك أي ما تعبنا بالخلق الأوّل حتّى لا نقدر على الإعادة ثانياً وأمّا ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إمّا تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله، وذلك لأنّ الأحد والاثنين أزمنة متميّزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السّماوات ابتدأ يوم الأحد لكان الزّمان متحقّقاً قبل الأجسام، والزّمان لا ينفكّ عن الأجسام، فيكون قبل الأجسام أجسام أخر، فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة «انتهى»[(٣)].

وأقول: تعيين تلك الأيّام موجودة في الأخبار المعتبرة كما ستعرف، وما توهّم من لزوم قدم العالم خطأ كما عرفت سابقاً أنّه يمكن تصحيحه بوجوه متعدّدة شيء منها لا يستلزم ذلك، وأمّا تعيين الأيّام فيمكن أن تقدّر الأزمنة بحيث تكون بعد خلق الشمس وحركة الأفلاك وتعيين الأيّام تلك الأزمان الماضية موافقة لهذه الأيّام السّتة، بحيث إذا كانت الشّمس متحرّكة فيها كانت تلك الأيّام بعينها فتأمّل.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ قال البيضاويّ: أي أصعب خلقاً ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟ ثمّ بيّن كيف خلقها وقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ثمّ بيّن البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذّاهب في العلوّ رفيعاً ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي فعدّلها، أو جعلها مستوية، أو فتمّمها بما به يتمّ كمالها من الكواكب والتّداوير وغيرها، من قولهم «سوّى فلان أمره» إذا أصلحه ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٧٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٤٩.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٨ ص ١٨٤.

أظلمه منقول من «غطش الليل» إذا أظلم. وأضاف إليها لأنّه يحدث بحركتها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ يريد النّهار ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها ومهّدها للسّكنى، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير العيون ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ أي ورعيها، وهو في الأصل لمواضع الرّعي. وتجريد الجملة عن العاطف لأنّها حال بإضمار قد، أو بيان للدّحو ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي أثبتها ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ تمتيعاً لكم ولمواشيكم[١].

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي خلق كلّ شيء فسوّى خلقه بأن جعل له ما به يتأتّى كماله ويتمّ معاشه ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ أي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فَهَدَىٰ﴾ فوجّهه إلى أفعاله طبعاً أو اختياراً بخلق الميول والإلهامات، ونصب الدّلائل وإنزال الآيات[٢].

تحقيق في دفع شبهة:

اعلم أنّ بعض الملاحدة أوردوا تناقضاً بين آيات سورتي البقرة والسّجدة وبين آيات سورة النّازعات، حيث زعموا أنّ الأوّلة تدلّ على تقدّم خلق الأرض على السّماء والأخيرة على العكس. وأجيب عنه بوجوه:

أحدها: أنّ خلق الأرض قبل السّماء إلاّ أنّ دحوها متأخّر عن خلق السّماء. واستشكل بوجهين: **الأوّل**: أنّ الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التّدحية فإذا كانت التّدحية متأخّرة عن خلق السّماء كان خلقها لا محالة أيضاً متأخّراً عن خلق السّماء. **والثاني**: أنّ الآية الأولى تدلّ على أنّ خلق الأرض وخلق كلّ ما فيها مقدّم على خلق السّماء، وخلق الأشياء في الأرض لا يكون إلاّ بعد ما كانت مدحوّة.

وأجيب: عن الأوّل بأنّا لا نسلّم امتناع انفكاك خلق الأرض عن دحوها، والمناقشة في إطلاق خلق الأرض على إيجادها غير مدحوّة مناقشة لفظيّة. وعن الثاني بأنّ قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ يقتضي تقدّم خلق السّماء على دحو الأرض، ولا يقتضي تقدّم تسوية السّماء على دحو الأرض، فجاز أن تكون تسوية السّماء متأخّرة عن دحو الأرض فيكون خلق الأرض قبل السّماء وخلق السّماء قبل دحو الأرض، ودحو الأرض قبل تسوية السّماء، فارتفع التّنافي. ويرد عليه أنّ الآية الثالثة تقتضي تقدّم تسوية السّماء على دحو الأرض، والثّانية تقتضي تقدّم خلق الأرض بما فيها على تسويتها سبع سماوات، وخلق ما في الأرض قبل دحوها مستبعد. ويمكن أن يجاب بأنّ المراد بالخلق في الأولى التّقدير وهو شائع في العرف واللّغة، أو بأنّ المراد بخلق ما في الأرض خلق موادّها كما أنّ خلق الأرض قبل دحوها عبارة عن مثل ذلك فتكون تسوية السّماء متقدّمة على دحو الأرض كما هو ظاهر الآية

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٧٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٠٧.

الثّالثة، أو بأن يفرق بين تسويتها المذكورة في الثّالثة وبين تسويتها سبع سماوات كما في الأولى، وحينئذ فتسويتها مطلقاً متقدّمة على دحو الأرض، وتسويتها سبعاً متأخّرة عنه، ولعلّ هذا أوفق في الجمع، أو بأن يقال: الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بمعنى ثمّ، والمشار إليه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ هو بناء السّماء وخلقها لا مجموع ما ذكر قبله، أو بأن يقال كلمة «ثمّ» في الأولى للترتيب الذّكري، وتقديم خلق ما في الأرض في معرض الامتنان لمزيد الاختصاص، فيكون خلق ما في الأرض بعد دحوها كما هو الظّاهر، وتسوية السّماء متقدّمة عليه وعلى دحو الأرض كما هو ظاهر الآية الثّالثة. لكن هذا لا يخلو من نوع منافرة لظاهر الآية الثّانية، وقد أوردنا بعض التّوجيهات لها في شرح بعض الأخبار الآتية.

وقال البيضاويّ: كلمة «ثمّ» في آيتي البقرة والسجدة لتفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السّماء على خلق الأرض كقوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لا للتراخي في المدّة فإنّه يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ فإنّه يدلّ على تأخّر دحو الأرض المتقدّم على خلق ما فيها عن خلق السّماء وتسويتها، إلاّ أن يستأنف بدحيها مقدّراً لنصب الأرض فعلاً آخر دلّ عليه ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ مثل: تعرف الأرض وتدبّر أمرها بعد ذلك. لكنّه خلاف الظاهر «انتهى»[1].

والوجه الثاني: ممّا قد أجيب به عن أصل الإشكال أن يقال: كلمة «بعد» في الآية الثالثة ليست للتأخّر الزمانيّ، إنّما هو على جهة تعداد النعم والإذكار لها، كما يقول القائل: أليس قد أعطيتك وفعلت بك كذا وكذا وبعد ذلك خلطتك؟ وربما يكون بعض ما تقدّم في اللّفظ متأخّراً بحسب الزمان لأنّه لم يكن الغرض الإخبار عن الأوقات والأزمنة بل المراد ذكر النعم والتّنبيه عليها وربّما اقتضت الحال إيراد الكلام على هذا الوجه.

والثالث: ما ذكره الرازي، وهو أن لا يكون معنى ﴿دَحَىٰهَآ﴾ مجرّد البسط، بل يكون المراد أنّه بسطها بسطاً مهيّئاً لنبات الأقوات، وهذا هو الّذي بيّنه بقوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ وذلك لأنّ الاستعداد لا يحصل للأرض إلاّ بعد وجود السّماء، فإنّ الأرض كالأمّ والسّماء كالأبّ، وما لم يحصلا لم يتولّد أولاد المعادن والنّبات والحيوان.

والرابع: ما ذكره أيضاً وهو أن يكون قوله ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع ذلك، كقوله: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي مع ذلك، وكقولك للرجل: أنت كذا وكذا، ثمّ أنت بعدها كذا. لا تريد الترتيب، وقال تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ والمعنى: وكان، وهذا تقرير ما نقل عن ابن عبّاس وغيره قالوا في قوله ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: أي مع ذلك دحاها[2].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٨. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ٤٨.

أقول: وهذا قريب من الثاني. ثمّ المشهور أنّ خلق الأرض قبل خلق السّماء وهو الأظهر، وقيل بالعكس، نقل الواحديّ في البسيط عن مقاتل أنّه قال: خلق الله السّماء قبل الأرض، وتأويل قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ثمّ كان قد استوى وهي دخان قبل أن يخلق الأرض. فأضمر فيه كان كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ معناه: إن يكن سرق.

وقال الرازي: المختار عندي أن يقال: خلق السّماء مقدّم على خلق الأرض بقي أن يقال: كيف تأويل هذه الآية يعني آية السجدة؟ فنقول: الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فلو كان الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين لصار معنى الآية: أوجده من تراب ثمّ قال له كن فيكون، وهذا محال لأنّه يلزم أنّه تعالى قد قال لشيء وجد: كن وإذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ معناه أنّه قضى بحدوثها في يومين وقضاء الله بأنّه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال، فقضاء الله بحدوث الأرض في يومين مقدّم على إحداث السّماء ولا يلزم منه تقدّم إحداث الأرض على إحداث السّماء «انتهى»[1] ولا يخفى ما فيه وستطّلع على حقيقة الأمر في ضمن شرح الأخبار إن شاء الله تعالى.

الأخبار:

١- **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رويّة، الّذي لم يزل قائماً دائماً، إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات أرتاج، ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج، ولا فجٌّ ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق ووارثه، وإله الخلق ورازقه[2].

بيان: من غير رويّة أي تفكّر، لأنّه يستلزم الجهل السابق، وحدوث أمر فيه لم يكن، والاستكمال بعد النقص «الّذي لم يزل قائماً» أي بذاته أو بأحوال الخلق، وقد مرّ مراراً «دائماً» أي باقياً بذاته من غير علّة «ذات أبراج» أي بروج أو كواكب نيّرة. و«الحجب» جمع الحجاب والمراد هنا ما سيأتي من الحجب النورانيّة الّتي تحت العرش أو السّماوات عبّر عنها بلفظين، و«الأرتاج» في بعض النسخ بكسر الهمزة مصدر «أرتج الباب» أي أغلقه، وفي بعضها بالفتح جمع «رتج» بالتحريك، أو«رتاج» بالكسر. والأوّل الباب العظيم، والثاني الباب المغلق أو الّذي عليه باب صغير، و«الداجي» المظلم، و«الساجي» الساكن، و«الفجاج» جمع «الفجّ» بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين، و«المهاد» بالكسر:

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ١٠٧. (٢) نهج البلاغة، ص ١٨٦ خ ٨٩.

الفراش. واعتمدت على الشيء: اتّكأت عليه، وكلّ حيّ يعتمد على رجله في المشي وعلى غيرها، ويمكن أن يراد به القوّة والتصرّف. وأبدعت الشيء، وابتدعته: أي استخرجته وأحدثته، و«الابتداع» الخلق على غير مثال، و«وارثه» أي الباقي بعد فنائهم، والمالك لما ملكوا ظاهراً، ولا يخفى صراحته في حدوث العالم.

٢ - **النهج:** قال عليه السلام: الأوّل قبل كلّ أوّل، والآخر بعد كلّ آخر[١].

بيان: الغرض إثبات الأوّليّة والآخريّة الحقيقيّتين له سبحانه، وظاهر الأوّل حدوث ما سواه، واستدلّ بالثاني على ما ذهب إليه كثير من المتكلّمين من انعدام العالم بأسره قبل قيام الساعة، ويمكن أن يكون الآخريّة باعتبار أنّ كلّ ما عداه في التغيّر والتحوّل من حال إلى حال، كما ورد في الرواية، وقيل: أوّليّته بحسب الخارج، وآخريّته بحسب الذهن، أو الآخر في سلسلة الافتقار لاحتياج الكلّ إليه سبحانه.

٣ - **النهج:** قال عليه السلام: الحمد لله الدّالّ على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليّته ومنه قال عليه السلام: الحمد لله خالق العباد، وساطح المهاد، ومسيل الوهاد، ومخصب النّجاد، ليس لأوّليّته ابتداء، ولا لأزليّته انقضاء، هو الأوّل لم يزل، والباقي بلا أجل إلى قوله عليه السلام قبل كلّ غاية ومدّة، وكلّ إحصاء وعدّة إلى قوله عليه السلام لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا من أوائل أبديّة بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته[٢].

بيان: «الساطح» الباسط، و«المسيل» المجري، و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة، وأخصب الله الأرض أي جعلها كثيرة العشب والكلأ، و«النجاد» بالكسر جمع «نجد» بالفتح وهو المرتفع من الأرض «ولا لأزليّته انقضاء» أي في جانب الأبد، أي أزليّته أزليّة مقرونة بالأبديّة، ويمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الأزليّة تستلزم الأبديّة إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، أو في جانب الأزل إذا رجع الوهم إليه. ولا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزليّة به وحدوث ما سواه، إذ ذكر الصفات المشتركة بينه وبين خلقه لا يناسب مقام المدح.

ثمّ صرّح عليه السلام بذلك بقوله «لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة» ردّاً على ما زعمته الحكماء من الهيولى القديمة ونحو ذلك و«الأبد» بالتحريك الدهر، و«الدائم» و«القديم» الأزليّ كما ذكره في القاموس وقيل: الزمان الطويل الّذي ليس بمحدود، والظاهر أنّه تأكيد وتفسير للفقرة الأولى، ويحتمل أن يكون المراد الأمثلة الّتي يخلق الله تعالى الأشياء على حذوها. وفي بعض النسخ «بديّة» والبديّ كرضيّ الأوّل «من أوائل» سابقة على إيجادها.

٤ - **شرح النهج للكيدريّ:** ورد في الخبر أنّ الله تعالى لمّا أراد خلق السّماء والأرض

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٢٢ خ ١٠٠. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٠٤ خ ١٥٠.

خلق جوهراً أخضر، ثمّ ذوّبه فصار ماءً مضطرباً، ثمّ أخرج منه بخاراً كالدُّخان فخلق منه السّماء كما قال ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ثمّ فتق تلك السّماء فجعلها سبعاً، ثمّ جعل من ذلك الماء زبداً فخلق منه أرض مكّة، ثمّ بسط الأرض كلّها من تحت الكعبة ولذلك تسمّى مكّة أمّ القرى لأنّها أصل جميع الأرض، ثمّ شقّ من تلك الأرض سبع أرضين وجعل بين كلّ سماء وسماء مسيرة خمسمأة عام، وكذلك بين كلّ أرض وأرض، وكذلك بين هذه السّماء وهذه الأرض، ثمّ بعث ملكاً من تحت العرش حتّى نقل الأرض على منكبه وعنقه ومدّ اليدين فبلغت إحداهما إلى المشرق والأخرى إلى المغرب، ثمّ بعث لقرار قدم ذلك الملك بقرة من الجنّة كان لها أربعون ألف قرن وأربعون ألف رجل ويد، وبعث ياقوتاً من الفردوس الأعلى حتّى يوضع بين سنام تلك البقرة وأذنها، فاستقرّ قدما ذلك الملك على السنام والياقوت، وإنّ قرون تلك البقرة لمرتفعة من أقطار الأرض إلى تحت العرش. وإنّ مناخر أنوفها بإزاء الأرض فإذا تنفّست البقرة مدّ البحر، وإذا قبضت أنفاسها جزر البحر من ذلك، ثمّ خلق لقرار قوائم تلك البقرة صخرة، وهي الّتي حكى الله عن لقمان في قوله ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ فيزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرّات على مقدار سبع السّماوات وسبع أرضين، ثمّ خلق حوتاً وهو الّذي أقسم الله فقال: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ والنون الحوت، وأمر تعالى بوضع تلك الصخرة على ظهر ذلك الحوت وجعل ذلك الحوت في الماء وأمسك الماء على الريح ويحفظ الله الريح بقدرته.

٥ - **النهج والاحتجاج:** في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده إلى قوله عليه السلام مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته[1].

٦ - وفي خطبة أخرى مشهورة: لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله إلى قوله عليه السلام لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟ إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه إلى قوله عليه السلام يقول لما أراد كونه: كن، فيكون، لا بصوت يقرع، ولا نداء يسمع، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثّله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً، لا يقال كان بعد أن لم يكن، فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع، خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخدّ أوديتها، فلم يهن ما

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٤ خ ١٨٣.

بناه، ولا ضعف ما قوّاه - إلى قوله عليه السلام - هو المفني لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها - إلى قوله عليه السلام - وإنّه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلاّ الواحد القهّار، الّذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يتكادّه صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندّ مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضدّ مثاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لم يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذلّ وضعة إلى عزّ وقدرة[1].

إيضاح: «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» فيه وفيما بعده دلالة على أنّ علة الفاقة إلى المؤثّر الحدوث، وأنّه لا يعقل التأثير في الأزليّ القديم. وكذا قوله «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته».

«لا تصحبه الأوقات» يحتمل وجهين: أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالزمانيّات كما قال: «سبق الأوقات كونه» وثانيهما نفي الزمانيّة عنه سبحانه مطلقاً كما ذهب إليه الحكماء من أنّ الزّمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر ولا يكون فيما لا تغيّر فيه أصلاً، فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له وامتناع مقارنته سبحانه لها، وربّما يؤيّد ذلك بقوله عليه السلام: «وكيف يجري عليه ما هو أجراه؟» فإنّه عليه السلام استدلّ على عدم جريان السكون والحركة عليه بأنّه موجدهما فلا يكونان من صفاته الكماليّة، لأنّ الفعل لا يكون كمالاً للفاعل واتّصافه بهما لا على وجه الكمال يوجب التغيّر أو النقص وهذا جارٍ في الزمان أيضاً.

وكذا قوله: «ويعود فيه ما هو أبداه» أي أظهره، فقيل: المعنى أنّه سبحانه أظهر الحركة والسكون فكانا متأخّرين عنه ذاتاً، فلو كانا من صفاته لزم أن يعود المتأخّر ويصير متقدّماً لأنّ صفاته سبحانه عين ذاته فلا يجوز خلوّه عنها في مرتبة الإظهار والإيجاد، «ويحدث فيه ما هو

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٧٨ خ ١٨٤.

أحدثه» لأنّ الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد، أو لما مرّ من لزوم الاستكمال بغيره والنقص في ذاته.

«إذاً لتفاوتت ذاته» أي حصل الاختلاف والتغيّر في ذاته «ولتجزأ كنهه»، أي كانت حقيقته ذات أجزاء وأبعاض، لأنّ الحركة والسكون مستلزمان للتحيُّز المستلزم للجسميّة، أو لكان فيه ما به بالقوّة وما به بالفعل «ولامتنع من الأزل معناه» أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى، والامتناع من الأزل للجسميّة وحدوث ما لا ينفكّ عن الحركة والسكون «لا بصوت يقرع» أي يقرع الأسماع، والقرع الدقّ، وفي بعض النسخ على بناء المجهول أي يحصل من قرع شيء.

«ومثّله» أي أقامه، وقيل: البارئ تعالى مثّل القرآن لجبرئيل عليه السلام بالكتابة في اللوح، ويقال «مثّلته بين يديّ» أي أحضرته، فلمّا كان الله تعالى فعل القرآن واضحاً بيّناً كأن قد مثّله للمكلّفين - انتهى - والظاهر أنّ المراد أنّ قوله «كن فيكون» ليس المراد به الكلام الحقيقي الّذي له صوت بل كناية عن تعلّق الإرادة وتمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخُّر ولا توقُّف على أمر.

«ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً» هذا صريح في أنّ الإمكان لا يجامع القدم، وأنّ الإيجاد إنّما يكون لما هو مسبوق بالعدم، فالقول بتعدّد القدماء مع القول بإمكان بعضها قول بالنقيضين «فتجري» على المعلوم وفي بعض النسخ على المجهول.

«عليه الصفات المحدثات» في أكثر النسخ «الصفات» معرَّفة باللاّم، فالمحدثات صفة له، وفي بعضها بدون اللاّم على الإضافة وهو أنسب، أي لو كان محدثاً لجرت عليه صفات الأجسام المحدثة فلم يكن بينه وبينها فرق.

و«الفصل» القطع، والحاجز بين الشيئين، و«المبتدع» في بعض النسخ على صيغة الفاعل، وفي بعضها على صيغة المفعول، فعلى الأوّل «البديع» بمعنى المبدَع على بناء المفعول، وعلى الثاني بمعنى «المبدِع» على بناء الفاعل.

«على غير مثال خلا» أي مضى وسبق «من غير اشتغال» أي لم يشغله إمساكها عن غيره من الأمور «وأرساها» أي أثبتها «على غير قرار» أي مقرّ يتمكّن عليه بل قامت بأمره لا على شيء «بغير قوائم» أي لا كدابّة تقوم بقوائمها. و«الدعامة» بالكسر: عماد البيت الّذي يقوم عليه. وحصّنه تحصيناً أي جعله منيعاً. و«الأود» بالتحريك: الاعوجاج، والعطف للتفسير. و«التهافت» التساقط قطعة قطعة «أوتادها» أي جبالها الّتي هي للأرض بمنزلة الأوتاد «وضرب أسدادها» السدّ بالفتح وبالضمّ الجبل والحاجز بين الشيئين، وقيل: بالضمّ ما كان مخلوقاً لله تعالى وبالفتح ما كان من فعلنا. وضرب الأسداد نصبها، يقال: ضربت الخيمة أي نصبتها، أو تعيينها كضرب الخراج، ولعلّ المعنى خلق الجبال فيها والأنهار الّتي هي

كالحدود لها ليتميّز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة. وقال الجوهريّ: السُّدّ أيضاً واحد السدود وهي السحائب السود، عن أبي زيد.

«واستفاض عيونها» أي جعلها فائضة جارية «وخدّ أوديتها» أي شقّها ومنه «الأخدود» أي الحفرات المستطيلة في الأرض «حتّى يصير موجودها كمفقودها» لعلّ المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلاً أي حتّى يصير كأن لم يكن، ويحتمل أن تكون الكاف زائدة. وقوله عليه السلام «كما كان قبل ابتدائها» إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى الله تعالى، وظاهره نفي الزمان أيضاً قبل العالم، وعدم زمانيّته سبحانه إلى أن يحمل على الأزمنة المعيّنة من الليالي والأيّام والشهور والسنين ويدلّ على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود. وهذا أيضاً ينافي القدم لأنّهم أطبقوا على أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأقاموا عليه البراهين العقليّة.

«لم يتكاده» في أكثر النسخ على صيغة التفاعل وفي بعضها على صيغة التفعّل، وكلاهما بمعنى نفي المشقّة. وفي بعض النسخ «لم يتكاره» على صيغة التفاعل من الكره، يقال: فعل الأمر على تكرُّه وتكاره أي على تسخُّط وعدم الرضا به. والغرض أنّه سبحانه لم يكن مجبوراً مكرهاً في خلق الأشياء.

وآده الأمر يؤوده: أثقله و«برأه» أي خلقه، و«تشديد السلطان» إحكام السلطنة وحفظها عن تطرّق الخلل فيها، و(الندّ) بالكسر: المثل، قالوا: ولا يكون الندّ إلاّ مخالفاً. و«المكاثرة» المغالبة بالكثرة، و«الضدّ» بالكسر: النظير والكفو، وقيل، مثل الشيء وخلافه، وهو من الأضداد. «والثور» بالفتح: الهيجان والوثب، وثاوره أي واثبه، و«الشرك» بالكسر الاسم من شركته كعلمت في البيع والميراث شركة. وفي النسخ «في شركة» بالتاء موضع الضمير. «والاستئناس» اتّخاذ الأنيس ضدّ الاستيحاش، «والسأم» بالتحريك الملال، و«التصريف» التغيير وتحويل الشيء من حال إلى حال ومن وجه إلى وجه، «والثقل» بالكسر كما في بعض النسخ وكعنب كما في بعضها: ضدُّ الخفّة. و«لم يملّه» على صيغة الإفعال أي لم يجعله سئماً، وفي بعض النسخ «ولا يملّه». وذكر السرعة لأنّ الإفناء لا يستدعي زماناً طويلاً إذا كان عن قدرة كاملة، أو لأنّه إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة.

و«أتقنها» أحكمها، و«الالتماس» الطلب، والمراد طلب علم مجهول. و«الضعة» بالفتح كما في النسخ وبالكسر: انحطاط الدرجة ضدّ الرفعة، والضمير في قوله عليه السلام «يعيدها» راجع إلى الدنيا كالضمائر السابقة، وجوّز بعض شارحي النهج عودها إلى «الأمور» في قوله عليه السلام «إليه مصير جميع الأمور» وعلى أي حال ظاهره انعدام جميع المخلوقات حتّى الأرواح والملائكة ثمّ عودها فيدلّ على جواز إعادة المعدوم وقد سبق الكلام فيه في المجلّد الثالث.

٧ - **التوحيد والعيون:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه عن عمّه محمّد بن أبي القاسم عن أبي سمينة عن محمّد بن عبد الله الخراسانيّ عن الرضا عليه السلام قال: هو أيّن الأين، كان ولا أين، وهو كيّف الكيف، كان ولا كيف «الخبر»[1].

٨ - **الاحتجاج:** عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن له، فدخل وسأله عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني - جعلني الله فداك - عن كلام الله لموسى وساق الكلام[2] إلى أن قال: - فما تقول في الكتب، فقال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكلّ كتاب أُنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلّها محدثة، وهي غير الله. فقال أبو قرّة: فهل يفنى؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أجمع المسلمون على أنّ ما سوى الله فَان، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون: ربّ القرآن، وإنّ القرآن يقول يوم القيامة: يا ربّ هذا فلان - وهو أعرف به - قد أظمأت نهاره وأسهرت ليله فشفّعني فيه؟ وكذلك التوراة والإنجيل والزبور كلّها محدثة مربوبة أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون، فمن زعم أنّهنّ لم يزلن فقد أظهر أنّ الله ليس بأوّل قديم ولا واحد، وأنّ الكلام لم يزل معه وليس له بدء وليس بإله[3].

بيان: «وليس له بدء» أي ليس للكلام علّة، لأنّ القديم لا يكون مصنوعاً «وليس بإله» أي والحال أنّه ليس بإله فكيف لم يحتج إلى الصانع؟ أو الصانع يلزم أن لا يكون إلهاً لوجود الشريك معه في القدم. وفي بعض النسخ «وليس بإله له» أي يلزم أن لا يكون الله إلهاً للكلام لكونه معه دائماً.

٩ - **المهج:** بإسناده، عن أحمد بن محمّد بن غالب، عن عبد الله بن أبي حبيبة وخليل بن سالم، عن الحارث بن عمير، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدّعاء، وذكر له فضلاً كثيراً: الحمد لله الّذي لا إله إلاّ هو الملك الحقّ المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأوّل غير مصروف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبيّة، نور السّماوات والأرضين، وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثمّ علا ربّنا في السّماوات العلى، الرحمن على العرش استوى له ما في السّماوات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى إلى قوله أنت الله لا إله إلاّ أنت، كنت إذ لم تكن سماء مبنيّة، ولا أرض مدحيّة، ولا شمس مضيئة، ولا ليل مظلم، ولا نهار مضيء، ولا بحر لجّيّ، ولا جبل راس،

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ٢٠١، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٣١.

(٢) مرّ بتمامه في ج ١٠ ص ٢٤٠ ح ١ من هذه الطبعة.

(٣) الاحتجاج، ص ٤٠٥.

ولا نجم سار، ولا قمر منير، ولا ريح تهبّ، ولا سحاب يسكب، ولا برق يلمع، ولا روح تتنفّس، ولا طائر يطير، ولا نار تتوقّد، ولا ماء يطرد، كنت قبل كلّ شيء، وكوّنت كلّ شيء، وابتدعت كلّ شيء «إلى آخر الدعاء»[١].

١٠ - **ومنه:** بأسانيد ذكرها إلى ابن عبّاس وعبد الله بن جعفر، عن أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء اليمانيّ المعروف: وأنت الجبّار القدّوس الّذي لم تزل أزلياً دائماً في الغيوب وحدك، ليس فيها غيرك، ولم يكن لها سواك[٢].

١١ - **ومنه:** في دعاء علّمه جبرئيل النبيّ صلّى الله عليهما: الأوّل والآخر والكائن قبل كلّ شيء، والمكوّن لكلّ شيء، والكائن بعد فناء كلّ شيء[٣].

١٢ - **التوحيد:** عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن عيسى عن سليمان الجعفريّ، قال: قال الرضا عليه السلام: المشيّة من صفات الأفعال، فمن زعم أنّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد[٤].

بيان: لعلّ الشرك باعتبار أنّه إذا كانت الإرادة والمشيّة أزليّتين فالمراد والمُشاء أيضاً يكونان أزليّين، ولا يعقل التأثير في القديم، فيكون إلهاً ثانياً كما مرّ مراراً، أو إنّهما لمّا لم يكونا عين الذات، فكونهما دائماً معه سبحانه، يوجب إلهين آخرين بتقريب ما مرّ. ويؤيّد الأوّل ما رواه في التوحيد أيضاً عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال: إنّ المريد لا يكون إلاّ لمراد معه، بل لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد.

١٣ - **التوحيد:** بإسناده عن سلمان، قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني عن الربّ أفي الدنيا هو أو في الآخرة؟ قال عليّ عليه السلام: لم يزل ربّنا قبل الدنيا هو مدبّر الدنيا وعالم بالآخرة[٥].

١٤ - وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحمد لله الّذي كان قبل أن يكون كان، لم يوجد لوصفه كان، ثمّ قال: كان إذ لم يكن شيء ولم ينطق فيه ناطق فكان إذ لا كان[٦].

١٥ - **النهج:** من خطبة له عليه السلام: وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبساً جامداً، ثمّ فطر منه أطباقاً ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها، فاستمسكت بأمره، وقامت على حدّه، يحملها الأخضر المثعنجر، والقمقام المسخّر، قد ذلّ لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري منه لخشيته، وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها فأرساها في مراسيها، وألزمها قراراتها فمضت رؤوسها

---

(١) مهج الدعوات، ص ١٥٦-١٥٩.
(٢) مهج الدعوات، ص ١٤٧-١٥٢.
(٣) مهج الدعوات، ص ٩٥.
(٤) التوحيد للصدوق، ص ٣٣٨.
(٥) التوحيد، ص ٣١٦.
(٦) التوحيد، ص ٥٩.

في الهواء، ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها عن سهولها، وأساخ قواعدها في متون أقطارها، ومواضع أنصابها، فأشهق قلالها، وأطال أنشازها، وجعلها للأرض عماداً، وأرّزها فيها أوتاداً. فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها، أو تزول عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً، فوق بحر لجّيّ راكد لا يجري، وقائم لا يسري، تكركره الرّياح العواصف، وتمخضه الغمام الذوارف، إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى[1].

بيان: الاقتدار على الشيء القدرة عليه، و«الجبروت» فعلوت من الجبر وهو القهر، و«البديع» بمعنى المبدع بالفتح، و«اللطيف» الدقيق. وزخر البحر كمنع اي تملّأ وارتفع، و«المتراكم» المجتمع بعضه فوق بعض. وتقاصف البحر تزاحمت أمواجه. وقال ابن أبي الحديد: اليبس بالتحريك المكان يكون رطباً ثمّ ييبس، قال الله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾[2] واليبس بالسكون اليابس خلقة، يقال «حطب يبس» وهكذا يقول أهل اللغة وفيه كلام لأنّ الحطب ليس يابساً خلقة بل كان رطباً من قبل، والأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلاّ في المكان خاصّة «انتهى» والجامد ضدّ الذائب، والمراد باليبس الجامد: الأرض، و«الفطر» بالفتح: الخلق والإنشاء، و«الأطباق» بالفتح: جمع «طبق» بالتحريك وهو غطاء كلّ شيء، والطبق أيضاً من كلّ شيء ما ساواه. وقوله عليه السلام: «ففتقها» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[3] وقد مرّت الوجوه في تفسيرها، وهذا ممّا يؤيّد بعضها فتذكّر. ويدلّ على حدوث السّماوات وكونها أولي طبقات منفصلة في الحقيقة متّصلة في الصورة بعضها فوق بعض، ففتقها وفرّقها وباعد بعضها عن بعض، فحصلت سبع سماوات متميّزات بينها أفضية للملائكة.

و«الاستمساك» الاحتباس والاعتصام، والغرض عدم تفرّقها كأنّ بعضها معتصم ببعض، وقيامها على حدّه كناية عن وقوفها على ما حدّه لها من المكان والمقدار والشكل والهيئة والنهايات والطبائع وعدم خروجها عن تلك، والضمير في «حدّه» راجع إلى الله أو إلى اليبس.

وقال الكيدريّ: «الأخضر» الماء، والعرب تصفه بالخضرة و«المثعنجر» على صيغة اسم الفاعل كما في النسخ: السائل من ماء أو دمع، وبفتح الجيم: وسط البحر، وليس في البحر ما يشبهه ذكره الفيروزآباديّ. وقال الجزريّ في حديث عليّ عليه السلام «يحملها الأخضر المثعنجر» هو أكثر موضع في البحر ماء، والميم والنون زائدتان، ومنه حديث ابن عبّاس «فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المثعنجر» القرارة: الغدير الصغير.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٤٢ خ ٢٠٩.
(٢) سورة طه، الآية: ٧٧.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

و«القمقام» بالفتح كما في النسخ وقد يضمّ: البحر، ويكون بمعنى السيّد والأمر العظيم، والعدد الكثير. و«المسخّر» في بعض النسخ بالخاء المعجمة، وفي بعضها بالجيم، في القاموس: سجر النهر ملأه وتسجير الماء تفجيره. والضمير في قوله عليه السلام «منه» راجع إلى ماء البحر، أو إلى اليبس الجامد، فيكون الدخان الّذي خلق منه السّماوات مرتفعاً منه. وفي «استمسكت» إلى الأطباق، أو إلى ما يرجع إليه الضمير في يحملها وهو اليبس الجامد والتأنيث لأنّ المراد به الأرض.

و«أذعن له» أي خضع وانقاد، و«الجاري منه» أي السائل بالطبع. فوقوفه عدم جريانه طبعاً بإرادته سبحانه، أو السائل منه قبل إرادته وأمره بالجمود. ويحتمل أن تكون الضمائر في «ذلّ» و«أذعن» و«وقف» راجعة إلى الأخضر أو القمقام وهو أنسب بتذكير الضمير والجريان.

و«جبل» كنصر وضرب: أي خلق، و«الجلمد» بالفتح و«الجلمود» بالضمّ: الحجر العظيم الصلب، و«النشز» بالفتح: المكان المرتفع والجمع «نشوز» بالضمّ. والمتن: ما صلب من الأرض وارتفع، والطود بالفتح: الجبل أو العظيم منه، والضمائر راجعة إلى الأرض المعبّر عنها باليبس الجامد، و«أرساها» أي أثبتها «في مراسيها» أي في مواضعها المعيّنة بمقتضى الحكم الإلهية، و«القرارة» موضع القرار، و«رست» أي ثبتت، وفي بعض النسخ «رسبت» يقال: رسب كنصر إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت ويقال: نهد ثدي الجارية كمنع ونصر أي كعب وأشرف. والسهل من الأرض ضدّ الحزن، وساخت قوائمه في الأرض تسوخ وتسيخ أي دخلت فيها وغابت، وأساخها غيّبها. وقواعد البيت أسسه. والقطر بالضمّ: الناحية، أي غيّب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض، وقيل: أي في جوانب أقطارها. و«النصب» بالفتح ويحرّك: العلم المنصوب، وبالضمّ وبضمّتين: كلّ ما جعل علماً وكلّ ما عبد من دون الله. والمراد بالأنصاب الجبال. وبمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة. و«القلال» بالكسر جمع «قلّة» بالضمّ، وهي أعلى الجبل أو أعلى كلّ شيء، و«الشاهق» المرتفع، أي جعل قلالها مرتفعة، وإطالة الأنشاز مؤكّدة لها. والعماد بالكسر الخشبة الّتي تقوم عليها البيت والأبنية الرفيعة، والظاهر أنّ المراد بجعلها للأرض عماداً ما يستفاد من الفقرة التالية، وقيل: المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض. و«أرز» بتقديم المهملة كنصر وضرب وعلم أي ثبت، و«أرّز» بتشديد المعجمة أي أثبت، وفي أكثر النسخ بالتخفيف وفتح العين وفي بعضها بالتشديد. قال في النهاية: في كلام عليّ عليه السلام «أرّزها فيها أوتاداً» أي أثبتها، إن كانت الزاي مخفّفة فهي من أرزت الشجرة تأرز إذا ثبتت في الأرض وإن كانت مشدّدة فهي من «أرّزت الجرادة» إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها، ورززت الشيء في الأرض رزّاً: أثبتّه فيها، وحينئذ تكون الهمزة زائدة «انتهى» وقيل: وروي آرز بالمدّ من قولهم شجرة آرزة أي ثابتة في الأرض.

«فسكنت على حركتها» أي حال حركتها الّتي هي من شأنها، لأنّها محمولة على سائل متموّج كما قيل، أو على أثر حركتها بتموّج الماء «من أن تميد» أي تتحرّك وتضطرب «أو تسيخ بحملها» أي تغوص في الماء مع ما عليها. قال ابن أبي الحديد: لو تحرّكت الأرض فإمّا أن تتحرّك على مركزها أو لا، والأوّل هو المراد بقوله عليه السلام «تميد بأهلها» والثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت، وهو المراد بقوله عليه السلام «تسيخ بحملها» وأن لا تنزل إلى تحت، وهو المراد بقوله «تزول عن مواضعها» «انتهى».

ويحتمل أن يراد بقوله عليه السلام «تميد بأهلها» تحرّكها واضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة، وبسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا، فتكون الباء للتعدية، وبزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح والسيول أو بتفرّق القطعات وانفصال بعضها عن بعض، فإنّ الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرّق كما سيأتي، ويؤيّده إيراد المواضع بلفظ الجمع.

وصيغة «فعلان» بالتحريك في المصدر تدلّ على الاضطراب والتقلّب والتنقّل كالميدان والنزوان والخفقان، ولعلّ المراد بهذا الموجان ما كان غامراً للأرض أو أكثرها، وإمساكها بخلق الجبال الّتي تقدّم في الكلام. ورطوبة أكنافها أي جوانبها لميدانها قبل خلق الجبال، و«المهاد» بالكسر: الفراش، والموضع يهيّأ للصبيّ ويوطأ، و«الفراش» ما يبسط، و«اللّجّة» بالضمّ: معظم الماء، وركد كنصر أي ثبت وسكن، وسرى عرق الشجرة كرمى أي دبّ تحت الأرض.

وقال الجوهريّ: الكركرة تصريف الرياح السحاب إذا جمعته بعد تفرّق وقال «باتت تكركره الجنوب» وأصله تكرّره من التكرير وكركرته عنّي أي دفعته ورددته.

و«الرياح العواصف» الشديدة الهبوب، ومخض اللبن يمخضه مثلثة أي أخذ زبده، وفي النسخ بالفتح والضمّ. و«الغمام» جمع «غمامة» وهي السحابة البيضاء أو الأعمّ. وذرف الدمع كضرب أي سال، وذرفت عينه أي سال دمعها، وذرّف العين دمعها أي أسالها. و«من يخشى» العلماء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ويحتمل أن يكون التخصيص لأجل أنّ عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والالتفات إليها.

١٦ - **العلل**: بإسناده عن معاذ بن جبل، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده. قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور «الخبر»[1].

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٠٨ باب ١٥٦ ح ١١.

١٧ - **التوحيد والعيون:** عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن عمرو الكاتب، عن محمّد بن زياد القلزميّ، عن محمّد بن أبي زياد الجدّيّ، عن محمّد بن يحيى العلويّ عن الرضا عليه السلام في خطبته الطويلة قال: أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث - إلى قوله - سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله - إلى قوله - ففرّق بها بين قبل وبعد، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد - إلى قوله - مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها - إلى قوله - له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، ومعنى العالم إذ لا معلوم، ومعنى الخالق إذ لا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة، كيف؟ ولا تغيّبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا يوقّته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع - إلى قوله - فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه أو يعود إليه ما هو ابتداه؟ إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه - إلى قوله - ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه لله تعظيم، ولا في إبانته عن الخلق ضيم، إلاّ بامتناع الأزليّ أن يثنّى، ولما لا بدء له أن يبدأ «إلى آخر الخطبة»[1].

الاحتجاج: مرسلة مثله. «ص ١٩٨».

مجالس ابن الشيخ: عن أبيه، عن المفيد، عن الحسن بن حمزة العلويّ، عن محمّد بن عبد الله الحميريّ، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن مروك بن عبيد، عن محمّد بن زيد الطبريّ، عن الرضا عليه السلام مثله[2].

مجالس المفيد: عن الحسن بن حمزة مثله. «ص ٢٥٣ مجلس ٣٠ ح ٤».

بيان: قد مرّ شرح الخطبة في كتاب التوحيد[3]، وقد دلّت على تنافي الحدوث أي المعلوليّة والأزليّة، وتأويل الأزليّة بوجوب الوجود مع بعده يجعل الكلام خالياً عن الفائدة، ودلالة سائر الفقرات ظاهرة كما فصّلناه سابقاً، وظاهر أكثر الفقرات نفي الزمانيّة عنه سبحانه، وكذا قوله عليه السلام «إلاّ بالامتناع الأزليّ أن يثنّى» يدلّ على امتناع تعدّد القدماء، وكذا الفقرة التالية لها.

---

(١) التوحيد، ص ٣٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٣٥ باب ١١ ح ٥١.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٢ مجلس ١ ح ٢٨. (٣) مرّ في ج ٤ من هذه الطبعة.

١٨ - **التوحيد:** عن محمّد بن الحسن، عن الصفّار، وسعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، والهيثم بن أبي مسروق، ومحمّد بن الحسين كلّهم عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن إسحق بن غالب، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض خطبه: الحمد لله الّذي كان في أزليّته وحدانياً - إلى قوله - ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق، على غير مثال كان سبق لشيء ممّا خلق، ربّنا القديم بلطف ربوبيّته وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق «الخبر»[١].

١٩ - **ومنه:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن إبراهيم بن الحكم، عن عبد الله بن جرير، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه كان يقول: الحمد لله الّذي كان قبل أن يكون كان، لم يوجد لوصفه كان، بل كان أوّلاً كائناً، لم يكوّنه مكوّن جلّ ثناؤه، بل كوّن الأشياء قبل كونها، فكانت كما كوّنها، علم ما كان وما هو كائن، كان إذ لم يكن شيء، ولم ينطق فيه ناطق، فكان إذ لا كان[٢].

٢٠ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن بشر، عن محمّد بن جمهور العمّي، عن محمّد بن الفضيل، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: في الربوبيّة العظمى والإلهيّة الكبرى لا يكوّن الشيء لا من شيء إلاّ الله، ولا ينقل الشيء من جوهريّته إلى جوهر آخر إلاّ الله ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلاّ الله[٣].

٢١ - **ومنه:** عن محمّد بن إبراهيم الطالقاني، عن الحسن بن عليّ العدويّ، عن الهيثم ابن عبد الله الرمانيّ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام النّاس في مسجد الكوفة فقال: الحمد لله الّذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما كان مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبفطورها على قدمته «الخطبة»[٤].

٢٢ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم قال: قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله تعالى؟ قال: فقال: بلى، قبل أن يخلق السّماوات والأرض[٥].

٢٣ - **ومنه:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن عليّ بن إسماعيل وإبراهيم بن هاشم، جميعاً عن صفوان، عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عزّ وجلّ؟ قال: لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السّماوات والأرض[٦].

---

(١) التوحيد، ص ٤٤ باب ٢ ح ٤.
(٢) التوحيد، ص ٥٩.
(٣) (٤) التوحيد، ص ٦٨-٦٩.
(٥) - (٦) التوحيد، ص ١٣٥.

٢٤ - **ومنه:** عن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب، عن أحمد بن الفضل، عن منصور بن عبد الله، عن عليّ بن عبد الله، عن الحسين بن بشّار، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: إنّ الله العالم بالأشياء قبل كون الأشياء - إلى قوله - فلم يزل الله عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشياء، قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربّنا وتعالى علوّاً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربّنا عليماً سميعاً بصيراً[١].

٢٥ - وبهذا الإسناد عن عليّ بن عبد الله، عن صفوان، عن ابن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان[٢].

٢٦ - **ومنه:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن الفضل بن سليمان، عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ قوماً يقولون: إنّه عزّ وجلّ لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء[٣].

٢٧ - **العيون والتوحيد:** عن جعفر بن عليّ بن أحمد الفقيه القمّي، عن الحسن بن محمّد ابن عليّ بن صدقة، عن محمّد بن عبد العزيز الأنصاري، قال: حدّثني من سمع الحسن بن محمّد النوفليّ قال: قال عمران الصابيّ للرضا عليه السلام: أخبرني عن الكائن الأوّل وعمّا خلق. قال عليه السلام: سألت فافهم، أمّا الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض، ولا يزال كذلك، ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه، ولا في شيء حدّه، ولا على شيء حذّاه ومثّله له، فجعل من بعد ذلك الخلق صفوة وغير صفوة، واختلافاً وائتلافاً، وألواناً وذوقاً وطعماً، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلاّ به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاً تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيّدي، قال عليه السلام: واعلم يا عمران أنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق إلاّ من يستعين به على حاجته، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى، والحاجة يا عمران لا تسعها لأنّه لم يحدث من الخلق شيئاً إلاّ حدثت فيه حاجة أخرى، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض، وفضّل بعضهم على بعض، بلا حاجة منه إلى من فضّل، ولا نقمة منه على من أذلّ، فلهذا خلق.

قال عمران: يا سيّدي، ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف هي؟ وما معانيها؟ وعلى كم نوع

---

(١) - (٣) التوحيد، ص ١٣٦-١٣٩.

تكون؟ قال: قد سألت فافهم، إنّ حدود خلقه على ستّة أنواع: ملموس وموزون ومنظور إليه، وما لا وزن له، وما لا ذوق له وهو الروح، ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حسّ ولا لون [ولا ذوق] والتقدير والأعراض والصور والطول والعرض، ومنها العمل والحركات الّتي تصنع الأشياء وتعملها وتغيّرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها. وأمّا الأعمال والحركات فإنّها تنطلق لأنّه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر ويجري مجرى الكلام الّذي يذهب ويبقى أثره. قال له عمران: يا سيّدي، ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه أليس قد تغيّر بخلقه الخلق؟ قال له الرضا عليه السلام: لم يتغيّر عزّ وجلّ بخلق الخلق، ولكنّ الخلق يتغيّر بتغييره.

قال عمران: يا سيّدي، ألا تخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوحّد بحقيقة أو يوحّد بوصف؟ قال عليه السلام: إنّ الله المبدأ الواحد الكائن الأوّل، لم يزل واحداً لا شيء معه، فرداً لا ثاني معه، لا معلوماً ولا مجهولاً، ولا محكماً ولا متشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسيّاً، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام، ولا إلى شيء يقوم، ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكنّ، وذلك كلّه قبل الخلق إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثة، وترجمة يفهم بها من فهم.

واعلم أنّ الإبداع والمشيّة والإرادة معناها واحد، وأسماؤها ثلاثة، وكان أوّل إبداعه وإرادته ومشيّته الحروف[1] الّتي جعلها أصلاً لكلّ شيء، ودليلاً على كلّ مدرَك، وفاصلاً لكلّ مشكِل، وبتلك الحروف تفريق كلّ شيء من اسم حقّ أو باطل، أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الأمور كلّها، ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها بتناه ولا وجود لها لأنّها مبدعة بالإبداع، والنور في هذا الوضع أوّل فعل الله الّذي هو نور السّماوات والأرض، والحروف هي المفعول بذلك الفعل، وهي الحروف الّتي عليها الكلام والعبارات كلّها من الله عزّ وجلّ علّمها خلقه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدلّ على اللغات العربيّة، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدلّ على اللغات السريانيّة والعبرانيّة ومنها خمسة أحرف متحرّفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلّها وهي خمسة أحرف تحرّفت من الثمانية والعشرين الحروف من اللغات، فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً، فأمّا الخمسة المختلفة فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر ممّا ذكرناه، ثمّ جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدّتها فعلاً منه كقوله عزّ وجلّ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ و﴿كُن﴾ منه صنع وما يكون به المصنوع، فالخلق الأوّل من الله عزّ وجلّ: الإبداع، لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسّ، والخلق الثاني: الحروف، لا وزن لها ولا لون

---

(١) أقول: وفي كتاب درست، عن حسين بن موسى عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إني لأعلم أول شيء خلق، قال: وما هو؟ قال: الحروف. [النمازي].

وهي مسموعة موصوفة غيرمنظور إليها والخلق الثالث: ما كان من الأنواع كلّها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه، والله تبارك وتعالى سابق للإبداع، لأنّه ليس قبله عزّوجلّ شيء، ولا كان معه شيء، والإبداع سابق للحروف، والحروف لا تدلّ على غير أنفسها.

قال المأمون: وكيف لا تدلّ على غير أنفسها؟ قال الرضا عليه السلام: لأنّ الله عزّوجلّ لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألّف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستّة أو أكثر من ذلك أو أقلّ لم يؤلّفها لغير معنى، ولم يك إلاّ لمعنى محدَث لم يكن قبل ذلك شيئاً.

قال عمران: فكيف لنا معرفة ذلك؟ قال الرضا عليه السلام: أمّا المعرفة فوجه ذلك وبيانه أنّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها، ذكرتها فرداً فقلت: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، حتّى تأتي على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها، فإذا ألّفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها اسماً وصفة لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليلة على معانيها، داعية إلى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم، ثمّ قال: يا سيّدي، ألا تخبرني عن الإبداع أخلق هو أم غير خلق؟ قال الرضا عليه السلام: بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون، وإنّما صار خلقاً لأنّه شيء محدَث والله الّذي أحدثه، فصار خلقاً له، وإنّما هو الله عزّوجلّ وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما، فما خلق الله عزّوجلّ لم يعدُ أن يكون خلقه، وقد يكون الخلق ساكناً ومتحرّكاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً، وكلّ ما وقع عليه حدّ فهو خلق الله عزّوجلّ.

واعلم أنّ كلّ ما أوجدتك الحواسّ فهو معنى مدرَك للحواسّ، وكلّ حاسّة تدلّ على ما جعل الله عزّوجلّ لها في إدراكها، والفهم من القلب بجميع ذلك كلّه، واعلم أنّ الواحد الّذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدّراً بتحديد وتقدير، وكان الّذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدَّر وليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرَك بالآخر وجعلهما مدرَكين بنفسهما، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للّذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده، فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه، ولا يعضده ولا يكنّه، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيّته، وإنّما اختلف الناس في هذا الباب حتّى تاهوا وتحيّروا، وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم فازدادوا من الحقّ بعداً، ولو وصفوا الله عزّوجلّ بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين، ولما اختلفوا، فلمّا طلبوا من ذلك ما تحيّروا فيه ارتبكوا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم «تمام الخبر»[١].

بيان: «لا في شيء أقامه» أي في مادّة قديمة كما زعمته الفلاسفة، و«مثّله له» أي مثّل أوّلاً ذلك الشيء للشيء الكائن ثمّ خلق الكائن على حذوه كما هو شأن المخلوقين، ويحتمل أن

(١) التوحيد، ص ٤٣٠، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٦١ باب ١٣ ح ١.

يكون ضمير «له» راجعاً إلى الصانع تعالى، «والحاجة يا عمران لا يسعها» أي لا يسع خلق الحاجة ولا يدفعها، لأنّ كلّ من خلق لو كان على وجه الاحتياج لكان يحتاج لحفظه وتربيته ورزقه ودفع الشرور عنه إلى أضعافه وهكذا. «على ستّة أنواع» لعلّ **الأوّل**: ما يكون ملموساً وموزوناً ومنظوراً إليه **والثاني**: ما لا تكون له تلك الأوصاف كالروح، وإنّما عبّر عنه بما لا ذوق له اكتفاء ببعض صفاته، وفي بعض النسخ «وما لا لون له» وهو الروح وهو أظهر للمقابلة، **والثالث**: ما يكون منظوراً إليه ولا يكون ملموساً ولا محسوساً ولا موزوناً ولا لون له كالهواء والسّماء، فالمراد بكونه منظوراً إليه أنّه يظهر للنظر بآثاره، وقد يرى ولا لون له بالذات، أو يراد به الجنّ والملك وأشباههما، والظاهر أنّ قوله «ولا لون» زيد من النسّاخ. **والرابع**: التقدير، ويدخل فيه الصور والطول والعرض **والخامس** الأعراض القارّة المدركة بالحواسّ كاللون والضوء وهو الّذي عبّر عنه بالأعراض **والسادس**: الأعراض غير القارّة كالأعمال والحركات (الّتي) تذهب هي وتبقى آثارها. ويمكن تصوير التقسيم بوجوه أخر تركناها لمن تفكّر فيه.

«هل يوحّد بحقيقة» بالحاء المهملة المشدّدة، أي هل يتأتّى توحيده مع تعقّل كنه حقيقته، أو إنّما يوحّد مع تعقّله بوجه من وجوهه وصفة من صفاته، وفي بعض النسخ بالجيم من الوجدان، أي يعرف وهو أظهر، فأجاب عليه السلام بأنّه سبحانه يعرف بالوجوه الّتي هي محدثة في أذهاننا، وهي مغايرة لحقيقته تعالى، وما ذكره أوّلاً لبيان أنّه قديم أزلي، والقديم يخالف المحدثات في الحقيقة، وكلّ شيء غيره فهو حادث. وقوله عليه السلام «لا معلوماً» تفصيل وتعميم للثاني، أي ليس معه غيره: لا معلوم ولا مجهول. والمراد بالمحكم ما يعلم حقيقته وبالمتشابه ضدّه، ويحتمل أن يكون إشارة إلى نفي قول من قال بقدم القرآن، فإنّ المحكم والمتشابه يطلق على آياته. «ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى» أي إنّما خلق الحروف المفردة الّتي ليس لها موضوع غير أنفسها، ولم يجعل لها وضعاً ولا معنى ينتهى إليه ويوجد ويعرف بذلك الحرف، ويحتمل أن يكون المراد بالمعنى الصفة أي أوّل ما خلقها كان غير موصوف بمعنى وصفة ينتهى إليها ويوجد، لأنّها كانت مبدَعة بمحض الإبداع ولم يكن هناك شيء غير الإبداع والحروف حتّى يكون معنى للحروف أو صفة لها، والمراد بالنور الوجود، إذ به تظهر الأشياء كما تظهر الموجودات للحسّ بالنور، والإبداع هو الإيجاد، وبالإيجاد تصير الأشياء موجودة، فالإبداع هو التأثير، والحروف هي الأثر موجودة بالتأثير، وبعبارة أخرى: الحروف محلّ التأثير، وعبّر عنه بالمفعول والفعل، والأثر هو الوجود.

«فأمّا الخمسة المختلفة فبحجج» كذا في أكثر النسخ، أي إنّما حدثت بأسباب وعلل من انحراف لهجات الخلق، واختلاف منطقهم، لا ينبغي ذكرها. وفي بعضها «فبحح» بالحائين من «البحّة» وهي الغلظة في الصوت، والأظهر أنّه عليه السلام ذكر تلك الحروف فاشتبه على الرواة وصحّفوها، فالخمسة: «الكاف» في قولهم «بكو» أي تكلّم، و«الجيم» المنقوطة

بثلاث نقاط كما في قولهم «چه ميگوئى؟» و«الزاء» في قولهم «ژاله» و«الباء» في قولهم «پياده» و«پياله» والتاء الهنديّة. ثمّ ركّب الحروف وأوجد الأشياء وجعلها فعلاً منه، كما قال ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فكن صنع وإيجاد للأشياء، وما يوجد به هو المصنوع، فأوّل صادر عنه تعالى هو الإيجاد، وهو معنى لا وزن له ولا حركة، وليس بمسموع ولا ملوّن ولا محسوس، والخلق الثاني يعني الحروف غير موزون ولا ملوّن لكنها مسموعة موصوفة ولا يمكن إبصارها والخلق الثالث وهو ما وجد بهذه الحروف من السّماوات والأرضين وغيرهما هي محسوسة ملموسة مذوقة مبصرة فالله مقدّم بوجوده على الإبداع الّذي هو الخلق الأوّل، لأنّه ليس شيء قبله حتّى يسبقه أيضاً إبداع ولا كان شيء دائماً معه، والإبداع متقدّم على الحروف لوجودها به، ومعنى كون الحروف غير دالّة على معنى غير نفسها هو أنّ الحروف المفردة إنّما وضعت للتركيب وليس لها معنى تدلّ عليه إلاّ بعد التركيب.

قوله عليه السلام: «بل خلق ساكن» أي نسبة وإضافة بين العلّة والمعلول، فكأنّه ساكن فيهما، أو عرض قائم بمحلّ لا يمكنه مفارقته. وقوله: «لا يدركه بالسكون» أي أمر إضافيّ اعتباريّ ينتزعه العقل، ولا يشار إليه في الخارج ولا يدرك بالحواسّ وإن كان ما يتعلّق به من المحسوسات. وإنّما قلنا إنّه خلق، لأنّ هذه النسبة والتأثير غيره تعالى وهو محدَث، ولا يمكن نفي الوجود عنه رأساً لأنّه شيء حادث بعد أن لم يكن، فله خروج عن كتم العدم ودخول في نحو من أنحاء الوجود وكلّ محدَث معلول، فلا يتوهّم أنّه خلق يحتاج إلى تأثير آخر وهكذا حتّى يلزم التسلسل، بل ليس في الحقيقة إلاّ الربُّ ومخلوقه الّذي أوجده، والإيجاد معنى صار سبباً لوجود المعلول بتأثيره تعالى، فكلّ شيء خلقه الله لم يعدُ ولم يتجاوز أن يصدق عليه أنّ الله خلقه، فهذا هو معنى الإبداع لا غير، وهذا المعنى يقع عليه حدّ، وكلّ ما يقع عليه حدّ فهو خلق الله، أو يقال: أشار بقوله «والله الّذي أحدثه» إلى رفع توهّم أنّه مع كونه موجوداً حادثاً لا يجوز أن يستند إليه تعالى لأنّه حينئذ يجب أن يتعلّق به إبداع آخر وهكذا إلى غير النهاية، واستناد كلّ من هذه السلسلة موقوف على استناد سابقه فلا يحصل إلاّ بعد تحقّق الأمور الغير المتناهية وهو محال، فكذا الموقوف عليه، فأثبت عليه السلام أوّلاً استناده إليه تعالى من جهة أنّ الحادث بتبعيّة حادث آخر في مرتبته من محدِث لا يتصوّر أن يكون مستنداً إلى غيره، ثمّ أيّده ثانياً بنفي ثالث بينهما صالح لأن يستند إليه كما هو المفروض ثمّ أكّده ثالثاً بنفي ثالث صالح لذلك مطلقاً بناء على أنّ الكلام في مطلق الإبداع ومن أفراده الإبداع الأوّل الّذي لا يتصوَّر تقدُّم شيء عليه سوى الله تعالى، فسائر أفراده كذلك، لعدم الفرق ضرورة. ثمّ أوثقه رابعاً بدفع توهّم بعيد هو أن يكون مستنداً إليه ولا يكون مخلوقاً له، بالإشارة إلى أنّ الإستناد وكلّ ما يعبّر به عن هذا المعنى يرجع إلى معنى الخلق، فلا يمكن أن يكون خلقه فتجاوز عن كونه مخلوقاً له، ثمّ أحكمه خامساً بدفع شبهة لزوم التسلسل بالفرق بين حقائق الموجودات، وتفاوت مراتبها في المقتضيات، وعدم جواز

قياس بعضها على بعض في جميع الحالات، ليسهل به التصديق بجواز أن يكون حكم الموجودات الرابطيّة مخالفاً لحكم الموجودات الحقيقيّة، فلا يلزم من ثبوت إبداع لها ثبوته للرابطيّة أيضاً كما اشتهر أنّ الإرادة ليس لها إرادة أُخرى فلا يلزم التسلسل. ويمكن أن يحمل على الإشارة إلى دفع مثل هذا التسلسل باعتبار الفرق المذكور ما روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيّة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة ثمّ أفاد عليه السلام سادساً ضابطة وعلامة لمعرفة خلقه تعالى تتميماً للمقصود وتأكيداً لصحّته بأنّ كلّ ما لوجوده حدّ لم يكن قبله موجوداً، فلا بدّ له من أن يكون مخلوقاً له تعالى لثبوت الإمكان ولزوم الاحتياج.

قوله عليه السلام: «وكان الّذي خلق خلقين اثنين» لعلّه إشارة إلى الخلق الأوّل وهي الحروف، ففي خلقتها يخلق شيئان: حرف، وتحديد وتقدير قائم به، وليس شيء من الحروف و العرض القائم به ذا لون ووزن وذوق، وجعل أحدهما يدرَك بالآخر، أي الحروف تعرف بالحدود القائمة بها، فيعرف بأنّه شيء محدود، والمعنى: أنّه لو لم يكن محدوداً لم يكن مدرَكاً بالحواسّ، وجعل الحرف وحدّه كليهما مدرَكين بنفسهما لا بآثارهما، فإنّ الأمور المحسوسة إنّما تدرك بأنفسها لا بآثارها «ولم يخلق شيئاً فرداً عن الحدود والتقديرات قائماً بنفسه دون غيره» أي من غير أن يخلق معه غيره كالحدود، لأنّه أراد أن يكون حروفاً وأصواتاً دالّة على نفسه وإثبات وجوده، وما يكون دالاًّ على المعاني هادياً للناس إلى المعرفة لا يكون إلاّ محسوساً وكلّ محسوس يكون محدوداً، والمعنى أنّه أراد أن يكون محدوداً ليدلّ بكونه على هذه الحالة على إمكانه وافتقاره إلى الصانع، فيكون بوجوده بنفسه دالاًّ على الصانع لا باعتبار مدلوله، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير أوّلاً الإبداع أيضاً، والمحدَث إنّما يدرَك ويظهر بالإبداع، وفي كلّ خلق يحدث شيئان: مبدَع وإبداع متعلّق به، لكن في تطبيق ما بعده عليه يحتاج إلى نوع عناية تظهر بالتأمّل الصادق وقد سبق الخبر بتمامه مع شرحه في المجلّد الرابع وإنّما أوردنا هنا ما يناسب المقام.

٢٨ - **العيون والتوحيد:** بالإسناد المتقدّم، عن الحسن بن محمّد النوفليّ في خبر طويل يذكر فيه مناظرة الرضا عليه السلام مع سليمان المروزيّ، قال سليمان: فإنّه لم يزل مريداً. قال عليه السلام: يا سليمان! فإرادته غيره؟ قال: نعم، قال: فقد أثبتّ معه شيئاً غيره لم يزل. قال سليمان: ما أثبتُّ. فقال عليه السلام: هي محدَثة يا سليمان، فإنّ الشيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدَثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزليّاً وجرى المناظرة إلى أن قال عليه السلام: ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟ قال: بل هي فعل، قال: فهي محدَثة، لأنّ الفعل كلّه محدَث. قال: ليست بفعل قال: فمعه غيره لم يزل. قال سليمان: إنّها مصنوعة قال: فهي محدَثة - وساق الكلام إلى أن قال: - قال سليمان: إنّما عنيت أنّها فعل من الله لم يزل قال عليه السلام: ألا تعلم أنّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً وقديماً حديثاً في حالة واحدة. فلم يحر جواباً، ثمّ أعاد الكلام إلى أن قال عليه السلام: إنّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً. قال سليمان: ليس الأشياء إرادة

ولم يرد شيئاً. قال عليه السلام: وُسوِستَ يا سليمان! فقد فعل وخلق ما لم يرد خلقه وفعله؟! وهذه صفة ما لا يدري ما فعل، تعالى الله عن ذلك. ثمّ أعاد الكلام إلى أن قال عليه السلام: فالإرادة محدَثة، وإلاّ فمعه غيره[1].

الاحتجاج: مرسلاً مثله. «ص ٤٠٢».

حكم عليه السلام في هذا الخبر مراراً بأنّه لا يكون قديم سوى الله، وأنّه لا يعقل التأثير بالإرادة والاختيار في شيء لم يزل معه.

٢٩ - **العيون:** عن الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشميّ، عن فرات بن إبراهيم الكوفيّ، عن محمّد بن أحمد بن عليّ الهمدانيّ، عن العبّاس بن عبد الله البخاريّ، عن محمّد بن القاسم بن إبراهيم، عن عبد السلام بن صالح الهرويّ، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة. (الخبر)[2].

٣٠ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وفي يوم الأحد والاثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السّماوات في يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[3].

العياشيّ: عن ابن سنان، مثله، إلاّ أنّ فيه: وخلق يوم الأربعاء السّماوات، وخلق يوم الخميس أقواتها والجمعة، وذلك قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فلذلك أمسكت اليهود يوم السبت[4].

بيان: «وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير» لعلّ الغرض أنّه سبحانه ابتدأ خلق الجميع يوم الأحد، إذ خيريّته تعالى تقتضي أن لا يقدّم خلق الشرّ على خلق الخير، وابتداء خلق الخير كان يوم الأحد فلم يخلق قبله شيء أصلاً. ثمّ اعلم أنّ مدلول هذا الخبر ينافي ما مرّ من الآيات الكريمة وظواهرها من جهتين: الأولى أنّ ظاهر الآية أنّ خلق أقوات الأرض وتقديرها كان في يومين، والخبر يدلّ على أنّه خلق أقوات الأرض في يوم وأقوات السّماء في يوم. والثانية أنّ ظاهر الآية تقدّم يوميْ خلق الأقوات على يوميْ خلق السّماوات، والخبر يدلّ على تأخّر أحد يومي خلق الأقوات عنهما. ويمكن أن يجاب عن الأولى بأنّ المراد بخلق أقوات السّماء خلق أسباب أقوات أهل الأرض الكائنة في السّماء من المطر والثلج

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٥٩ باب ١٣ ح ١، التوحيد، ص ٤٤٥.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٧ باب ٢٦.

(٣) روضة الكافي، ح ١١٧.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٠ ح ٤ من سورة هود.

والألواح الّتي يقدّر فيها الأقوات والملائكة الموكّلين بها، ويؤيّده أن ليس لأهل السّماء قوت وطعام وشراب، ففي يوم واحد قدّر الأسباب الأرضيّة لأقوات أهل الأرض، وفي يوم آخر قدّر الأسباب السماويّة لها، وفي الآية نسبهما إلى الأرض لكونهما لأهلها، وفي الخبر فصّل ذلك لبيان اختلاف موضع التقديرين. وعن الثانية بنحو ممّا ذكره البيضاويّ بأن لا تكون لفظة «ثمّ» للترتيب والتراخي في المدّة.

ومن غرائب ما سنح لي أنّي لمّا كتبت شرح هذا الخبر اضطجعت فرأيت فيما يرى النائم أنّي أتفكّر في هذه الآية، فخطر ببالي في تلك الحالة أنّه يحتمل أن يكون المراد بأربعة أيّام تمامها لا تتمّتها، ويكون خلق السّماوات أيضاً من جملة تقدير أرزاق أهل الأرض، فإنّها من جملة الأسباب، ومحالّ بعض الأسباب كالملائكة العاملة والألواح المنقوشة والشمس والقمر والنجوم المؤثّرة بكيفيّاتها كالحرارة والبرودة في الثمار والنباتات، وتكون لفظة «ثمّ» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ للترتيب في الإخبار، لتفصيل ذلك الإجمال، بأنّ يومين من تلك الأربعة كانا مصروفين في خلق السّماوات والآخرين في خلق سائر الأسباب، ولولا أنّه سنح لي في هذه الحال لم أجسر على إثبات هذا الاحتمال، وإن لم يقصر عمّا ذكره المفسّرون وبه يندفع الإشكالان. وأمّا رواية العيّاشي فالظاهر أنّ فيه تصحيفاً وتحريفاً ولا يستقيم على وجه.

٣١ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** قل لهم يا محمّد ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ومعنى يومين أي وقتين: ابتداء الخلق، وانقضاؤه ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي لا تزول وتبقى ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يعني في أربعة أوقات، وهي الّتي يخرج الله فيها أقوات العالم، من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البرّ والبحر من الخلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معايش الحيوان كلّه، وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء. ففي الشتاء يرسل الله الرياح والأمطار والأنداء والطلول من السّماء فيلقح الشجر ويسقي الأرض والشجر وهو وقت بارد، ثمّ يجيء بعده الربيع وهو وقت معتدل حارّ وبارد، فيخرج الشجر ثمارها والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفاً ثمّ يجيء من بعده وقت الصيف وهو حارّ فينضج الثمار ويصلب الحبوب الّتي هي أقوات العباد وجميع الحيوان، ثمّ يجيء من بعده وقت الخريف فيطيّبه ويبرّده ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النبات من الأرض، لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً لم تنضج الثمار ولم تبلغ الحبوب، ولو كان الوقت كلّه صيفاً لاحترق كلّ شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت، ولو كان الوقت كلّه خريفاً لم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوّت به العالم، فجعل الله هذه الأقوات في هذه الأربعة الأوقات: في الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف. وقام به العالم واستوى وبقي، وسمّى الله هذه الأوقات ﴿أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يعني

المحتاجين لأنّ كلّ محتاج سائل، وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير، فهم سائلون وإن لم يسألوا. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي دبّر وخلق، وقد سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عمّن كلّم الله لا من الجنّ ولا من الإنس، فقال: السّماوات والأرض في قوله: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي خلقهنّ ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ يعني في وقتين: ابتداء، وانقضاء ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ فهذا وحي تقدير وتدبير[1].

بيان: هذا التأويل للآية أقرب ممّا مرّ، ولعلّه من بطون الآية، ولا ينافي ظاهرها. قوله «أي لا تزول وتبقى» أي المراد بالتقدير التقدير الدائميّ، ويحتمل أن يكون تفسير ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ قوله «وإن لم يسألوا» أي هم سائلون بلسان افتقارهم واضطرارهم الرّبّ سبحانه بسمع فيضه وفضله ورحمانيّته، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال.

٣٢ - **التوحيد:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن الكلينيّ، رفع الحديث إلى ابن أبي العوجاء حين كلّمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني ثمّ في اليوم الثالث فقال: ما الدليل على حدوث الأجسام؟ فقال: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلاّ وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد. فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين ما ذكرت واستدللت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها؟ فقال العالم عليه السلام: إنّما نتكلّم على هذا العالم المصنوع فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه ووضعنا غيره، ولكن أجيبك من حيث قدّرت أن تلزمنا ونقول: إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ما ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم، كما أنّ في تغييره دخوله في الحدث، ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم! فانقطع وخزي[2].

الكافي والاحتجاج: مرفوعاً مثله. وفي الاحتجاج: ولن تجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء. «الكافي ج ١ باب حدوث العالم، ح ٢، الاحتجاج ص ٣٣٥».

بيان: قد مرّ الخبر بطوله وشرحه في كتاب التوحيد، وفيه إجمال، ويحتمل أن يراد فيه بكلّ من الحدوث والقدم، الذاتيّ أو الزمانيّ فإن كان المراد الأوّل كان الغرض إثبات أنّ الأجسام ممكنة الوجود مصنوعة معلومة تحتاج إلى صانع يصنعها ويوجدها وعلى الثاني

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٤. (٢) التوحيد، ص ٤٩٧.

يكون مبنياً على ما سبق في الأخبار الكثيرة أنّ كلّ قديم لا يكون إلاّ واجباً بالذات، والمعلول لا يكون إلاّ حادثاً بالزمان، وهو أظهر، وهكذا فهمه الصدوق وأورده في باب حدوث العالم وعقّبه بالدلائل المشهورة عند المتكلّمين على الحدوث.

وقيل: حاصل استدلاله عليه السلام إمّا راجع إلى دليل المتكلّمين من أنّ عدم الانفكاك من الحوادث يستلزم الحدوث، وإمّا إلى أنّه لا يخلو إمّا أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيّرة قديماً أو يكون كلّها حوادث، وهما محالان، أمّا الأوّل فلما تقرّر عندهم أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأمّا الثاني فلاستحالة التسلسل في الأمور المتعاقبة، والأوّل أظهر.

٣٣ - **الكافي:** عن أحمد بن مهران، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن عليّ بن أسباط، عن خلف بن حمّاد، عن ابن مسكان، عن مالك الجهنيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ قال: فقال لا مقدّراً ولا مكوّناً. قال: وسألته عن قوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ قال: كان مقدّراً غير مذكور[1].

بيان: يدلّ ظاهراً على حدوث نوع الإنسان.

٣٤ - **تفسير علي بن ابراهيم:** سمّيت مكّة أمّ القرى لأنّها أوّل بقعة خلقها الله من الأرض، لقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[2].

٣٥ - **العلل والعيون:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام: لم سمّيت مكّة أمّ القرى؟ قال عليه السلام: لأنّ الأرض دحيت من تحتها. وسأل عن أوّل بقعة بسطت من الأرض أيّام الطوفان، فقال له: موضع الكعبة، وكانت زبرجدة خضراء[3].

بيان: لعلّ المراد بأيّام الطوفان أيّام تموّج الماء واضطرابه قبل خلق الأرض.

٣٦ - **إرشاد القلوب:** سئل أمير المؤمنين عليه السلام: لم سمّيت مكّة؟ قال: لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها أي دحاها[4].

٣٧ - **مجالس الصدوق والتوحيد وكنز الكراجكيّ والاحتجاج:** بأسانيدهم في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء قال عليه السلام: هذا بيت استعبد الله به خلقه - إلى قوله - خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام[5].

---

(١) الكافي، ج ١ ص ٨٤ باب البداء ح ٥.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٠ في تفسيره لسورة الشورى، الآية: ٧.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٨ باب ٢٤ ح ١.

(٤) إرشاد القلوب، ص ٣٧٧.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٤٩٣ مجلس ٩٠ ح ٤، التوحيد، ص ٢٥٣، كنز الفوائد، ج ١ ص ٧٦

٣٨ - **العلل والعيون**: في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام: علّة وضع البيت وسط الأرض أنّه الموضع الّذي من تحته دحيت الأرض، وكلّ ريح تهبّ في الدنيا فإنّها تخرج من تحت الركن الشاميّ، وهي أوّل بقعة وضعت في الأرض، لأنّها الوسط ليكون الفرض لأهل المشرق والمغرب في ذلك سواء(١).

٣٩ - **العلل**: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى، وأحمد بن إدريس عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ، عن مروان بن مسلم، عن أبي حمزة الثماليّ، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ خلق البيت قبل الأرض، ثمّ خلق [الله] الأرض من بعده، فدحاها من تحته(٢).

الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن الحسن بن عليّ، عن عدّة من أصحابنا عن الثماليّ مثله. «ج ٤ باب ١٣٠ ح ٥».

٤٠ - **العيّاشيّ**: عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّه وجد في حجر من حجرات البيت مكتوباً: إنّي أنا الله ذو بكّة خلقتها يوم خلقت السّماوات والأرض ويوم خلقت الشمس والقمر، وحففتهما بسبعة أملاك حفيفاً(٣).

٤١ - **الكافي**: عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى ومحمّد بن عبيد الله، عن عليّ بن الحديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً - يعني روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي [وأرضي وعرشي] وبحري «الخبر»(٤).

٤٢ - وعنه عن الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن عبد الله بن إدريس، عن محمّد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها «الحديث»(٥).

بيان: «لم يزل متفرّداً بوحدانيّته» أي متفرّداً بأنّه متوحّد لا شيء معه أو الباء للسببيّة أي متفرّداً بسبب أنّه كان واحداً من جميع الوجوه، وما كان كذلك فهو واجب بالذات، فيجوز عليه القدم بخلاف غيره، فإنّ القدم ينافي التكثّر والإمكان الّذي هو لازمه «فأشهدهم خلقها» أي كانوا حاضرين عند خلقها عالمين بكيفيّته، ولذا قال تعالى في شأن إبليس وذريّته

(١) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٦٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٩٧ باب ٣٣ ح ١.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨٢ باب ١٤٠ ح ٢.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٨٧ ح ٩٧.

(٤) - (٥) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ٣-٥.

وأتباعه: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ إشارة إلى أنّ المستحق للولاية والمتابعة من كان شاهداً خلق الأشياء، عالماً بحقائقها وكيفيّاتها وصفاتها والغيوب الكامنة فيها والمستنبطة منها.

٤٣ - **التوحيد:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن أبي سمينة، عن إسماعيل بن أبان، عن زيد بن جبير، عن جابر الجعفيّ قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يفسّرها لي، وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس، فقال كلُّ صنف غير ما قال الآخر! فقال أبو جعفر عليه السلام: وما ذلك؟ فقال: أسألك ما أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ من خلقه؟ فإنّ بعض من سألته قال القدرة، وقال بعضهم العلم، وقال بعضهم الروح. فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، أُخبرك أنّ الله علا ذكره كان ولا شيء غيره عزيزاً ولا عزّ لأنّه كان قبل عزّه، وذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وكان خالقاً ولا مخلوق، فأوّل شيء خلقه من خلقه الشيء الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء. فقال السائل: [فالشيء] خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، ولو خلق الشيء من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء، ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الّذي جميع الأشياء منه، وهو الماء[1].

بيان: قوله «فإنّ بعض من سألته قال القدرة» لعلّ هذا القائل زعم أنّ صفاته تعالى زائدة على ذاته مخلوقة له، كما ذهب إليه جماعة من العامّة، وسيأتي برواية الكلينيّ «القدر» فلعلّه توهّم أنّ تقديره تعالى جوهر، أو يكون مراده بالقدرة اللوح الّذي أثبت الله تعالى فيه تقديرات الأمور، وكذا القول بأنّ أوّل المخلوقات العلم مبنيّ على القول بمخلوقيّة الصفات. وفي الكافي مكانه «القلم» وهو موافق لبعض ما سيأتي من الأخبار، وسنذكر وجه الجمع بينها وبين غيرها. قوله عليه السلام: «لأنّه كان قبل عزّه» لعلّ المراد أنّه كان غالباً وعزيزاً قبل أن يظهر عزّه وغلبته على الأشياء بخلقها، ولذا قال: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ إذ فعليّة العزّة وظهورها مسبّب عنه والمعنى ولا عزّ لغيره فالمراد بالعزّة في الآية عزّة المخلوقات وفي الكافي ولا أحد كان قبل عزّه وذلك قوله أي لم يكن أحد قبل عزّه يكون عزّه به واستدلّ عليه بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ إذ هو يدلّ على أنّه سبحانه سبب كلّ عزّة، فلو كان عزّه بغيره كان ذلك الغير ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ وهذا الخبر نص صريح في الحدوث ولا يقبل التأويل بوجه.

٤٤ - **الاحتجاج وتفسير الإمام أبي محمّد العسكريّ:** عن آبائه عليهم السلام قال: احتج رسول الله صلى الله عليه وآله على الدهريّة فقال: ما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ الأشياء لا بدء لها، وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟ فقالوا: لأنّا لا نحكم إلّا بما شاهدنا، ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا

(١) التوحيد، ص ٦٦.

بأنّها لم تزل، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنّها لا تزال. فقال رسول الله ﷺ: أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاء أبداً؟ فإن قلتم إنّكم وجدتم ذلك أنهضتم لأنفسكم أنّكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك! ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذّبكم العالمون الّذين يشاهدونكم. قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبد الآبدين. قال رسول الله ﷺ: فلم صرتم بأن تحكموا بالبقاء والقدم لأنّكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضائها أولى من تارك التميّز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع لأنّه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبد الأبد؟ أولستم تشاهدون الليل والنهار واحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم فقال: أترونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم، فقال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا، فقال ﷺ: فإذن ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده، قالوا: كذلك هو، فقال: قد حكمتم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار ولم تشاهدوهما فلا تنكروا الله قدره. ثمّ قال ﷺ: أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه؟ فإن قلتم إنّه غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّله، وإن قلتم إنّه متناه فقد كان ولا شيء منهما. قالوا: نعم. قال لهم: أقلتم إنّ العالم قديم ليس بمحدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم. قال رسول الله ﷺ: فهذا الّذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض يفتقر، لأنّه لا قوام للبعض إلاّ بما يتّصل إليه، كما ترى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض، وإلاّ لم يتّسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى. قال: فإن كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوّته وتمامه هو القديم، فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون؟ وكيف إذاً كانت تكون صفته؟ قال: فبهتوا وعلموا أنّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلاّ وهي موجودة في هذا الّذي زعموا أنّه قديم، فوجموا وقالوا سننظر في أمرنا. (الخبر)[1].

بيان: ذهبت الدهريّة إلى أنّ العالم قديم زمانيّ، و قالوا إنّ الأشياء دائمة الوجود لم تزل ولا تزال، بل بعضهم أنكروا الحوادث اليوميّة أيضاً وذهبوا إلى الكمون والبروز لتصحيح قدم الحوادث اليوميّة، وأنكروا وجود ما لم تدركه الحواسّ الخمس، ولذا أنكروا وجود الصانع لعدم إدراك الحواسّ له تعالى، وقالوا وجود الموجودات من الطبائع المتعاقبة لا إلى نهاية. إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الظاهر أنّ المطلوب أوّلاً إثبات الحدوث الزمانيّ، فإنّ الظاهر من «البدء» البدء الزمانيّ، ويؤيّده قوله «وهي دائمة لم تزل ولا تزال».

وقوله: «أفوجدتم - إلى قوله - أتقولون ما قبلكم من اللّيل والنهار» إبطال إنكارهم وجود ما لا تدركه الحواسّ وإثبات لوجود الإيمان بالغيب عند قيام البرهان، وذلك لأنّهم يحكمون بالقدم وبتقدّم الليل والنهار في الأزمنة الماضية وعدم اجتماعهما فيها، مع أنّهم لم يشاهدوا

(١) الاحتجاج، ص ٣٢٥، تفسير الإمام العسكري ﷺ ص ٥٣٤.

شيئاً من ذلك، فيلزمهم أن يعترفوا بوجود ما يغيب عن حواسّهم. ويحتمل أن يكون قوله «أولستم تشاهدون اللّيل والنهار» إثباتاً للحدوث الزمانيّ جدلاً بأنّهم كما يحكمون بالقدم لعدم مشاهدة الحدوث يلزمهم أن يحكموا بالحدوث لأنّهم لم يشاهدوا القدم، والبقيّة لإثبات الإيمان بالغيب أو البقيّة لإثبات الحدوث بالدليل المشهور عند المتكلّمين من عدم الانفكاك عن الحوادث، أو أنّ الحكم بحدوث كلّ ليل ونهار يكفي لاحتياجها إلى الصانع، ولا ينفع قدم الطبيعة. ومن قول «أتقولون ما قبلكم» إلى قوله عليه السلام: «أقلتم» إثبات لانقطاع الليل والنهار من جهة الماضي، لاستحالة ما لا نهاية له وهو انقطاع الزمان، ويلزم منه انقطاع الحركات وحدوث الأجسام والأعراض القائمة بها، ومن قوله «أقلتم» إثبات لإمكان العالم المستلزم لوجود الصانع تعالى شأنه.

ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وآله تدرّج في الاحتجاج، فنزّلهم أوّلاً عن مرتبة الإنكار إلى الشكّ، ثمّ أخذ في الاحتجاج، فمن قوله «أتقولون» إلى آخر الكلام يحتمل أن يكون دليلاً واحداً حاصله: أنّه لا يخلو من أن يكون الزمان متناهياً أو غير متناه، وعلى الأوّل لا بد للأشياء لحدوثها من صانع، فقوله «فقد كان ولا شيء منهما» أي كان الصانع قبل وجود شيء منهما، ثمّ أبطل الثاني بأنّكم إنّما حكمتم بقدمها لئلاً يحتاج إلى صانع، والعقل يحكم بأنّ ما يوجب الحكم في الحادث بالحاجة إلى الصانع يحكم في القديم أيضاً. ويحتمل أن يكون إلى آخر الكلام دليلين، وقد فصّلنا الكلام فيه في المجلّد الرابع فلا نعيد هنا ودلالته على الحدوث على كلّ الوجوه ظاهرة.

٤٥ - **تفسير عليّ بن ابراهيم:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[1] وذلك في مبدأ الخلق، إنّ الربّ تبارك وتعالى خلق الهواء ثمّ خلق القلم فأمره أن يجري، فقال: يا ربّ بما أجري؟ فقال: بما هو كائن، ثمّ خلق الظلمة من الهواء، وخلق النور من الهواء، وخلق الماء من الهواء، وخلق العرش من الهواء، وخلق العقيم من الهواء - وهو الريح الشديد - وخلق النار من الهواء، وخلق الخلق كلّهم من هذه الستّة الّتي خلقت من الهواء، فسلّط العقيم على الماء فضربته فأكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء، فلمّا بلغ الوقت الّذي أراد قال للزبد: إجمد فجمد، فقال للموج: إجمد فجمد، فجعل الزبد أرضاً وجعل الموج جبالاً رواسي للأرض فلمّا أجمدهما قال للروح والقدرة: سوّيا عرشي على السّماء، فسوّيا عرشه إلى الماء، وقال للدخان: إجمد، فجمد، ثمّ قال له: ازفر، فزفر، فناداها والأرض جميعاً: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[2] ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[3]، فلمّا أخذ في رزق خلقه خلق السّماء وجنّاتها

(١) سورة هود، الآية: ٧.
(٢) سورة فصلت، الآيتان: ١١- ١٢.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دوابّ البرّ والبحر يوم الاثنين، وهما اليومان اللّذان يقول الله عزّوجلّ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾(١) وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوامّ في يوم الثلاثاء، وخلق الجانّ وهو أبو الجنّ يوم السبت، وخلق الطير في يوم الأربعاء، وخلق آدم في ستّ ساعات من يوم الجمعة، ففي هذه الستّة أيّام خلق الله السّماوات والأرض وما بينهما(٢).

بيان: «يوم السبت» ليس في بعض النسخ، وهو أظهر، وعلى تقديره وإن كان خلاف المشهور يمكن أن لا يكون الجمعة محسوباً في الستّة، لتأخّره عن خلق العالم، أو لم يحسب خلق الجانّ من خلق العالم بأنّ المراد بالعالم ما يشاهد ويرى ويكون ذكر الملائكة استطراداً لشرفهم، أو يكون بناء الحساب على التلفيق بأن يكون ابتداء الخلق من ظهر يوم السبت وانتهاؤه عند ظهر يوم الجمعة، فيكون ستّة أيّام على حساب أهل النجوم ويؤيّده قوله «في ستّ ساعات» وعلى التقادير لا يخلو عن غرابة، وسيأتي بعض القول في ذلك.

٤٦ - **التفسير:** عن أبيه عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج هشام بن عبد الملك حاجّاً ومعه الأبرش الكلبيّ، فلقيا أبا عبد الله عليه السلام في المسجد الحرام، فقال هشام للأبرش: تعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا الّذي تزعم الشيعة أنّه نبيّ من كثرة علمه! فقال الأبرش: لأسألنّه عن مسألة لا يجيبني فيها إلاّ نبيٌّ أو وصيّ نبيّ! فقال هشام [للأبرش] وددت أنّك فعلت ذلك. فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾(٣) فما كان رتقهما وما كان فتقهما؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبرش هو كما وصف نفسه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(٤) والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذٍ خلق غيرهما، والماء يومئذٍ عذبٌ فرات فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾(٥) ثمّ مكث الربّ تبارك وتعالى ما شاء، فلمّا أراد أن يخلق السّماء أمر الرياح فضربت البحور حتّى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السّماء، فجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السّماء خضراء على لون الماء العذب

(١) سورة فصلت، الآية: ٩.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٢٢ في تفسير سورة هود.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠. (٤) سورة هود، الآية: ٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

الأخضر، وكانت الأرض خضراء على لون الماء، وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبو اب ولم يكن للأرض أبو اب وهو النبت، ولم تمطر السّماء عليها فتنبت، ففتق السّماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، وذلك قوله عزّوجلّ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال الأبرش: [والله] ما حدّثني بمثل هذا الحديث أحد قطّ! أعد عليّ، فأعاد عليه وكان الأبرش ملحداً فقال: وأنا أشهد أنّك ابن نبيّ - ثلاث مرّات -[1].

٤٧ - **ومنه:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قال: في ستّة أوقات ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي علا على العرش[2].

بيان: تأويل الأيّام بالأوقات إمّا لعدم خلق الليل والنهار بعد، فأوّل اليوم بمقداره، أو المراد باليوم النوبة والمرّة فيكون خلق كلّ منها في أسرع الأزمنة وعبّر عنه باليوم مجازاً كما قيل.

٤٨ - **العيون:** عن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ، عن محمّد بن عليّ الواعظ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: كان عليّ عليه السلام في جامع الكوفة إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال: أخبرني عن أوّل ما خلق الله. قال: خلق النور. قال: فممّ خلقت السّماوات؟ قال: من بخار الماء. قال: فممّ خلقت الأرض؟ قال: من زبد الماء قال: فممّ خلقت الجبال؟ قال: من الأمواج «الخبر»[3].

بيان: يمكن أن يكون المراد بالنور نور النبيّ والأئمّة عليهم السلام كما ورد في أكثر الأخبار.

٤٩ - **التوحيد:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق: عن الكلينيّ، عن العلاّن، عن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: إعلم علّمك الله الخير أنّ الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفة دلّت العاقل على أنّه لا شيء قبله، ولا شيء معه في ديمومته فقد بان لنا بإقرار العامّة معجزة الصفة أنّه لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم أنّه كان قبله أو كان معه شيء، وذلك أنّه لو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له، لأنّه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه؟ ولو كان قبله شيء كان الأوّل ذلك الشيء لا هذا، وكان الأوّل أولى بأن يكون خالقاً للثاني[4].

الكافي: عن عليّ بن محمّد مرسلاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام مثله.

بيان: هذا الخبر صريح في الحدوث ومعلّل، وقد مرّ شرحه في كتاب التوحيد.

٥٠ - **التوحيد والعيون:** عن تميم بن عبد الله القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤ في تفسير سورة الأنبياء.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٨ في تفسير سورة الأعراف.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٨ باب ٢٤ ح ١. (٤) التوحيد، ص ١٨٦.

الأنصاريّ عن أبي الصلت الهرويّ، قال: سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السّماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدلُّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمّ رفع العرش بقدرته، ونقله فجعله فوق السّماوات السبع، ثمّ خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام وهو مستولٍ على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فتستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة. ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنّه غنيٌّ عن العرش وعن جميع ما خلق. لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علوّاً كبيراً.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة، لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء.

فقال المأمون: فرّجت عنّي يا أبا الحسن، فرّج الله عنك[1].

٥١ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن أحمد السيّاري، عن محمّد بن عبد الله بن مهران الكوفيّ، عن حنان بن سدير، عن أبيه عن أبي إسحق الليثيّ قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا إبراهيم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً خلق الأشياء لا من شيء، ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر، لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك أزليّاً بل خلق الله عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء، فكان ممّا خلق الله عزّ وجلّ أرضاً طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليه ولايتنا أهل البيت فقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها وعمّها ثمّ نضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا «الخبر»[2].

٥٢ - **العلل:** في خبر ابن سلاّم، قال: أخبرني عن أوّل يوم خلق الله عزّ وجلّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يوم الأحد قال: ولم سمّي يوم الأحد؟ قال: لأنّه واحد محدود، قال: فالاثنين؟ قال: هو اليوم الثاني من الدنيا قال: فالثلاثاء؟ قال: الثالث من الدنيا قال: فالأربعاء؟ قال: اليوم الرابع من الدنيا. قال: فالخميس؟ قال: هو يوم خامس من الدنيا،

---

(١) التوحيد، ص ٣٢٠، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٣ باب ١١ ح ٣٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٧٥ باب ٣٨٥ ح ٨١.

وهو يوم أنيس، لعن فيه إبليس، ورفع فيه إدريس. قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، ويوم شاهد ومشهود. قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت، وذلك قوله عزّوجلّ في القرآن ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فمن الأحد إلى الجمعة ستّة أيّام والسبت معطّل «الخبر»(١).

بيان: قال في القاموس: السبت الراحة والقطع. وقال في النهاية: قيل: سمّي يوم السبت لأنّ الله تعالى خلق العالم في ستّة أيّام آخرها الجمعة، وانقطع العمل فسمّي يوم السابع يوم السبت.

٥٣ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم، قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: من أيّ شيء خلق الله الأشياء؟ قال عليه السلام: من لا شيء قال: فكيف يجيء من لا شيء شيء؟ قال عليه السلام: إنّ الأشياء لا تخلو أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء فإن كان خلقت من شيء كان معه فإنّ ذلك الشيء قديم، والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغيّر، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتّى؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الّذي أنشئت منه الأشياء حيّاً؟ ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميّتاً؟ ولا يجوز أن يكون من حيّ وميّت قديمين لم يزالا، لأنّ الحيّ لا يجيء منه ميّت وهو لم يزل حيّاً، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميّت قديماً لم يزل بما نسبوا من الموت، لأنّ الميّت لا قدرة له ولا بقاء. قال: فمن أين قالوا إنّ الأشياء أزليّة؟ قال: هذه مقالة قوم جحدوا مدبّر الأشياء فكذّبوا الرسل ومقالتهم، والأنبياء وما أنبأوا عنه وسمّوا كتبهم أساطير الأوّلين، ووضعوا لأنفسهم ديناً برأيهم واستحسانهم.

إنّ الأشياء تدلّ على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهي سبعة أفلاك وتحرّك الأرض ومن عليها، وانقلاب الأزمنة واختلاف الوقت، والحوادث الّتي تحدث في العالم من زيادة ونقصان وموت وبلاء واضطرار النفس إلى القرار بأنّ لها صانعاً ومدبّراً. أما ترى الحلو يصير حامضاً، والعذب مرّاً، والجديد بالياً، وكلّ إلى تغيّر وفناء؟ - وساق الحديث إلى أن قال: - قال الزنديق: ومن زعم أنّ الله لم يزل ومعه طينة مؤذية فلم يستطع التفصّي منها إلاّ بامتزاجه بها ودخوله فيها، فمن تلك الطينة خلق الأشياء! قال عليه السلام: سبحان الله! ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة! إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهما، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء؟ وإن كانت الطينة ميّتة فلا بقاء للميّت مع الأزليّ القديم والميّت لا يجيء منه حيّ، هذه مقالة الديصانيّة أشدّ الزنادقة قولاً.

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٨ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

ثمّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواضع من هذا الخبر: لو كانت قديمة أزليّة لم تتغيّر من حال إلى حال، وإنّ الأزليّ لا تغيّره الأيّام، ولا يأتي عليه الفناء[1].

بيان: «والقديم لا يكون حديثاً» أي ما يكون وجوده أزليّاً لا يكون محدّثاً معلولاً فيكون الواجب الوجود بذاته، فلا يعتريه التغيّر والفناء. وقد نسب إلى بعض الحكماء أنّه قال: المبدع الأوّل هو مبدع الصور فقط دون الهيولى، فإنّها لم تزل مع المبدع. فأنكر عليه سائر الحكماء وقالوا: إنّ الهيولى لو كانت أزليّة قديمة لما قبلت الصور، ولما تغيّرت من حال إلى حال ولما قبلت فعل غيرها، إذ الأزليّ لا يتغيّر.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة» لعلّه مبنيّ على ما زعموا من أنّ كلّ حادث لا بدّ له من منشأ ومبدأ يشاكله ويناسبه في الذات والصفات فألزمه عَلَيْهِ السَّلَامُ بحسب معتقده، أو المراد أنّ الاحتياج إلى المادّة إن كان لعجز الصانع تعالى عن إحداث شيء لم يكن فلا بدّ من وجود الأشياء بصفاتها في المادّة حتّى يخرجها منها! وهذا محال لاستلزامه كون المادّة ذات حقائق متباينة واتّصافها بصفات متضادّة، وإن قلتم إنّها مشتملة على بعضها فقد حكمتم بإحداث بعضها من غير مادّة فليكن الجميع كذلك، وإن قلتم إنّ جوهر المادّة يتبدّل جواهر أخرى، وأعراضها أعراضاً أخرى فقد حكمتم بفناء ما هو أزليّ وهذا محال، وبحدوث شيء آخر من غير شيء وهو مستلزم للمطلوب.

وأمّا ما ذكره عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحياة والموت فيرجع إلى ما ذكرنا وملخّصه أنّه إمّا أن تكون مادّة الكلّ حيّة بذاتها أو ميّتة بذاتها أو تكون الأشياء من أصلين أحدهما حيّ بذاته والآخر ميّت، وهذا أيضاً يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون كلّ شيء مأخوذاً من كلّ من الحيّ والميّت، والثاني أن يكون الحيّ مأخوذاً من الحيّ، والميّت من الميّت، فأبطل عَلَيْهِ السَّلَامُ الأوّل بأنّه لو حصل الميّت بذاته عن الحيّ بذاته يلزم زوال الحياة الأزليّة من هذا الجزء من المادّة وقد مرّ امتناعه أو تبدّل الحقيقة الّذي يحكم العقل ضرورة بامتناعه. ولو قيل بإعدام الحيّ وإنشاء الميّت فيلزم المفسدة الأولى مع الإقرار بالمدّعى وهو حدوث الشيء لا من شيء، وبهذا يبطل الثاني وكذا الثالث، لأنّ الجزء الحيّ من المادّة يجري فيه ما سبق إذا حصل منه ميّت، وأشار إليه بقوله «لأنّ الحيّ لا يجيء منه ميّت» وأشار إلى الرابع بقوله: «ولا يجوز أن يكون الميّت قديماً» وبه يبطل الثاني والثالث أيضاً، وتقريره أنّ الأزليّ لا بدّ أن يكون واجب الوجود بذاته كاملاً بذاته، لشهادة العقول بأنّ الاحتياج والنقص من شواهد الإمكان المحوج إلى المؤثّر والموجد فلا يكون الأزليّ ميّتاً. وربّما يحمل الحيّ في هذا الخبر على الموجود، والميّت على الاعتباريّ المعدوم. والظاهر أنّ أكثر الكلام مبني على مقدّمات موضوعة مسلّمة عند الخصم. وقد مرّ الخبر بتمامه وشرحه في الجملة في المجلّد الرابع.

---

(١) الإحتجاج، ص ٣٣٧.

٥٤ - **التوحيد:** عن أبيه وابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، قال: قال موسى بن جعفر عليه السلام: هو الأوّل الّذي لا شيء قبله والآخر الّذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدَث، تعالى عن صفات المخلوقين علوّاً كبيراً[1].

٥٥ - **ومنه:** عن الفضل بن عبّاس الكنديّ، عن محمّد بن سهل، عن عبد الله بن محمّد البلويّ عن عمارة بن زيد، عن عبيد الله بن العلاء، عن صالح بن سبيع، عن عمرو بن محمّد بن صعصعة، عن أبيه، عن محمّد بن أوس عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة: لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا من أوائل كانت قبله بديّة، بل خلق ما خلق وأتقن خلقه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته «الخبر»[2].

٥٦- **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمّد بن أورمة عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جوين العبديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقول: الحمد لله الّذي كان إذ لم يكن شيء غيره، وكوّن الأشياء فكانت كما كوّنها وعلم ما كان وما هو كائن[3].

٥٧- **ومنه:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار، قال: كتب أبو جعفر عليه السلام في دعاء: يا ذا الّذي كان قبل كلّ شيء، ثمّ خلق كلّ شيء «الخبر»[4].

٥٨- **ومنه:** عن ابن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الصقر بن دلف عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: يا ابن دلف، إنّ الجسم محدث والله محدثه ومجسّمه «الخبر»[5].

٥٩- **ومنه:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن عليّ بن حمّاد، عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام يصف فيه الباريء تعالى: كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم تكن أرض ولا سماء، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا سحاب، ولا مطر ولا رياح، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يخلق خلقاً يعظّمون عظمته، ويكبّرون كبرياءه، ويجلّون جلاله، فقال: كونا ظلّين، فكانا[6].

أقول: تمام الخبر في باب جوامع التوحيد.

٦٠ - **ومنه:** عن ماجيلويه، عن عمّه، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك

---

(١) التوحيد، ص ٧٦.
(٢) التوحيد، ص ٧٨.
(٣) التوحيد، ص ٧٥.
(٤) التوحيد، ص ٤٧.
(٥) التوحيد، ص ١٠٤.
(٦) التوحيد، ص ٢٨.

وتعالى كان ولا شيء غيره «الخبر»[١].

٦١ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان ولا شيء غيره، ولم يزل الله عالماً بما كوّن، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كوّنه[٢].

٦٢ - **ومنه:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن بشر، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه فأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول «هي هو» أنّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: لم تزل هذه الصفات والأسماء، فإنّ «لم تزل» يحتمل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها فنعم، وإن كنت تقول: لم تزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرّعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذكره وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذّكر هو الله القديم الّذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات والمعنيّ بها هو الله «الخبر»[٣].

الاحتجاج: عن الجعفريّ مثله. «ص ٤٤١».

الكافي: عن محمّد بن أبي عبد الله رفعه إلى أبي هاشم الجعفريّ مثله. «ج ١ ص ٦٠ ح ٧».

أقول: قد مرّ شرحه في كتاب التوحيد، ودلالته على المدّعى صريحة.

٦٣ - **التوحيد والكافي:** روي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام: أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال عليه السلام: «أين» سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان[٤].

٦٤ - **الاحتجاج:** سئل أبو الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام عن التوحيد فقيل: لم يزل الله وحده لا شيء معه، ثمّ خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه أحسن الأسماء، أو لم تزل الأسماء والحروف معه قديمة؟ فكتب: لم يزل الله موجوداً ثمّ كوّن ما أراد «الخبر»[٥].

٦٥ - **التوحيد:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن الكلينيّ رفعه قال: سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله عليه السلام فقال: ما الدليل على حدوث الأجسام؟ فقال: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلّا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأولى دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد «الخبر»[٦].

---

(١) التوحيد، ص ١٤٠. (٢) التوحيد، ص ١٤٥. (٣) التوحيد، ص ١٩٣.
(٤) التوحيد، ص ١٧٥. (٥) الاحتجاج، ص ٤٤٩. (٦) التوحيد، ص ٤٩٧.

٦٦ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن العبّاس بن معروف، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الرحيم، قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، اختلف الناس في القرآن، فزعم قوم أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال آخرون: كلام الله مخلوق. فكتب عليه السلام: القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، كان الله عزّ وجلّ ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول، وكان عزّ وجلّ ولا متكلّم ولا مريد ولا متحرّك ولا فاعل جلّ وعزّ ربّنا فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه عزّ وجلّ ربّنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم وخبر ما يكون بعدكم، أنزل من عند الله على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

قال الصدوق رحمه الله: معنى قوله عليه السلام: «غير مخلوق» غير مكذوب، ولا يعني به أنّه غير محدَث، لأنّه قد قال «محدث غير مخلوق وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره»(٢) وإنّما منعنا من إطلاق المخلوق عليه لأنّ المخلوق في اللغة قد يكون مكذوباً ويقال «كلام مخلوق» أي مكذوب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي كذباً.

أقول: الظاهر أنّ فيه نوعاً من التقيّة أو الاتّقاء لامتناع المخالفين من إطلاق هذا اللفظ على القرآن أشد الامتناع.

٦٧ - **قصص الراوندي:** بإسناده إلى الصدوق، عن أبيه وابن الوليد معاً عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله لما خلق الأرضين خلقها قبل السّماوات(٣).

أقول: تمامه في باب العوالم.

٦٨ - **البصائر:** عن أحمد بن محمّد وعبد الله بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن سدير، قال: سأل حمران أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال عليه السلام: إنّ الله ابتدع الأشياء كلّها على غير مثال كان وابتدع السماوات والأرض ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؟(٤)

العياشي: عن حمران مثله. «ج ٢ ص ٤٠٢ ح ٧٦ من سورة الأنعام».

٦٩ - **ثواب الأعمال:** عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد البرقي، عن أبيه، عن

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ٢٢٩. (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٥.
(٤) بصائر الدرجات، ص ١١٧ ج ٢ الباب الأخير، ح ١.

محمّد بن سنان، عن أبي العلاء، عن أبي خالد الصيقل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء، فلمّا رأى الأشياء قد انقادت له قال: من مثلي؟ فأرسل الله عزّ وجلّ نويرة من نار. قال: وما نويرة من نار؟ قال: نار بمثل أنملة. قال: فاستقبلها بجميع ما خلق فتخلّلت لذلك حتّى وصلت إليه لما أن دخله العجب[١].

المحاسن: عن أبيه، عن ابن سنان مثله. «ج ١ ص ٢١٤ ح ٣٩١».

٧٠ - **ومنه:** عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان وليس شيء غيره، نوراً لا ظلام فيه، وصدقاً لا كذب فيه، وعلماً لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه، وكذلك لا يزال أبداً[٢].

٧١ - **العياشي:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه، وكان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يجري، ولم يكن غير الماء خلق، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح الأربع فضربن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد زبدة واحدة فجمعه في موضع البيت، فأمر الله فصار جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، ثمّ قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[٣].

٧٢ - **ومنه:** عن عيسى بن أبي حمزة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، إنّ الناس يزعمون أنّ الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة فقال: ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام، فتركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثمّ بدا لله بداء، فخلق فيها خلقاً ليس من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الإنس وقدّر لهم عشرة آلاف عام، فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمّر الله عليهم تدميراً ثمّ تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثمّ خلق فيها الجنّ، وقدّر لهم عشرة آلاف عام فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت بنو الجانّ، فأهلكهم الله. ثمّ بدا لله فخلق آدم وقدّر له عشرة آلاف، وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام ومائتان وأنتم في آخر الزمان[٤].

٧٣ - **تفسير الإمام:** قال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾[٥]: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الماء فجعل عرشه

---

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٩٩. (٢) المحاسن، ج ١ ص ٣٧٧.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢١٠ ح ٩١ من سورة آل عمران.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٩ ح ٨ من سورة البقرة.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

عليه قبل أن يخلق السماوات والأرض وذلك قوله عزّوجلّ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ يعني وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، فأرسل الله الرياح على الماء، فتفجّر الماء من أمواجه، فارتفع عنه الدخان، وعلا فوق الزبد، فخلق من دخانه السماوات السبع، فخلق من زبده الأرضين السبع، فبسط الأرض على الماء، وجعل الماء على الصفا، والصفا على الحوت، والحوت على الثور، والثور على الصّخرة الّتي ذكرها لقمان لابنه فقال ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[1] والصخرة على الثرى، ولا يعلم ما تحت الثرى إلاّ الله. فلمّا خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثمّ بسطها على الماء، فأحاطت بكلّ شيء، ففخرت الأرض وقالت: أحطت بكلّ شيء فمن يغلبني؟ وكان في كلّ أذن من آذان الحوت سلسلة من ذهب مقرونة الطرف بالعرش، فأمر الله الحوت فتحرّكت فتكفّأت الأرض بأهلها كما تكفأ السفينة على متن الماء قد اشتدت أمواجه، ولم تستطع الأرض الامتناع، ففخرت الحوت وقالت: غلبت الأرض الّتي أحاطت بكلّ شيء فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ الجبال فأرساها، وثقل الأرض بها، فلم يستطع الحوت أن يتحرّك، ففخرت الجبال وقالت: غلبت الحوت الّتي غلبت الأرض فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ الحديد، فقطعت به الجبال، ولم يكن عندها دفاع ولا امتناع، ففخر الحديد وقال: غلبت الجبال الّتي غلبت الحوت فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ النار فألانت الحديد وفرّقت أجزاءه ولم يكن عند الحديد دفاع ولا امتناع، ففخرت النار وقالت: غلبت الحديد الّذي غلب الجبال فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ الماء فأطفأ النار ولم يكن عندها دفاع ولا امتناع، ففخر الماء وقال: غلبت النار الّتي غلبت الحديد فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ الريح فأيبست الماء ففخرت الريح وقالت: غلبت الماء الّذي غلب النار فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ الإنسان فصرف الرياح عن مجاريها بالبنيان ففخر الإنسان وقال: غلبت الريح الّتي غلبت الماء فمن يغلبني؟ فخلق الله عزّوجلّ ملك الموت فأمات الإنسان ففخر ملك الموت وقال: غلبت الإنسان الّذي غلب الريح فمن يغلبني؟ فقال الله عزّوجلّ : أنا القهّار الغلاّب الوهّاب، أغلبك وأغلب كلّ شيء، فذلك قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[2].

٧٤ - **العياشي:** عن أبي جعفر عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، فالسنة تنقص ستّة أيّام[3].

بيان: لعلّ المعنى أنّ مقتضى ظاهر الحال كان تساوي الشهور وكون كلّها ثلاثين يوماً،

---

(١) سورة هود، الآية: ٧. (٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ١٤٤.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٨ ح ٦ من سورة يونس.

فأسقط الله الستّة عن الشهور، وجعل حركة القمر بحيث تصير السنة القمرية ثلاث مائة وأربعة وخمسين يوماً، ولذا تطلق السنة في عرف الشرع وعرف العرب على الثلاث مائة والستّين، مع أنّه لا يوافق حركة الشمس ولا حركة القمر والله يعلم.

٧٥ - **العياشي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه خلق الأرض قبل السماء ثمّ استوى على العرش لتدبير الأمور[١].

ومنه: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه، وكان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يجري.

٧٦ - **ومنه:** عن محمّد بن عمران العجليّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؟ قال: كانت مهاة بيضاء. يعني درّة[٢].

٧٧ - **المناقب:** سأل ضباع الهنديّ: ما أصل الماء؟ قال عليه السلام: أصل الماء من خشية الله[٣].

بيان: أي خشية الله صار سبباً لذوبان الدرّة وصيرورتها ماءً كما سيأتي.

٧٨ - **تنبيه الخواطر:** للورّام: عن ابن عبّاس عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: إنّ الله تعالى أوّل ما خلق الخلق خلق نوراً ابتدعه من غير شيء، ثمّ خلق منه ظلمة، وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء، ثمّ خلق من الظلمة نوراً، وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثمّ زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعداً، ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة، ثمّ خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبّح الله كلّ لسان منها بعشرة آلاف لغة ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء، من دون حجب الضباب[٤].

٧٩ - **تفسير الفرات:** عن عبيد بن كثير معنعناً عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قال: شهدت أبي عند عمر بن الخطّاب وعنده كعب الأحبار وكان رجلاً قد قرأ التوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام، فقال له عمر: يا كعب، من كان أعلم بني إسرائيل بعد موسى بن عمران عليه السلام؟ قال: كان أعلم بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يوشع بن نون، وكان وصيّ موسى بن عمران بعده وكذلك كلّ نبيّ خلا من بعد موسى بن عمران كان له وصيّ يقوم في أمّته

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٨ ح ٨ من سورة يونس.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٠ ح ٦ من سورة هود.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٥٤.
(٤) تنبيه الخواطر ح ٢ ص ٥ ومرّ تمام الخبر في ج ١٠ ص ٧٠ ح ٦. [النمازي].

من بعده. فقال له عمر: فمن وصيّ نبيّنا وعالمنا؟ أبو بكر؟ قال وعليٌّ ساكت لا يتكلّم. فقال كعب: مهلاً! فإنّ السكوت عن هذا أفضل، كان أبو بكر رجلاً خطا بالصلاح فقدّمه المسلمون لصلاحه ولم يكن بوصيّ، فإنّ موسى بن عمران لمّا توفّي أوصى إلى يوشع بن نون فقبله طائفة من بني إسرائيل وأنكرت فضله طائفة، وهي الّتي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[1] وكذلك الأنبياء السالفة والأمم الخالية لم يكن نبيٌّ إلاّ وقد كان له وصيٌّ يحسده قومه ويدفعون فضله! فقال: ويحك يا كعب! فمن ترى وصيّ نبيّنا؟ قال كعب: معروف في جميع كتب الأنبياء والكتب المنزلة من السّماء «عليّ أخو النبيّ العربيّ عليه السلام يعينه على أمره ويوازره على من ناواه وله زوجة مباركة وله منها ابنان يقتلهما أمّته من بعده، ويحسدون وصيّه كما حسدت الأمم أوصياء أنبيائها، فيدفعونه عن حقّه، ويقتلون ولده من بعده كحذو الأمم الماضية». قال: فأفحم عندها وقال: يا كعب! لئن صدقت في كتاب الله المنزل قليلاً فقد كذبت كثيراً! فقال كعب: والله ما كذبت في كتاب الله قطّ، ولكن سألتني عن أمر لم يكن لي بدٌّ من تفسيره والجواب فيه، فإنّي لأعلم أنّ أعلم هذه الأمّة أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بعد نبيّها، لأنّي لم أسأله عن شيء إلاّ وجدت عنده كلّ ما تصدّقه به التوراة وجميع كتب الأنبياء عليهم السلام فقال له عمر: اسكت يا ابن اليهوديّ! فوالله إنّك لكثير التخرّص بالكذب فقال كعب: والله ما علمت أنّي كذبت في شي من كتاب الله منذ جرى لله عليّ الحكم، ولئن شئت لألقينّ عليك شيئاً من علم التوراة فإن فهمته فأنت أعلم منه، وإن فهم فهو أعلم منك. فقال له عمر: هات بعض هناتك فقال كعب: أخبرني عن قول الله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ فأين كانت الأرض؟ وأين كانت السماء؟ وأين كان جميع خلقه؟ فقال له عمر: ومن يعلم غيب الله منّا إلاّ ما سمعه رجل من نبيّنا؟ قال: ولكن إخال أبا حسن لو سئل عن ذلك لشرحه بمثل ما قرأناه في التوراة. فقال له عمر: فدونك إذا اختلف المجلس. قال: فلمّا دخل عليّ عليه السلام على عمر وأصحابه أرادوا إسقاط أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال كعب: يا أبا الحسن أخبرني عن قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: نعم، كان عرشه على الماء حين لا أرض مدحيّة، ولا سماء مبنيّة ولا صوت يسمع، ولا عين تنبع، ولا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا نجم يسري، ولا قمر يجري، ولا شمس تضيء، وعرشه على الماء، غير مستوحش إلى أحد من خلقه، يمجّد نفسه ويقدّسها كما شاء أن يكون كان، ثمّ بدا له أن يخلق الخلق، فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق

---

(١) سورة الصف، الآية: ١٤.

الله، فبنى بها سماء رتقاً، ثمّ دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار، ثمّ فتقها بالبنيان وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة، ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان من ذلك الماء الّذي أنشأه من تلك البحور، فجعلها سبعاً طباقاً بكلمته الّتي لا يعلمها غيره وجعل في كلّ سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهو بحر الرحمة، وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقديس، فلمّا قضى أمره وخلقه استوى على ملكه فمدح كما ينبغي له أن يمدح، ثمّ قدّر ملكه فجعل في كلّ سماء شهباً معلّقة كواكب كتعليق القناديل من المساجد لا يحصيها غيره تبارك وتعالى، والنجم من نجوم السّماء كأكبر مدينة في الأرض، ثمّ خلق الشمس والقمر فجعلهما شمسين، فلو تركهما تبارك وتعالى كما كان ابتدأهما في أوّل مرّة لم يعرف خلقه الليل من النّهار، ولا عرف الشهر ولا السنة، ولا عرف الشتاء من الصيف، ولا عرف الربيع من الخريف، ولا علم أصحاب الدَّين متى يحلّ دينهم، ولا علم العامل متى يتصرّف في معيشته ومتى يسكن لراحة بدنه، فكان الله تبارك وتعالى لرأفته بعباده نظر لهم فبعث جبرئيل عليه السلام إلى إحدى الشمسين فمسح بها جناحه فأذهب منها الشعاع والنور وترك فيها الضوء، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾(١) وجعلهما يجريان في الفلك، والفلك بحر فيما بين السّماء والأرض مستطيل في السّماء، استطالته ثلاثة فراسخ يجري في غمرة الشمس والقمر، كلّ واحد منهما على عجلة يقودهما ثلاثمائة ملك بيد كلّ ملك منها عروة يجرونها في غمرة ذلك البحر، لهم زجل بالتهليل والتسبيح والتقديس، لو برز واحد منهما من غمر ذلك البحر لاحترق كلّ شيء على وجه الأرض حتّى الجبال والصخور وما خلق الله من شيء، فلمّا خلق الله السماوات والأرض والليل والنهار والنجوم والفلك وجعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فأثبتها بالجبال، فلمّا استكمل خلق ما في السماوات، والأرض يومئذٍ خالية ليس فيها أحد قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢). فبعث الله جبرئيل عليه السلام فأخذ من أديم الأرض قبضة فعجنه بالماء العذب والمالح وركّب فيه الطبائع قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمّي «آدم» لأنّه لمّا عجن بالماء استأدم فطرحه في الجبل كالجبل العظيم، وكان إبليس يومئذ خازناً على السماء الخامسة يدخل في منخر آدم ثمّ يخرج من دبره، ثمّ يضرب بيده على بطنه فيقول: لأيّ أمر خلقت؟ لئن جعلت فوقي لا أطعتك، وإن جعلت أسفل منّي لا أعينك! فمكث في الجنّة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح فخلقه من ماء وطين، ونور وظلمة، وريح ونور من نور الله، فأمّا النور فيورثه الإيمان، وأمّا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الظلمة فيورثه الكفر والضلالة، وأمّا الطين فيورثه الرعدة والضعف والاقشعرار عند إصابة الماء، فينبعث به على أربع الطبائع: على الدم، والبلغم، والمرار، والريح. فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[1]. قال: فقال كعب: يا عمر! بالله أتعلم كعلم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب؟ فقال: لا فقال كعب: عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ الأنبياء، ومحمّد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وعليّ خاتم الأوصياء، وليس على الأرض اليوم منفوسة إلا وعليّ بن أبي طالب أعلم منه، والله ما ذكر من خلق الإنس والجنّ والسّماء والأرض والملائكة شيئاً إلاّ وقد قرأته في التوراة كما قرأ! قال: فما رئي عمر غضب قط مثل غضبه ذلك اليوم[2].

بيان: الخرص: الكذب والقول بالظنّ، والتخرّص: الافتراء. «بعض هناتك» أي شرورك، أو كلماتك العجيبة «ولكن إخال» بكسر الهمزة وقد تفتح أي أظنّ «ثمّ فتقها بالبنيان» لعلّ المراد جعل الفرج بين قطعاتها فصارت كالبنيان أو جعل فيها البناء والعمارة فقسمت بالأقاليم على قول. والجبل بالفتح الساحة. وكان في الخبر تصحيفات وهو مشتمل على رموز ولعلّنا نتكلّم في بعض أجزائه في موضع يناسبه.

٨٠ - **الكافي:** عن محمّد بن الحسن، عن سهل، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن ابن كثير، عن داود الرقيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه! فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً، ووصفه بصفة المخلوق ولزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه! قلت: بيّن لي جعلت فداك، فقال: إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء، أو جنّ أو إنس، أو شمس أو قمر، فلمّا أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة. فقالوا: نعم، ربّنا أقررنا. فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذريّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟ يا داود ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق[3].

التوحيد: عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن جزعان بن نصر الكنديّ، عن سهل مثله[4].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٧. (٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٨٣.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٦ باب العرش والكرسي ح ٧.

(٤) التوحيد، ص ٣١٩.

بيان: ظاهره أنّ الله سبحانه أعطى الماء حالة صار قابلاً لحمل دينه وعلمه ويحتمل أن يكون المعنى أنّه لمّا كان الماء أوّل المخلوقات وكان الله تعالى جعله قابلاً لأن يخرج منه خلقاً يكونون قابلين لعلمه ودينه وكان يهيّئ أسباب خروجهم منه فكأنّه حمّل دينه وعلمه الماء، ومن يسلك مسلك الحكماء قد يؤوّل الماء بالعقل وقد يؤوّله بالهيولى، ونحن من ذلك بمعزل بفضله تعالى.

٨١ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد عن محمّد بن داود، عن محمّد بن عطيّة قال: جاء إلى أبي جعفر عليه السلام رجل من أهل الشام من علمائهم فقال: يا أبا جعفر! جئت أسألك عن مسألة قد أعيت عليّ أن أجد أحداً يفسّرها! وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الّذي قال الصنف الآخر. فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما ذاك؟ قال: فإنّي أسألك عن أوّل ما خلق الله من خلقه، فإنّ بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح. فقال أبو جعفر: ما قالوا شيئاً! أخبرك أنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه، وذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أوّل ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدّمه، ولكنّه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء الّذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماء، ثمّ سلّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتّى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط، ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق الماء، ثمّ خلق الله النار من الماء، فشققت النار متن الماء حتّى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ قال: ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا سحاب، ثمّ طواها فوضعها فوق الأرض، ثمّ نسب الخليقتين، فرفع السّماء قبل الأرض، فذلك قوله عزّ ذكره ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ يقول: بسطها.

قال: فقال له الشاميّ: يا أبا جعفر! قول الله عزّ وجلّ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: فلعلّك تزعم أنّهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى؟ فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: استغفر ربّك! فإنّ قول الله عزّ وجلّ ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ يقول: كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ، فلمّا خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبثّ فيها من كلّ دابّة فتق السّماء بالمطر، والأرض بنبات الحبّ. فقال الشاميّ: أشهد أنّك من ولد الأنبياء، وأنّ علمك

علمهم[1].

توضيح: قوله عليه السلام «ولو كان أوّل ما خلق» أي لو كان كما تزعمه الحكماء كلّ حادث مسبوقاً بمادّة فلا يتحقّق شيء يكون أوّل الأشياء من الحوادث، فيلزم وجود قديم سوى الله تعالى وهو محال «فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء» أي بأن خلق جميعها منه، لا بقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ لأنّه ظاهراً مختصّ بذوي الحياة، إلاّ أن يقال: المراد بكلّ شيء هنا أيضاً ذوو الحياة، أو يقال: انتساب ذوي الحياة إليه مستلزم لانتساب غيرهم أيضاً من العناصر لأنّها جزء الحيوان. «ثمّ نسب الخليقتين» أي رتّبهما في الوضع، وجعل إحداهما فوق الأخرى، أو بيّن نسبة خلقهما في كتابه بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ فبيّن أنّ دحو الأرض بعد رفع السماء.

٨٢ - **الكافي:** عن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، والحجّال عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: كان كلّ شيء ماء، وكان عرشه على الماء، فأمر الله عزّ وجلّ الماء فاضطرم ناراً، ثمّ أمر النّار فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد، ثمّ اختصم الماء والنار والريح، فقال الماء: أنا جند الله الأكبر، وقال الريح: أنا جند الله الأكبر، وقالت النار: أنا جند الله الأكبر، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الريح: أنت جندي الأكبر[2].

بيان: «وخلق الأرض من الرماد» لعلّ المراد بقيّة الأرض الّتي حصلت بعد الدحو، ويحتمل أيضاً أن يكون الزبد المذكور في الأخبار الأخر مادّة بعيدة للأرض بأن يكون الرماد تكوّن من الزبد، ومن الرماد تكوّنت الأرض، أو يكون الرماد أحد أجزاء الأرض مزج بالزبد فجمد الزبد بذلك المزج وتصلّب.

٨٣ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّة قبل أن يخلق النار، وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية، وخلق الرحمة قبل الغضب، وخلق الخير قبل الشرّ، وخلق الأرض قبل السماء، وخلق الحياة قبل الموت، وخلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل أن يخلق الظلمة[3].

بيان: لعلّ المراد بخلق الطاعة تقديرها، بل الظاهر في الأكثر ذلك، والخلق بمعنى التقدير شائع، والمراد بخلق الشرّ خلق ما يترتّب عليه شرّ ظاهراً وإن كان خيره غالباً ووجوده صلاحاً.

---

(١) - (٢) روضة الكافي، ح ٦٧-٦٨.

(٣) روضة الكافي، ح ١١٦.

٨٤ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً إلاّ وقد أمّر عليه آخر يغلبه فيه، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السحاب السفلى فخرت وزخرت وقالت أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلّت، ثمّ إنّ الأرض فخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها أوتاداً من أن تميد بما عليها فذلّت الأرض واستقرّت، ثمّ إنّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الحديد فقطعها فقرّت الجبال وذلّت، ثمّ إنّ الحديد فخر على الجبال وقال: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق النار فأذابت الحديد فذلّ الحديد، ثمّ إنّ النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الماء فأطفأها فذلّت النار، ثمّ إنّ الماء فخر وزخر وقال: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الريح فحرّكت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه فذلّ الماء، ثمّ إنّ الريح فخرت وعصفت ولوّحت أذيالها وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الإنسان فبنى واحتال واتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح، ثمّ إنّ الإنسان طغى وقال: من أشد منّي قوّة؟ فخلق الله له الموت فقهره فذلّ الإنسان، ثمّ إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله عزّ وجلّ: لا تفخر فإنّي ذابحك بين الفريقين أهل الجنّة وأهل النار، ثمّ لا أُحييك أبداً فتُرجى وتُخاف. وقال أيضاً: والحلم يغلب الغضب، والرحمة تغلب السخط، والصدقة تغلب الخطيئة. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: وما أشبه هذا ممّا قد يغلب غيره![1].

إيضاح: في القاموس: زخر البحر كمنع زخراً وزخوراً وتزخّر طما وتملّأ، والوادي مدّ جدّاً وارتفع، والنبات طال، والرجل بما عنده فخر «انتهى» والظاهر أنّ هذه الجمل جرت على سبيل الاستعارة التمثيلية لبيان أنّ سوى الحقّ تعالى مقهور مغلوب من غيره، والله سبحانه هو الغالب القاهر لجميع ما سواه، وأنّه سبحانه بحكمته دفع في الدنيا عادية كلّ شيء بشيء ليستقيم للناس التعيّش فيها. و«الميد» الحركة والاضطراب.

وقال الجوهريّ: الزفير اغتراق النفس للشدّة، والزفير أوّل صوت الحمار، والشهيق آخره. وقال الفيروزآباديّ: زفر النار سمع لتوقّدها صوت. قوله عليه السلام «إنّ الماء فخر» لعلّ المراد بالماء ههنا المياه الّتي استكنت في الأرض وخلقت على وجهها، ولذا قيّد الماء في أوّل الخبر بالبحار السفلى وغلبة الأرض إنّما هي عليها دون المياه الظاهرة، فلا ينافي تأخر خلق هذا الماء عن كثير من الأشياء تقدّم خلق أصل الماء وحقيقته على غيره من سائر الأشياء.

قوله «وعصفت» أي اشتدّت و«لوّحت أذيالها» أي رفعتها وحرّكتها تبختراً وتكبّراً، وهذا من أحسن الاستعارات «فترجى أو تخاف» أي لا أُحييك فتكون حياتك رجاءً لأهل النار

---

(١) روضة الكافي، ح ١٢٩.

وخوفاً لأهل الجنّة. وذبح الموت لعلّ المراد به ذبح شيء يسمّى بهذا الاسم ليعرف الفريقان رفع الموت عنهما عياناً إن لم نقل بتجسّم الأعراض في تلك النشأة، ويحتمل أن يكون هذا أيضاً على الاستعارة التمثيليّة.

٨٥ - **الاختصاص:** قال يونس بن عبد الرحمن يوماً لموسى بن جعفر عليه السلام: أين كان ربّك حيث لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة؟ قال: كان نوراً في نور، ونوراً على نور، خلق من ذلك النور ماء منكدراً فخلق من ذلك الماء ظلمة، فكان عرشه على تلك الظلمة. قال: إنّما سألتك عن المكان! قال: كلّما قلت أين فأين هو المكان. قال: وصفت فأجدت إنّما سألتك عن المكان الموجود المعروف! قال: كان في علمه لعلمه، فقصر علم العلماء عند علمه. قال: إنّما سألتك عن المكان! قال: يا لكع! أليس قد أجبتك أنّه كان في علمه لعلمه، فقصر علم العلماء عند علمه(١)؟

٨٦ - **سعد السعود:** للسيّد ابن طاووس: قال: وجدت في صحف إدريس عليه السلام من نسخة عتيقة: أوّل يوم خلق الله جلّ جلاله يوم الأحد، ثمّ كان صباح يوم الاثنين فجمع الله جلّ جلاله البحار حول الأرض، وجعلها أربعة بحار: الفرات والنيل وسيحان وجيحان. ثمّ كان مساء ليلة الثلاثاء جاء الليل بظلمته ووحشته ثمّ كان صباح يوم الثلاثاء فخلق الله جلّ جلاله الشمس والقمر - وشرح ذلك وما بعده شرحاً طويلاً وقال: - ثمّ كان مساء ليلة الأربعاء فخلق الله ألف ألف صنف من الملائكة منهم على خلق الغمام، ومنهم على خلق النار متفاوتين في الخلق والأجناس ثمّ كان صباح يوم الأربعاء فخلق الله من الماء أصناف البهائم والطير وجعل لهنّ رزقاً في الأرض، وخلق النّار العظام وأجناس الهوامّ، ثمّ كان مساء ليلة الخميس فميّز الله سباع الدوابّ وسباع الطير، ثمّ كان صباح يوم الخميس فخلق الله ثمان جنان وجعل كلّ باب واحدة منهنّ إلى بعض، ثمّ كان مساء ليلة الجمعة فخلق الله النور الزهراء، وفتح الله مائة باب رحمة في كلّ باب جزء من الرحمة، ووكّل بكلّ باب ألفاً من ملائكة الرحمة، وجعل رئيسهم كلّهم «ميكائيل» فجعل آخرها باباً لجميع الخلائق يتراحمون به بينهم، ثمّ كان صباح يوم الجمعة فتح الله أبو اب السماء بالغيث، وأهبّ الرياح، وأنشأ السحاب، وأرسل ملائكة الرحمة للأرض تأمر السحاب تمطر على الأرض وزهرت الأرض بنباتها وازدادت حسناً وبهجة، وغشّى الملائكة النور، وسمّى الله يوم الجمعة لذلك «يوم أزهر» و«يوم المزيد» وقال الله: قد جعلت يوم الجمعة أكرم الأيّام كلّها وأحبّها إليّ - ثمّ ذكر شرحاً جليلاً بعد ذلك ثمّ قال: - إنّ الأرض عرّفها الله جلّ جلاله أنّه يخلق منها خلقاً فمنهم من يطيعه ومنهم من يعصيه فاقشعرّت الأرض واستعفت الله وسألته أن لا يأخذ منها من يعصيه ويدخله النار، وإنّ جبرئيل أتاها ليأخذ منها طينة آدم، فسألته بعزّة الله أن لا يأخذ منها شيئاً

---

(١) الإختصاص، ص ٦٠.

حتّى تتضرّع إلى الله تعالى، وتضرّعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها، فأمر الله ميكائيل عليه السلام فاقشعرّت وسألت وتضرّعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها، فأمر الله تعالى إسرافيل بذلك فاقشعرّت وسألت وتضرّعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها فأمر عزرائيل فاقشعرّت وسألت وتضرّعت فقال: قد أمرني ربّي بأمر أنا ماضٍ له سرّك ذاك أم ساءك! فقبض منها كما أمره الله، ثمّ صعد بها إلى موقفه، فقال الله له: كما وليت قبضها من الأرض وهي كارهة، كذلك تلي قبض أرواح كلّ من عليها وكلّ ما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة. فلمّا غابت شمس يوم الجمعة خلق الله النعاس فغشّاه دوابّ الأرض، وجعل النوم سباتاً وسمّى الليلة لذلك ليلة السبت، وقال: أنا الله لا إله إلاّ أنا خالق كلّ شيء، خلقت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى في ستّة أيّام من شهر «نيسان» وهو أوّل شهر من شهور الدنيا وجعلت الليل والنهار، وجعلت النهار نشوراً ومعاشاً، وجعلت الليل لباساً وسكناً ثمّ كان صباح يوم السبت فميّز الله لغات الكلام فسبّح جميع الخلائق لعزّة الله جلّ جلاله فتمّ خلق الله وتمّ أمره في الليل والنهار، ثمّ كان صباح يوم الأحد الثاني اليوم الثامن من الدنيا، فأمر الله ملكاً فعجن طينة آدم فخلط بعضها ببعض ثمّ خمّرها أربعين سنة، ثمّ جعلها لازباً ثمّ جعلها حمأ مسنوناً أربعين سنة ثمّ جعلها صلصالاً كالفخّار أربعين سنة، ثمّ قال للملائكة بعد عشرين ومائة سنة مذ خمّر طينة آدم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾. فقالوا: نعم.

فقال في الصحف ما هذا لفظه: فخلق الله آدم على صورته الّتي صوّرها في اللوح المحفوظ.

يقول عليُّ بن موسى بن طاوس: فأسقط بعض المسلمين بعض هذا الكلام وقال: إنّ الله خلق آدم على صورته. فاعتقد التجسيم، فاحتاج المسلمون إلى تأويلات الحديث، ولو نقله بتمامه استغنى عن التأويل بتصديق وشهد العقل المستقيم.

وقال في الصحف ثمّ جعلها جسداً ملقى على طريق الملائكة، الّذي تصعد فيه إلى السّماء أربعين سنة. ثمّ ذكر تناسل الجنّ وفسادهم وهرب إبليس منهم إلى الله وسؤاله أن يكون مع الملائكة وإجابة سؤاله، وما وقع من الجنّ حتّى أمر الله إبليس أن ينزل مع الملائكة لطرد الجنّ، فنزل وطردهم عن الأرض الّتي أفسدوا فيها وشرح كيفيّة خلق الروح في أعضاء آدم واستوائه جالساً، وأمر الله الملائكة بالسجود فسجدوا له إلاّ إبليس كان من الجنّ فلم يسجد له، فعطس آدم فقال الله: يا آدم قل الحمد لله ربّ العالمين، فقال: الحمد لله ربّ العالمين. قال الله: يرحمك الله! لهذا خلقتك لتوحّدني وتعبدني وتحمدني وتؤمن بي ولا تكفر بي ولا تشرك بي شيئاً[1].

---

(١) سعد السعود، ص ٣٢.

٨٧ - **أقول:** قد مرّ تمامه في كتاب النبوّة وكتاب الغيبة: ووجدت في بعض الكتب: عن الصادق عليه السلام في كلام له: فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والنقاء من أصول الدين، وحقائق اليقين، والرضا والتسليم، ولا تدخل في اختلاف الخلق فيصعب عليك، وقد اجتمعت الأمّة المختارة بأنّ الله واحد ليس كمثله شيء، وأنّه عدل في حكمه، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يقال له في شيء من صفته «لِمَ؟» ولا كان ولا يكون شيء إلاّ بمشيّته، وأنّه قادر على ما يشاء، صادق في وعده ووعيده، وأنّ القرآن كلامه، وأنّه كان قبل الكون والمكان والزمان، وأنّ إحداثه وإفناءه غيره سواء، ما ازداد هو بإحداثه علماً، ولا ينقص بفنائه ملكه، عزّ سلطانه وجلّ سبحانه فمن أورد عليك ما ينقض هذا الأصل فلا تقبله. (الخبر).

٨٨ - **الأخبار المسلسلات:** - لجعفر بن أحمد القمّي - قال: حدّثنا محمّد بن عليّ بن الحسين وشبّك بيدي، قال: شبّك بيدي عتاب بن محمّد بن عتاب أبو القاسم، قال: شبّك بيدي أحمد بن محمّد بن عمّار ببغداد، وقال لنا: شبّك بيدي محمّد بن همام العراقيّ، قال: شبّك بيدي إسماعيل بن إبراهيم، قال: شبّك بيدي عبد الكريم بن هشام، قال شبّك بيدي إبراهيم بن أبي يحيى، قال: شبّك بيدي صفوان بن سليمان، قال: شبّك بيدي أيّوب بن خالد، قال: شبّك بيدي عبيد الله بن رافع، قال: شبّك بيدي أبو هريرة، قال: شبّك بيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: خلق الله الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والبحر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدوابّ يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة[١].

أقول: الحديث ضعيف مخالف للمشهور وسائر الأخبار فلا يعوّل عليه.

٨٩ - **كتاب زيد النرسي:** عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث مثل ما كان الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الدنيا، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الثانية ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الثالثة، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الرابعة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة والسماء الرابعة وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الخامسة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء

---

(١) الإمامة والتبصرة، ص ٢٤١.

السادسة، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء السابعة، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماوات إلى السماء السابعة وأضعاف ذلك ثمّ أمات ميكائيل، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك كلّه ثمّ أمات جبرئيل، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك كلّه، ثمّ أمات إسرافيل، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك كلّه ثمّ أمات ملك الموت. قال: ثمّ يقول تبارك وتعالى: لمن الملك اليوم؟ فيردّ على نفسه: لله الواحد القهّار. أين الجبّارون؟ أين الّذين ادّعوا معي إلهاً؟ أين المتكبّرون؟ ونحو هذا، ثمّ يلبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك ثمّ يبعث الخلق أو ينفخ في الصور. قال عبيد بن زرارة: فقلت: إنّ هذا الأمر كائن؟ طوّلت ذلك! فقال: أرأيت ما كان قبل أن يخلق الخلق أطول أو ذا؟ قال: قلت: ذا. قال: فهل علمت به؟ قال: قلت: لا. قال: فكذلك هذا[1].

بيان: الخبر صريح في الحدوث، وقوله «قلت ذا» الظاهر أنّه إشارة إلى المدّة قبل خلق الخلق ويدلّ على الزمان الموهوم.

٩٠ - **النهج:** روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: خطب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ رجلاً أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا ربّنا لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب عليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس عليه حتّى غصّ المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللون، فحمد الله سبحانه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

الحمد لله الّذي لا يفره المنع [والجمود]، ولا يكديه الإعطاء والجود، إذ كلّ معط منتقص سواه، وكلّ مانع مذموم ما خلاه، وهو المنّان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم، عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم، وقدّر أقواتهم، ونهج سبيل الراغبين إليه، والطالبين ما لديه، وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل، الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الّذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه، ما اختلف عليه دهر فتختلف منه الحال، ولا كان في مكان فيجوز عليه الإنتقال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال، وضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللجين والعقيان، ونثارة الدّر وحصيد المرجان، ما أثّر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام، لأنّه الجواد الّذي لا يغيضه سؤال السائلين، ولا يبخّله إلحاح الملحّين، فانظر أيّها السائل! فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنّة النبيّ وأئمّة

(١) الأصول الستة عشر ص ٤٧.

الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك. واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الّذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك فلا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين، هو القادر الّذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرّأ من خطر الوساوس أن يقع عليه من عميقات غيوب ملكوته، وتولّهت القلوب إليه لتجري في كيفيّة صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلّصةً إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفة بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولي الرويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته الّذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله، وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوّته ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة على معرفته، وظهرت في البدائع الّتي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجّته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة فأشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ لك، وكأنّه لم يسمع تبرّؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1] كذب العادلون بك إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزّؤوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم، فأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك، ونطقت به عنه شواهد حُجج بيّناتك، وأنّك أنت الله الّذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبّ فكرها مكيّفاً، ولا في رويّات خواطرها محدوداً مصرّفاً.

ومنها: قدّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبّره فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، فلم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته، وكيف؟ وإنّما صدرت الأمور عن مشيّته، المنشئ أصناف الأشياء بلا رويّة فكر آل إليها، ولا قريحة غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور، فتمّ خلقه وأذعن لطاعته، وأجاب إلى دعوته، ولم يعترض دونه ريث المبطئ، ولا أناة المتلكّئ فأقام من الأشياء أودها، ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧-٩٨.

متضادّها، ووصل أسباب قرائنها وفرّقها أجناساً مختلفات في الحدود والأقدار، والغرائز والهيئات، بدايا خلائق أحكم صنعها، وفطرها على ما أراد وابتدعها.

منها في صفة السماء: ونظم بلا تعليق رهوات فرجها، ولاحم صدوع انفراجها، ووشّج بينها وبين أزواجها، وذلّل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها، وفتق بعد الارتتاق صوامت أبو ابها، وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده وأمرها أن تقف مستسلمةً لأمره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها، وقمرها آية ممحوّة من ليلها، وأجراهما في مناقل مجراهما، وقدّر مسيرهما في مدارج درجهما، ليميّز بين الليل والنهار بهما، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما، ثمّ علّق في جوّها فلكها، وناط بها زينتها من خفيّات دراريها ومصابيح كواكبها، ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها، وأجراها على أذلال تسخيرها، من ثبات ثابتها ومسير سائرها، وهبوطها وصعودها، ونحوسها وسعودها.

منها في صفة الملائكة عليهم السلام: ثمّ خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته، ملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبّحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد، ووراء ذلك الرجيج الّذي تستكّ منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات، أولي أجنحة تسبّح جلال عزّته، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدّعون أنّهم يخلقون شيئاً معه ممّا انفرد به، بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدّهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة، وفتح لهم أبو اباً ذللاً إلى تماجيده، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده، لم تثقلهم مؤصرات الآثام، ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيّام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظّنون على معاقد يقينهم، ولا قدحت قادحة الإحن فيما بينهم، ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن بعظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم، منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ، وفي فترة الظلام الأيهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية، قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووسلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا

من كأس الرويّة من محبّته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادّة تضرّعهم، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم، ولم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم، ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم، ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الخير إليه أصواتهم، ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جدّهم بلادة الغفلات، ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات، قد اتّخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غاية عبادته، ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلاّ إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوا في جدّهم، ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم، ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم، ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم، ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولا تولاّهم غلّ التحاسد، ولا شعّبتهم مصارف الريب، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغ ولا عدول، ولا ونى ولا فتور، وليس في أطباق السموات موضع إهاب إلاّ وعليه ملك ساجد، أو ساع حافد، يزدادون على طول الطاعة بربّهم علماً وتزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عظماً.

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء: كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة، ولجج بحار زاخرة، تلتطم أواذيّ أمواجها، وتصطفق متقاذفات أثباجها، وترغو زبداً كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها، وذلّ مستخذياً إذ تمعّكت عليه بكواهلها فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً، وفي حكمة الذلّ منقاداً أسيراً، وسكنت الأرض مدحوّة في لجّة تيّاره، وردّت من نخوة بأوه واعتلائه، وشموخ أنفه وسموّ غلوائه، وكعمته على كظّة جريته فهمد بعد نزقاته، ولبد بعد زيفان وثباته، فلمّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها، وحمل شواهق الجبال البذخ على أكتافها، فجّر ينابيع العيون من عرانين أنوفها، وفرّقها في سهوب بيدها وأخاديدها، وعدّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها، وذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسرّبة في جوبات خياشيمها، وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها، وفسح بين الجوّ وبينها، وأعدّ الهواء متنسّماً لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها، ثمّ لم يدع جُرُز الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها، ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها، حتّى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها، ألّف غمامها بعد افتراق لمعه، وتباين قزعه،

حتّى إذا تمخّضت لجّة المزن فيه، والتمع برقه في كففه، ولم ينم وميضه في كنهور ربابه، ومتراكم سحابه، أرسله سحّاً متداركاً قد أسفّ هيدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه، فلمّا ألقت السحاب برك بوانيها، وبعاع ما استقلّت به من العبء المحمول عليها، أخرج به من هوامل الأرض النبات، ومن زعر الجبال الأعشاب، فهي تبهج بزينة رياضها، وتزدهي بما ألبسته من ريط أزاهيرها، وحلية ما سمّطت به من ناضر أنوارها، وجعل ذلك بلاغاً للأنام، ورزقاً للأنعام وخرق الفجاج في آفاقها، وأقام المنار للسالكين على جوادّ طرقها، فلمّا مهّد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه، وجعله أوّل جبلّته، وأسكنه جنّته، وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أنّ في الإقدام عليه التعرّض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه، فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجّة به على عباده، ولم يخلهم بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتّى تمّت بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله حجّته، وبلغ المقطع عذره ونذره، وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها، وقسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها، ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراجها غصص أتراحها، وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها، ووصل بالموت أسبابها، وجعله خالجاً لأشطانها، وقاطعاً لمرائر قرانها، عالم السرّ من ضمائر المضمرين، ونجوى المتخافتين، وخواطر رجم الظنون، وعقد عزيمات اليقين، ومسارق إيماض الجفون، وما ضمنته أكناف القلوب وغيابات الغيوب، وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع، ومصائف الذرّ، ومشاتي الهوامّ، ورجع الحنين من المولهات، وهمس الأقدام، ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الأكمام، ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها، ومغرز الاوراق من الأفنان، ومحطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب، وناشئة الغيوم ومتلاحمها، ودرور قطر السحاب ومتراكمها، وما تسفّي الأعاصير بذيولها، وتعفو الأمطار بسيولها، وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال، ومستقرّ ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار، وما أوعته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار، وما غشيته سدفة ليل أو ذرّ عليه شارق نهار، وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور، وأثر كلّ خطوة، وحسّ كلّ حركة، ورجع كلّ كلمة، وتحريك كلّ شفة، ومستقرّ كلّ نسمة، ومثقال كلّ ذرّة، وهماهم كلّ نفس هامّة، وما عليها من ثمر شجرة، أو ساقط ورقة، أو قرارة نطفة، أو نقاعة دم ومضغة، أو ناشئة خلق وسلالة، لم تلحقه في ذلك كلفة، ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة، ولا اعتورته في تنفيذ الأمور

وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة، بل نفذ فيهم علمه وأحصاهم عدّه ووسعهم عدله، وغمرهم فضله، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله.

اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل، والتعدّد الكثير، إن تؤمّل فخير مأمول، وإن ترج فخير مرجوّ، اللّهمّ وقد بسطت لي [لساناً] فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحدٍ سواك، ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميّين، والثناء على المربوبين المخلوقين.

اللّهمّ ولكلّ مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء، أو عارفة من عطاء، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة، وكنوز المغفرة.

اللّهمّ وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الّذي هو لك، ولم ير مستحقّاً لهذه المحامد والممادح غيرك، وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك، ولا ينعش من خلّتها إلاّ منّك وجودك، فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مدّ الأيدي إلى من سواك، إنّك على كلّ شيء قدير(١).

التوحيد: عن عليّ بن أحمد الدقّاق عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن إسماعيل بن مهران، عن إسماعيل بن إسحاق الجهنيّ، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله مع اختصار، وقد مرّ في كتاب التوحيد(٢).

بيان: قد مضى شرح أكثر أجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد، ولعلّ غضبه عليه السلام لعلمه بأنّ غرض السائل وصفه سبحانه بصفات الأجسام، أو لأنّه سأل بيان كنه حقيقته سبحانه أو وصفه بصفات أرفع وأبلغ ممّا نطق به الكتاب والآثار لزعمه أنّه لا يكفي في معرفته سبحانه، ويؤيّد كلاًّ من الوجوه بعض الفقرات. و«جامعة» منصوبة على الحاليّة، أي: عليكم الصلاة، على رفع الصلاة كما حكي أو احضروا الصلاة على نصبها جامعة لكلّ الناس. وربّما يقرء برفعهما على الإبتداء والخبريّة. وهذا النداء كان شائعاً في الخطوب الجليلة وإن كان أصله للصلاة.

«لا يفره» أي لا يكثره «المنع» أي ترك العطاء «ولا يكديه الإعطاء» أي لا يجعله قليل الخير مبطئاً فيه، يقال «كدت الأرض» إذا أبطأ نباتها، «وأكدى فلان الأرض» إذا جعلها كادية، أو لا تردّه كثرة العطاء عن عادته فيه، من قولهم «أكديت الرجل عن الشيء» أي رددته عنه، ذكره الجوهريّ، وقال: الكدية: الأرض الصلبة، وأكدى الحافر: إذا بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر، وأكدى الرجل: إذا قلّ خيره وانتقص، يكون متعدّياً ولازماً كنقص. وهذا في النسخ

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٨ خ ٩٠.
(٢) التوحيد، ص ٤٨.

على بناء المفعول، والتعليل بالجملتين باللّف والنشر المرتّب أو المشوّش لمطابقة الإعطاء والمنع في كلّ منهما، وعلى التقديرين التعليل في الأولى ظاهر، والفقرة الثانية ليست في نسخ التوحيد وهو الصواب، وعلى تقديرها ففي أصل الجملة والتعليل بها معاً إشكال، أمّا الأوّل فلأنّه إن أريد بالمنع ما كان مستحسناً أو الأعمّ فكيف يصحّ الحكم بكونه مذموماً، وإن أريد به ما لم يكن مستحسناً فلا يستقيم الاستثناء.

ويمكن أن يجاب باختيار الثاني من الأوّل أي الأعمّ ويقال: المراد بالمذموم من أمكن أن يلحقه الذمّ، فيصير حاصل الكلام أنّ كل مانع غيره يمكن أن يلحقه الذمّ بخلافه سبحانه، فإنّه لا يحتمل أن يلحقه بالمنع ذمّ أو يقال المانع لا يصدق على غيره تعالى إلاّ إذا بخل بما افترض عليه، وإذا أطلق عليه سبحانه يراد به مقابل المعطي، والمراد بالعنوان المعنى الشامل لهما. ويدلّ عليه ما مرّ مرويّاً عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عن الجواد فقال عليه السلام: إنّ لكلامك وجهين: فإن كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد هو الّذي يؤدّي ما افترض الله سبحانه عليه والبخيل هو الّذي يبخل بما افترض الله عليه، وإن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منعه منعه ما ليس له.

وأمّا الثاني فيحتمل أن تكون جملة مستقلّة غير داخلة تحت التعليل مسوقة لرفع توهّم ينشأ من التعليل بعدم الانتقاص بالإعطاء، فإنّ لمتوهّم أن يقول: إذا لم ينقص من خزائنه شيء بالإعطاء فيجب أن لا يتّصف بالمنع أصلاً، ولو اتّصف به لكان مذموماً، مع أنّ من أسمائه تعالى المانع. فردّ ذلك الوهم بأنّ منعه سبحانه ليس للانتقاص بالإعطاء، بل لقبح الإعطاء وعدم اقتضاء المصلحة له، ومثل ذلك المنع لا يستتبع الذمّ واستحقاقه. ولو حملت على التعليل فيمكن أن يكون من قبيل الاستدلال بعدم المعلول على عدم العلّة، فإن الوفور بالمنع أو إكداء الإعطاء علّة للبخل التابع للخوف من الفاقة، وهو علّة لترتّب الذمّ من حيث إنّه نقص أو لاقتضائه المنع وردّ السائل، ونفي الذمّ يدلّ على عدم الوفور أو الإكداء المدّعى في الجملتين المتقدّمتين.

«المنّان بفوائد النعم» المنّ يكون بمعنى الإنعام وبمعنى تعديد النعم، والأوّل هنا أظهر، وربّما يحمل على الثاني فإنّ منّه سبحانه حسن وإن كان في المخلوق صفة ذمّ. والفائدة: الزيادة تحصل للإنسان من مال أو غيره والعائد: المعروف والعطف، وقيل: عوائد المزيد والقسم: معتادهما، والمزيد: الزيادة ولعلّ المراد به ما لا يتوهّم فيه استحقاق العبد. و«القسم» جمع القسمة، وهي الاسم من قسمه كضربه وقسّمه بالتشديد أي جزّاه. وعيال الرجل بالكسر أهل بيته ومن يمونهم، جمع «عيل» وجمعه «عيائل».

«ضمن أرزاقهم» أي كفلها «وقدّر أقواتهم» أي جعل لكلّ منهم من القوت قدراً تقتضيه الحكمة والمصلحة. «ونهج سبيل الراغبين إليه» نهجت الطريق: أبنته وأوضحته ونهج السبيل

لصلاح المعاد كما أنّ ضمان الأرزاق لصلاح المعاش، ويحتمل الأعمّ «ليس بما سئل الخ» عدم الفرق بينهما بالنظر إلى الجود لا ينافي الحثّ على السؤال لأنّه من معدّات السائل لاستحقاق الإنعام، لأنّ نسبته سبحانه إلى الخلق على السواء، وإن استحقّ السائل ما لم يستحقّه غيره، بخلاف المخلوقين فإنّ السؤال يهيج جودهم بالطبع مع قطع النظر عن الاستعداد.

«الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله» قيل: وجوده سبحانه ليس بزمانيّ فلا يطلق عليه القبليّة والبعديّة كما يطلق على الزمانيات، فمعناه الأوّل الّذي لا يصدق عليه القبليّة ليمكن أن يكون شيء ما قبله، والآخر الّذي لا يصدق عليه البعديّة الرمانيّة ليمكن أن يكون شيء ما بعده. وقد يحمل على وجه آخر وهو أنّه لم يكن سبقه عدم فيقال إنّه مسبوق بشيء من الأشياء إمّا المؤثّر فيه أو الزمان المقدّم عليه، وأنّه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيكون بعده شيء من الأشياء إمّا الزمان أو غيره. ويمكن أن يكون المراد بالقبل الزمان المتقدّم سواء كان أمراً موجوداً أو موهوماً، وبالشيء موجوداً من الموجودات أي ليس قبله زمان حتّى يتصوّر تقدّم موجود عليه، وكذا بقاء موجود بعده.

«والرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه» الأناسيّ بالتشديد جمع «إنسان» وإنسان العين المثال الّذي يرى في السواد، ولا يجمع على «أناس» كما يجمع الإنسان بمعنى البشر عليه. وقيل: الأناسيّ جمع «إنسان العين» مشدّد، والآخر يشدّد ويخفّف وقرئ «أناسي كثيرا» بالتخفيف. وردعها أي منعها كناية عن عدم إمكان إحساسها له، لأنّه سبحانه ليس بجسم ولا جسمانيّ ولا في جهة، ونلت الشيء أصبته وأدركته: أي تبعته فلحقته، والمراد بالنيل الإدراك التامّ وبالإدراك غيره، ويحتمل العكس، وأن يكون العطف لتغاير اللفظين أو يكون إشارة إلى جهتين لامتناع الرؤية، فالنيل إشارة إلى استلزام كونه ذا جهة وجسمانيّاً، والإدراك إلى أنّه يستلزم وجود كنه ذاته في الأذهان وهو ممتنع كما أشرنا إليه في كتاب التوحيد.

«ما اختلف عليه دهر» ظاهره نفي الزمانيّة عنه تعالى، ويحتمل أن يراد به جريانه على خلاف مراده أحياناً وعلى وفق إرادته أحياناً حتّى يلحقه ما يلحق الخلق من الشدّة والرخاء، والنعم والبؤس، والصحّة والسقم ونحو ذلك.

«ولو وهب ما تنفّست» استعار التنفّس هنا لإبراز المعادن ما يخرج منها كما يخرج الهواء من تنفّس الحيوان «وضحكت عنه» أي تفتّحت وانشقّت حتّى ظهر ويقال للطلع حين تنشقّ «الضحك» بفتح الضاد، وقد مرّ بيان لطف تلك التشبيهات.

«والفلزّ» بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي: الجواهر المعدنيّة كالذهب والفضّة، وفي الصحاح: ما ينفّيه الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض. «واللّجين» مصغّراً الفضّة، «والعقيان» بالكسر: الذهب الخالص، ونثرت الشيء كنصرت رميته متفرّقاً. ونثارة الدرّ

بالضم: ما تناثر منه، والدرّ جمع «درّة» وهي اللؤلؤة العظيمة أو مطلقاً. وحصد الزرع قطعه بالمنجل، والحصيد: المحصود، والمراد بالمرجان إمّا صغار اللؤلؤ ووصفه بالحصيد لعلّه يناسب ما تذكره التجّار أنّ الصدف كثيراً ما يغرز عرقه في أرض البحر فتحصده الغوّاصون، ولذا قيل إنّه حيوان يشبه النبات.

وقال بعض شارحي النهج كأنّ المراد المتبدّد من المرجان كما يتبدّد الحبّ المحصود، ويجوز أن يعنى المحكم، من قولهم «شيء مستحصد» أي مستحكم، قال: ويروى «وحصباء المرجان» والحصباء: الحصا، وقال قوم: هو البسد يعني الحجر الأحمر. وأنفده: أي أفناه، وذخائر الأنعام ما بقي عنده من نعمه الجسام بعد العطايا المفروضة. والمطالب: جمع المطلب بمعنى المصدر. «لا يغيضه» جاء متعدّياً كما جاء لازماً «ولا يبخّله» أي لا يجعله بخيلاً، ويقال أيضاً «بخّله تبخيلاً» إذا رماه بالبخل، وروي على صيغة الإفعال أي لا يجده بخيلاً. والتعليل بقوله «لأنّه الجواد» إمّا للجملة الشرطيّة بتواليها فالوجه في التعليل بنفي التبخيل ظاهر، إذ لو أثّر العطاء المفروض في جوده لبخّله الإلحاح، فإنّه في الحقيقة منع التأثير في الجود، فنفيه يدلّ على نفيه، وإمّا لبقاء ما لا ينفده المطالب فوجه التعليل أنّ العادة قد جرت بلحوق البخل لمن ينفد ما عنده بالطلب وإن أمكن عقلاً عدمه بأن يسمح بكلّ ما عنده، فنفي التبخيل يدلّ على نفي الإنفاد.

«فانظر أيّها السائل الخ» الائتمام: الاقتداء، والأثر بالتحريك: نقل الحديث وروايته. ووكل الأمر إليه وكلاً ووكولاً: سلّمه وتركه، ويدلّ على المنع من الخوض في صفاته سبحانه ومن البحث عمّا لم يرد منها في الكتاب والسنّة.

«واعلم أنّ الراسخين في العلم» إلى آخره. الراسخ في العلم: الثابت فيه «واقتحم المنزل» أي دخله بغتة ومن غير رويّة، «والسدد» جمع (سدّة) وهي باب الدار، وضرب الباب: نصبه، ودون الشيء: ما قرب منه قبل الوصول إليه، والمتعمّق في الأمر: الّذي يبالغ فيه ويطلب أقصى غايته، وقدر الشيء: مبلغه، وتقديره: أن تجعل له قدراً وتقيسه بشيء، والمعنى: لا تقس عظمة الله بمقياس عقلك ومقداره. والظاهر أنّ المراد بإقرار الراسخين في العلم ومدحهم ما تضمّنه قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] فإقرارهم قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ومدح الله تعالى إيّاهم ذكر كلامهم المتضمّن للإيمان والتسليم في مقام المدح، أو تسمية ترك تعمّقهم رسوخاً في العلم، فالعطف في قوله: «وسمّى» للتفسير أو الإشارة إلى أنّهم أولو الألباب بقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ وحينئذٍ فالمراد بالمتشابه ما يشمل كنه ذاته وصفاته سبحانه ممّا استأثر

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

الله بعلمه، وعلى هذا فمحلّ الوقف في الآية ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ كما هو المشهور بين المفسّرين والقرّاء، فتفيد اختصاص علم المتشابه به سبحانه، وقوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ و﴿يَقُولُونَ﴾ خبره، وهو بظاهره منافٍ لما دلّت عليه الأخبار المستفيضة من أنّهم عليهم السلام يعلمون ما تشابه من القرآن كما مرّ في كتاب الإمامة، وعلى هذا فالوقف على ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ وإليه ذهب أيضاً جماعة من المفسّرين، فقوله ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من الراسخين أو استئناف موضح لحالهم ويمكن الجمع بينها بوجوه:

الأوّل: أن يكون ما ذكره عليه السلام هنا مبنياً على ما اشتهر بين المخالفين إلزاماً عليهم.

الثاني: أن يكون للآية ظهر وبطن أحدهما أن يكون المراد بالمتشابه مثل العلم بكنه الواجب وما استأثر الله عزّ وجلّ بعلمه من صفاته وكنه ذاته وأمثال ذلك ممّا تفرّد سبحانه بعلمه، وإليه يشير ظاهر هذا الكلام، وثانيهما أن يراد به ما علم الراسخون في العلم تأويله، وإليه أشير في سائر الأخبار فيكون القارئ مخيّراً في الوقف على كلّ من الموضعين.

الثالث: ما قيل أنّه يمكن حمل حكاية قول الراسخين على اعترافهم وتسليمهم قبل أن يعلّمهم الله تأويل ما تشابه من القرآن فكأنّه سبحانه بيّن أنّهم لمّا آمنوا بجملة ما أنزل من المحكمات والمتشابهات ولم يتّبعوا ما تشابه منه كالّذين في قلوبهم زيغ بالتعلّق بالظاهر أو بتأويل باطل فآتاهم الله علم التأويل وضمّهم إلى نفسه في الاستثناء. والاستئناف في قوّة رفع الاستبعاد عن مشاركتهم له تعالى في ذلك العلم، وبيان أنّهم إنّما استحقّوا إفاضة ذلك العلم باعترافهم بالجهل وقصورهم عن الإحاطة بالمتشابهات من تلقاء أنفسهم، وإن علموا التأويل بتعليم إلهي. وقد ورد عنه عليه السلام أنّه لما أخبر ببعض الغيوب قال له رجل: أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فقال عليه السلام: ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم. وقد مرّ بعض الكلام فيه في كتاب التوحيد.

«إذا ارتمت» يقال: ارتمى القوم، إذا تراموا بالنبال. والأوهام: خطرات القلب، وفي اصطلاح المتكلّمين إحدى القوى الباطنة، شبّه عليه السلام جولان الأفكار وتعارضها بالترامي. و«المنقطع» موضع الانقطاع، ويحتمل المصدر. وحاولت الشيء: أردته، والخطر - بالتسكين -: مصدر «خطر له خاطر» أي عرض في قلبه وروي «من خطرات الوساوس» والوسوسة حديث النفس والشيطان بما لا خير فيه ولا نفع، والاسم الوسواس.

و«الملكوت» العزّ والسلطان، و«تولّهت إليه» أي اشتدّ عشقها وحنّت إليه، والوله بالتحريك التحيّر وذهاب العقل من حزن أو فرح. «التجري في كيفيّة صفاته» أي لتجد مجرى ومسلكاً في ذلك. وغمض الشيء - بالفتح والضمّ - أي خفي مأخذه، والغامض من الكلام: خلاف الواضح، ومداخل العقول: طرق الفكر. وفاعل «تنال» ضمير العقول، أي إذا دقّت وغمضت طرق العقول ووصلت إلى حدّ لا تبلغ الصفات لدقّة تلك الطرق وخفائها،

أو إذا دقّت وانتهت العقول إلى أنّها لا تعتبر مع ملاحظة الحقّ صفة من صفاته - كما قيل - طالبة بذلك أن تصل إلى علم ذاته، وفي بعض النسخ «علم ذلك» والأوّل أظهر.

«ردعها» الردع الردّ والكفّ، والجملة جزاء للشرط السابق، والضمير المنصوب راجع إلى الأوهام أو غيرها ممّا سبق. «وهي تجوب» أي تقطع، والواو للحال. والمهاوي: جمع «مهواة» وهي الحفرة أو ما بين الجبلين، والمراد هنا المهلكة. والسدف: جمع «سدفة» وهي القطعة من الليل المظلم، ويطلق على الضياء أيضاً وخلّصته تخليصاً: نحّيته فتخلّص فقوله «متخلّصة إليه» أي متوجّهة إليه بكلّيّتها متنحّية عن غيره، وجبهه كمنعه أي ضرب جبهته فردّه، والجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: قطع المسافة على غير جادّة معلومة، والمراد بجور اعتسافها شدّة جولانها في ذلك المسلك الّذي لا جادّة له، ولا يفضي إلى المقصود. والخاطرة المنفيّة ما يكون مطابقاً للواقع.

«الّذي ابتدع الخلق» الابتداع: الإنشاء والإحداث، ومثال الشيء - بالكسر - صورته وصفته ومقداره، و«امتثله» أي تبعه ولم يتجاوز عنه، و«احتذى عليه» أي اقتدى به. وقوله «من خالق» متعلق بمحذوف وهو صفة لمقدار أو لمثال أيضاً كناشئ، والمراد بنفي امتثال المثال أنّه لم يمثّل لنفسه مثالاً قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيئته، وبنفي احتذاء المقدار أنّه لم يقتد بخالق كان قبله، فالظرف صفة للمقدار فقط. ويحتمل أن يكون الثاني كالتأكيد للأوّل فالظرف صفة للمثال والمقدار معاً، ويكون المراد بالأوّل نفي الاقتداء بالغير في التصوير، وبالثاني في التقدير، أو يكون المراد بالمثال ما يرتسم في الخيال من صورة المصنوع وهيئته، ولم يكن على حذو فعل فاعل آخر لتنزّهه عن الصور والخواطر، فالظرف صفة لمقدار. ووصف الخالق بالمعبود لأنّه من لوازمه، أو لأنّه لو كان كذلك لكان هو المعبود.

«والمساك» بالكسر ما يمسك به، وفيه دلالة على احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثّر. وقوله «ما دلّنا» مفعول ثان لأرانا، واضطرار قيام الحجّة عبارة عن إفادتها العلم القطعيّ بعد تحقيق الشروط وارتفاع الموانع، والظرف في قوله «على معرفته» متعلّق بقوله «دلّنا» وأعلام الحكمة ما يدلّ عليها، والضمير في قوله «فحجّته» يحتمل عوده إلى الخلق الصامت، كالضمير في «دلالته» أو إلى الله سبحانه «فأشهد» وفي بعض النسخ بالواو «بتباين» المشبّه به في الحقيقة هو الخلق، وإنّما أدخل الباء على التباين تنبيهاً على وجه الخطأ في التشبيه، والتلاحم: التلاصق. و«الحقاق» بالكسر جمع «حقّة» بالضمّ وهي في الأصل وعاء من خشب، وحقاق المفاصل النقر الّتي ترتكز فيها العظام، واحتجابها استتارها بالجلد واللحم. وقوله «لتدبير» متعلّق بالمحتجبة أي المستورة للتدبير الّذي اقتضته الحكمة. قيل: ومن حكمة احتجابها أنّها لو خلقت ظاهرة ليبست رباطاتها فيتعذّر تصرّف الحيوان وكانت معرضة للآفات أو بالتباين والتلاحم. وقال بعض شارحي النهج: ومن روى «المحتجّة» أراد

أنّها كالمستدلّ على التدبير الحكميّ من لدنه سبحانه. والعقد: الشدّ، وفاعل الفعل الموصول المشبّه، و«غيب» منصوب على المفعوليّة، وهو كلّ ما غاب. والضمير اسم من أضمرت في نفسي شيئاً، أو إضافة الغيب إلى الضمير من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمراد بغيب الضمير حقيقة عقيدته وباطنها لا ما يظهره منها لغيره أو يظهر له بحسب توهّمه. وفي بعض النسخ «لم يعتقد» على صيغة المجهول، و«غيب» بالرفع. والمباشرة: لمس البشرة، والفاعل: اليقين، وفي بعض النسخ «قلبه» بالرفع على أنّه الفاعل و«اليقين» بالنصب، والأوّل الأظهر.

و«الندّ» المثل، و«إن» في الآية مخفّفة من المثقّلة. ويظهر من كلامه عليه السلام أنّ التسوية في الآية يشمل هذا التشبيه، ولا يخصّ التسوية في استحقاق العبادة «كذب العادلون بك» أي المسوّون بك غيرك، و«نحلوك» أي أعطوك حلية المخلوقين أي صفاتهم، والتعبير بالنحلة والحلية لزعم هؤلاء أنّها كمال له عزّوجلّ. و«جزّأوك» أي أثبتوا لك أجزاء، و«خواطرهم» ما يخطر ببالهم من الأوهام الفاسدة. «وقدّروك على الخلقة» أي جعلوا لك قدراً في العظمة المعنوية كقدر الخلق فأثبتوا لك صفاتهم، و«قرائح عقولهم» ما يستنبطونه بآرائهم، والقريحة في الأصل أوّل ما يستنبط من البئر ومحكمات الآيات: نصوص الكتاب، وشواهد الحجج: الأدلّة العقليّة، ونطقها دلالتها القطعيّة، أو الشواهد الهداة المبيّنون للحجج الّتي هي الأدلّة، وكأنّه ضمّن النطق معنى الكشف فعدّى بعن، وإضافة الحجج إلى البيّنات للمبالغة.

«لم يتناه في العقول» أي لم تقدّرك العقول بالنهاية والكنه بحيث لا تكون لك صفة وراء ما أدركته، أو لم تحط بك العقول فتكون محدوداً متناهياً فيها. و«مهبّ الفكر» هبوبها، ولعلّه عليه السلام شبّه الحركات الفكريّة بهبوب الرياح، والأفكار بما تجمعها وتذروها من الحشائش، إشعاراً بضعفها وسفالة ما يحصل منها.

وقيل: التناهي في العقل هو أن يدرك العقل الشيء مرسّماً في القوى الجزئيّة وهي مهابّ الفكر الّتي ترتسم فيها الصور وتزول، كالريح الهابّة تمرّ بشيء. وقيل: مهابّ الفكر جهاتها. و«رويّات الخواطر» ما يخطر بالبال بالنظر والفكر، و«المحدود» المحاط بالحدود، والمراد بالحدود ما يلزم الإحاطة التامّة، أو الصفات والكيفيّات الّتي لا يتعدّاها المعلوم. و«المصرّف» القابل للتغيّر والحركة أو المحكوم عليه بالتجزئة والتحليل والتركيب.

«قدّر ما خلق فأحكم تقديره» أي جعل لكلّ شيء مقداراً مخصوصاً بحسب الحكمة، أو هيّأ كلّ شيء لما أراد منه من الخصائص والأفعال، أو قدّره للبقاء إلى أجل معلوم «فأحكم» أي أتقن، والتدبير في الأمر: النظر إلى ما تؤول إليه عاقبته «فألطف تدبيره» أي أعمل فيه تدبيرات دقيقة لطيفة، أو كانت تدبيراته مقرونة باللطف والرفق والرحمة على عباده. «ووجّهه لوجهته» أي جعل كلاًّ منها مهيّأة وميسّرة لما خلق له كالحبوب للأكل والدوابّ للركوب،

وكلّ صنف من الإنسان لأمر من الأمور المصلحة للنظام. ويحتمل أن يكون إشارة إلى أمكنتها، والأوّل أعمّ وأظهر، و«الوجهة» بالكسر الناحية وكلّ أمر استقبلته. وقصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه، وقصرت عن الشيء أي عجزت عنه، واستصعب الأمر علينا أي صعب والصعب: غير المنقاد، ومضى الشيء مضيّاً ومضوّاً أي نفذ ولم يمتنع، و«صدر» كعقد رجع وانصرف كرجوع الشاربة عن الماء والمسافرين عن مقصدهم، ولمّا كانت الأمور لإمكانها محتاجة في الوجود إلى مشيّته فكأنّما توجّهت إليها فرجعت فائزة بمقصدها، و«المشيّة» الإرادة، وأصلها المشيئة بالهمز.

«آل إليها» أي رجع، والغريزة الطبيعة، وقريحة الغريزة ما يستنبطه الذهن، وقيل: قوّة الفكر للعقل. «أضمر عليها» أي أخفاه في نفسه محتوياً عليها و«التجربة» الاختبار مرّة بعد أخرى. ويقال: «أفدته مالاً» أي أعطيته و«أفدت منه مالاً» أخذته. وحكى الجوهريّ عن أبي زيد: أفدت المال: أعطيته غيري، وأفدته: استفدته. وابتداع الخلائق: إحداثها «فتمّ خلقه» يمكن أن يراد بالخلق المعنى المصدريّ، ويكون الضمير راجعاً إليه سبحانه كالضمير في «طاعته» و«دعوته» إلى «ما خلق» المذكور سابقاً، وعلى الأوّل يكون[1] في «أذعن» و«أجاب» راجعين إلى الخلق على الاستخدام، أو إلى «ما خلق» ويمكن أن يراد به المخلوق، وتمام مخلوقاته بإفاضته عليها ما يليق بها وتستعدّ له. وإذعان ما خلق لطاعته وإجابته إلى دعوته إمّا بمعنى استعداده لما خلق له أو تهيّئه لنفوذ تقديراته وإرادته سبحانه فيه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ وربّما تحمل أمثالها على ظاهره بناءً على أنّ لكلّ مخلوق شعوراً كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

واعترض الشيء دون الشيء: أي حال بينه وبينه، و«دونه» أي قبل الوصول إليه، والضمير في «دونه» أيضاً راجع إليه سبحانه ويحتمل أن يكون راجعاً إلى مصدر «أذعن» و«أجاب». والريث: البطء، والأناة كفتاة الاسم من «تأنّى في الأمر» أي تمكّث ولم يعجل. وتلكّأ: توقّف وأبطأ.

«فأقام من الأشياء أودها» الأود - بالتحريك -: الاعوجاج، وإقامته إعداد كلّ شيء لما ينبغي له، أو دفع المفاسد الّتي تقتضيه الأشياء لو خلّيت وطباعها.

و«نهج» أي أوضح، وحدّ الشيء: منتهاه، وأصل الحدّ المنع والفصل بين الشيئين ونهج الحدود قيل إيضاحه لكلّ شيء غايته وتيسيرها له، أو المعنى: جعل لكلّ شخص ونوع مشخّصاً ومميزاً واضحاً يمتاز به عن غيره، فإنّ من أعاظم المصالح وأعزّها امتياز الأنواع والأشخاص بعضها عن بعض.

---

(١) الظاهر سقوط كلمة (الضميران).

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالحدود حدود أمكنتها كمكان العناصر فإنّ لكلّ منها حدّاً لا تتجاوزه: ولعلّه أنسب بما بعده.

«ولاءم» أي جمع «بين متضادّاتها» كجمع العناصر المتباينة في الكيفيّات والصفات لحصول المزاج، وكالألفة بين الروح والبدن.

«ووصل أسباب قرائنها» السبب في الأصل الحبل، ويقال لكل ما يتوصلّ به إلى شيء، و«القرينة» فعيلة بمعنى مفعولة، وقرائن الأشياء ما اقترن منها بعضها ببعض، ووصل أسبابها ملزوم لاتّصالها. وقال ابن ميثم: القرائن النفوس المقرونة بالأبدان، واعتدال المزاج بسبب بقاء الروح، أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها، والمراد بالأجناس هنا أعمّ ممّا هو مصطلح المنطقيّين، وكذا المراد بالحدود غير ما هو المعروف عندهم، وإن كان المقام لا يأباهما.

والغرائز: الطبائع والقوى النفسانيّة، و«البدايا» جمع «بداية» وهي الحالة العجيبة، يقال: أبدأ الرجل إذا أتى بالأمر المعجب و«البديئة» أيضاً الحالة المبتدأة المبتكرة، أي عجائب مخلوقات، أو مخلوقات مبتدأة بلا اقتفاء مثال، وهو خبر مبتدأ محذوف أي: هي بدايا. و«الفطر» الابتداء والاختراع، و«الابتداع» كالتفسير له، و«نظم» أي جمع. و«ألّف بلا تعليق» أي من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخيط أو نحوه. و«رهوات فرجها» الرهوة: المكان المرتفع والمنخفض أيضاً، فنظمها تسويتها. وقال في النهاية: في حديث عليّ: «ونظم رهوات فرجها» أي المواضع المنفتحة منها. وهو مأخوذ من قولهم «رها رجليه رهواً» أي فتح، وفيه دلالة على أنّ السّماء كانت ذات فرج وصدوع فنظمها سبحانه، وهو مناسب لما مرّ من أنّ مادّتها الدخان المرتفع من الماء، إذ مثل ذلك تكون قطعاً وذات فرج. وأوّل بعض الشارحين بتباين أجزاء المركّب لولا التركيب والتأليف، أو بالفواصل الّتي كانت بين السموات لولا أنّ الصانع خلقها أكراً متماسّة. وإنّما اضطرّه إلى ذلك الاعتقاد بقواعد الفلاسفة وتقليدهم.

و«ملاحمة الصدوع» إلصاق الأجزاء ذوات الصدوع بعضها ببعض، وإضافة الصدوع إلى الانفراج من إضافة الخاصّ إلى العامّ. و«وشّج» بالتشديد أي شبّك والضمير في «بينها» راجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة.

وقال ابن ميثم: المراد بأزواجها نفوسها الّتي هي الملائكة السماويّة بمعنى قرائنها وكلّ قرين زوج، أي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كلّ جرم سماويّ لنفسها الّتي لا يقبلها غيره.

وأقول: القول بكون السّماوات حيوانات ذوات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام، بل نقل السيّد المرتضى رحمه الله إجماع المسلمين على أنّ الأفلاك لا شعور لها ولا إرادة، بل هي أجسام جماديّة يحرّكها خالقها. ويمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكّلون

بها أو القاطنون فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئيّة، ويمكن حمل الفقرات السابقة أيضاً على هذين الوجهين الأخيرين ويمكن أن يكون المراد بأزواجها أشباهها في الجسميّة والإمكان من الأرضيّات ويناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويّات بالآباء والسفليّات بالأمّهات.

«وذلّل للهابطين» يقال «ذلّل البعير» أي جعله ذلولاً وهو ضدّ الصعب الّذي لا ينقاد من الذّلّ بالكسر وهو اللين والحزونة: خلاف السهولة، والمعراج: السلّم والمصعد، و«نداء السّماء» إشارة إلى ما مرّ من قوله سبحانه ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[1].

«فالتحمت عرى أشراجها» التحمت أي التزقت والتأمت، وعرى العيبة هي الحلق الّتي تضمّ بعضها إلى بعض وتشدّ وتقفل، و«الشرج» بفتحتين عرى العيبة والجمع: أشراج، وقيل: قد تطلق الأشراج على حروف العيبة الّتي تخاط. ولعلّ هذا الالتحام كناية عن تمام خلقها وفيضان الصور السماويّة عليها.

«وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها» فتق الثوب فتقاً: نقضت خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض، ورتقت الفتق رتقاً: أي سددته فارتتق، والأبواب الصامتة والمصمتة: المغلقة منها، وفتق صوامت الأبواب إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها وخرقها بعدما كانت رتقاً لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها وهذه الأبواب هي الّتي منها عروج الملائكة وهبوطها، وصعود أعمال العباد وأدعيتهم وأرواحهم، كما قال تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ والّتي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ﴾.

«وأقام رصداً» هو بالتحريك جمع «راصد» كخدم وخادم، أو اسم جمع كما قيل ويكون مصدراً كالرصد بالفتح، «والراصد» القاعد على الطريق منتظراً لغيره للاستلاب أو المنع، والمرصاد: الطريق والمكان يرصد فيه العدوّ وأرصدت له: أعددت. «والثواقب» الّتي تثقب الشياطين أو الهواء، أو يثقب الجوّ بضوئها، «والنقاب» بالكسر جمع «نقب» بالفتح وهو الثقب والخرق، والمراد إقامة الشهب الثواقب لطرد الشياطين عن استراق السمع كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[2] ولا صراحة فيه بكون ذلك المنع مقارناً لإيجاد السّماء حتّى ينافي ما دلّ على حدوثها ويحتمل تخلّل الرخصة بين المنعين أيضاً.

«وأمسكها من أن تمور» أي تموج وتضطرب، والخرق يكون بمعنى الثقب في الحائط والشقّ في الثوب وغيره، وهو في الأصل مصدر خرقته إذا قطعته ومزقته ويكون بمعنى القفر والأرض الواسعة، تنخرق فيها الرياح: أي تهبّ وتشتدّ و«الهواء» يقال للجسم الّذي هو أحد

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١. (٢) سورة الجن، الآية: ٩.

العناصر، ويقال لكلّ خال هواء كما قال سبحانه: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي خالية من العقل أو الخير، والمراد بالمور في خرق الهواء إمّا الحركة الطبيعيّة أو القسريّة في الفواصل الّتي تحدث بحركتها في الجسم الّذي هو أحد العناصر، إذ لا دليل على انحصاره في الّذي بين السّماء والأرض أو حركتها في المكان الخالي الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً، أو حركة أجزائها فيما بين السّماء والأرض. والأيد - بالفتح -: القوّة، والظرف متعلق بالإمساك، والاستسلام: الانقياد، ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن تعلّق الإرادة كما مرّ.

«آية مبصرة» الآية: العلامة: والمبصر: المدرك بالبصر، وفسّرت المبصرة في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ بالبيّنة الواضحة، وبالمضيئة الّتي يبصر بها، وبالمبصرة للناس من «أبصرته فبصر» وبالمبصر أهله كقولهم «أجبن الرجل» إذا كان أهله جبناء، والمحو: إذهاب الأثر وطمس النور، وفسّر محو القمر بكونه مظلماً في نفسه غير مضيء بذاته كالشمس وبنقصان نوره بالنظر إلى الشمس وبنقصان نوره شيئاً فشيئاً إلى المحاق.

وروي أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن اللطخة الّتي في وجه القمر فقال: ذاك محو آية الليل. ويمكن أن يكون لها مدخل في نقصان ضوء القمر. «من ليلها». قيل: «من» لابتداء الغاية أو لبيان الجنس ويتعلّق بممحوّة أو بجعل، وقيل: أراد من آيات ليلها.

و«المنقل» في الأصل الطريق في الجبل، والمدرج: المسلك، ودرج: أي مشى، والدرج - بالتحريك -: الطريق، و«درجيهما» في بعض النسخ على لفظ التثنية وفي بعضها مفرد، ومناقلهما ومدارجهما: منازلهما وبروجهما، والظاهر أنّ التميز والعلم غايتان لمجموع الأفعال السابقة، فيكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (١) وإلى قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (٢) ويحتمل أن يكون التميز غاية للأوّل، والعلم غاية للأخير أو الأخيرين، فيكون نشراً على ترتيب اللّفّ، وظاهر كلامه عليه السلام تفسير الآيتين المفردتين في الآية الأولى بالشمس والقمر لا بالليل والنهار، وإن كان المراد بالآيتين أوّلاً الليل والنهار وقيل: المراد جعلناهما ذوي آيتين، فتكون الشمس والقمر مقصودين بهما في الموضعين، والمراد بالحساب حساب الأعمار والآجال الّتي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم. ومقاديرهما: مقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما.

«ثمّ علّق في جوّها فلكها» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» هنا للترتيب الذكريّ ولعلّ المعنى أنّه أقرّ فلكها في مكانه من الجوّ بقدرته ولا ينافي نفي التعليق في نظم الأجزاء كما سبق، والجوّ:

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢. (٢) سورة يونس، الآية: ٥.

الفضاء الواسع، أو ما بين السّماء والأرض، والفلك - بالتحريك - : مدار النجوم، وقيل. أراد بالفلك دائرة معدّل النهار، وقيل: أراد به الجنس وهو أجسامها المستديرة الّتي يصدق عليها هذا الاسم، وقيل: الفلك هنا عبارة عن السّماء الدنيا، فيكون على وفق قوله سبحانه ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾(١) والتوجيه مشترك، وعلى المشهور من عدم كون جميعها في السّماء الدنيا لعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه كوكب يتحرّك بحركته وبالجوّ الفضاء الواسع الموهوم، أو الموجود الّذي هو مكان الفلك، ووجه إضافته إليها واضح فإنّ الفلك من جملتها، وكذا إضافة الفلك إليها، ويحتمل حينئذ أن يراد بفلكها المحيط المحرّك لجملتها. ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السّماء الّذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدير لها فكون فلكها في جوّها ظاهراً، أو يراد بالسّماء الأفلاك الكلّية، وبالفلك الأفلاك الجزئيّة الواقعة في جوفها. وفي بعض النسخ «علّق في جوّها فلكاً» بدون الضمير وهو يناسب كون الكواكب كلّها في فلك واحد.

و«ناط» أي علّق، والدراريّ: جمع «دريّ» وهو المضيء، وكأنّه نسب إلى الدرّ تشبيهاً به لصفائه، وقال الفرّاء: الكوكب الدّريّ عند العرب هو العظيم المقدار وقيل: هو أحد الكواكب السبعة السيّارة، وفي النهاية [أحد] الكواكب الخمسة السيّارة ولا يخفى أنّ وصف الدراريّ بالخفيّات ينافي القولين ظاهراً واستراق السمع: الاستماع مختفياً، «بثواقب شهبها» أي بشهبها الثاقبة تلميحاً إلى قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾(٢) وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(٣) والأذلال جمع «ذلّ» بالكسر، يقال: أمور الله جارية أذلالها بالنصب وعلى أذلالها أي مجاريها. ويقال: دعه على أذلاله، أي على حاله. وثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيّارات، والمراد بالهبوط إمّا مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين، أو التوجّه إلى حضيض الحامل، أو التدبير أو التوجّه إلى الغروب فإنّه الهبوط حسّاً ويقابله الصعود، والنحوس: ضدّ السعود.

«ثمّ خلق» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» هنا للترتيب الحقيقي، وسيأتي بعض الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الملائكة على السماوات، ويمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكّان السماوات الّذين لا يفارقونها. وعمارة المنزل جعله آهلاً ضدّ الخراب الّذي لا أهل له، والصفيح: السطح روجه كلّ شيء عريض. والصفيح أيضاً اسم من أسماء السماء، والمراد هنا سطح كلّ سماء، ويقابله الصفيح الأسفل وهو الأرض أو فوق السماء السابعة أو فوق الكرسيّ. والملكوت - كرهبوت - العزّ والسلطان، والفروج: الأماكن الخالية، والفجّ: الطريق

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٦. (٢) سورة الحجر، الآية: ١٨.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠.

الواسع بين الجبلين. وحشوت الوسادة بالقطن: جعلتها مملوّة منه، والفتق: الشقّ، والجوّ: الفضاء الواسع وما بين السماء والأرض، وهذا الكلام صريح في عدم تلاصق السماوات، وفي تجسّم الملائكة وأنّ ما بين السماوات مملوّة منهم، وبه تندفع شبهة لزوم الخلاء كما ستعرف. والفجوة: الفرجة والموضع المتّسع بين الشيئين. وزجل المسبّحين: صوتهم الرفيع العالي، والحظيرة في الأصل الموضع الّذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل يقيها الحرّ والبرد والريح. والقدس - بالضمّ وبضمّتين - الطهر، اسم ومصدر. «والسترات» بضمّتين جمع «سترة» بالضم، وهو ما يستتر به كالستارة. والحجاب: ما احتجب به، والسرادق: الّذي يمدّ فوق صحن البيت من الكرسف والمجد: الشرف والعظمة، والرجيج: الزلزلة والاضطراب، ومنه رجيج البحر.

«تستكّ منه الأسماع» أي تصمّ، وفسّروا السبحات بالنور والبهاء والجلال والعظمة، وقيل: سبحات الوجه محاسنه، لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، ولعلّ المراد بها الأنوار الّتي تحجب بها الأبصار ويعبّر عنها بالحجب وردعه - كمنعه -: كفّه وردّه، والخاسئ من الكلاب وغيرها: المبعد لا يترك أن يدنو من الناس، يقال: خسأت الكلب أي طردته وأبعدته. والضمير في «حدودها» راجع إلى السحاب، وقيل: أي تقف الأبصار حيث تنتهي قوّتها لأن قوّتها متناهية فإذا بلغت حدودها وقفت.

«أولي أجنحة تسبّح جلال عزّته» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾(١) وتسبّح في أكثر النسخ بالتشديد من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس من النقائص، والجلال: العظمة، والعزّة: القوّة والشدّة والغلبة، والجملة صفة لأولي أجنحة، وفي بعض النسخ «تسبح» بالتخفيف من السباحة، و«خلال» بالخاء المعجمة المكسورة، وهو وسط الشيء أو جمع «خلل» بالتحريك وهو الفرجة بين الشيئين، وفي بعضها «خلال بحار عزّته» ولعلّ المراد بسباحتهم سيرهم في أطباق السماوات وفوقها، أو عروجهم ونزولهم لأداء الرسالات وغيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح.

«لا ينتحلون» انتحل الشيء وتنحّله: إذا ادّعاه لنفسه وهو لغيره، أي: لا يدّعون الربوبيّة لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم ولأنفسهم، فتكون هذه الفقرة لنفي ادّعاء الاستبداد والثانية لنفي ادّعاء المشاركة، أو الأولى لنفي ادّعائهم الخالقيّة في ما لهم مدخل في وجوده بأمره تعالى والثانية لنفي ذلك في ما خلقه الله سبحانه بمجرّد أمره وإرادته. «مكرمون» بالتخفيف من الإكرام، وقرئ بالتشديد من التكريم، واللام في قوله «بالقول» عوض عن المضاف إليه، أي لا يسبقون الله بقولهم بل هم تابع لقوله سبحانه كما أنّ علمهم تابع لأمره. «جعلهم فيما

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

هنالك» لعلّه مخصوص يبعض الملائكة كما قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾[١] ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك، و«ما هنالك» عبارة عن مراتب الملائكة أو الأشغال والأمور المفوّضة إليهم، أو عن أربابها وأصحابها، وفي قوله «حملهم» تضمين معنى البعث أو الإرسال ونحوه. «وعصمهم» هذا يشمل جميعهم، والريب: الشكّ أو التهمة، والزيغ: العدول عن الحقّ، والمرضاة ضدّ السخط، والإمداد: الإعانة والتقوية، والفائدة: ما استفدته من طريقة مال أو علم أو غيرهما، والمعونة: مفعلة - بضمّ العين - من استعان به فأعانه، وقيل: الميم أصليّة، مأخوذة من «الماعون» ولعلّ المعنى تأيدهم بأسباب الطاعات والقربات والمعارف والألطاف الصارفة لهم عن المعاصي.

«وأشعر قلوبهم» أي ألزمهم، مأخوذ من الشعار وهو ما يلبس تحت الدثار، وقيل: من الشعور بمعنى الإدراك، يقال: أشعره الأمر وبه أي أعلمه.

والتواضع: التخاشع والتذلّل، وأخبت الرجل: خضع لله وخشع قلبه، والسكينة: الطمأنينة والوقار والرزانة والمهابة، والحاصل عدم انفكاكهم عن الخوف والخشوع. والذلل - بضمّتين -: جمع ذلول ضدّ الصعب، ومجّده: أثنى عليه وعظّمه، والجمع للدلالة على الأنواع، وفتح الأبواب كناية عن إلهامها وتسهيلها عليهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أمّارة بالسوء بل خلقهم خلقة يلتذّون بها كما ورد أنّ شرابهم التسبيح وطعامهم التقديس. والمنار: جمع المنارة، وهي العلامة، وأصله النور ولذا أنّثت «الواضحة» والأعلام: جمع «علم» بالتحريك وهو الجبل الطويل أو ما يعلم به الشيء ونصب المنار لهم على الأعلام عبارة عن غاية ظهورها لعدم معارضته الشكوك والشبهات الّتي تكون للبشر، ولوفور الدلائل لهم لقربهم من ساحة عزّه وملكوته ومشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه وجبروته، والمؤصرات: المثقلات، وعدمها لعصمتهم وعدم خلق الشهوات فيهم.

ورحّل البعير وارتحله: حطّ عليه الرحل وهو مركب للبعير، وفي الحديث «ارتحلني ابني الحسن» أي جعلني كالراحلة وركب على ظهري، والارتحال أيضاً الإزعاج والإشخاص. والعقبة - بالضم -: النوبة، والجمع «عقب» كغرفة وغرف والعقبة الليل والنهار لأنّهما يتعاقبان، قيل: أي لم يؤثّر فيهم ارتحال الليالي والأيّام كما يؤثّر ارتحال الإنسان البعير في ظهره، حملاً على الوجه الأوّل، وعلى الثاني فالمعنى: لم يزعجهم تعاقب الليالي والأيّام ولم يوجب رحيلهم عن دارهم والغرض تنزيههم عمّا يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكرور الأزمنة. و«النوازع» في بعض النسخ بالعين المهملة من نزع في القوس إذا جذبها ومدّها، ونوازع الشكوك: الشبهات، وقيل: أي شهواتها، والنازعة: المحرّكة وفي

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

بعضها بالغين المعجمة كما في النهاية من نزغ الشيطان بين القوم أي أفسد، ويقال نزغه الشيطان أي وسوس إليه، والعزيمة: ما وكدت رأيك وعزمك عليه، والمعترك: موضع القتال، والاعتراك: الازدحام والظنّ يكون بمعنى الاعتقاد الراجح غير الجازم، وبمعنى الشكّ ويطلق على ما يشملهما، ولعلّ الأخير هنا أظهر، ومعقد الشيء: موضع شدّه، يقال: عقدت الحبل والبيع والعهد ويكون مصدراً، والحاصل نفي تطرّق الشبه والشكوك إلى عقائدهم اليقينيّة.

«ولا قدحت» يقال: قدح بالزند - كمنع - أي رام الإيراء به، وهو استخراج النار، وربما يحمل على القدح بمعنى الطعن وهو بعيد. و«الإحن» جمع «إحنة» وهي الحقد والغضب، أي لا يثير الغضب والعداوات الكامنة فتنة فيما بينهم، والحيرة: عدم الاهتداء إلى وجه الصواب، ولاق الشيء بغيره أي لزق ومنه الليقة للصوق المداد بها، والغرض نفي الحيرة عنهم في عقائدهم، ويحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدّة الحبّ وكمال المعرفة كما سيأتي، وفي الصحيفة السجّادية «ولا يغفلون عن الوله إليك» فالمعنى أنّ شدّة ولههم لا توجب نقصاً في معرفتهم وغفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر. وأثناء الشيء: تضاعيفه وجاء في أثناء الأمر أي في خلاله جمع «ثني» بالكسر.

«فتقترع» في بعض النسخ بالقاف من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة والاختبار فالغرض نفي تناوب الوساوس وتواردها عليهم، وفي بعضها بالفاء من فرعه أي علاه، والأوّل أنسب بالطمع، والرين - بالنون كما في بعض النسخ -: الطبع والدنس والتغطية، وران ذنبه على قلبه ريناً أي غلب، وفي بعضها بالباء الموحّدة، والفكرة إعمال النظر في الشيء «منهم» أي من مطلق الملائكة، والغمام والغمائم جمع الغمامة وهي السحابة، والدلح: جمع الدالح وهو الثقيل من السحاب لكثرة مائه، والدلح أن يمشي البعير بالحمل وقد أثقله، والشامخ من الجبال: المرتفع العالي، والقترة - بالضمّ -: بيت الصائد الّذي يتستّر به عند تصيّده من جصّ ونحوه، ويجمع على «قتر» مثل غرفة وغرف، ويطلق على حلقة الدرع. والكوّة: النافذة، والظلام: ذهاب النور، والأيهم: الّذي لا يهتدى فيه، ومنه فلاة يهماء، قيل: هذا النوع من الملائكة خزّان المطر وزواجر السحاب ولعلّه شامل لمشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل وإن كان السحاب مكانهم قبل النزول، والموكّلون بالجبال للحفظ وسائر المصالح والساكنون في الظلمات لهداية الخلق وحفظهم أو غير ذلك.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب، وفي عظم الخلقة بالجبال، وفي السواد بالظلمة، بل هو عندي أظهر.

و«تخوم الأرض» بضم التاء معالمها وحدودها، وهي جمع تخوم بالضم أيضاً وقيل: واحدها «تخم» بالضم والفتح، وقيل: التخم: حدّ الأرض، والجمع: تخوم، نحو فلس

وفلوس. وقال ابن الأعرابيّ وابن السكّيت: الواحد تخوم والجمع تخم، مثل رسول ورسل وفي النسخ بالضمّ. والراية: علم الجيش، و«مخارق» المواضع الّتي تمكّنت فيها تلك الرايات بخرق الهواء، والريح الهفّافة: الطيّبة الساكنة، وقيل: أي ليست بمضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت.

«قد استفرغتهم أشغال عبادته» أي جعلتهم فارغين عن غيرها، وحقائق الإيمان: العقائد اليقينيّة الّتي تحقّ أن تسمّى إيماناً، أو البراهين الموجبة له، وفي بعض النسخ «وسّلت» بالسين المشدّدة، يقال: وسّل إلى الله توسيلاً وتوسّل أي عمل عملاً تقرّب به إليه «وقطعهم الإيقان به» أي صرفهم عمّا سوى الوله ووجّههم إليه، وهو في الأصل التحيّر من شدّة الوجد أو ذهاب العقل، والمراد عدم الالتفات إلى غيره سبحانه، والرغبة: الإرادة والسؤال والطلب والحرص على الشيء والطمع فيه، والمعنى أنّ رغباتهم وطلباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من قربه وثوابه وكرامته، ولعلّ الضمائر في تلك الفقرات راجعة إلى مطلق الملائكة كالفقرات الآتية، والباء في قوله عليه السلام: «بالكأس» إمّا للاستعانة أو بمعنى «من» وربما يضمن في الشرب معنى الالتذاذ ليتعدّى بالباء، والكأس: الإناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه، وهي مؤنّثة، والرويّة: المروية الّتي تزيل العطش، وسويداء القلب وسوداؤه: حبّته، والوشيجة في الأصل عرق الشجرة، يقال: وشجت العروق والأغصان أي اشتبكت، وحنيت الشيء أي عطفته، وأنفد الشيء أفناه ومادّة التضرّع ما يدعو إليه، وأطلق عن الأسير إذا حلّ أسره والربقة - بالكسر - في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، وعدم نفاد مادّة التضرّع فيهم لعدم تطرّق النقص إلى علمهم بعظمة الله وبحاجتهم إليه وعدم الشواغل لهم عن ذلك وعدم انتهاء مراتب العرفان والقرب الداعيين لهم إلى التضرّع والعبادة ومع ذلك لا يتطرّق الضعف إلى قواهم فبقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قربهم وكلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته سبحانه كما سيأتي الإشارة إليه، ويقال: تولّاه أي اتّخذه وليّاً، وتولّى الأمر أي تقلّده، وعدم تولّي الإعجاب كناية عن عدم الاستيلاء، والإعجاب استعظام ما يعدّه الإنسان فضيلة لنفسه، ويقال: أُعجب زيد بنفسه - على البناء للمفعول - إذا ترفّع وسرّ بفضائله، وأعجبني حسن زيد إذا عجبت منه. واستكثره: عدّه كثيراً، وما سلف منهم: طاعاتهم السالفة، والاستكانة: الذلّ والخضوع، واستكانة الإجلال خضوعهم الناشئ عن ملاحظة جلال الله وعظمته، والفترة: مرّة من الفتور وهو السكون بعد حدّة واللين بعد شدّة ودأب في أمره - كمنع - دؤوباً: جدّ وتعب، وغاض الماء غيضاً ومغاضاً قلّ ونقص، والمناجاة: المخاطبة سرّاً، وأسلة اللسان: طرفه ومستدقّه، والهمس: الصوت الخفيّ، والجؤار - كغراب -: رفع الصوت بالدعاء والتضرّع، أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة، وفي بعض النسخ «بهمس الخير» وفي بعضها «بهمس الحنين» وتوجيههما لا يخلو من تكلّف

ومقاوم الطاعة: صفوف العبادة جمع «مقام» وعدم اختلاف المناكب عبارة عن عدم تقدّم بعضهم على بعض أو عدم انحرافهم، وثنيت الشيء ثنياً: عطفته (و) أثناه أي كفّه وثنيته - أيضاً -: صرفته إلى حاجته، وراحة التقصير: الراحة الحاصلة بإقلال العبادة أو تركها بعد التعب، وعدا عليه أي قهره وظلمه، والتبلّد ضدّ التجلّد والتحيّر، وبلد الرجل بلادة فهو بليد (أي) غير ذكيّ ولا فطن، وانتضل القوم وتناضلوا إذا رموا للسبق، والهمّة ما همّ به من أمر ليفعل، وخدائع الشهوات: وساوسها الصارفة عن العبادة، وانتضالها تواردها وتتابعها، والفاقة: الفقر والحاجة ويوم فاقتهم يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار، ولا يبعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعاتهم بازدياد القرب وإفاضة المعارف وذكره سبحانه لهم وتعظيمه إيّاهم وغير ذلك، فيكون إشارة إلى يوم جزائهم ويمّموه أي قصدوه، والانقطاع إلى أحد: صرف الوجه عن غيره والتوجّه إليه والضمير في «رغبتهم» إمّا راجع إلى الملائكة كضمير «فاقتهم» أو إلى الخلق أو إليهما على التنازع. والأمد: المنتهى، وقد يكون بمعنى امتداد المسافة، و«يرجع» يكون لازماً ومتعدّياً، تقول: رجع زيد ورجعته أنا. واهترّ فلان بكذا واستهتر فهو مهترٌ به ومستهتر - على بناء المفعول - أي مولع به لا يتحدّث بغيره ولا يفعل غيره، والمادة: الزيادة المتصلة، وكلّ ما أعنت به قوماً في حرب أو غيره فهو مادّة لهم، ولعلّ المراد هنا بها المعين والمقوّي، وكلمة «من» في قوله «من قلوبهم» ابتدائيّة أي إلى موادّ ناشئة من قلوبهم غير منقطعة، وفي قوله «من رجائه» بيانيّة فالمراد الخوف والرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة، ويحتمل أن تكون الأولى بيانيّة أو ابتدائيّة والثانية صلة للانقطاع، والغرض إثبات دوام خوفهم ورجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ «الموادّ» والسبب: كلّ ما يتوصّل به إلى غيره، والشفقة: الخوف، والونى: الضعف والفتور، ولم تأسرهم أي لم تجعلهم أسراء، والإيثار: الاختيار، والوشيك: القريب والسريع، والمعنى: ليسوا مأمورين في ربقة الطمع حتّى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطموع في الدنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هو شأن البشر.

واستعظام العمل: العجب المنهيّ عنه، ونسخ الشيء إزالته وإبطاله وتغييره، والمراد بالرجاء هنا ما تجاوز الحدّ المطلوب منه، ويعبّر عنه بالاغترار، وشفقات الوجل تارات الخوف ومرّاته. «لم يختلفوا في ربّهم» أي في الإثبات والنفي، أو في التعيين، أو في الصفات كالتجرّد والتجسّم وكيفيّة العلم وغير ذلك، وقيل: أي في استحقاق كمال العبادة، ويقال: استحوذ عليه أي استولى، وهو ممّا جاء على الأصل من غير إعلال، والتقاطع: التعادي وترك البرّ والإحسان، وتولّيت الأمر أي قمت به، وتولّيت فلاناً: اتّخذته وليّاً أي محبّاً وناصراً، والغلّ: الحقد والشعبة من كلّ شيء: الطائفة منهم، وشعّبتهم أي فرّقتهم، وفي بعض النسخ «تشعّبتهم» على التفعّل والأوّل أظهر، والريب جمع «ريبة» بالكسر وهو

الشكّ أو هو مع التهمة، ومصارفها: وجوهها وطرقها من الأمور الباطلة الّتي تنصرف إليها الأذهان عن الشبه، أو وجوه انصراف الأذهان عن الحقّ بالشبه أو الشكوك والشبه أنفسها. واقتسموا المال بينهم أي تقاسموه، وأخياف الهمم: مختلفها وأصله من الخيف بالتحريك وهو زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى في الفرس وغيره ومنه قيل لأخوة الأمّ «أخياف» لأنّ آباءهم شتّى. والهمّة - بالكسر -: ما عزمت عليه لتفعله، وقيل: أوّل العزم، والغرض نفي الاختلاف بينهم والتمادي والتفرّق بعروض الشكوك واختلاف العزائم، أو نفي الاختلاف عنهم وبيان أنّهم فرقة واحدة لبراءتهم عن الريبة واختلاف الهمم.

والزيغ: الجور والعدول عن الحقّ، وفي التفريع دلالة على أنّ الصفات السابقة من فروع الإيمان أو لوازمه، والطبق محرّكة في الأصل الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه «الحمّى المطبقة» و«الجنون المطبق» و«السماوات أطباق» لأنّ كلّ سماء طبق لما تحتها. والإهاب - ككتاب -: الجلد، والحافد: المسرع والخفيف في العمل، ويجمع على «حفد» بالتحريك ويطلق على الخدم لإسراعهم في الخدمة، والعزّة: القوّة والغلبة، والعظم - كعنب -: خلاف الصغر مصدر «عظم» وفي بعض النسخ بالضمّ وهو اسم من «تعظّم» أي تكبّر. ودحوها على الماء أي بسطها، وكبس الرجل رأسه في قميصه إذا أدخله فيه، وكبس البئر والنهر طمّهما بالتراب وملأهما، قال بعض شارحي النهج: كبس الأرض أي أدخلها الماء بقوّة واعتماد شديد. ومور الأمواج أي تحرّكها واضطرابها واستفحل الأمر: أي تفاقم واشتدّ، وقيل: أمواج مستفحلة أي هائجة هيجان الفحول، وقيل أي صائلة، واللّجة - بالضمّ -: معظم الماء، ومنه «بحر لجّيّ» وزخر البحر: مدّ وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه، واللطم: ضرب الخدّ بالكف مفتوحة، والتطمت الأمواج وتلاطمت: ضرب بعضها بعضاً، والآذيّ - بالمد والتشديد -: الموج الشديد، والجمع «أواذي» والصفق: الضرب يسمع له صوت والصفق: الردّ، واصطفقت الأمواج أي ضرب بعضها بعضاً وردّها، والتقاذف: الترامي بقوّة، و«الثبج» بتقديم الثاء المثلّثة على الباء الموحّدة وثبج البحر بالتحريك: معظمه ووسطه، وقيل: أصله ما بين الكاهل إلى الظهر، والمراد أعالي الأمواج. والرغاء - بالضمّ - صوت الإبل. والزبد - بالتحريك - الّذي يعلو السيل، وقيل: «زبداً» منصوب بمقدّر، أي ترغو قاذفة زبداً. وأقول: الظاهر أن «ترغو» من الرغوة مثلّثة وهي الزبد يعلو الشيء عند غليانه، يقال: رغى اللبن أي صارت له رغوة، ففيه تجريد ولا ينافيه التشبيه بالفحل، والفحل: الذكر من كلّ حيوان، وأكثر ما يستعمل في الإبل، وهاج الفحل: ثار واشتهى الضراب. وخضع أي ذلّ، وجماح الماء غليانه من جمح الفرس إذا غلب فارسه ولم يملكه. وهيج الماء: ثورانه وفورته، والارتماء: الترامي والتقاذف، وارتماء الماء: تلاطمه، وأصل الوطء: الدوس بالقدم، والكلكل: الصدر،

وذلّ أي صار ذليلاً أو ذلولاً - ضدّ الصعب - وفي بعض النسخ «كلّ» أي عرض له الكلال، من كلّ السيف إذا لم يقطع والمستخذي - بغير همز كما في النسخ -: الخاضع والمنقاد، وقد يهمز على الأصل. و«تمعّكت» مستعار من تمعّكت الدابّة أي تمرّغت في التراب، والكاهل: ما بين الكتفين «فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً» الاصطخاب افتعال من الصخب وهو كثرة الصياح واضطراب الأصوات، والساجي: الساكن، والحكمة - محرّكة -: حديدة في اللجام تكون على حنك الفرس تمنعه عن مخالفة راكبه.

ثمّ إنّه أورد هنا إشكال، وهو أنّ كلامه عليه السلام يشعر بأنّ هيجان الماء وغليانه وموجه سكن بوضع الأرض عليه، وهذا خلاف ما نشاهده ويقتضيه العقل لأنّ الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموّج وصعد علوّاً فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه؟

وأجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه وبين تلك الريح، ولذلك إذا جعلنا في الإناء ماءً وروّحنا بمروحة فإنّه يتحرّك، فإن جعلنا على سطح الماء جسماً يملأ حافات الإناء وروّحناه بالمروحة فإنّ الماء لا يتحرّك، لأنّ ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحة وبين سطح الماء، فمن الجائز أن يكون الماء في الأوّل هائجاً لأجل ريح محرّكة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء وبين تلك الريح وسيأتي في كلامه عليه السلام ذكر هذه الريح حيث قال: اعتقم مهبّها إلى آخر ما سيأتي. والأولى أن يقال: إنّ غرضه عليه السلام ليس نفي التموّج مطلقاً بل نفي التموّج الشديد الّذي كان للماء إذ حمله سبحانه على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة بقدرته الكاملة وأنشأ ريحاً لمخضه مخض السقاء، فكانت كرة الماء تندفق من جميع الجوانب وتردّ الريح أوّله على آخر وساجيه على مائره، كما سيأتي في كلامه عليه السلام ثمّ لمّا كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلا ريب في انقطاع الهبوب والتمويج من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء، وأيضاً لما منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الّذي كان ينتهي إليه ذلك الحدّ من الماء كان ذلك أيضاً من أسباب ضعف التموّج وقلّة التلاطم، وأيضاً لمّا تفرّقت كرة الماء في أطراف الأرض ومال الماء بطبعه إلى المواضع المنخفضة من الأرض وصار البحر الواحد المجتمع بحاراً متعدّدة وإن اتّصل بعضها ببعض وأحاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلّا من جهة السطح الظاهر سكنت الفورة الشديدة بذلك التفرّق وقلّة التعمّق وانقطاع الهبوب فكلّ ذلك من أسباب السكون الّذي أشار إليه عليه السلام.

وأقول: ممّا يبيّن ذلك أنّه إذا فرضنا حوضاً يكون فرسخاً في فرسخ وقدّرنا بناء عمارة عظيمة في وسطه فلا ريب في أنّه يقلّ بذلك أمواجه، وكلّما وصل موج من جانب من الجوانب إليه يرتدع ويرجع. ثمّ إنّ هذه الوجوه إنّما تبدى جرياً على قواعد الطبيعيّين

وخيالاتهم الواهية، وإلاّ فبعد ما ذكره عليه السلام لا حاجة لنا إلى إبداء وجه، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض وكبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لا تحيط به عقولنا الضعيفة.

وقال ابن ميثم: مقتضى الكلام أنّ الله تعالى خلق الماء قبل الأرض وسكن بها مستفحل أمواجه، وهذا ممّا شهد به البرهان العقليّ فإنّ الماء لمّا كان حاوياً لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماسّ لسطحه الظاهر مكاناً لها، وظاهر أنّ للمكان تقدّماً طبيعيّاً باعتبار ما على المتمكّن فيه وإن كان اللفظ يعطي تقدّم خلق الماء على خلق الأرض تقدّماً زمانياً كما هو المقبول عند السامعين «انتهى»[1].

ولا يخفى بعد أمثال تلك التأويلات الباردة في تلك العبارات الظاهرة الدلالة على التقدّم والحدوث الزمانيّين كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

«وسكنت الأرض مدحوّة» أي مبسوطة، ولا ينافي الكرويّة، وقيل: هو من الدحو بمعنى القذف والرمي، واللجّة: معظم الماء كما مرّ، والتيّار: الموج وقيل: أعظم الموج، ولجّته: أعمقه، والنخوة: الافتخار والتعظّم والأنفة والحميّة. والبأو: الرفعة والتعظّم والكبر، والاعتلاء: التيه والترفّع، وشمخ بأنفه أي تكبّر، من شمخ الجبل إذا ارتفع. والسموّ: العلوّ، وغلواء الشباب: أوّله وشرّته، والغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم ومنعها إيّاه عن تموّجه وهيجانه، وكعمت البعير أي شددت فمه إذا هاج بالكعام - ككتاب - وهو شيء يجعل في فيه، والكظّة - بالكسر -: ما يعتري الممتلئ من الطعام، والجرية - بالكسر -: حالة الجريان، أو مصدر، وكظّة الجرية: ما يشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل، وهمدت الريح: سكنت، وهمود النار: خمودها، ونزق الفرس - كسمع ونصر وضرب - نزقاً ونزوقاً: نزى ووثب، والنزقات: دفعاته ونزق الغدير امتلأ إلى رأسه، وعلى هذا فالهمود بمعنى الغور والأوّل أظهر، والزيفان - بالتحريك - التبختر في المشي، من زاف البعير يزيف اذا تبختر، وفي بعض النسخ «ولبد بعد زيفان وثباته» يقال: لبد بالأرض كنصر إذا لزمها وأقام ومنه اللبد - ككتف - لمن لا يبرح منزله ولا يطلب معاشاً، ويروى «ولبد بعد زفيان» بتقديم الفاء على الياء، وهو شدّة هبوب الريح، يقال: زفت الريح السحاب إذا طردته، والزفيان - بالفتح -: القوس السريعة الإرسال للسهم، والوثبة: الطفرة، وهيج الماء: ثورانه وفورته، وأكنافها أي جوانبها ونواحيها، وشواهق الجبال: عواليها، والباذخ: العالي، والينبوع: ما انفجر من الأرض من الماء ولعلّه اعتبر فيه الجريان بالفعل فيكون من إضافة الخاص إلى العام أو التكرير للمبالغة، وقيل: الينبوع الجدول الكثير الماء فلا يحتاج إلى تكلّف، وعرنين الأنف: أوّله تحت مجتمع الحاجبين، والظاهر أنّ ضمير

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني، ج ٢ ص ٣٧٢.

«أنوفها» راجع إلى الأرض كالضمائر السابقة واللاحقة، واستعار لفظ «العرنين» و«الأنف» لأعالي رؤوس الجبال، وإنّما خصّ الجبال بتفجّر العيون منها لأنّ العيون أكثر ما يتفجر من الجبال والأماكن المرتفعة، وأثر القدرة فيها أظهر ونفعها أتمّ. والسهب: الفلاة البعيدة الأكناف والأطراف، والبيد بالكسر: جمع بيداء وهي الفلاة الّتي يبيد سالكها أي يهلكه، والأخاديد: جمع «أخدود» وهو الشقّ في الأرض، والمراد بأخاديدها مجاري الأنهار، ولعلّ تعديل الحركات بالراسيات أي الجبال الثابتات جعلها عديلاً للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركة فيستفاد سكونها، فالباء صلة لا سببيّة، أو المعنى سوى الحركات في الجهات أي جعل الميول متساوية بالجبال فسكنت لعدم المرجّح، فالباء سببيّة، ويحتمل أن يكون المراد أنّه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرّك للزلازل وقد لا تتحرّك، ولم يجعل الحركة غالبة على السكون مع احتمال كونها دائماً متحرّكة بحركة ضعيفة غير محسوسة ومن ذهب إلى استناد الحركة السريعة إلى الأرض لا يحتاج إلى تكلّف، والجلاميد: جمع جلمد وجلمود أي الصخور، والشناخيب: جمع شنخوب - بالضمّ - أي رؤوس الجبال العالية، والشمّ: المرتفعة العالية، والصياخيد: جمع صيخود وهي الصخرة الشديدة، والميدان - بالتحريك - التحرّك والاضطراب، ورسب في الماء - كنصر وكرم - رسوباً: ذهب سفلاً، وجبل راسب أي ثابت، والقطع - كعنب -: جمع قطعة بالكسر وهي الطائفة من الشيء، ويروى بسكون الطاء وهو طنفسة الرحل قيل: كأنّه جعل الأرض ناقة وجعل لها قطعاً، وجعل الجبال في ذلك القطع. والأديم: الجلد المدبوغ، وأديم السماء والأرض: ما ظهر منهما ورسوب الجبال في قطع أديمها دخولها في أعماقها.

والتغلغل: الدخول، والسرب - بالتحريك -: بيت في الأرض لا منفذ له يقال: تسرّب الوحش وانسرب في جحره أي دخل، والجوبة: الحفرة والفرجة والخيشوم: أقصى الأنف، والسهل من الأرض: ضدّ الحزن، وجرثومة الشيء - بالضمّ -: أصله، وقيل: التراب المجتمع في أصول الشجر، وهو أنسب. ولعلّ المراد بجراثيمها المواضع المرتفعة منها، ومفاد الكلام أنّ الأرض كانت متحرّكة مضطربة قبل خلق الجبال فسكنت بها، وظاهره أنّ لنفوذ الجبال في أعماق الأرض وظهورها وارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلاً في سكونها، وقد مرّ بعض القول في ذلك في كتاب التوحيد وسيأتي بعضه في الأبواب الآتية إن شاء الله.

وفسح له كمنع أي وسّع، ولعلّ في الكلام تقدير مضاف أي بين منتهى الجوّ وبينها، أو المراد بالجوّ منتهاه أعني السطح المقعّر للسماء. والمتنسّم: موضع التنسّم وهو طلب النسيم واستنشاقه، وفائدته ترويح القلب حتّى لا يتأذّى بغلبة الحرارة. ومرافق الدار: ما يستعين به أهلها ويحتاج إليه في التعيّش، وإخراج أهل الأرض على تمام مرافقها إيجادهم وإسكانهم فيها بعد تهيئة ما يصلحهم بمعاشهم والتزوّد إلى معادهم. والجرز - بضمّتين -: الأرض الّتي

لا نبات بها ولا ماء، والرابية: ما ارتفع من الأرض وكذلك الربوة - بالضمّ - والجدول - كجعفر -: النهر الصغير، والذريعة: الوسيلة، وناشئة السحاب: أوّل ما ينشأ منه، أي يبتدئ ظهوره، ويقال: نشأت السحاب إذا ارتفعت، والغمام جمع الغمامة - بالفتح - فيهما وهي السحابة البيضاء، واللمع - كصرد -: جمع لمعة بالضمّ وهي في الأصل قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس كأنّها تلمع وتضيء من بين سائر البقاع، والقزع: جمع قزعة - بالتحريك فيهما - وهي القطعة من الغيم، وتباين القزع: تباعدها، والمخض - بالفتح -: تحريك السقاء الّذي فيه اللبن ليخرج زبده وتمخّضت أي تحرّكت، واللّجّة: معظم الماء، والمزن: جمع المزنة - بالضمّ فيهما - وهي الغيم، وقيل: السحابة البيضاء، وضمير «فيه» راجع إلى المزن أي تحرّكت فيه اللجّة المستودعة فيه واستعدّت للنزول. والتمع البرق ولمع أي أضاء وكففه: حواشيه وجوانبه، وطرف كلّ شيء كفّة بالضمّ، وعن الأصمعيّ: كلّ ما استطال كحاشية الثوب والرمل فهو كفّة بالضمّ، وكلّ ما استدار ككفّة الميزان فهو كفّة بالكسر ويجوز فيه الفتح. ووميض البرق: لمعانه، ولم ينم أي لم ينقطع ولم يفتر، والكنهور - كسفرجل -: قطع من السحاب كالجبال، وقيل: المتراكم منه، والرباب - كسحاب -: الأبيض منه، وقيل: السحاب الّذي تراه كأنّه دون السحاب وقد يكون أسود وقد يكون أبيض جمع «ربابة» والمتراكم والمرتكم: المجتمع، وقيل الميم بدل من الباء كأنّه ركب بعضه بعضاً، والسحّ: الصبّ والسيلان من فوق، والمتدارك: من الدرك بالتحريك وهو اللحاق، يقال: تدارك القوم إذا لحق آخرهم أوّلهم وأسفّ الطائر: إذا دنا من الأرض، وهيدبه: ما تهدّب منه أي تدلّى كما تتدلّى هدب العين، ومرى الناقة يمريها أي مسح ضرعها حتّى درّ لبنها، وعدّي ههنا إلى مفعولين، وروي تمري بدون الضمير والجنوب - بالفتح - الريح مهبّها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا، وهي أدرّ للمطر، والدرر - كعنب -: جمع درّة بالكسر أي الصبّ والاندفاق، وقيل: الدرر الدارّ كقوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ أي قائماً، والهضب: المطر، ويجمع على أهضاب ثمّ على أهاضيب كقول وأقوال وأقاويل والدفعة من المطر بالضمّ ما انصبّ مرّة، والشآبيب: جمع شؤبوب وهو ما ينزل من المطر دفعة بشدّة، والبرك: الصدر، والبواني: قوائم الناقة وأركان البنية. وقال بعض شرّاح النهج: بوانيها بفتح النون تثنية بوان على فعال بكسر الفاء، وهي عمود الخيمة، والجمع «بون» ومن روى بوانيها أراد لواصقها من قولهم قوس بانية إذا التصقت بالوتر، والرواية الأولى أصحّ (انتهى) وفي النسخ القديمة المصحّحة على صيغة الجمع، وفي النهاية فسّر البواني على أركان البنية، وفي القاموس بقوائم الناقة، وعلى التقادير الإضافة لأدنى ملابسة. وفي الكلام تشبيه السحاب بالناقة المحمول عليها، والخيمة الّتي جرّ عمودها. والبعاع - كسحاب -: ثقل السحاب من المطر، واستقلّت أي نهضت وارتفعت، واستقلّت به: حملته ورفعته، والعبء الحمل

والثقل بكسر الجميع، والهوامد من الأرض: الّتي لا نبات بها، والزعر - بالتحريك -: قلّة الشعر في الرأس، يقال رجل أزعر، والأزعر: الموضع القليل النبات، والجمع زعر - بالضمّ - كأحمر وحمر والمراد ههنا القليلة النبات من الجبال تشبيهاً بالرؤوس القليلة الشعر، والعشب بالضمّ الكلأ الرطب، ويهج كمنع وفرح (سرّ) وقال بعض الشرّاح: من رواه بضمّ الهاء أراد يحسن ويملح من البهجة أي الحسن، والروضة من العشب: الموضع الّذي يستنقع فيه الماء، واستراض الماء أي استنقع وتزدهي أي تتكبّر وتفتخر افتعال من الزهو وهو الكبر والفخر، والريط: جمع ريطة - بالفتح فيهما -: كلّ ملاءة ليست بلفقين أي قطعتين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة. وقيل كلّ ثوب رقيق ليّن. والأزاهير: جمع أزهار جمع زهرة - بالفتح - وهي النبات ونوره، وقيل: الأصفر منه، وأصل الزهرة الحسن والبهجة، والحلية - بالكسر -: ما يتزيّن به من مصوغ الذهب والفضّة والمعدنيّات. ما سُمّطت به أي أُعلقت على بناء المجهول من التفعيل، وفي بعض النسخ الصحيحة بالشين المعجمة، والشميط من النبات ما خالط سواده النور الأبيض، وأصله الشمط - بالتحريك - وهو بياض الرأس يخالط سواده، والنضارة: الحسن والطراوة، والنور - بالفتح -: الزهر أو الأبيض منه، والبلاغ - بالفتح -: ما يتبلّغ به ويتوسّل إلى الشيء المطلوب، والفجّ: الطريق الواسع بين الجبلين، والفجاج: جمعه، وخرقها: خلقها على الهيئة المخصوصة، والآفاق: النواحي، والمنار: جمع منارة وهي العلامة، والمراد ههنا ما يهتدي به السالكون من الجبال والتلال أو النجوم، والأوّل هنا أظهر، والجادّة: وسط الطريق ومعظمه، ومهّد الشيء: وسّعه وبسطه، ومهّد الأمر: سوّاه وأصلحه، ولعلّ المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحة في نظام أمور ساكنيها، وقيل: يحتمل أن يراد بتمهيد الأرض جعلها مهاداً أي فراشاً كما قال جلّ وعلا ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أو جعلها مهداً أي مستقرّاً كالمهد للصبيّ كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

وإنفاذ الأمر: إمضاؤه وإجراؤه، والخيرة - كعنبة -: المختار، والجبلّة - بكسر الجيم والباء وتشديد اللّام -: الخلقة والطبيعة، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ذوي الجبلّة، ويحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق، وقيل: الجبلّة: الجماعة من الناس، والمراد بأوّل الجبلّة أوّل شخص من نوع الإنسان ردّاً على من قال بقدم الأنواع المتوالدة. وأرغد الله عيشه أي جعله واسعاً طيّباً، والأكل - بضمّتين -: الرزق والحظّ، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ وأوعزت إلى فلان في فعل أو ترك أي تقدّمت، والمراد النهي عن الأكل من الشجرة، وخاطر بنفسه وماله أي أشفاهما على خطر وألقاهما في مهلكة، والضمير في «منزلته» راجع إلى آدم، ويحتمل رجوعه إليه سبحانه كضمير «معصيته» على الظاهر.

قوله عليه السلام: «موافاة» قال ابن أبي الحديد: لا يجوز أن ينتصب لأنّه مفعول له ليكون عذراً

وعلّة للفعل، بل على المصدريّة المحضة كأنّه قال: فوافى بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة: «فأهبطه بعد التوبة» هو صريح في أنّ الإهباط كان بعد التوبة فما يظهر من كثير من الآيات والأخبار من عكس ذلك لعلّه محمول على التوبة الكاملة أو على القبول ويقال بتأخّره عن التوبة. وقد تقدّم تأويل تلك المعصية وأضرابها في المجلّد الخامس.

«ممّا يؤكد عليهم» لعلّ التعبير بلفظ التأكيد لكون معرفة الربّ سبحانه فطريّة أو لوضوح آيات الصنع في الدلالة على الخالق جلّ ذكره أو للأمرين.

وقال في المغرب: تعهّد الضيعة وتعاهدها: أتاها وأصلحها، وحقيقته جدّد العهد بها. والقرن: أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنّه المقدار الّذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، فقيل: أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة، وقيل: مائة. وقال الزجّاج: الّذي عندي - والله أعلم - أنّ القرن أهل كلّ مدّة كان فيها نبيّ أو طبقة من أهل العلم سواء قلّت السنون أو كثرت. ومقطع الشيء: آخره كأنّه قطع من هناك، وعذر الله: ما بيّن للمكلّفين من الإعذار في عقوبته لهم إن عصوه ونذره: ما أنذرهم به من الحوادث ومن أنذره على لسانه من الرسل كذا قيل وقيل: هما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار والمراد ختم الرسالة بنبيّنا ﷺ.

«وقدر الأرزاق» لمّا كان المتبادر من القسمة البسط على التساوي بيّن ما أراده بذكر الكثير والقليل، ثمّ لمّا كان ذلك موهماً للجور دفع الوهم بذكر العدل ونبّه على وجه الحكمة بذكر الابتلاء والاختبار، وروي «فعدّل» بالتشديد، والتعديل: التقويم، والمآل واحد. والإبتلاء: الإمتحان، والميسور والمعسور مصدران بمعنى العسر واليسر كالمفتون بمعنى الفتنة، ويمتنع عند سيبويه مجيء المصدر على مفعول. قال: الميسور الزمان الّذي يوسر فيه. والإختبار فيه سبحانه صورته. و«غنيّها وفقيرها» نشر على ترتيب اللّف على الظاهر، والضمير فيهما إلى الأرزاق، وفي الإضافة توسّع، ويحتمل عوده إلى الأشخاص المفهوم من المقام أو إلى الدنيا، أو إلى الأرض، ولعلّ إحداهما أنسب ببعض الضمائر الآتية. والعقابيل: جمع عقبول وعقبولة - بالضمّ - وهي قروح صغار تخرج بالشفة غبّ الحمّى وبقايا المرض، وفي تشبيه الفاقة وهي الفقر والحاجة وآثارها بالعقابيل من اللطف ما لا يخفى لكونها ممّا يقبح في المنظر وتخرج في العضو الّذي لا يتيسّر سترها عن الناس وتشتمل على فوائد خفيّة وكذلك الفقر وما يتبعه، وأيضاً تكون غالباً بعد التلذّذ بالنعم، وطوارق الآفات: متجدّدات المصائب وما يأتي منها بغتة من الطروق وهو الإتيان بالليل، والفرج: جمع فرجة وهي التفصّي من الهمّ وفرجة الحائط أيضاً، والفرح: السرور والنشاط، والغصّة - بالضمّ -: ما اعترض في الحلق والنزح - بالتحريك -: الهمّ والهلاك والانقطاع أيضاً، والأجل - محرّكة -: مدّة الشيء، وغاية الوقت في الموت، وحلول الدين، وتعليق الإطالة

والتقصير على الأوّل واضح، وأمّا التقديم والتأخير فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مدّة غاية وحينئذٍ يرجع التقديم إلى التقصير والإطالة إلى التأخير ويكون العطف للتفسير تأكيداً، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقاً على بعض وتقديم بعض الأمم على بعض مثلاً فيكون تأسيساً، ويمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلاً كما ورد في الأخبار وبتأخيرها مدّها لبعض الأسباب فيعود الضمير في «قدّمها وأخّرها» إلى الآجال بالمعنى الثاني على وجه الاستخدام أو نوع من التجوّز في التعليق كما مرّ، والسبب: في الأصل الحبل يتوسّل به إلى الماء ونحوه ثمّ توسّعوا فيه، واتصال أسباب الآجال أي أسباب انقضائها أو أسباب نفسها على المعنى الثاني بالموت واضح، ويحتمل أن تكون الأسباب عبارة عن الآجال بالمعنى الأوّل.

وخالجاً أي جاذباً، والشطن - بالتحريك -: الحبل، وأشطان الآجال الّتي يجذبها الموت هي الأعمار شبّهت بالأشطان لطولها وامتدادها. والمرائر: جمع مرير ومريرة وهي الحبال المفتولة على أكثر من طاق، ذكره في النهاية، وقيل: الحبال الشديدة الفتل، وقيل: الطول الدقاق منها. والأقران جمع قرن - بالتحريك - وهو في الأصل حبل يجمع به البعيران ولعلّ المراد بمرائر أقران الآجال: الأعمار الّتي يرجى امتدادها لقوّة المزاج والبنية ونحو ذلك وكلمة «من» في قوله «من ضمائر المضمرين» بيانية، والضمائر: الصور الذهنية المكنونة في المدارك، والنجوى: اسم يقام مقام المصدر، وهو المسارّة، والخواطر: ما يخطر في القلب من تدبير أمر ونحو ذلك، ورجم الظنون: كلّ ما يسبق إليه الظنّ من غير برهان أو مسارعته، والحديث المرجم: الّذي لا يدرى أحقّ هو أم باطل، وعقدة كلّ شيء - بضمّ -: الموضع الّذي عقد منه وأحكم، ومسارق العيون: النظرات الخفيّة كأنّها تسترق النظر لإخفائها وأومضت المرأة: إذا سارقت النظر، وأومض البرق: إذا لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم، والجفن - بالفتح -: غطاء العين من أعلى وأسفل وجمعه جفون وأجفن وأجفان، والمقصود إحاطة علمه سبحانه بكلّ معلوم جزئي وكلّي ردّاً على من قصر علمه على البعض كالكلّيات. والأكنان والأكنّة: جمع الكنّ - بالكسر - وهو اسم لكلّ ما يستتر فيه الإنسان لدفع الحرّ والبرد من الأبنية ونحوها، وستر كلّ شيء ووقاؤه كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وقال ابن أبي الحديد: ويروى «أكنّة القلوب» وهي غلفها وأغطيتها وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾.

وغيابة البئر: قعره، وأصغى أي استمع، وأصغى إليه أي مال بسمعه نحوه واستراق السمع: الاستماع في خفية، وصاخ وأصاخ له أي استمع ومصائخ الأسماع خروقها الّتي يستمع بها، والذرّ: صغار النمل، ومصايفها: المواضع الّتي تصيّف فيها أي تقيم فيها بالصيف، ومشاتي الهوامّ مواضع إقامتها بالشتاء، والهامّة كلّ ذات سمّ يقتل، وما لا يقتل

فهو السامّة كالعقرب، وقد يقع الهوامّ على ما يدبّ من الحيوان كالحشرات. والحنين: شدّة البكاء وصوت الطرب عن حزن أو فرح، ورجعه: ترجيعه وترديده، وقيل: أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها أثر ولدها والمولهات: النوق، وكلّ أنثى حيل بينها وبين أولادها وفي بعض النسخ «الموالهات» وأصل الوله زوال العقل والتحيّر من شدّة الوجد. والهمس: أخفى ما يكون من صوت القدم أو كلّ صوت خفيّ، والمنفسح: موضع السعة، ومنفسح الثمرة: موضع نموّها في الأكمام ويروى «متفسّخ» بالخاء المعجمة وتشديد السين والتاء مصدراً من تفسّخت الثمرة إذا انقطعت، والوليجة: الدخيلة والبطانة. وقال ابن أبي الحديد: الولائج: المواضع الساترة والواحد وليجة وهي كالكهف يستتر فيها المارّة من مطر أو غيره. والغلف - بضمّة وبضمّتين -: جمع غلاف ككتاب، ويوجد في النسخ على الوجهين، والكم - بالكسر -: وعاء الطلع وغطاء النّور وجمعه أكمام وأكمّة وكمام. وكلمة «من» على ما في الأصل بيانيّة أو تبعيضيّة، وعلى الرواية صلة أو بيانيّة. والمنقمع - على زنة المفعول من باب الانفعال -: موضع الاختفاء - كما في أكثر النسخ - وفي بعضها من باب التفعّل بمعناه والغيران: جمع غار، وهو ما ينحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتّسع قيل «كهف». وقيل: الغار: الجحر يأوي إليه الوحش، أو كلّ مطمئنّ في الأرض أو المنخفض من الجبل. والبعوض: البقّ، وقيل: صغارها، والواحدة بهاء، ومختبأ البعوض: موضع اختبائه، والسوق: جمع ساق، والألحية: جمع اللحاء ككساء وهو قشر الشجر. وغرزه في الأرض - كضربه -، أدخله وثبّته، ومغرز الأوراق: موضع وصلها، والأفنان: جمع فنن - بالتحريك - وهو الغصن، والحطّ: الحدر من علو إلى سفل والأمشاج قيل مفرد وقيل جمع مشج بالفتح أو بالتحريك أو مشيج على فعيل أي المختلط. قيل في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط من الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وقيل: من الأجزاء المختلفة في الاستعداد، وقيل: أمشاج أي أطوار: طوراً نطفة، وطوراً علقة، وهكذا. وقيل: أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة وسيأتي الكلام فيه، وكلامه عليه السلام يؤيّد بعض الوجوه الأوّلة كما لا يخفى.

والمسارب: المواضع الّتي ينسرب فيها المنيّ أي يسيل، أو ينسرب فيها المنيّ أي يختفي، من قولهم انسرب الوحشيّ إذا دخل في جحره واختفى، أو مجاري المنيّ من السرب بمعنى الطريق، والمراد أوعيتها من الأصلاب أو مجاريها، وتفسير المسارب بالأخلاط الّتي يتولّد منها المنيّ كما احتمله ابن ميثم بعيد، والمراد بمحطّ الأمشاج مقرّ النطفة من الرحم أو من الأصلاب على بعض الوجوه في المسارب فتكون كلمة «من» تبعيضيّة، ولعلّ الأوّل أظهر.

والناشئة من السحاب: أوّل ما ينشأ منه ولم يتكامل اجتماعه أو المرتفع منه، ومتلاحم الغيوم: ما التصق منها بعضها ببعض، والدرور: السيلان، والقطر - بالفتح -: المطر،

والواحدة «قطرة» والسحائب: جمع سحابة، ومتراكمها: المجتمع المتكاثف منها، وفي بعض النسخ «وتراكمها».

وسفت الريح التراب تسفيه أي ذرته ورمت به أو حملته، والأعاصير: جمع الإعصار وهو بالكسر الريح الّتي تهبّ صاعداً من الأرض نحو السماء كالعمود، وقيل: الّتي فيها نار، وقيل: الّتي فيها العصار وهو الغبار الشديد، وذيولها: أطرافها الّتي تجرّها على الأرض، ولطف الاستعارة ظاهر. وعفت الريح الأثر إذا طمسته ومحته، وعفي الأثر إذا انمحى يتعدّى ولا يتعدّى، والعوم: السباحة وسير السفينة والإبل، و«بنات الأرض» بتقديم الباء على ما في أكثر النسخ: الحشرات والهوامّ الّتي تكون في الرمال وغيرها كاللحكة والعصابة وغيرهما، وحركتها في الرمال لعدم استقرارها تشبه السباحة، وفي بعض النسخ بتقديم النون فالمراد حركة عروقها في الرمال كأرجل السابحين وأيديهم في الماء، والكثبان بالضمّ جمع الكثيب وهو التلّ من الرمل، والمستقرّ: موضع الاستقرار، ويحتمل المصدر. وذروة الشيء - بالضمّ والكسر -: أعلاه، وغرد الطائر - كفرح - وغرّد تغريداً: رفع صوته وطرب به وذوات المنطق من الطيور ما له صوت وغناء كأنّ غيره أبكم لا يقدر على المنطق. والدياجير: جمع ديجور وهو الظلام والمظلم والإضافة على الثاني من إضافة الخاصّ إلى العامّ. والوكر - بالفتح - عشّ الطائر، وما أوعته الأصداف أي ما حفظته وجمعته من اللآلىء. والحضن - بالكسر -: ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر، أو العضدان وما بينهما. وحضن الصبيّ - كنصر -: جعله في حضنه، وما حضنته الأمواج: العنبر والمسك وغيرهما، وما غشيته أي غطّته، والسدفة - بالضمّ -: الظلمة، وذرّت الشمس أي طلعت، وشرقت الشمس أي أضاءت، وما اعتقبت أي تعاقبت وجاءت واحدة بعد أخرى، والأطباق: جمع طبق بالتحريك وهو غطاء كلّ شيء وتارات الظلمة تستر الأشياء كالأغطية، وسبحات النور: مرّاته، وسبحات وجه الله أنواره، وقال ابن أبي الحديد: ليس يعني بالسبحات ههنا ما يعني به في قوله «سبحات وجه ربّنا» لأنّه هناك بمعنى الجلالة، وههنا بمعنى ما يسبح عليه النور أي يجري، من سبح الفرس وهو جريه والمتعاقبان: النور والظلمة أي ما تغطّيه ظلمة بعد نور ونور بعد ظلمة، ويحتمل أن يراد تعاقب أفراد كلّ منهما. وأثر القدم: علامته الّتي تبقى في الأرض، والخطوة: المشية، والحسّ: الصوت الخفيّ، ورجع الكلمة: ما ترجع به من الكلام إلى نفسك وتردّده في فكرك أو جواب الكلمة أو ترديد الصوت وترجيعه عند التلفّظ بالكلمة، أو إرجاع النفس للتلفّظ بكلمة بعد الوقف على كلمة، والرجع يكون لازماً ومتعدّياً. والنسمة - محرّكة -: الإنسان أو كلّ دابّة فيها روح، ومستقرّ النسمة: إمّا الصلب أو الرحم أو القبر أو مكانه في الدنيا أو في الآخرة أو الأعمّ. ومثقال الذرّة: وزنها لا المثقال المعروف كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ والهمهمة: الصوت الخفيّ أو ترديد الصوت في الحلق أو تردّد الصوت في الصدر من الهمّ. كلّ نفس هامّة أي ذات همّة تعزم على

أمر، والوصف للتعميم، وما عليها أي على الأرض بقرينة المقام كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ والنطفة ماء الرجل، والماء الصافي قلّ أو كثر ويطلق على قليل ماء في دلو أو قربة، والأوّل أظهر في المقام. وقرارتها: موضعها الّذي تستقرّ فيه، وأصل القرارة: المطمئنّ من الأرض يستقرّ فيه ماء المطر وجمعها «القرار» ونقاعة كلّ شيء بالضمّ الماء الّذي ينقع فيه، وقال الشرّاح: النقاعة نقرة يجتمع فيها الدم. والمضغة - بالضمّ -: القطعة من اللحم قدر ما يمضغ، وناشئة الخلق: الصورة ينشئها سبحانه في البدن أو الروح الّتي ينفخها فيه، والسلالة - بالضمّ -: ما استلّ واستخرج من شيء، وفي الكلام إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ - إلى قوله: - ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] ثمّ الغرض من ذكره هذه الأشياء التنصيص على عموم علمه سبحانه مع الإشارة إلى أصناف خلقه وأنواع بريّته وعجائب ربوبيّته، فإنّ الدليل على علمه بها خلقه لها وحفظه وتربيته لكلّ منها وإظهار بدائع الحكمة في كلّ صفة من أوصافها وحال من أحوالها كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

«لم تلحقه في ذلك» المشار إليه إمّا العلم بالجزئيّات المذكورة وإمّا خلق الأشياء المذكورة قبل تفصيل المعلومات أو فيها أيضاً كما قلنا إنّ الغرض ليس محض تعلّق العلم بها. كلفة أي مشقّة، ولا اعترضته أي منعته، والعارضة: ما يستقبلك من شيء يمنعك عن مسيرك. «ولا اعتورته» قيل: اعتورته: أحاطت به، وفي اللغة: اعتوروا الشيء أي تداولوه وتناوبوه، و«في تنفيذ الأمور» أي إجرائها وإمضائها والتدبير: النظر في عاقبة الأمر أو الفعل عن رويّة، والمراد هنا إمضاء الأمور على وفق المصلحة والعلم بالعواقب. والملالة: السأمة والضجر، وفتر عن العمل: انكسر حدّته ولان بعد شدّته «بل نفذ فيهم علمه» أي أحاط علمه بظواهرهم وبواطنهم وفي بعض النسخ «نفذهم» على الحذف والإيصال. والعدّ: مصدر عددته، وفي بعض النسخ «عدده» وغمرهم أي غطّاهم وسترهم وشملهم فضله، وكنه الشيء: نهايته وحقيقته، والوصف الجميل: ذكر الفضائل، والتعداد - بالفتح -: مصدر للمبالغة والتكثير، وقال الكوفيّون، أصله التفعيل الّذي يفيد المبالغة، قلبت ياؤه ألفاً وبالكسر شاذّ، والأمل: ضدّ اليأس، و«خير» خبر مبتدأ محذوف، وكذلك «أكرم» والبسط: النشر والتوسيع، وكلمة «في» إمّا زائدة أو للظرفيّة المجازيّة والمفعول محذوف أي بسطت لي القدرة أو الكلام فيما لا أمدح به غيرك، والغرض شكره سبحانه على فضيلة البلاغة والعلم به سبحانه ومدائحه والتوفيق على قصر المدح على الله جلّ شأنه، والخيبة: الحرمان، والمخلوقون هم معادنها لأنّ عطاياهم قليلة فانية مع أنّهم لا يعطون غالباً، وهم مواضع الريبة أي التهمة والشكّ لعدم الوثوق بإعطائهم وعدم الاعتماد عليهم في رعاية مصلحة في المنع

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤. (٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

والله سبحانه لا يمنع إلاّ لمصلحة تعود إلى السائل ويدّخر مع ذلك له أضعاف ما سأل في الدار الباقية.

والمثوبة: الثواب، والجزاء: المكافاة على الشيء، والعارفة: الإحسان. «دليلاً على ذخائر الرحمة» أي هادياً إلى أسبابها بالتوفيق والتأييد، وذخائر الرحمة: عظائم العطايا، وأصل الذخيرة المختار من كلّ شيء أو ما يعدّه الرجل ليوم حاجته. «وهذا مقام» اسم مكان، ويحتمل المصدر. والمحمدة - بفتح العين وكسرها -: مصدر حمده كسمعه، والفاقة: الفقر، والجبر في الأصل إصلاح العظم المكسور، والمسكنة: الخضوع والذلّة وقلّة المال وسوء الحال، ونعشه: رفعه، والخلّة - بالفتح - الفقر والحاجة، وضميرا «مسكنتها» و«خلّتها» راجعان إلى الفاقة وفي الإضافة توسّع. والمنّ: العطاء، ومد الأيدي كناية عن الطلب، وإظهار الحاجة، والقدير: مبالغة في القادر.

وإنّما بسطنا الكلام بعض البسط في شرح هذه الخطبة لكونها من جلائل الخطب، وذكرنا جميعها لذلك ولكون أكثرها متعلّقاً بمطالب هذا المجلّد، وتفريقها على الأبواب كان يوجب تفويت نظام البلاغة وكمالها كما فوّت السيّد رحمه الله كثيراً من فوائد الخطبة باختصارها واختيارها، وأمّا دلالتها على حدوث السّماء والأرض والملائكة وغير ذلك فغير خفيّ على المتأمّل فيها.

٩١ - **الكافي:** عن محمّد بن عليّ بن معمر، عن محمّد بن عليّ، عن عبد الله بن أيّوب الأشعري، عن عمرو الأوزاعيّ، عن عمرو بن شمر، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الهيثم بن التيّهان، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة فقال: الحمد لله الّذي لا إله إلاّ هو، كان حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان - إلى قوله - ولا قوي بعدما كوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه، كان إلهاً حيّاً بلا حياة، ومالكاً قبل أن يكون ينشئ شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه للكون[1].

ومنه: عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن موسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام مثله[2].

التوحيد: عن أحمد بن محمّد بن يحيى عن أبيه مثله. «ص ١٧٣».

بيان: «ولم يكن له كان» ظاهره نفي الزمان عنه تعالى، وإن احتمل أن يكون «كان» اسماً بمعنى الكون على لغة من يقلب الواو والياء الساكنين أيضاً مع انفتاح ما قبلهما ألفاً، ثمّ لا يخفى دلالة سائر الفقرات على حدوث ما سواه سبحانه.

---

(١) روضة الكافي، ح ٨.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٥٣ باب الكون والمكان ح ٣.

قوله «ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه» الملك يكون بمعنى السلطنة وبمعنى المملكة فيحتمل أن يكون المراد عند ذكره أوّلاً وعند إرجاع الضمير إليه ثانياً هو المعنى الأوّل، أو في الأوّل الأوّل وفي الثاني الثاني على طريقة الاستخدام، ويكون الضمير راجعاً إلى الله بالإضافة إلى الفاعل ولا يلائم الأخير الفقرة التالية.

٩٢ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمّد بن النعمان أو غيره عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه ذكر هذه الخطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمعة: الحمد لله أهل الحمد ووليّه، ومنتهى الحمد ومحلّه، البديء البديع - إلى قوله - الّذي كان في أوّليّته متقادماً وفي ديموميّته متسيطراً خضع الخلائق لوحدانيّته وربوبيّته وقديم أزليّته، ودانوا لدوام أبديّته[١].

بيان: المتسيطر: المتسلّط.

٩٣ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أحمد بن محمّد ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الموصليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربّك؟ فقال له: ثكلتك أمّك! ومتى لم يكن حتّى يقال متى كان؟ كان ربّي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كلّ غاية[٢].

٩٤ - **ومنه:** عن عليّ بن محمّد، رفعه عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام كان الله ولا شيء؟ قال: نعم، كان ولا شيء. قلت: فأين كان يكون؟ قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً. وقال: أحلت يا زرارة وسألت عن المكان إذ لا مكان[٣].

بيان: «أحلت» أي تكلّمت بالمحال.

٩٥- **الكافي:** عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن زيد، قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى عليّ: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً، ومبتدعها ابتداءً بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع (الخبر)[٤].

العلل: عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن سهل مثله[٥].

التوحيد: عن محمّد بن الحسن، عن الصفّار، عن سهل مثله. «ص ٨٩».

---

(١) روضة الكافي، ح ١٩٤.
(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٥٤ باب الكون والمكان ح ٥.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٥٤ ح ٧.
(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٦١ باب النهي عن الجسم والصورة ح ٣.
(٥) علل الشرائع، ج ١ باب ٩ ح ٣.

٩٦- **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن خالد الطيالسيّ، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله عزّ وجلّ ربُّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور. فلمّا أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور. قال: قلت: فلم يزل الله متحرّكاً؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك! إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل، قال، قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟ قال: فقال: إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم[1].

التوحيد: عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم مثله. «ص ١٣٩».

٩٧- **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه[2].

٩٨- **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن أيّوب ابن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزّ وجلّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها أو لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كوّن عندما كوّن. فوقّع بخطّه عليه السلام: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء[3].

التوحيد: عن أحمد بن محمّد بن يحيى عن أبيه مثله. «ص ١٤٥».

٩٩ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد بن حمزة، قال: كتبت إلى الرجل عليه السلام أسأله إنّ مواليك اختلفوا في العلم، فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء، وقال بعضهم: لا نقول لم يزل عالماً لأنّ معنى يعلم يفعل، فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً. فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه. فكتب عليه السلام بخطّه: لم يزل الله تعالى عالماً تبارك وتعالى ذكره[4].

بيان: قد مرّ شرح هذا الخبر ويدلّ زائداً على ما سبق في الأخبار على أنّه كان معلوماً عند الأصحاب أنّه لا يجوز أن يكون شيء مع الله في الأزل ولمّا توهّموا أنّ العلم يستلزم حصول صورة نفوا العلم في الأزل لئلاً يكون معه تعالى غيره قياساً على الشاهد فلم يتعرّض عليه السلام لإبطال توهّمهم، وأثبت العلم القديم له تعالى وبالجملة هذه الأخبار صريحة في أنّ المخلوقات كلّها مسبوقة بعدم يعلمها سبحانه في حال عدمها.

١٠٠ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد، عن

---

(١) - (٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٦٣ باب صفات الذات ح ١-٢ و٤-٥.

القاسم بن محمّد، عن عبد الصمد بن بشير، عن فضيل بن سكرة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن رأيت أن تعلّمني هل كان الله جلّ وجهه يعلم قبل أن يخلق الخلق أنّه وحده، فقد اختلف مواليك، فقال بعضهم: قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئاً من خلقه، وقال بعضهم: إنّما معنى يعلم يفعل، فهو اليوم يعلم أنّه لا غيره قبل فعل الأشياء، فقالوا: إن أثبتنا أنّه لم يزل عالماً بأنّه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليّته، فإن رأيت يا سيّدي أن تعلّمني ما لا أعدوه إلى غيره. فكتب: ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره[1].

التوحيد: عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار عن أبيه مثله. «ص ١٤٥».

١٠١ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: إنّ المريد لا يكون إلاّ لمراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثمّ أراد[2].

١٠٢ - **ومنه:** عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الله وموسى بن عمرو والحسن بن عليّ بن عثمان، عن ابن سنان، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عزّ وجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم. قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك، لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمّي نفسه، لكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها (الخبر)[3].

التوحيد والعيون ومعاني الأخبار: عن أبيه، عن أحمد بن إدريس مثله.

١٠٣ - **الكافي:** محمّد بن يحيى ومحمّد بن عبد الله جميعاً رفعاه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قام خطيباً فقال: الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد الّذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان - إلى قوله - ولم يتكأده صنع شيء كان إنّما قال لما شاء كن فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق، ولا تعب ولا نصب، وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق، وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً، علمه قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها - إلى قوله - الواحد الأحد الصمد، المبيد للأبد، والوارث للأمد، الّذي لم يزل ولا يزال وحدانياً أزلياً قبل بدء الدهور، وبعد صروف الأمور (الخبر)[4].

ثمّ قال الكلينيّ رحمه الله: هذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام حتّى لقد ابتذلها العامّة!

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٦٣ باب صفات الذات ح ٦.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٦٤ باب الإرادة أنها من صفات الفعل. . . ح ١.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٦٦ باب حدوث الأسماء ح ١.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٧ باب جوامع التوحيد، ح ١.

وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها - إلى أن قال - ألا ترون إلى قوله «لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان» فنفى بقوله «لا من شيء كان» معنى الحدوث، وكيف أوقع على ما خلقه صفة الخلق والاختراع بلا أصل ولا مثال نفياً لقول من قال إنّ الأشياء كلّها محدثة بعضها من بعض، وإبطالاً لقول الثنوية الّذين زعموا أنّه لا يحدث شيئاً إلاّ من أصل ولا يدبّر إلاّ باحتذاء المثال، فدفع عليه السلام بقوله «لا من شيء خلق ما كان» جميع حجج الثنوية وشبههم، لأنّ أكثر ما تعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا: لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء، فقولهم «من شيء» خطأ وقولهم «من لا شيء» مناقضة وإحالة، لأنّ «من» يوجب شيئاً و«لا شيء» ينفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ، وأصحّها وقال عليه السلام «لا من شيء خلق ما كان» فنفى «من» إذ كانت توجب شيئاً، ونفى «الشيء» إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً، لا من أصل أحدثه الخالق كما قالت الثنوية أنّه خلق من أصل قديم فلا يكون تدبير إلاّ باحتذاء مثال[1].

التوحيد: عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، وأحمد بن يحيى بن زكريا القطّان، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي معاوية، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، وعن أحمد بن محمّد بن الصقر، عن محمّد بن العبّاس ابن بسام، عن سعيد بن محمّد البصريّ، عن عمرة بنت أوس، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام مثله[2].

١٠٤ - **الكافي:** وعنه، عن محمّد بن أبي عبد الله، رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لذعلب: إنّ ربّي لطيف اللطافة، لا يوصف باللطف، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله - إلى قوله - لا تحويه الأماكن، ولا تضمّنه الأوقات - إلى قوله - سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله - إلى قوله - ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، وشاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه، كان ربّاً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسميعاً إذ لا مسموع[3].

بيان: ظاهر قوله عليه السلام: «ففرّق بين قبل وبعد» أنّه سبحانه ليس بزمانيّ أصلاً، ويحتمل أن يكون المعنى جعل حدوث كلّ شيء منوطاً بوقت ليعلم أنّه لا ابتداء لوجوده، أو جعل الأشياء بعضها علّة لبعض ليعلم أن لا علّة له، وهما بعيدان والأخير أبعد. وكذا قوله «أن لا وقت لموقّتها» ظاهره نفي الزمان وإن احتمل الوجه الثاني، وكذا قوله أوّلاً «لا تضمّنه

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٧ باب جوامع التوحيد، ح ١.
(٢) التوحيد، ص ٤١-٤٤.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٨٠ باب جوامع التوحيد، ح ٤.

الأوقات» يدلّ على ذلك، وإن احتمل أن يراد به لم يكن قبله وبعده زمان فيكون قد تضمّنه، وقد مرّ الكلام في قوله «سبق الأوقات كونه» ودلالة سائر الفقرات على حدوث ما سواه سبحانه ظاهرة.

١٠٥ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن شباب الصيرفيّ، عن عليّ بن سيف بن عميرة، عن إسماعيل بن قتيبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيّته، الدالّ على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله - إلى قوله - ولا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه[1].

١٠٦ - **قال:** ورواه محمّد بن الحسين، عن صالح بن حمزة، عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم، قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إليّ بخطّه: الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكر مثل ما رواه سهل إلى قوله - أوّل الديانة معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل - إلى قوله - عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، وربّ إذ لا مربوب، وكذلك يوصف ربّنا وفوق ما يصفه الواصفون[2].

التوحيد: عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن عليّ بن عباس، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن فتح بن يزيد الجرجانيّ عن الرضا عليه السلام مثله[3].

١٠٧ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن أحمد بن النضر وغيره، عمّن ذكره، عن عمرو بن ثابت، عن رجل سمّاه، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن الحارث الأعور، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: الحمد لله الّذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه لأنّه كلّ يوم هو في شأن من إحداث بديع لم يكن - إلى قوله - ليست له في أوّليّته نهاية، ولا لآخريّته حدّ ولا غاية، الّذي لم يسبقه وقت ولم يتقدّمه زمان - إلى قوله - الأوّل قبل كلّ شيء ولا قبل له، والآخر بعد كلّ شيء ولا بعد له - إلى قوله - أتقن ما أراد خلقه من الأشباح كلّها لا بمثال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه، في خلق ما خلق لديه، ابتدأ ما أراد ابتداءه، وأنشأ ما أراد إنشاءه على ما أراد من الثقلين ليعرفوا بذلك ربوبيّته (الخطبة)[4].

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٨٠ باب جوامع التوحيد، ح ٥-٦.

(٣) التوحيد، ص ٥٦.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٨١ باب جوامع التوحيد، ح ٧.

التوحيد: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن خالد مثله. «ص ٣١»

١٠٨ - **تفسير الفرات:** عن جعفر بن محمّد الفزاريّ، بإسناده عن قبيصة الجعفيّ، قال دخلت على الصادق عليه السلام وعنده جماعة فسلّمت وجلست وقلت: أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّة أو ظلمة أو نوراً؟ قال: يا قبيصة! كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام (الخبر)(١).

١٠٩ - **كتاب تأويل الآيات:** نقل من كتاب المعراج للصدوق رحمه الله بإسناده عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب عليّاً عليه السلام: يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك زوجين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين (الخبر)(٢).

١١٠- **كتاب المقتضب:** عن سلمان الفارسيّ رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا سلمان، خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته، فخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، فخلق من نوري ونور عليّ فاطمة، فدعاها فأطاعته، فخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه، ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، أو أرضاً مدحيّة، أو هواء أو ماء، أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع (الخبر)(٣).

الاختصاص: بإسناده إلى سلمان مثله(٤).

١١١ - **كتاب رياض الجنان:** لفضل الله الفارسيّ بإسناده عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة، ولا عرش ولا جنّة ولا نار، كنّا نسبّحه (الخبر).

١١٢ - وبإسناده إلى جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: يا جابر كان الله ولا شيء غيره [و] لا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثمّ بدا لله أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان «لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ووصيّه به أيّدته ونصرته» ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك، ثمّ خلق الله السماوات

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٥٥٢ ح ٧٠٧. ومرّ تمام الخبر في ج ٢٥ ص ٥ ح ٤.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٩.
(٣) مقتضب الأثر، ص ٢٠٧.
(٤) الاختصاص، ص ٢٠٧.

فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار فكتب عليهما مثل ذلك، ثمّ خلق الملائكة فأسكنهم السماء، ثمّ خلق الهواء فكتب عليه مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّ فأسكنهم الهواء، ثمّ خلق الأرض فكتب على أطرافها مثل ذلك، فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد، وثبتت الأرض، ثمّ خلق الله آدم من أديم الأرض - ثمّ ساق الحديث الطويل إلى قوله - فنحن أوّل خلق الله، وأوّل خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين (تمام الخبر).

١١٣ - وبإسناده عن المفضّل أنّه سأل الصادق عليه السلام : ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ قال: كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتّى خلق الله سبحانه الملائكة (الخبر).

١١٤ - وعن أحمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام.

١١٥ - وبإسناده إلى الصدوق، وبإسناده إلى عبد الله بن المبارك عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل المخلوقات بأربعة عشر ألف سنة، وخلق معه اثني عشر حجاباً.

١١٦ - وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق منه كلّ خير (الخبر بطوله).

١١٧ - وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل ما خلق الله نوري، ففتق منه نور عليّ، ثمّ خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة (الخبر).

١١٨ - كتاب الوصيّة للمسعودي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: خطب فقال: الحمد لله الّذي توحّد بصنع الأشياء، وفطر أجناس البرايا على غير أصل ولا مثال سبقه في إنشائها، ولا إعانة معين على ابتدائها، بل ابتدعها بلطف قدرته فامتثلت بمشيّته خاضعة ذليلة مستحدثة لأمره، الواحد الأحد الدائم بغير حدّ ولا أمد، ولا زوال ولا نفاد، وكذلك لم يزل ولا يزال، لا تغيّره الأزمنة، ولا تحيط به الأمكنة، ولا تبلغ صفاته الألسنة، ولا تأخذه نوم ولا سنة، لم تره العيون فتخبر عنه برؤية، ولم تهجم عليه العقول فتوهّم كنه صفته، ولم تدر كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه، ليس لقضائه مردّ ولا لقوله مكذّب، ابتدع الأشياء بغير تفكّر ولا معين، ولا ظهير ولا وزير، فطرها بقدرته، وصيّرها إلى مشيّته، فصاغ أشباحها، وبرأ أرواحها، واستنبط أجناسها، خلقاً مبروءاً مذروءاً في أقطار السماوات والأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتي عليه ليري عباده آيات جلاله وآلائه، فسبحانه لا إله إلّا هو الواحد القهّار، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً.

اللّهمّ فمن جهل فضل محمّد صلى الله عليه وآله فإنّي مقرّ بأنّك لا سطحت أرضاً ولا برأت خلقاً حتّى

أحكمت خلقه من نور سبقت به السلالة، وأنشأت له آدم جزماً فأودعته منه قراراً مكيناً، ومستودعاً مأموناً (إلى آخر الخطبة الطويلة)(١).

١١٩ - **الكافي**: عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المشيّة محدثة(٢).

بيان: إذا كانت المشيّة محدثة وجميع الأشياء موجودة بالمشيّة فهي أولى بالحدوث.

١٢٠ - **المتهجد**: في دعاء يوم الأحد: أنت الله الحيّ الأوّل، الكائن قبل جميع الأمور، والمكوّن لها بقدرتك، والعالم بمصادرها كيف تكون، أنت الّذي سموت بعرشك في الهواء لعلوّ مكانك، وسددت الأبصار عنه بتلألؤ نورك، واحتجبت عنهم بعظيم ملكك، وتوحّدت فوق عرشك بقهرك وسلطانك، ثمّ دعوت السماوات إلى طاعة أمرك، فأجبن مذعنات إلى دعوتك، واستقرّت على غير عمد من خيفتك وزيّنتها للناظرين، وأسكنتها العباد المسبّحين، وفتقت الأرضين فسطحتها لمن فيها مهاداً وأرسيتها بالجبال أوتاداً، فرسخ سنخها في الثرى، وعلت ذراها في الهواء فاستقرّت على الرواسي الشامخات، وزيّنتها بالنبات وخففت عنها بالأحياء والأموات (إلى آخر الدعاء)(٣).

١٢١ - وفي دعاء ليلة الاثنين: وعلوت بعرشك على العالمين، وأعمرت سماواتك بالملائكة المقرّبين، وعلّمت تسبيحك الأوّلين والآخرين، وانقادت لك الدنيا والآخرة بأزمّتها، وحفظت السماوات والأرض بمقاليدهما، وأذعنت لك بالطاعة ومن فوقها، وأبت حمل الأمانة من شفقتها، وقامت بكلماتك في قرارها، واستقام البحران مكانهما، واختلف الليل والنهار كما أمرتهما، وأحصيت كلّ شيء منهما عدداً، وأحطت بهما علماً، خالق الخلق ومصطفيه ومهيمنه ومنشئه وبارئه وذارئه، أنت كنت وحدك لا شريك لك إلهاً واحداً، وكان عرشك على الماء من قبل أن تكون أرض ولا سماء، ولا شيء ممّا خلقت فيهما بعزّتك كنت تدعى بديعاً مبتدعاً كينوناً كائناً مكوّناً كما سمّيت نفسك، ابتدأت الخلق بعظمتك ودبّرت أمورهم بعلمك (إلى آخر الدعاء)(٤).

١٢٢ - وفي دعاء ليلة الثلاثاء: يجول حول أركان عرشك النور والوقار من قبل أن تخلق السماوات والأرض، وكان عرشك على الماء، وكرسيّك يتوقّد نوراً، وسرادقك سرادق النور والعظمة، والإكليل المحيط به هيكل السلطان والعزّة والمدحة، لا إله إلاّ أنت ربّ العرش العظيم (إلى آخر الدعاء)(٥).

---

(١) إثبات الوصية، ص ١٢٣.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٦٥ باب الإرادة أنها من صفات الفعل... ح ٧.

(٣) مصباح المتهجد، ص ٣١٤.

(٤) مصباح المتهجد، ص ٣١٨.

(٥) مصباح المتهجد، ص ٣٢٥.

١٢٣ - وفي دعاء ليلة الخميس: خلقت خلقك فكلّ مشيّتك أتتك بلا لغوب، وكان عرشك على الماء، والظلمة على الهواء، والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة، يسبّحون بحمدك - إلى قوله - كنت قبل جميع خلقك[1].

١٢٤ - **الإقبال:** في دعاء ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان: لا إله إلاّ الله مدبّر الأمور، ومصرّف الدهور، وخالق الأشياء جميعاً بحكمته دالّة على أزليّته وقدمه (الدعاء)[2].

١٢٥ - وفي وداع شهر رمضان نقلاً من كتب الدعوات: الحمد لله الّذي لا يدرك العلماء علمه - إلى قوله - خلق خلقه من غير أصل ولا مثال، بلا تعب ولا نصب ولا تعليم، ورفع السماوات الموطودات بلا أصحاب ولا أعوان، وبسط الأرض على الماء بغير أركان، علم بغير تعليم وخلق بلا مثال، علمه بخلقه قبل أن يكوّنهم كعلمه بهم بعد تكوينه لهم - إلى قوله - الحمد لله الّذي كان إذ لم تكن أرض مدحيّة، ولا سماء مبنيّة، ولا جبال مرسيّة، ولا شمس تجري، ولا قمر يسري، ولا ليل يدجى، ولا نهار يضحى (إلى آخر الدعاء)[3].

١٢٦ - وبإسناده عن التلّعكبريّ بإسناده إلى أياس بن سلمة عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة: أنت الكائن قبل كلّ شيء، والمكوّن لكلّ شيء - إلى قوله - الحمد لله الّذي كان عرشه على الماء، حين لا شمس تضيء، ولا قمر يسري، ولا بحر يجري، ولا رياح تذري، ولا سماء مبنيّة، ولا أرض مدحيّة، ولا ليل يجنّ، ولا نهار يكنّ، ولا عين تنبع، ولا صوت يسمع، ولا جبل مرسي، ولا سحاب منشأ، ولا إنس مبروء، ولا جنّ مذروء، ولا ملك كريم، ولا شيطان رجيم، ولا ظلّ ممدود، ولا شيء معدود[4].

وفي دعاء آخر ليوم عرفة: ولك الحمد قبل أن تخلق شيئاً من خلقك، وعلى بدء ما خلقت إلى انقضاء خلقك[5].

١٢٧ - وفي دعاء الأضحى برواية مرسلة: وأنت البديع قبل كلّ شيء[6].

بيان: «ولا نهار يكنّ» بضم الياء وكسر الكاف أي يدعو إلى الكنّ لحرارة الشمس، في الصحاح: كننت الشيء: سترته وصنته من الشمس، أو بفتح الكاف أي يستر بظلمة الليل، أو بفتح الياء وكسر الكاف أي يستر الناس بضوئه، كأنّه لباس لهم لإحاطته بهم، والكنّة - بالكسر -: البياض أيضاً، أو بتخفيف النون من الوكن وهو السير الشديد، أو من وكن الطائر بيضه يكنه أي حضنه، ولا يخلو أكثرها من بعد.

---

(١) مصباح المتهجد، ص ٣٣٨.
(٢) إقبال الأعمال، ص ٤٨٥.
(٣) إقبال الأعمال، ص ٥٥٥.
(٤) إقبال الأعمال، ص ٦٨٠.
(٥) إقبال الأعمال، ص ٦٩٦.
(٦) إقبال الأعمال، ص ٧٤٨.

١٢٨ - **البلد الأمين:** من أدعية الأسبوع للسجّاد عليه السلام: الحمد لله الأوّل قبل الأشياء والأحياء[١].

١٢٩ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الّذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما كان، مستشهداً بحدوث الأشياء على أزليّته، وبفطورها على قدمته، كفى بإتقان الصنع له آية، وبحدوث الفطر عليه قدمة[٢].

١٣٠ - وفي دعاء ليلة السبت: الأوّل الكائن ولم يكن شيء من خلقك، أو يعاين شيء من ملكك - إلى قوله - خلقت السماوات والأرض فراشاً وبناءً، فسوّيت السماء منزلاً رضيته لجلالك ووقارك وعزّتك وسلطانك، ثمّ جعلت فيها كرسيّك وعرشك - إلى قوله - وأنت الله الحيّ قبل كلّ شيء، والقديم قبل كلّ قديم[٣].

١٣١ - **المهج والبلد:** عن الكاظم عليه السلام: كنت إذ لم يكن شيء، وكان عرشك على الماء، إذ لا سماء مبنيّة، ولا أرض مدحيّة، ولا شمس تضيء، ولا قمر يجري، ولا كوكب درّيّ، ولا نجم يسري، ولا سحابة منشأة، ولا دنيا معلومة، ولا آخرة مفهومة، وتبقى وحدك كما كنت وحدك، علمت ما كان قبل أن يكون[٤].

١٣٢ - **الخصال ومعاني الأخبار:** بإسناده المتّصل إلى سفيان الثوريّ، عن الصادق عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللوح والقلم والجنّة والنار، وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان، وقبل أن يخلق الأنبياء كلّهم بأربعمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة (إلى آخر الخبر)[٥].

١٣٣ - **العلل للصدوق:** بإسناده إلى معاذ بن جبل، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده، قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور (الخبر)[٦].

١٣٤ - **تفسير فرات بن إبراهيم:** بإسناده عن أبي ذرّ رحمه الله في خبر طويل في وصف المعراج، ساقه إلى أن قال: قلت: يا ملائكة ربّي هل تعرفونا حقّ معرفتنا؟ فقالوا: يا نبيّ الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله؟ خلقكم أشباح نور من نوره، وجعل لكم مقاعد في

---

(١) البلد الأمين، ص ١٢٩. (٢) البلد الأمين، ص ١٤٠.

(٣) البلد الأمين، ص ١٤٤.

(٤) مهج الدعوات، ص ٢٨٥، البلد الأمين، ص ٥٢٨.

(٥) الخصال، ص ٤٨١ باب ١٢ ح ٥٥، معاني الأخبار، ص ٣٠٦.

(٦) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٠٥ باب ١٥٦ ح ١١.

ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيّة، والأرض مدحيّة، ثمّ خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ رفع العرش إلى السماء السابعة، فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثمّ خلق الملائكة من بدو ما أراد من أنوار شتّى (الخبر)[1].

١٣٥ - **النهج:** فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماوات والأرض وخلق آدم عليه السلام: الحمد لله الّذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمه العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الّذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفتن، الّذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه. أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال «فيم؟» فقد ضمّنه، ومن قال «على م؟» فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً، بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، ومحيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها، ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّاره، متراكماً زخّاره، حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة، فأمرها بردّه، وسلّطها على شدّه، وقرنها على حدّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله على آخره، وساجيه على مائره حتّى عبّ عبابه ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق فسوّى منه سبع سماوات جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينتظمها، ثمّ زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، فأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر، ثمّ فتق ما بين السماوات العلى، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٣٧٢ ح ٥٠٣.

يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونهم أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة، وأستار القدرة، لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدّونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر[١].

مطالب السؤول: لابن طلحة مثله بأدنى تغيير.

إيضاح: قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد، ونشير هنا إلى بعض ما يناسب المقام. المدحة - بالكسر -: الحالة الّتي يكون المادح عليها في مدحه، والإضافة للاختصاص الخاصّ أي المدحة اللائقة بعزّة جلاله، ولعلّ المراد عجز جميع القائلين وإن اجتمعوا. والاجتهاد: السعي البليغ في العبادة، وظاهر قوله «ولا وقت معدود ولا أجل ممدود» نفي الزمان مطلقاً عنه تعالى كالمكان، ويمكن حملهما على الأزمنة المعدودة المتناهية، ولعلّ الأوّل للماضي والثاني للمستقبل والفطر: الابتداء والاختراع، وأصله الشقّ، ونشر الرياح: بسطها، وكلّ ما جاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد، ولعلّه إشارة إلى قلّة العذاب وسعة الرحمة، ويمكن أن يراد بالرحمة هنا المطر، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[٢] وقرئ بالباء والنون، وقيل: زعمت العرب أنّ السحاب لا تلقّح إلاّ من رياح مختلفة، فيمكن أن يكون المراد بالنشر ذلك، وقال الفرّاء: النشر من الرياح الطيّبة الليّنة الّتي تنشئ السحاب والتعميم أولى لأنّ رياح الرحمة كثيرة منها اللواقح، ومهيّجة السحب الماطرة، والحابسة لها بين السّماء والأرض، والعاصرة لها حتّى تمطر، والمجرية للجواري في البحار وغيرها. ووتد الشيء: بالتخفيف أي جعله محكماً مثبتاً بالوتد، والصخور: جمع الصخرة، وهي الحجر العظيم الصلب، والميدان - بالتحريك -: التحرّك والاضطراب، وقد مرّ تحقيق ذلك وسيأتي بعضه.

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» لعلّ مناسبة الإخلاص لنفي الصفات أنّ الإخلاص في العبادة بالنظر إلى عامّة الخلق هو أن لا يقصدوا في عبادتهم غيره تعالى من المخلوقين، وبالنظر إلى الخواص أن يعرفوا الله بحسب وسعهم وطاقتهم بالوحدانيّة ثمّ يعبدونه، فمن عبد الله وحده بزعمه وزعم أنّ له صفات زائدة فلم يعبد إلهاً واحداً بل آلهة كثيرة، بل لم يعبد الله أصلاً كما مرّ في الخبر «من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤ خ ١. (٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الّتي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقّاً» وقال ابن ميثم: المراد بالمعرفة المعرفة التامّة الّتي هي غاية العارف في مراتب السلوك، وأوّليّتها في العقل لكونها علّة غائية، وبيّن الترتيب بأنّ المعرفة تزاد بالعبارة وتلقّي الأوامر بالقبول، فيستعدّ السالك أوّلاً بسببها للتصديق بوجوده يقيناً، ثمّ لتوحيده، ثمّ للإخلاص له، ثمّ لنفي ما عداه عنه، فيغرق في تيّار بحار العظمة، وكلّ مرتبة كمالٌ لما قبلها إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه، وبكمال المعرفة يتمّ الدين وينتهي السفر إلى الله تعالى. وما ذكرنا أنسب كما لا يخفى.

«كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم» ظاهره الاختصاص به سبحانه وحدوث ما سواه، وكذا قوله عليه السلام «متوحّد إذ لا سكن يستأنس به» يدلّ على حدوث العالم، والإنشاء: الخلق، والفرق بينه وبين الابتداء بأنّ الإنشاء كالخلق أعمّ من الابتداء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ والابتداء: الخلق من غير سبق مادّة ومثال، وإن لم يفهم هذا الفرق من اللغة لحسن التقابل حينئذ وإن أمكن التأكيد. وهمامة النفس: اهتمامها بالأمور وقصدها إليها، والاضطراب: الحركة، والحركة في الهمامة: الانتقال من رأي إلى رأي أو من قصد أمر إلى قصد أمر آخر بحصول صورة، وفي بعض النسخ «ولا همّة نفس» بالكسر.

«أحال الأشياء لأوقاتها» في أكثر النسخ بالحاء المهملة إمّا من الإحالة بمعنى التحويل أي نقل كلاً منها إلى وقتها، فاللام بمعنى إلى والتعليل - كما قيل - بعيد، وإمّا من قولهم «حال في متن فرسه» أي وثب، فعدّي بالهمزة أي أقرّ الأشياء في أوقاتها كمن أحال غيره على فرسه - كما قيل - ولا يخفى بعده، ولعلّه بمعنى الحوالة المعروفة أظهر، وفي بعض النسخ الصحيحة بالجيم كأنّه سبحانه حرّك الأشياء وردّدها في العدم حتّى حضر وقتها، وفي الاحتجاج «أجّل» بالجيم المشدّدة أي أخّر، «ولاءم بين مختلفاتها» أي جعلها ملتئمة مؤتلفة كما ألّف بين العناصر المتخالفة في الطباع وبين النفوس والأبدان. «وغرّز غرائزها وألزمها أسناخها» الغريزة: الخلق والطبيعة، والسنخ - بكسر السين وسكون النون -: الأصل وفي بعض النسخ «أشباحها» جمع الشبح محرّكة أي أشخاصها، وتغريز الغرائز: إيجادها أو تخصيص كلّ بغريزة خاصّة لها أو من تغريز العود في الأرض ليثمر على ما قيل، والضمير المنصوب في «ألزمها» راجع إلى الأشياء كالسوابق، والمعنى: جعلها بحيث لا يفارقها أصولها، أو جعل الأشخاص لازمة للكليات على النسخة الأخيرة، أو راجع إلى الغرائز أي جعل كلّ ذي غريزة أو كلّ شخص بحيث لا تفارقه غريزته غالباً أو مطلقاً.

«عالماً بها قبل ابتدائها» العامل في «عالماً» وما بعدها إمّا «ألزم» أو الأفعال الثلاثة الأخيرة على الترتيب أو الأربعة، أو العامل في الجميع قوله «أنشأ وابتدأ» بقرينة قوله «قبل ابتدائها».

«محيطاً بحدودها وانتهائها» لعلّ المراد بالحدود الأطراف والتشخّصات أو الحدود الذهنيّة، وبالانتهاء الانتهاء اللازم للمحدود أو انقطاع الوجود. «عارفاً بقرائنها» أي ما يقترن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض وأحنائها: هي جمع «حنو» أي الجانب، وأحناء الوادي: معاطفه، ويدلّ على جواز إطلاق العارف عليه سبحانه ومنعه بعضهم. «ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء» الفتق - بالفتح -: الشقّ، والجوّ: ما بين السّماء والأرض وقيل: الفضاء الواسع، والأرجاء: جمع «الرجا» مقصوراً، وهي الناحية، والسكاك والسكاكة - بضمّهما -: الهواء الملاقي عنان السماء وقال في النهاية: السكاك والسكاكة: الجوّ، وهو ما بين السماء والأرض، ومنه حديث عليّ عليه السلام «شقّ الأرجاء وسكائك الهواء». وسكائك جمع «سكاكة» كذؤابة وذوائب، والهواء - بالمدّ -: ما بين السماء والأرض، ويقال: كلّ خال هواء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ وكلمة «ثمّ» هنا إمّا للترتيب الذكريّ والتدرّج في الكلام يكون لوجوه منها الانتقال من الإجمال إلى التفصيل، ومنها الاهتمام بتقديم المؤخّر أو المقارن لوجه آخر، ويستعمل الفاء أيضاً كذلك كما مرّ مراراً، وإمّا بمعنى الواو المفيدة لمطلق الجمع كما قيل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ وعلى التقديرين لا ينافي كون الماء أوّل المخلوقات كما سيأتي، والمراد بفتق الأجواء إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية بناء على وجود المكان بمعنى البعد وجواز الخلاء، أو المراد بالجوّ البعد الموهوم، أو أحد العناصر بناء على تقدّم خلق الهواء كما هو الظاهر ممّا سنورده من تفسير عليّ بن إبراهيم، وهذا الكلام لا تصريح فيه بالصادر الأوّل وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله.

وقوله: «وشقّ الأرجاء» كالتفسير لفتق الأجواء، أو المراد بالأرجاء الأمكنة والأفضية، وبالأجواء عنصر الهواء، وقوله «وسكائك الهواء» بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على «فتق الأجواء» أي أنشأ سبحانه سكائك الهواء، والجرّ كما في بعض النسخ أظهر عطفاً على الأجواء أي أنشأ فتق سكائك الهواء. قال ابن ميثم: فإن قلت: إنّ الأجواء والأرجاء وسكائك الهواء أمور عدميّة فكيف تصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة؟ قلت: إنّ هذه الأشياء عبارة عن الخلاء والأحياز، والخلاف في أنّ الخلاء والحيّز والمكان هل هي أمور وجوديّة أو عدميّة مشهور، فإن كانت وجوديّة كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة، ويكون معنى فتقها وشقّها شقّ العدم عنها، وإن كانت عدميّة كان معنى فتقها وشقّها ونسبتها إلى القدرة تقديرها وجعلها أحيازاً للماء ومقرّاً لها لأنّه لمّا كان تميّزها عن مطلق الهواء والخلاء بإيجاد الله فيها الماء صار تعيّنها بسبب قدرته تعالى فتصحّ نسبتها إلى إنشائه، فكأنه سبحانه شقّها وفتقها بحصول الجسم فيها.

وروي أنّ زرارة وهشاماً اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا، فرفع بعض موالي جعفر بن محمّد عليه السلام إليه ذلك، فقال له: إنّي متحير وأرى أصحابنا يختلفون فيه. فقال عليه السلام: ليس

هذا بخلاف يؤدّي إلى الكفر والضلال، واعلم أنّه عليه السلام إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء الله الموكّلين بإيضاح سبله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات إلاّ إلى أحد أمرين: أحدهما: ما يؤدّي إلى الهدى أداءً ظاهراً واضحاً والثاني ما يصرف عن الضلال ويردّ إلى سواء السبيل.

وبيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في أمر المعاد، فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ في ذلك، فكان تركه والاشتغال بما هو أهمّ منه أولى[1].

«فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّاره متراكماً زخّاره» اللطم في الأصل: الضرب على الوجه بباطن الراحة، وتلاطمت الأمواج: ضرب بعضها بعضاً كأنّه يلطمه والتيّار: موج البحر ولجّته، وتراكم الشيء: اجتمع، وزخر البحر: مدّ وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه، أي إنّه سبحانه خلق الماء المتلاطم الزخّار في الأمواج وخلاّه وطبعه أوّلاً، فجرى في الهواء، ثمّ أمر الريح بردّه وشدّه كما يدلّ عليه قوله عليه السلام بعد ذلك «حتّى تظهر قدرته».

«حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة» المتن من كلّ شيء: ما ظهر منه، والمتن من الأرض: ما ارتفع منه وصلب، وعصفت الريح: اشتدّ هبوبها، والزعزعة: تحريك الشيء ليقلعه ويزيله، وريح زعزع وزعازع أي يزعزع الأشياء، وقصفه - كضربه - قصفاً: كسره، وقصف الرعد وغيره: اشتدّ صوته أي جعل الريح حال قصفها حاملة له، فكان متحرّكاً بحركتها، أو جعل الريح الّتي من شأنها العصف والقصف. وهذه الريح غير الهواء المذكور أوّلاً كما سيأتي في قول الصادق عليه السلام في جواب الزنديق «الريح على الهواء والهواء تمسكه القدرة» فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه أو متأخّرة عنه أو مقارنة له، ويمكن أن يكون المراد بها ما تحرّك منه كما هو المشهور.

«فأمرها بردّه وسلّطها على شدّه وقرنها إلى حدّه» أي أمر الريح أن تحفظ الماء وتردّه بالمنع عن الجري الّذي سبقت الإشارة إليه بقوله «فأجرى فيها ماء» فكان قبل الردّ قد خلّي وطبعه أي عن الجري الّذي يقتضيه طبعه، وقوّاها على ضبطه كالشيء المشدود، وجعلها مقرونة إلى انتهائه محيطة به. ولعلّ المراد بالأمر هنا الأمر التكويني كما في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وقوله ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ قال الكيدريّ: قوله «فأمرها» مجازاً لأنّ الحكيم لا يأمر الجماد به. «الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق» أي الهواء الّذي هو محلّ الريح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء، والماء دفيق من فوقها أي [مصبوب] مندفق، والغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط وهو موضع العجب.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ١ ص ١٤٠.

«ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها وأدام مربّها» الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها الله محلاً للماء بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرواية، والاعتقام: أن تحفر البئر فإذا قربت من الماء احتفرت بئراً صغيراً بقدر ما تجد طعم الماء، فإن كان عذباً حفرت بقيّتها ويكون أعتقم بمعنى صار عقيماً، ومنه الريح العقيم، وفي العين: الاعتقام الدخول في الأمر، وقال ابن ميثم تبعاً للكيدريّ: الاعتقام الشدّ والعقد، ولم نجده في كتب اللغة. والمهبّ: مصدر بمعنى الهبوب، أو اسم مكان، وعلى الأوّل في الإسناد توسّع، و«ربّ» يأتي بمعنى جمع وزاد ولزم وأقام، قيل: المعنى أنّ الله تعالى أرسلها بمقدار مخصوص تقتضيه الحكمة ولم يرسلها مطلقاً بل جعل مهبّها ضيّقاً كما يحتفر البئر الصغير في الكبير، وقيل: المعنى جعلها عقيمة لا تلقح وهذا إنّما يصحّ لو كان الاعتقام بهذا المعنى متعدّياً، أو كان مهبّها مرفوعاً وفي النسخ منصوب، وقيل: وروي «أعقم» فيصحّ، ويحتمل أن يكون بمعنى شدّ مهبّها وعقده على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وقيل: على تقدير كون اعتقم بالتاء المراد أنّه أخلى مهبّها من العوائق وأنّه أرسلها بحيث لا يعرف مهبّها من مربّها. وهو كما ترى، ومعنى إدامة مربّها جعلها ملازمة لتحريك الماء وإدامة هبوبها، وفي بعض النسخ «مدبّها» بالدال أي جريها.

و«أعصف مجراها» أي جريانها، أو أسند إلى المحلّ مجازاً. «وأبعد منشاها» أي أنشأها من مبدأ بعيد، ولعلّه أدخل في شدّتها و«المنشا» في بعض النسخ بالهمزة على الأصل وفي بعضها بالألف للازدواج. «فأمرها بتصفيق الماء الزخّار» الصفق: الضرب الّذي يسمع له صوت، والتصفيق أيضاً كذلك لكن مع شدّة، وإثارة موج البحر أي تهييجه. «فمخضته مخض السقاء» المخض: تحريك السقاء الّذي فيه اللبن ليخرج زبده، عصفها بالفضاء أي عصفاً شديداً لأنّ العصف بالفضاء يكون أشدّ لعدم المانع، والساجي: الساكن، والمائر: المتحرّك، يقال: مار الشيء موراً أي تحرّك، وجاء، وذهب، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ وقال الضحّاك: أي تموج موجاً. والعباب - بالضمّ -: معظم الماء وكثرته وارتفاعه، وعبّ عبابه أي ارتفع، وعبّ النبت إذا طال. وركام الماء - بالضمّ -: ما تراكم منه واجتمع بعضه فوق بعض.

«فرفعه في هواء منفتق» أي رفع الله ذلك الزبد بأن جعل بعضه دخاناً في هواء مفتوق مفتوح بخلق ما خلق سابقاً، أو برفع ذلك الدخان «وفي جوّ منفهق» والانفهاق: الاتّساع والانفتاح. قال ابن ميثم: إنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان، وكلامه عليه السلام ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد، وما ورد في الخبر أنّ ذلك الزبد هو الّذي تكوّنت منه الأرض، فلا بدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات، فنقول: وجه الجمع بين كلامه عليه السلام وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله «فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار» فخلق منه السّماء، ولا شكّ أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان

حقيقته، لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار، واتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفّس الماء وتبخيره بسبب تموّجه، فهو إذاً استعارة للبخار الصاعد من الماء. وإذا كان كذلك فنقول: إنّ كلامه عَلَيْتَلَا مطابق للفظ القرآن الكريم، وذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلّا أنّه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد وما لطف وغلب عليه الأجزاء الهوائية فانفصل خصّ باسم البخار، وإذا كان الزبد بخاراً والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحداً، فكان البخار المنفصل هو الّذي تكوّنت عنه الأرض وهو الزبد، وأمّا وجه المشابهة بين الدخان والبخار الّذي صحّت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران: أحدهما حسّيّ وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ البصريّ، والثاني معنويّ وهو كون البخار أجزاءً مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدخان كذلك ولكن عن حرارة النار، فإنّ الدخان أيضاً أجزاء مائيّة انفصلت عن جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلّا بالسبب، فلذلك صحّ استعارة اسم أحدهما للآخر وبالله التوفيق[1].

«جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعلياهنّ سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً» الكفّ: المنع، والسقف: معروف، وقال الجوهريّ وغيره: السقف اسم للسّماء. والمعروف ههنا أنسب، وسمك البيت: سقفه، وسمك الله السماء سمكاً: رفعها، والمسموكات: السماوات، أي جعل السماء السفلى موجاً ممنوعاً من السيلان إمّا بإمساكه بقدرته أو بأن خلق تحته وحوله جسماً جامداً يمنعه عن الانتشار والسيلان، أو بأن أجمدها بعدما كانت سيّالة. وظاهر هذا الكلام وغيره من الأخبار اختصاص الحكم بالسماء الدنيا، قال الكيدريّ، رحمه الله: شبّه السماء الدنيا بالموج لصفائها وارتفاعها، أو أراد أنّها كانت في الأوّل موجاً ثمّ عقدها، والمكفوف: الممنوع من السقوط. وقال ابن ميثم: شبّهها بالموج في الارتفاع واللون الموهوم، وقيل: شبّهت به لارتعاد الكواكب حسّاً. ولعلّ المراد بحفظ العليا إمساكها عن النقص والهدم والسقوط والخرق إلّا بأمره سبحانه وقال أكثر الشارحين: أي عن الشياطين وهو لا يناسب العليا بل السفلى، ويناسب أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[2] السماء العليا، ويخطر بالبال وجه آخر، وهو أن يكون المراد أنّه تعالى جعل الجهة السفلى من كلّ من السماوات موّاجة متحرّكة واقعاً أو في النظر، والجهة العليا منها سقفاً محفوظاً تستقرّ عليه الملائكة ولا يمكن للشياطين خرقها، فيكون ضمير زيّنها وسائر الضمائر راجعة إلى المجموع، فيناسب الآية المتقدّمة وهو قوله سبحانه: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ١ ص ١٤١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٢.

﴿شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾[1] وقد يمرّ بالخاطر وجه آخر يناسب قواعد الهيئة وهو أنّه عليه السلام شبّه السماء الدنيا بالموج المكفوف لكون الحركة الخاصّة للقمر أسرع من جميع الكواكب، فكأنّه دائماً في الموج ومع ذلك لا تسقط، ووصف العليا بالمحفوظيّة لأنّه أبطأها بالحركة الخاصّة فكأنّها محفوظة ثابتة، وعلى الطريقة السابقة يمكن أن يكون المراد بالسفلى من كلّ منها خوارج مراكزها وتداويرها، وبالعليا منها ممثلاتها، فالأولى موّاجة لسرعة حركتها والبواقي محفوظة لبطئها، لكن هذان الوجهان بعيدان عن لسان الشرع ومقاصد أهله، والوجه الأوّل ممّا أبدعنا لا يخلو من قوّة ولطافة.

«بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها» العمد - بالتحريك -: جمع كثرة لعمود البيت، وكذا «العمد» بضمّتين، وجمع القلة «أعمدة» وقال الخليل في العين: العمد - بضمّتين -: جمع عماد، والأعمدة: جمع عمود من حديد أو خشب، ويظهر من تذكير الفعل أنّه من أسماء الجمع، والدعم - بالفتح -: أن يميل الشيء فتدعمه بدعام، كما تدعم عروش الكرم، ونحوه ليصير له مساكاً، والدعامة: الخشبة الّتي يدعم بها، وفي أكثر النسخ على بناء المجرّد مفتوحة العين وهو أظهر، وفي بعضها «يدّعمها» بتشديد الدال على بناء الافتعال من الادّعام بمعنى الاتّكاء. والدسار - بالكسر -: المسمار، وجمعه «دسر» ونظم اللؤلؤ: جمعه في السلك، وفي بعض النسخ «ينتظمها» وهو أيضاً جاء متعدّياً، والضميران المنصوبان راجعان إلى السماوات أو إلى العليا أو إلى السفلى بقرينة قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ حيث إنّ الظاهر إرجاع الضمير فيه إلى السفلى ليكون أوفق بقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ لكنّه بعيد لفظاً، وإرجاع الضمير إلى الجميع أظهر، وتزيين البعض تزيين للجميع، وهذا ممّا يقرّب الوجه الّذي ذكرنا أوّلاً، والزينة إمّا مصدر أو اسم ما يزان به كالليقة لما يلاق به أي يصلح به المداد. قال في الكشّاف: قوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ يحتملهما فعلى الأوّل إمّا من إضافة المصدر إلى الفاعل بأن تكون الكواكب مزيّنة للأفلاك، أو إلى المفعول، بأن زيّن الله الكواكب وحسّنها لأنّها إنّما زيّنت السماء لحسنها في أنفسها، وعلى الثاني فإضافتها إلى الكواكب بيانيّة وتنوين الزينة كما قرئت الآية به ليس موجوداً في النسخ، وزينة الكواكب للسماء إمّا لضوئها أو للأشكال الحاصلة منها كالثريّا والجوزاء ونحوهما، أو باختلاف أوضاعها بحركتها أو لرؤية الناس إيّاها مضيئة في الليلة الظلماء أو للجميع. وقوله تعالى: ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ في موضع آخر ممّا يؤيّد بعض الوجوه، وسيأتي القول في محالّ الكواكب في محلّه.

«وضياء الثواقب» المراد بها إمّا الكواكب، فيكون كالتفسير لزينة الكواكب والكواكب ثواقب أي مضيئة كأنّها تثقب الظلمة بضوئها، أو الشهب الّتي ترمى بها الشياطين فتثقب

(١) سورة الصافات، الآية: ٧.

الهواء بحركتها والظلمة بنورها. «فأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً» وفي بعض النسخ «وأجرى» بالواو، والمراد بالسراج الشمس، كما قال تعالى: ﴿سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ قيل: لمّا كان الليل عبارة عن ظلّ الأرض وكانت الشمس سبباً لزواله كان شبيهاً بالسراج في ارتفاع الظلمة به، والمستطير: المنتشر الضوء، واستطار: تفرّق وسطع، وأنار الشيء واستنار: أي أضاء، وقيل ما بالذات من النور ضوء، وما بالعرض نور. كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ وقيل: لأنّ النور أضعف من الضوء، والاحتمالات في الضمائر السابقة جارية هنا وإن كان الأظهر عند الأكثر رجوعه إلى السفلى.

«في فلك دائر» الظرف إمّا بدل عن «فيها» فيفيد حركة السفلى أو العليا أو الجميع على تقادير إرجاع الضمير بالحركة اليوميّة أو الخاصّة أو الأعمّ، وإمّا في موضع حال عن المنصوبين، فيمكن أن يكون المراد بالفلك الدائر الأفلاك الجزئيّة. والفلك - بالتحريك -: كلّ شيء دائر، ومنه «فلكة المغزل» بالتسكين ويقال: فلّك ثدي المرأة تفليكاً إذا استدار.

«وسقف سائر ورقيم مائر» الرقيم: في الأصل الكتاب، فعيل بمعنى مفعول قال ابن الأثير: منه حديث عليّ عليه السلام في صفة السماء «سقف سائر ورقيم مائر» يريد به وشي السماء بالنجوم. والمائر: المتحرّك، وليس هذا بالمور الّذي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ وهاتان الفقرتان أيضاً تدلّان على حركة السماء لكن لا تنافي حركة الكواكب بنفسها أيضاً كما هو ظاهر الآية.

«ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى فملأهنّ أطواراً من ملائكته» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» للترتيب المعنويّ، فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس والقمر بل بعد جعلها سبعاً وخلق الكواكب فيه، ويحتمل أن يكون للترتيب الذكريّ، والظاهر أنّ المراد بفتقها فصل بعضها عن بعض فيؤيّد بعض محتملات الآية كما أشرنا إليه سابقاً. ويدلّ على بطلان ما ذهبت الفلاسفة إليه من تماسّ الأفلاك وعدم الفصل بينها بهواء ونحوه. والأطوار: جمع طور بالفتح، وهو في الأصل التارة قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قيل: أي طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة. وقيل: أي حالاً بعد حال، وقيل: أي خلقكم مختلفين في الصفات: أغنياء وفقراء، وزمنى وأصحّاء. ولعلّ الأخير هنا أنسب. ولو كانت الملائكة مخلوقة قبل السماوات كما هو ظاهر بعض الأخبار الآتية فقبل فتقها كانوا في مكان آخر يعلمه الله.

«منهم سجود لا يركعون، وركوع لا يتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون» السجود والركوع هنا جمع «ساجد» و«راكع» وفاعل الصفة يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضاً، والانتصاب: القيام، والصفّ: ترتيب الجمع على خطّ، كالصفّ في الصلاة والحرب، وقال أبو عبيدة: كلّ شيء بين السماء والأرض لم يضمّ قطريه فهو صافّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي نشرت أجنحتها، وبالوجهين فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ والتزايل: التباين والتفارق، والسأمة: الملالة والضجر.

«لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان» غشيه كعلمه إذا جاءه، أي لا يعرضهم، والفترة: الانكسار والضعف، وظاهر الكلام اختصاص الأوصاف بهذا الصنف، ويمكن أن يكون التخصيص بها جميعاً أو ببعضها لأمر آخر غير الإختصاص. «ومنهم أمناء على وحيه» الوحي في الأصل أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والإخفاء، ويكون بمعنى الكتابة والإشارة والرسالة. «وألسنة إلى رسله» أي رسلاً إليهم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ «ومختلفون بقضائه» أي مقتضياته كما يأتون به في ليلة القدر وغيرها، «وأمره» أي أحكامه، أو الأمور المقدّرة، كما قال تعالى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ فالأحكام داخلة في السابقتين، ويمكن تخصيص الأخير بغير الوحي أي يختلفون لتمشية قضائه وأمره وتسبيب أسبابهما.

«ومنهم الحفظة لعباده» لعلّ المراد غير الحافظين عليهم الّذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾[1] بل من ذكرهم بقوله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2] ويمكن أن يكون المراد في كلامه الكاتبين للأعمال بتقدير مضاف، وربما يفهم من بعض الأخبار اتّحاد الصنفين.

والسدنة لأبواب الجنان هم المتولّون لأمور الجنان وفتح أبو ابها وإغلاقها. وأصل السدانة في الكعبة وبيت الأصنام.

«ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم» وفي بعض النسخ «في الأرض أقدامهم» وهو أظهر. والجمع على الأوّل إمّا باعتبار القطعات والبقاع، أو لأنّ كلّاً من الأرضين السبع موضع قدم بعضهم، والوصف على الأوّل بالقياس على سائر الطبقات، وعلى الثاني بالقياس إلى السماء. «والمارقة» أي الخارجة، يقال: مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر «من السماء العليا» أي السابعة «أعناقهم والخارجة من الأقطار» أي من جوانب الأرض أو جوانب السماء «أركانهم» أي جوارحهم، فهذا بيان لضخامتهم وعرضهم «والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم» لعلّ المراد بالمناسبة القرب والشباهة في العظم، ويمكن أن يراد بها التماسّ، فالمراد بهم حملة العرش «ناكسة دونه» أي دون العرش «أبصارهم» والناكس: المطأطئ رأسه وفي إسناده إلى الأبصار دلالة على عدم التفاتهم في النكس يميناً وشمالاً «متلفّعون تحته بأجنحتهم» اللفاع ثوب يجلّل به الجسد كلّه كساءً كان أو غيره، وتلفّع بالثوب إذا اشتمل به «وبين من دونهم» أي سائر الملائكة، أو البشر أو الجنّ أو الأعمّ، وفي بعض النسخ «ناكسة» و«مضروبة» و«متلفّعين» بنصب الجميع.

«لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير» أي بأن يثبتوا لله صورة، والغرض تقديس الملائكة عن

(١) سورة الإنفطار، الآيتان: ١٠-١١.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

إثباتهم لوازم الجسميّة والإمكان له سبحانه، والتعريض والتوبيخ للمشبّهين من البشر. والنظائر: جمع نظيرة وهي المثل والشبة في الأشكال والأخلاق والأفعال، والنظير: المثل في كلّ شيء، وفي بعض النسخ «بالنواظر» أي بالأبصار أي لا يجوّزون عليه الرؤية، وفي بعضها «بالمواطن» أي الأمكنة.

١٣٦ - **النهج:** في وصيّة أمير المؤمنين للحسن عليه السلام قال: ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه ولا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل أوّلاً قبل الأشياء بلا أوّلية، وآخراً بعد الأشياء بلا نهاية[١].

١٣٧ - **تأويل الآيات الظاهرة:** نقلاً من كتاب الواحدة عن الحسن بن عبد الله الكوفيّ، عن جعفر بن محمّد البجليّ، عن أحمد بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق بذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرّيّتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، وبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف نعبده ونقدّسه ونمجّده ونسبّحه قبل أن يخلق الخلق (الخبر)[٢].

١٣٨ - **مصباح الأنوار:** بإسناده عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا نار. فقال العبّاس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عمّ لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة فخلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثمّ خلط النور بالروح فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخي عليّ، فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ ونور عليّ من نور الله وعليّ أفضل من الملائكة، ثمّ فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض ثمّ فتق نور ولدي الحسن، وخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين، فالجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من نور الجنّة والحور العين (الخبر).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٢٦ خ ٢٦٩. (٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ١٢١.

١٣٩ - **الكافي:** عن أحمد بن إدريس، عن حسين بن عبيد الله، عن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن عبد الله، عن عليّ بن حديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد إنّي خلقتك وعلياً نوراً - يعني روحاً بلا بدن - قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمّد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان. ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا(١).

بيان: «بلا بدن» أي أصلاً، أو بلا بدن عنصريّ بل بدن مثاليّ، وظاهره تجسّم الروح، وربّما يؤول الخلق هنا بالتقدير. «قبل أن أخلق» بحسب الزمان الموهوم، وقيل: بحسب الرتبة «تهلّلني» بلسان الجسد المثالي أو بلسان الحال «ثمّ جمعت روحيكما» كأنّ المراد جعل مادة بدنهما في صلب آدم عليه السلام «فكانت تمجّدني» أي بنفسها أو بتوسّط الطينات المقدّسات «ثمّ قسمتها ثنتين» أي في عبد المطلب إلى عبد الله وأبي طالب «ثمّ قسم الثنتين» بعد انتقالهما إلى عليّ وفاطمة «ثنتين» أي في الحسنين كما تدلّ عليه أخبار كثيرة. وقال بعض المحدّثين: من الأمور المعلومة أنّ جعل المجرّدين واحداً ممتنع وكذلك قسمة المجرّد فينبغي حمل الروح هنا على آلة جسمانيّة نورانيّة منزّهة عن الكثافة البدنيّة، وقال بعض الأفاضل: المراد بخلق الروحين بلا بدن خلقهما مجرّدين، وبجمعهما وجعلهما واحدة جمعهما في بدن مثاليّ نورانيّ لاهوتيّ، وبتقسيمهما تفريقهما وجعل كلّ واحد منهما في بدن شهوديّ جسمانيّ، واستحالة تعلّق الروحين ببدن واحد إنّما هي في الأبدان الشهوديّة لا في الأبدان المثاليّة اللاهوتيّة (انتهى).

وإطلاق المسح واليمين هنا على الاستعارة، إذ مريد اللطف بغيره يمسحه بيمينه أو اليمين كناية عن الرحمة كما حقّقنا في قولهم عليهم السلام «والخير في يديك» أنّه يمكن أن يكون المعنى أنّ النفع والضرّ الصادرين منك كليهما حكمة ومصلحة ورحمة فالنفع منسوب إلى اليمين والضرّ إلى الشمال. «فأفضى نوره فينا» أي أوصله إلينا أو وصل إلينا. وقيل: اتّسع فينا. قال في المصباح: الفضاء - بالمدّ -: المكان الواسع وفضا المكان فضواً - من باب قعد -: اتّسع فهو فضاء، وأفضى الرجل بيده إلى الأرض: مسّها بباطن راحته. قال ابن فارس وغيره: وأفضى إلى امرأة: باشرها وجامعها، وأفضيت إلى الشيء: وصلت إليه، والسرّ: أعلمته به (انتهى) والنور: العلم وسائر الكمالات.

١٤٠ - **الكافي:** عن الحسين بن محمّد، عن المعلّى عن عبد الله بن إدريس، عن محمّد

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ... ح ٣.

ابن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها. وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم فهم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون ولن يشاؤا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثمّ قال: يا محمّد هذه الديانة الّتي من تقدمها مرق، ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق. خذها إليك يا محمّد[1].

١٤١ - **ومنه:** عن علي بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن حمّاد، عن المفضّل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء، نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، ولا من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا. حتّى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك إلينا[2].

بيان: «في الأظلّة» أي في عالم الأرواح أو المثال أو الذرّ «كنّا عند ربّنا» أي مقرّبين لديه سبحانه بالقرب المعنويّ، أو كنّا في علمه وملحوظين بعنايته «في ظلّة خضراء» الظلّة - بالضمّ -: ما يستظلّ به، وشيء كالصُفَّة يستتر به من الحرّ والبرد، ذكره الفيروزآباديّ. وكأنّ المراد ظلال العرش قبل خلق السماوات والأرض وقيل: أي في نور أخضر، والمراد تعلّقهم بذلك العالم لا كونهم فيه.

ويحتمل أن يكون كناية عن معرفة الربّ سبحانه كما سيأتي في باب العرش إن شاء الله أي كانوا مغمورين في أنوار معرفته تعالى مشغوفين به، إذ لم يكن موجود غيره وغيرهم «حتّى بدا له في خلق الأشياء» أي أراد خلقه «ثمّ أنهى» أي أبلغ وأوصل علم ذلك أي حقائق تلك المخلوقات وأحكامها إلينا.

١٤٢ - **الكافي:** عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله الصغير، عن محمّد بن إبراهيم الجعفري، عن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب[3].

بيان: «إذ لا كان» يعني لم يكن شيء من الممكنات، وكأنّه مصدر بمعنى الكائن كالقيل والقال، ولعلّ المراد بنور الأنوار أوّلاً نور النبيّ صلى الله عليه وآله إذ هو منوّر أرواح الخلائق بالعلوم

---

(١) - (٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ٥ و٧ و٩.

والكمالات والهدايات والمعارف، بل سبب لوجود الموجودات وعلّة غائية لها «وأجرى فيه» أي في نور الأنوار «من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار» أي نور ذاته سبحانه من إفاضاته وهداياته الّتي نوّرت منها الأنوار كلّها حتّى نور الأنوار المذكور أوّلاً «وهو النور» أي نور الأنوار المذكور أوّلاً «إذ لا شيء كوّن قبلهما» أي قبل نورهما الّذي خلقا منه، أو سوى ذلك النور أوّلاً شيء من ذوات الأرواح «أطهر طاهرين» أي في زمانهما.

١٤٣ - **الكافي:** عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن جابر بن يزيد، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بنور واحد وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون[1].

أقول: قد مضى شرح تلك الأخبار وما يضاهيها في المجلّد السادس والسابع والتاسع، والأخبار الدالّة على أنّ أوّل الموجودات أرواحهم عليهم السلام كثيرة، ويمكن الاستدلال بها على حدوث الجميع بانضمام ما سيأتي من الأخبار الدالّة على أنّ الفاصلة بين خلق الأرواح والأجساد بزمان متناه، إذ الزائد على المتناهي بزمان متناه يكون لا محالة متناهياً.

١٤٤ - وقال أبو الحسن البكريّ أستاذ الشهيد الثاني رحمه الله في كتاب الأنوار: روي عن أمير المؤمنين أنّه قال: كان الله ولا شيء معه فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى نور نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي الله عزّ وجلّ واقفاً يسبّحه ويحمده والحقّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبّك أحببته، ومن أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره وارتفع شعاعه، فخلق الله منه اثني عشر حجاباً أوّلها حجاب القدرة، ثمّ حجاب العظمة، ثمّ حجاب العزّة، ثمّ حجاب الهيبة، ثمّ حجاب الجبروت، ثمّ حجاب الرحمة، ثمّ حجاب النبوّة، ثمّ حجاب الكبرياء، ثمّ حجاب المنزلة، ثمّ حجاب الرفعة، ثمّ حجاب السعادة، ثمّ حجاب الشفاعة، ثمّ إنّ الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل في حجاب القدرة، فدخل وهو يقول: سبحان العليّ الأعلى وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثمّ أمره أن يدخل في حجاب العظمة، فدخل وهو يقول: سبحان عالم السرّ وأخفى، أحد عشر ألف عام، ثمّ دخل في حجاب العزّة وهو

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١٠.

يقول: سبحان الملك المنّان، عشرة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: سبحان من هو غنيّ لا يفتقر، تسعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: سبحان الكريم الأكرم، ثمانية آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرحمة وهو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم، سبعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب النبوّة وهو يقول: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، ستّة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الكبرياء وهو يقول: سبحان العظيم الأعظم، خمسة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: سبحان العليم الكريم، أربعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: سبحان ذي الملك والملكوت، ثلاثة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب السعادة وهو يقول: سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول، ألفي عام، ثمّ دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ألف عام.

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ثمّ إنّ الله تعالى خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور، في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلّا الله تعالى ثمّ قال لنور محمّد صلى الله عليه وآله: إنزل في بحر العزّ فنزل، ثمّ في بحر الصبر، ثمّ في بحر الخشوع، ثمّ في بحر التواضع، ثمّ في بحر الرضا، ثمّ في بحر الوفاء، ثمّ في بحر الحلم، ثمّ في بحر التقى، ثمّ في بحر الخشية، ثمّ في بحر الإنابة، ثمّ في بحر العمل، ثمّ في بحر المزيد، ثمّ في بحر الهدى، ثمّ في بحر الصيانة، ثمّ في بحر الحياء، حتّى تقلّب في عشرين بحراً، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي ويا سيّد رسلي ويا أوّل مخلوقاتي ويا آخر رسلي، أنت الشفيع يوم المحشر فخرّ النور ساجداً. ثمّ قال: فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيّاً من الأنبياء فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمّد صلى الله عليه وآله كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر. فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل الأنوار ونادى: أنت الله الّذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب، وملك الملوك. فإذا بالنداء من قبل الحقّ: أنت صفيّي، وأنت حبيبي، وأنت خير خلقي، أمّتك خير أمّة أخرجت للناس. ثمّ خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله جوهرة وقسمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، وخلق من نور الكرسيّ اللوح، وخلق من نور اللوح القلم، وقال له: اكتب توحيدي، فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله تعالى، فلمّا أفاق قال: اكتب، قال: يا ربّ وما اكتب؟ قال: اكتب: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. فلمّا سمع القلم اسم محمّد صلى الله عليه وآله خرّ ساجداً وقال: سبحان الواحد القهّار، سبحان العظيم الأعظم، ثمّ رفع رأسه من السجود وكتب: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. ثمّ قال: يا ربّ

ومن محمّد الّذي قرنت اسمه باسمك، وذكره بذكرك؟ قال الله تعالى له: يا قلم، فلولاه ما خلقتك، ولا خلقت خلقي إلّا لأجله، فهو بشير ونذير، وسراج منير، وشفيع وحبيب، فعند ذلك انشقّ القلم من حلاوة ذكر محمّد، ثمّ قال القلم: السلام عليك يا رسول الله، فقال الله تعالى: وعليك السلام منّي ورحمة الله وبركاته، فلأجل هذا صار السلام سنّة والردّ فريضة، ثمّ قال الله تعالى: اكتب قضائي وقدري وما أنا خالقه إلى يوم القيامة. ثمّ خلق الله ملائكة يصلّون على محمّد وآل محمّد، ويستغفرون لأمّته إلى يوم القيامة، ثمّ خلق الله تعالى من نور محمّد صلى الله عليه وآله الجنّة وزيّنها بأربعة أشياء: التعظيم والجلالة والسخاء والأمانة، وجعلها لأوليائه وأهل طاعته، ثمّ نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخانها السماوات، ومن زبدها الأرضين، فلمّا خلق الله تبارك وتعالى الأرض صارت تموج بأهلها كالسفينة فخلق الله الجبال فأرساها بها، ثمّ خلق ملكاً من أعظم ما يكون في القوّة فدخل تحت الأرض، ثمّ لم يكن لقدمي الملك قرار، فخلق الله صخرة عظيمة وجعلها تحت قدمي الملك، ثمّ لم يكن للصخرة قرار، فخلق لها ثوراً عظيماً لم يقدر أحد ينظر إليه لعظم خلقته وبريق عيونه، حتّى لو وضعت البحار كلّها في إحدى منخريه ما كانت إلّا كخردلة ملقاة في أرض فلاة، فدخل الثور تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه واسم ذلك الثور «الهوتا» ثمّ لم يكن لذلك الثور قرار فخلق الله له حوتاً عظيماً واسم ذلك الحوت «بهموت» فدخل الحوت تحت قدمي الثور فاستقرّ الثور على ظهر الحوت، فالأرض كلّها على كاهل الملك، والملك على الصخرة، والصخرة على الثور، والثور على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الهواء، والهواء على الظلمة، ثمّ انقطع علم الخلائق عمّا تحت الظلمة.

ثمّ خلق الله تعالى العرش من ضيائين: أحدهما الفضل، والثاني العدل، ثمّ أمر الضيائين فانقسما قسمين فخلق منهما أربعة أشياء: العقل والحلم والعلم والسخاء ثمّ خلق من العقل الخوف، وخلق من العلم الرضا، ومن الحلم المودة، ومن السخاء المحبة، ثمّ عجن هذه الأشياء في طينة محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ خلق من بعدهم أرواح المؤمنين من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة من نور محمّد صلى الله عليه وآله فلمّا تكاملت الأنوار سكن نور محمّد صلى الله عليه وآله تحت العرش ثلاثة وسبعين ألف عام، ثمّ انتقل نوره إلى الجنّة فبقي سبعين ألف عام، ثمّ انتقل إلى سدرة المنتهى، فبقي سبعين ألف عام، ثمّ انتقل نوره إلى السماء السابعة، ثمّ إلى السماء السادسة، ثمّ إلى السماء الخامسة، ثمّ إلى السماء الرابعة، ثمّ إلى السماء الثالثة، ثمّ إلى السماء الثانية، ثمّ إلى السماء الدنيا، فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله أن يخلق آدم عليه السلام [1] إلى آخر ما مرّ في المجلّد السادس [2].

(١) الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله للبكري ص ٥-١٣.

(٢) مرّ في ج ١٥ ص ٢٢ من هذه الطبعة.

١٤٥ - **كتاب أبي سعيد عباد العصفري:** عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي حمزة، قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ الله خلق محمّداً وعليّاً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه، وهم الأئمّة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

١٤٦ - **ومنه:** عن عمرو، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدّسها وبارك عليها فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدّسة مباركة، ولا تزال كذلك حتّى يجعلها الله أفضل أرض في الجنّة، وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أولياءه في الجنّة(٢).

ومنه: عن رجل عن أبي الجارود عن عليّ عليه السلام مثله(٣).

١٤٧ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن عمران العجليّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾؟ قال: كانت مهاة بيضاء يعني درّة(٤).

بيان: قال الجوهريّ: المهاة - بالفتح - البلّور.

١٤٨ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن منصور بن العبّاس، عن صالح اللفائفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منى، ثمّ دحاها من منى إلى عرفات ثمّ دحاها من عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة(٥).

بيان: قوله «ثمّ دحاها من عرفات إلى منى» أي دحا السطح الظاهر من الأرض من عرفات إلى منتهاها، ثمّ ردّها من تحت الأرض لحصول الكرويّة إلى منى، ولم يذكر عليه السلام كيفيّة إتمامه لظهوره، أو المعنى أنّه ردّها من جهة التحت إلى الجانب الآخر، ثمّ إلى الكعبة، ثمّ تمّم أطراف الكرة من جهة الفوق إلى منى ليتمّ كلّها. وأمّا ما تكلّف بعض أفاضل المعاصرين حيث قرأ «منى» أخيراً بفتح الميم بمعنى قدّر، أي إلى آخر ما قدّره الله من منتهى الأرض، فلا يخفى عليك بعده.

١٤٩ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي زرارة التميميّ، عن أبي حسّان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار

---

(١) - (٣) الأصول الستة عشر، ص ١٥ و١٧.

(٤) - (٥) فروع الكافي، ج ٤ ص ٣٩٣ باب ١٣٠ ح ١ و٣.

زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ورواه أيضاً عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرميّ عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[1].

١٥٠ - **الدر المنثور** للسيوطيّ: بأسانيد عن مجاهد، قال: خلق الله الأرض قبل السماء، فلمّا خلق الأرض ثار منها دخان فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ يقول: خلق سبع سماوات بعضهنّ فوق بعض، وسبع أرضين بعضهنّ تحت بعض[2].

١٥١ - **ومنه**: أيضاً بعدّة طرق عن ابن عبّاس، وابن مسعود، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: إنّ الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلمّا أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمّى عليه فسمّاه سماء، ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثمّ فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين: في الأحد والاثنين، فجعل الأرض على الحوت وهو الّذي ذكره في قوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ والحوت في الماء على صفاة، والصفاة على ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح، وهي الصخرة الّتي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرّك الحوت فاضطرب، فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال، فقرّت فذلك قوله: «وجعل لها رواسي أن تميد بكم» وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين: في الثلاثاء والأربعاء، وذلك قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾[3] يقول: أنبت فيها سجرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وأهلها ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يقول: من سأل فهكذا الأمر ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فكان ذلك الدخان من تنفّس الماء حين تنفّس فجعلها سماءً واحدة ثمّ فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة لأنّه جمع فيه خلق السماوات والأرض ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قال: خلق في كلّ سماء خلقها من الملائكة والخلق الّذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم، ثمّ زيّن السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين، فلمّا فرغ من خلق ما أحبّ استوى على العرش[4].

١٥٢ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني صعد أمره إلى السماء ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ يعني خلق سبع سماوات، قال: أجرى النار على الماء فبخر البحر، فصعد في الهواء، فجعل السماوات منه[5].

---

(١) فروع الكافي، ج ٤ ص ٣٩٤ باب ١٣٠ ح ٧.

(٢) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٢.

(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٨-٩.

(٤) - (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٣.

١٥٣ - وعن عبد الله بن عمرو، قال: لمّا أراد الله أن يخلق الأشياء إذ كان عرشه على الماء، وإذ لا أرض ولا سماء، خلق الريح فسلّطها على الماء، حتّى اضطربت أمواجه، وأثار ركامه، فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً فأمر الدخان فعلا وسما ونما، فخلق منه السماوات، وخلق من الطين الأرضين، وخلق من الزبد الجبال(١).

١٥٤ - وعن أبي هريرة، قال: أخذ النبيّ ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدوابّ يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر(٢).

١٥٥ - وعن النبيّ ﷺ قال: دحيت الأرض من مكّة، وكانت الملائكة تطوف بالبيت، وهي أوّل من طاف به، وهي الأرض الّتي قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٣).

١٥٦ - وعن ابن عبّاس قال: وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثمّ دحيت الأرض من تحت البيت(٤).

١٥٧ - وعن مجاهد قال: خلق الله موضع البيت الحرام من قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة وأركانه في الأرض السابعة(٥).

١٥٨ - وعن كعب الأحبار قال: كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض(٦).

١٥٩ - وعن ابن عبّاس قال: لمّا كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بعث الله ريحاً هفّافة فصفقت الريح الماء، فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنّها قبّة، فدحا الله الأرض من تحتها، فمادت ثمّ مادت فأوتدها الله بالجبال، فكان أوّل جبل وضع فيها «أبو قبيس» فلذلك سمّيت أمّ القرى(٧).

١٦٠ - وعن مجاهد قال: بدأ الله بخلق العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، وجمع الخلق يوم الجمعة، وتهوّدت اليهود يوم السبت، ويوم من الستّة أيّام كألف سنة ممّا تعدّون(٨).

١٦١ - وعن عكرمة قال: إنّ الله بدأ خلق السّماوات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثمّ استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات، فخلق في ساعة منها الشموس كي يرغب الناس إلى ربّهم في الدعاء والمسألة(٩).

١٦٢ - وكتب يزيد بن مسلم إلى جابر بن يزيد يسأله عن بدء الخلق قال: العرش والماء والقلم والله أعلم(١٠).

---

(١) - (٣) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٣. (٤) - (٧) الدر المنثور، ج ١ ص ١٢٧-١٢٨.

(٨) - (١٠) الدر المنثور، ج ١ ص ٩١.

١٦٣ - وعن عمران بن الحصين عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كان الله قبل كلّ شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كلّ شيء (الخبر)[١].

١٦٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء[٢].

١٦٥ - وعن ابن عبّاس أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أيّ شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[٣].

١٦٦ - وعن مجاهد في قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل أن يخلق شيئاً[٤].

١٦٧ - وعن الربيع بن أنس، قال: كان عرشه على الماء، فلمّا خلق السماوات والأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور فلا تقطر منه قطرة حتّى ينفخ في الصور فينزل[٥].

١٦٨ - وعن عكرمة قال: سئل ابن عبّاس عن الليل كان قبل أم النهار؟ قال: الليل، ثمّ قرأ ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فهل تعلمون كان بينهما إلّا ظلمة؟[٦].

١٦٩ - وعن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ قال: كلّ شيء خلق من الماء[٧].

١٧٠ - وعن وهب قال: قال عزير: ربّ أمرت الماء فجمد في وسط الهواء فجعلت منه سبعاً وسمّيته السماوات ثمّ أمرت الماء ينفتق عن التراب، وأمرت التراب أن يتميّز من الماء، فكان كذلك فسمّيت جميع ذلك الأرضين وجميع الماء البحار، ثمّ خلقت من الماء أعمى أعين بصّرته ومنها أصمّ آذان أسمعته، ومنها ميّت أنفس أحييته خلقت ذلك بكلمة واحدة منها ما عيشه الماء ومنها ما لا صبر له على الماء خلقاً مختلفاً في الأجسام والألوان جنّسته أجناساً، وزوّجته أزواجاً وخلقت أصنافاً وألهمته الّذي خلقته. ثمّ خلقت من التراب والماء دوابّ الأرض وماشيتها وسباعها فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع ومنهم العظيم والصغير، ثمّ زرعت في أرضك كلّ نبات فيها بكلمة واحدة وتراب واحد وتسقى بماء واحد، فجاء على مشيئتك مختلفاً أُكله ولونه وريحه وطعمه، منه الحلو، ومنه الحامض والمرّ، والطيّب ريحه والمنتن، والقبيح والحسن، وقال عزير: يا ربّ إنّما نحن خلقك وعمل يدك خلقت أجسادنا في أرحام أمّهاتنا، وصوّرتنا كيف تشاء بقدرتك، جعلت لنا أركاناً، وجعلت فيها عظاماً، وشققت لنا أسماعاً وأبصاراً، ثمّ جعلت لها في تلك الظلمة نوراً، وفي ذلك الضيق سعة، وفي ذلك الغمّ روحاً، ثمّ هيّأت لها

---

(١) - (٤) الدر المنثور، ج ١ ص ٣٢١-٣٢٢. (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٣٢٢

(٦) - (٧) الدر المنثور، ج ١ ص ٣١٧.

من فضلك رزقاً يقوّيه على مشيئتك، ثمّ وعظته بكتابك وحكمتك، ثمّ قضيت عليه الموت لا محالة، ثمّ أنت تعيده كما بدأته.

قال عزير: اللّهمّ بكلمتك خلقت جميع خلقك، فأتى على مشيّتك، لم تأن في ذلك مؤنة، ولم تنصب فيه نصباً، كان عرشك على الماء، والظلمة على الهواء، والملائكة يحملون عرشك، ويسبّحون بحمدك، والخلق مطيع لك، خاشع من خوفك، لا يرى فيه نور إلّا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلّا سمعك، ثمّ فتحت خزانة النور وطريق الظلمة فكانا ليلاً ونهاراً يختلفان بأمرك[1].

١٧١ - وعن ابن عبّاس: إنّ اليهود أتت النبيّ ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض، فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة فقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾- إلى قوله - : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[2] وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في أوّل ساعة من هذه الثلاث الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كلّ شيء ممّا ينتفع به، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنّة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة. قالت اليهود: ثمّ ماذا يا محمّد؟ قال: ثمّ استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو أتممت! قالوا: ثمّ استراح. فغضب النبيّ ﷺ غضباً شديداً فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[3].

١٧٢- وعن ابن جريج في قوله: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ قال: كلّ شيء فيه منفعة لابن آدم فهو مبارك[4].

١٧٣ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال: شقّ الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وفي هذه ما ليس في هذه[5].

١٧٤ - وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال: قدّر في كلّ أرض شيئاً لا يصلح في غيرها[6].

١٧٥ - وعن ابن جبير قال: معاشها[7].

١٧٦ - وعن الحسن قال: أرزاقها[8].

---

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص ٦-٧. (٢) سورة فصلت، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٣) - (٨) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٦٠-٣٦١.

١٧٧ - وعن ابن عبّاس قال: خلق الله السماوات من دخان، ثمّ ابتدأ خلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وذلك قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثمّ قدّر فيها أقواتها في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فذلك قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فسمكها وزيّنها بالنجوم والشمس والقمر وأجراهما في فلكهما، وخلق فيها ما شاء من خلقه وملائكته في يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق الجنّة في يوم الجمعة وخلق آدم يوم الجمعة فذلك قول الله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وسبّت كلّ شيء يوم السبت فعظّمت اليهود يوم السبت لأنّه سبّت فيه كلّ شيء، وعظّمت النصارى يوم الأحد لأنّه ابتدأ فيه خلق كلّ شيء، وعظّم المسلمون يوم الجمعة لأنّ الله فرغ فيه من خلقه، وخلق في الجنّة رحمته، وخلق فيه آدم وفيه هبط من الجنّة إلى الأرض، وفيه قبلت في الأرض توبته وهو أعظمها[1].

١٧٨ - وعن عبد الله بن سلام قال: إنّ الله ابتدأ الخلق، وخلق الأرضين يوم الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسي في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة إلى صلاة العصر، وخلق فيها آدم في تلك الساعة الّتي لا يوافقها عبد في صلاة يدعو ربّه إلّا استجاب له، فهي ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس[2].

١٧٩ - وعن عكرمة أنّ اليهود قالوا للنبيّ ﷺ: ما يوم الأحد؟ قال: فيه خلق الله الأرض وكبسها، قالوا: الاثنين؟ قال خلق فيه وفي الثلاثاء الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله. قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات. قالوا: فيوم الخميس؟ قال: فيه خلق الله السماوات. قالوا: يوم الجمعة؟ قال: خلق في ساعتين الملائكة وفي ساعتين الجنّة والنار، وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب، وفي ساعتين الليل والنهار. قالوا: السبت، وذكروا الراحة، فقال: سبحان الله! فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[3]. وعن ابن عبّاس أيضاً نحوه.

١٨٠ - وعن ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: إنّ الله تعالى فرغ من خلقه في ستّة أيّام أوّلهنّ يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة[4].

١٨١ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قال: قال للسماء أخرجي شمسك وقمرك ونجومك، وللأرض شقّقي أنهارك وأخرجي ثمارك! فقالتا أتينا طائعين.

١٨٢ - وعن ابن عبّاس أنّ رجلاً قال له: آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى! فقال: إنّما أُتيت من قبل رأيك اقرأ! قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ

---

(١) - (٤) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٦٠-٣٦١.

وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[1] قال: خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء، ثمّ خلق السماء، ثمّ دحا الأرض بعد ما خلق السماء، وإنّما قوله دحاها بسطها[2].

بيان: في النهاية: فيه كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض. الخشعة: أكمة لاطئة بالأرض والجمع «خشع» قيل: هو ما غلبت عليه السهولة أي ليس بحجر ولا طين، ويروى «خشفة» بالخاء والفاء. وقال الخطّابي: الخشفة واحدة الخشف، وهي الحجارة تنبت في الأرض نباتاً.

١٨٣- **مروج الذهب:** للمسعودي عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله حين شاء تقدير الخليقة، وذرء البريّة، وإبداع المبدعات، نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته، وتوحّد جبروته، فأتاح نوراً من نوره فلمع، وقبساً من ضيائه فسطع، ثمّ اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفيّة، فوافق ذلك صورة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله فقال الله عزّ من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندك أستودع نوري وكنوز هدايتي، ومن أجلك أسطّح البطحاء وأرفع السماء، وأمزج الماء، وأجعل الثواب والعذاب، والجنّة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يخفى عليهم دقيق، ولا يغيبهم خفيّ، وأجعلهم حجّة على بريّتي والمنبّهين على علمي ووحدانيّتي، ثمّ أخذ الله سبحانه الشهادة للربوبيّة، والإخلاص للوحدانية، فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاء بيصائر الخلق انتخاب محمّد، وأراهم أنّ الهداية معه، والنور له، والإمامة في أهله تقديماً لسنّة العدل، وليكون الإعذار متقدّماً، ثمّ أخفى الله الخليقة في غيبه، وغيّبها في مكنون علمه، ثمّ نصب العوالم، وبسط الزمان، ومرج الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفى عرشه على الماء، وسطح الأرض على ظهر الماء، ثمّ استجابهما إلى الطاعة، فأذعنتا بالاستجابة، ثمّ أنشأ الملائكة من أنوار نبوّة قد ابتدعها، وأنوار اخترعها، وقرن بتوحيده نبوّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فشهرت نبوّته في السماء قبل بعثته في الأرض، فلمّا خلق الله آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصّه به من سابق العلم، من حيث عرفهم عند استنبائه إيّاه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محراباً وكعبة وقبلة أسجد إليها الأنوار والروحانيّين والأبرار، ثمّ نبّه آدم على مستودعه وكشف له خطر ما ائتمنه على أن سمّاه إماماً عند الملائكة، فكان حظّ آدم من الخير إنباءه ونطقه بمستودع نورنا، ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان إلى أن فصل محمّداً صلى الله عليه وآله في طاهر القنوات فدعا الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سرّاً وإعلاناً، واستدعى التنبيه على العهد الّذي قدّمه إلى الذرّ قبل

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٠.
(٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣١٣.

النسل ومن وافقه قبس من مصباح النور المتقدّم اهتدى إلى سرّه، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفلة استحقّ السخطة لم يهتد إلى ذلك، ثمّ انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع مع أئمّتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فينا النجاة، ومنّا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبنا تقطع الحجج، ومنّا خاتم الأئمّة، ومنقذ الأمّة، وغاية النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل المخلوقين، وأكمل الموجودين، وحجج ربّ العالمين، فلتهنأ النعمة من تمسّك بولايتنا وقبض عروتنا[1].

بيان: أمزج الماء أي أخلطه بغيره فأخلق منه المركّبات، ويمكن أن يكون بالراء المهملة كقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي خلاهما، ببصائر الخلق أي لأن يجعلهم ذوي بصائر، أو ملتبساً ببصائرهم وعلمهم. والقنوات جمع قناة، وقال الجوهري قناة الظهر: الّتي تنتظم الفقار (انتهى) والإبلاس بمعنى الحيرة أو اليأس لازم واستعمل هنا متعدّياً، والظاهر أنّ فيه تصحيفاً كما في كثير من الفقرات الأخر.

١٨٤ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن إسماعيل عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستّة أيّام، ثمّ اختزلها عن أيّام السنة، فالسنة ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً، شعبان لا يتمّ أبداً، ورمضان لا ينقص والله أبداً، ولا تكون فريضة ناقصة، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾[2] وشوّال تسعة وعشرون يوماً، وذو القعدة ثلاثون يوماً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3] وذو الحجّة تسعة وعشرون يوماً، والمحرّم ثلاثون يوماً ثمّ الشهور بعد ذلك شهر تامّ وشهر ناقص (الخبر)[4].

١٨٥ - **الفقيه:** بإسناده عن محمّد بن يعقوب بن شعيب، عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: إنّ الناس يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما صام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً أكثر ممّا صام ثلاثين. قال: كذبوا، ما صام رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا تامّاً، ولا تكون الفرائض ناقصة. إنّ الله خلق السنة ثلاثمائة وستّين يوماً، وخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، فحجزها من ثلاثمائة وستّين يوماً، فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وشهر رمضان ثلاثون يوماً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ والكامل تامٌّ، وشوّال تسعة وعشرون يوماً، وذو القعدة ثلاثون يوماً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ فالشهر هكذا ثمّ هكذا أي شهر تامّ وشهر ناقص وشهر رمضان لا ينقص أبداً، وشعبان لا يتمّ أبداً[5].

تبيين: قال بعض المحققين في علّة تخصيص الستّة أيّام بخلق العالم ما حاصله:

---

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ٣٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٤) فروع الكافي، ج ٤ ص ٣٣٨ باب ٥١ ح ٢.
(٥) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ١١٠ ح ٤٧٢.

إنّ أفعاله سبحانه مبنيّة على الحكم والمصالح، وإنّ حكمته اقتضت أن تكون أفعاله بالنسبة إلى مخلوقاته على قسمين: قسم يصدر عنه في كلّ آن إرادة دفعيّة بدون توقّفه على مادّة أو مدّة، وقسم لا يصدر عنه إلّا بعد مدّة أجرى عادته بحصول استعداد مادّته له في تلك المدّة على سبيل التدريج، وإنّ خلق الماء الّذي جعله مادّة لسائر الأجسام والجسمانيّات وما يشبهه من القسم الأوّل، وخلق السماوات والأرضين وما في حكمهما من القسم الثاني، وهذا حكم أطبق عليه جميع المليّين وكثير من قدماء الفلاسفة، فما ذكره المفسّرون من أنّ معنى خلق السماوات والأرض إبداعهما لا من شيء ليس بشيء، ويدلّ عليه خطب أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها.

ثمّ إنّ القسم الثاني يستدعي بالنسبة إلى كلّ مخلوق قدراً معيناً من الزمان كما يرشد إليه تتبّع الأزمنة المعيّنة الّتي جرت عادته تعالى أن يخلق فيها أصناف النباتات من موادها العنصرية، وأنواع الحيوانات من مواد نطفها في أرحام أمّهاتها فعلى ذلك خلق السماوات والأرض من مادّتها الّتي هي الماء بعد خصوص القدر المذكور من الزمان إنّما هو من هذا القبيل وأمّا خصوص الحكمة الداعية إلى إجراء عادته بخلق تلك الأمور من موادّها على التدريج ثمّ تقدير قدر خاصّ وزمان محدود لكلّ منها فلا مطمع في معرفته، فإنّه من أسرار القضاء والقدر الّتي لا يمكن أن يحيط بها عقل البشر، ولذلك كتم عنّا بل عن بعض المقرّبين والمرسلين بل سدّ علينا وعليهم باب الفحص والتفتيش بالنهي الصريح الدالّ عليه كثير من القرآن والخبر.

ثمّ إنّ اليوم عبارة عن زمان تمام دورة للشمس بحركتها السريعة العادية الموسومة باليومية، فكيف يتصوّر أن يكون خلق السماوات الحاملة للشمس وغيرها من الكواكب في عدّة من الزمان المذكور؟ وهل لا يكون تكوّن الدائر في زمان دورته مستلزماً للدور المستحيل بالضرورة؟ فقد ذكر ابن العربيّ[1] فيما سمّاه بالفتوحات أنّ اليوم وزمان دورة للفلك الأطلس

---

(١) محي الدين ابن العربي من كبار الصوفية الذي هو في الحقيقة مميت الدين. وبالجملة أراجيفه واضحة من كتبه مثل فصوص الحكم، والفتوحات المكيّة. منها: قوله في أوّل الفتوحات: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها؛ الخ. ومنها: قوله في الفصوص في فصّ حكمة سبّوحية في كلمة نوحيّة: إعلم أنّ التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إمّا جاهل وإما صاحب سوء؛ إلى أن قال: فالحقّ محدود بكلّ حدّ لأنّ كلّ ما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره، ظاهره من اسمه الظاهر وباطنه من اسمه الباطن، والمظهر عين الظاهر باعتبار الأحدية؛ إلى أن قال: فهو المثنى والمثنى عليه:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً　　وإن قلت بالتشبيه كنت محدداً
و إن قلت بالأمرين كنت مسدداً　　وكنت إماما في المعارف سيداً

إلى أن قال: فلو أنّ نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه؛ إلى أن قال: فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذمّ، وعلم أنّهم إنّما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان=

فلا يكون منوطاً بالشمس ولا بالسماوات السبع، إنّما المنوط بها الليل والنهار وهما غير اليوم. وفيه أنّه اصطلاح مبنيّ على أصول الفلسفة تأبى عنه اللغة والعرف المبنيّ عليهما لسان الشريعة، ولظهور ذلك أطبق المفسّرون على تأويله إمّا بحمل تلك الأيّام على زمان مساو لقدر زمانها، وإمّا بحملها على أوقات أو مرّات متعدّدة بعدّتها حتّى يكون معنى خلق الأرض في يومين مثلاً خلقها في مرّتين مرّة خلق أصلها، ومرّة تمييز بعض أجزائها عن بعض، وكذلك في السماوات وغيرها، ولا يخفى أنّ شيئاً من التأويلين ولا سيّما الثاني لا يلائم تعيين خصوص يوم من أيّام الأسبوع لخلق كلّ منها كما في الروايات وذلك ظاهر جدّاً. وأيضاً يستبعد العقل جدّاً أن لا يمكن خلق الإنسان مثلاً من نطفته عادة في أقلّ من ستّة أشهر ويكون خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام مع أنّ الحال كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وأيضاً إخباره تعالى بخصوص قدر زمان لا بدّ له من نكتة، أقلّ ما في الباب أن يكون من جهة قلّته أو كثرته دخيلاً في المطلوب، ولا يناسب شيء منهما ههنا، إذ لو كان لأجل معرفة العباد أنّه تعالى قادر على خلق مثل السماوات والأرض في هذه المدّة القليلة فمعلوم أنّ ذلك ليس له وقع في هذا المطلوب بعد الإخبار بأمثال أنّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولو كان للامتنان عليهم بأنّ خلقه في تلك المدّة المديدة كان لأجل تدبير ما يحتاجون إليه في أمور معاشهم ومعادهم فظاهر أنّ قدر ستّة أيّام لا يصلح لهذا المقصود، فالوجه أن يفسّر اليوم ههنا

= والأمر قران لا فرقان؛ إلى أن قال: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ فهي التي خطت بهم، فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ في عين الماء؛ إلى أن قال: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد؛ إلى أن قال: وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله؛ الخ. وقال في فصّ هارونية: فكانت عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتّساعه، فإنّ العارف من يرى الحقّ في كل شيء، بل يراه عين كل شيء. وقال في تفسير سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ أما اليهود فبالتعمّق في الظاهر ونفي البواطن وحطّ عيسى عن درجة النبوّة ومقام الاتصاف بصفات الربوبية. فأمّا النصارى فبالتعمّق في البواطن ونفي الظواهر، ورفع عيسى إلى مقام الألوهية. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل؛ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الإله ثلاثة أشياء؛ الخ. وفي سورة نوح: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي معبوداتكم الّتي عكفتم بهواكم عليها من ودّ البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه، وسواع النفس ويغوث الأهل ويعوق المال ونسر الحرص. ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ في بحر الهيولا؛ الخ. وفي سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلي، وشهود الوحدة في عين الكثرة بتجلّي الواحد الكثير والكثير الواحد؛ الخ. مات ٢٢ ربيع الأول سنة ٦٣٨ للهجرة. [التمازي].

(١) سورة غافر، الآية: ٥٧.

- والعلم عند الله وأهله - بما فسّره الله تعالى تارة بقوله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١) وتارة بقوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٢) وأخرى بقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٣) فإنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وقد يعبّر عن الأوّل باليوم الربّانيّ، وعن الثاني بيوم الله، فعلى كلّ تقدير يكون ملائماً لما نسب من خلق كلّ منها إلى يوم من الأسبوع في الروايات، ويتمّ ما يقصر عنه عند حمله على اليوم الدنيويّ من معنى الامتنان المقصود له تعالى في كثير من أمثال تلك الآيات، ولعلّ حمله على الأوّل فيما نحن فيه أنسب وأقرب، فتصويره على ذلك أنّ كلّ امتداد سواء كان قارّ الذات كالجسم أو غير قارّ الذات كالزمان ينبغي أن يقدّر له أجزاء ولكلّ جزء منه أجزاء وهكذا إلى ما يحتاج التعبير عن قدر معيّن منها للتفهيم بدون كلفة، وذلك كتقدير الفلك بالبروج والمنازل والدرجات، وتقدير الزمان بالسنين والشهور والأيّام والساعات، وعلى هذا لا بعد في أنّ الحكمة الإلهيّة كانت اقتضت أن يقدّر للزمان المتقدّم على زمان الدنيا، بل للزمان المتأخّر عن زمانها أيضاً بأمثال ما قدّره لزمانها من السنين إلى الساعات، لكن مع رعاية نوع مناسبة لهذه الأجزاء إلى المقدّر بها، فكما أنّ المناسب لزمان المتقدّم أن يكون كلّ يوم منه بقدر دورة للشمس يجوز أن يكون المناسب للزمان المتقدم أن يكون كلّ يوم منه بقدر ألف سنة من زمان الدنيا وللزمان المتأخّر أن يكون مساوياً لخمسين ألف سنة منه، فيكون ما أخبرنا به في الآيتين الأوليين حال الزمان المتقدّم، وفي الثالثة حال الزمان المتأخّر، فلا بعد فيما يلوح من بعض الإشارات المأثورة من أنّه تعالى كان قدّر للزمان المتقدّم أسابيع، وسمّى الأوّل من أيّامها بالأحد والثاني بالاثنين وهكذا إلى السبت، وكذلك قدّر له شهوراً تامّة كلّ منها ثلاثون يوماً سمّى أوّلها بالمحرّم أو رمضان على اختلاف الروايات في أوّل شهور السنة وثانيها بصفر أو شوّال وهكذا إلى ذي الحجّة أو شعبان، وعلى كلّ تقدير كان المجموع سنة كاملة موافقة لثلاثمائة وستّين يوماً، ثمّ جعل أيّام أسابيعنا وشهورنا موافقة لأيّام تلك الأسابيع والشهور في المبدأ والعدّة والتسمية، وقد يساعد عليه ما في سورة التوبة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (٤) فتستقيم بذلك أمثال ما روي أنّه تعالى خلق الأرض والسماء في يوم الأحد، أو خلق الملائكة في يوم الجمعة، فلا يتوجّه إشكال وجوب تأخّر أصل اليوم فضلاً عن خصوص الأحد عن خلق السماوات والأرض، ولا إشكال لزوم خلق الملائكة فيما تأخّر عن المتأخّر عنه من السماوات والأرض على ما مرّ في حديث الرضا عليه السلام ، وتستقيم به أيضاً أمثال ما روي أنّ دحو الأرض كان في ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة بدون استبعاد وانقباض للعقل من

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٥.
(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

جهة أنّ تقدّم امتياز تلك الشهور بعضها عن بعض وانضباطها بتلك الأسامي على دحو الأرض وما يتبعه من خلق الإنس بل الجنّ أيضاً خلاف العادة.

ثمّ إنّه يلوح ممّا ذكره صاحب الملل والنحل بقوله «قد اجتمعت اليهود على أنّ الله تعالى لمّا فرغ من خلق الأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى فقالت فرقة منهم إنّ الستّة الأيّام هي الستّة آلاف سنة فإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون وبالسير القمريّ، وذلك ما مضى من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وبه يتمّ الخلق، ثمّ إذا بلغ الخلق إلى النهاية ابتدأ الأمر، ومن ابتداء الأمر يكون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق، وليس ذلك أمراً كان ومضى بل هو في المستقبل إذا عددنا الأيّام بالألوف (انتهى)[1] أن بعضاً من الكتب السماويّة كالتوراة كان متضمّناً للإشارة إلى أنّ المراد بالأيّام المخلوقة فيها السماوات والأرض هو الأيّام الربانيّة، ولكنّ اليهود لم يتفطّنوا بكونها سابقة على زمان الدنيا وتعمّدوا في تحريفها عن موضعها بتطبيقها على بعض أزمنة الدنيا تصحيحاً لما سوّلته لهم أنفسهم من أنّ شريعة موسى عليه السلام هي أوّل أوامره وشروعه في التكليف، حتّى لا يلزمهم الإقرار بنسخ شريعة سابقة مستلزم لإمكان وقوع مثله على شريعتهم أيضاً فافهم.

ويظهر ممّا ذكره محمّد بن جرير الطبريّ في أوّل تاريخه أنّ حمل تلك الأيّام على الأيّام الربانيّة أمر مقرّر بين أهل الإسلام أيضاً من قديم الأيّام. فإذا تأمّلت في مدارج ما صوّرناه وبيّناه يظهر لك أنّ السماوات والأرض وما بينهما المعبّر عنها بالدنيا بمنزلة شخص مخلوق من نطفة هي الماء على طبق حصول استعداداته بالتدريج كما جرت به عادته تعالى في مدّة مديدة هي على حسابنا ستّة آلاف سنة قمريّة موافقة لستّة أيّام من الأيّام الربانيّة، فبعد تمام هذه المدّة الّتي هي بمنزلة زمان الحمل لها تولّدت كاملة بطالع السرطان والكواكب في شرفها، وحينئذ أخذت الشمس والقمر في حركتهما المقدّرة لهما المنوطة بهما الليل والنهار، وذلك كان في يوم الجمعة كما مرّ وجهه، وكان أيضاً سادس شهر محرّم الحرام أو رمضان المبارك عندما مضت ثلاث ساعات واثنتا عشرة دقيقة من نهاره، ولا ينافي ذلك ما ورد في حديث الرضا عليه السلام أنّه كانت الشمس عند كينونتها في وسط السماء لأنّه عليه السلام في صدد تصوير وضع نهار أيّام الدنيا حينئذٍ لا الأيّام الربانيّة، وما نحن فيه مبني عليها فلا يلزم الموافقة. هذا هو مبدأ عمر الدنيا، وأمّا مبدأ خلقها من نطفتها فمقدّم عليه بقدر ما عرفت من زمان حملها، فكان مبدأ أوّل يوم الأحد من تلك الأيّام غرّة أحد الشهرين، ولا شكّ بما نصب لنا من الدلالات اليقينية أنّ لها أمداً ممدوداً وأجلاً محدوداً، ويقرب احتمال أنّه تعالى كان قدّر لجملة زمانها من مبدأ خلقها إلى حلول أجلها سنة كاملة من السنين الربّانية، فجعل ستّة أيّام

---

(١) الملل والنحل، ص ٢١٩.

منها بإزاء خلقها والباقية وهي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً بإزاء عمرها، وأنّها كما مرّ مساوية لثلاثمائة وأربعة وخمسين ألف سنة من السنين القمريّة الدنيويّة، يلوح ذلك من جملة روايات وعدّة إشارات من الصادقين عليهم السلام:

منها: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل الجهاد وتوابعه أنّ رباط يوم في سبيل الله خير من عبادة الرجل في أهله سنة، ثلاثمائة وستّين يوماً كلّ يوم ألف سنة. فإنّ الذكيّ يتفطّن من الخصوصيّة المذكورة فيها لكلّ من السنة واليوم بأنّ المراد بهما غير السنة واليوم الدنيويّين، إذ لا سنة في الدنيا بهذا العدد من الأيّام فإنّه لا يوافق شيئاً من الشمسيّة والقمريّة المعتبرتين فيها، ولا يوم من أيّام الدنيا موافقاً لذلك الامتداد من الزمان، فيظن أنّ هذا التعبير كناية عن نهاية ما يتصوّر للرجل من العبادة، وهو تمام زمان الدنيا.

ومنها: ما رواه الصدوق في الفقيه والكلينيّ في الكافي - ثمّ أورد الروايتين فقال: - وجه دلالة الحديثين على ما ذكرنا أنّ السنة الأولى فيه وهي المختزلة عنها الأيّام الستّة يجب أن تحمل على السنة الربّانيّة، لأنّ شيئاً من السنة الشمسيّة والقمريّة الدنيويّتين لم يخلق ثلاثمائة وستّين يوماً كما تقرّر في موضعه، ولأنّه لو حملت على الدنيويّة فإمّا أن تحمل الأيّام الستّة أيضاً على الأيّام الدنيويّة فغاية ما يلزم من اختزالها عنها أن تكون السنة الأولى من سني عمر الدنيا ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً، فلا يلزم هذا النقصان في جميع السنين وإمّا أن تحمل على الأيّام الربّانيّة فلا يتصوّر الاختزال المذكور حينئذٍ فإذا يوماً من تلك الأيّام كألف سنة من تلك السنين، فتحقّق أنّ المراد بتلك السنة السنة الربّانيّة على وفق ما بيّنا أنّ المراد بالأيّام الستّة الأيّام الربّانيّة وأمّا السنة الثانية في الحديثين فيجب أن تحمل على السنة الدنيويّة المستتبعة لنقصان بعض شهورها وهو ظاهر. فعلى هذا ما يفهم منه من تفرّع النقصان في تلك السنة وشهورها على الاختزال المذكور يدلّ على أنّه لو لم يختزل الأيّام الستّة المذكورة عن رأس السنة الربّانيّة المذكورة بل وقع خلق الدنيا في زمان خارج عن تلك السنة متّصل بها، لكانت أيّام السنة الدنيوية ثلاثمائة وستّين وكذا يدلّ على أنّ الأيّام المختزلة لو كانت عشرة مثلاً لكانت أيّام السنة الدنيوية ثلاثمائة وخمسين، وعلى هذا القياس فيظهر بذلك أنّه مبنيّ على أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت مساواة الأيّام الباقية بعد الاختزال من السنة الربّانيّة مع أيّام كلّ سنة من السنين الدنيويّة، فيتفطّن الذكيّ من لزوم تلك المساواة بين هاتين الأيّامين أنّهما منسوبتان إلى شيء واحد، فكما أنّ أيّام السنة الدنيويّة منسوبة إلى الدنيا ومحسوبة من عمرها كذلك الأيّام الباقية المذكورة منسوبة إليها لأجل عمرها، ويؤيّده انتساب الأيّام الستة المختزلة أيضاً إليها لأجل خلقها، فتبيّن من مدارج ما قرّرنا سرّ هذا الاختزال وكونه على النحو المذكور أيضاً، فإنّه لو لم يقع أو وقع لا على النحو المذكور لكان يزيد ألف سنة من سني الدنيا على يوم من الأيّام الربّانيّة أو ينقص عنها وهو خلاف ما أخبرنا الله تعالى به من مساواتهما المبنيّة على حكمته ومصلحته بلا شبهة.

ثمّ ليعلم أنّ كون السنة الدنيويّة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً مبنيّ على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلة فلا ينافي كونها في الحقيقة زائدة عليه بثماني ساعات مستوية وثمان وأربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاد، فعلى ذلك تكون بقيّة السنة الربّانيّة الّتي بإزاء عمر الدنيا أيضاً زائدة بمثل تلك الساعات والدقائق بحكم المساواة المذكورة، فيلزم من هذه الجهة أن يكون أيّام الستّة المختزلة لخلق الدنيا ناقصة عنها أيضاً بالقدر المذكور، لئلّا يلزم زيادة مجموعهما على ثلاثمائة وستّين، وقد أشرنا في تصوير زمان حمل الدنيا إلى هذه الدقيقة فتذكّر.

انتهى كلامه - رفع الله مقامه - ولقد أحسن وأجاد، وحقّق وأفاد، في إبداء هذا الوجه الوجيه مع تأيّده بما ذكر وبغيره من الأخبار المتقدّمة عن مجاهد وغيره، وبما رواه الصدوق رحمه الله في الفقيه وغيره في علّة الصلوات الخمس عن النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال: وأمّا صلاة المغرب فهي الساعة الّتي تاب الله عزّوجلّ فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عزّوجلّ عليه ثلاثمائة سنة من أيّام الدنيا في أيّام الآخرة يوم كألف سنة ما بين العصر إلى العشاء، وقد أوردت مثله بأسانيد في المجلّد الخامس. وبما رواه السيوطيّ في الدرّ المنثور عن عكرمة قال: سأل رجل ابن عبّاس ما هؤلاء الآيات ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ و﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؟ قال: يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، وخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام كلّ يوم ألف سنة، ويدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثمّ يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة، وذلك مقدار السير.

وعن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هي الدنيا أوّلها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة. لكن فيما زيّف به بعض الوجوه الأخر نظر، إذ بناء تحقيقه على تحقّق الزمان الموهوم قبل خلق العالم وإن كان تقديره وقسمته بالأيّام والساعات، فيمكن أن يقال: بعد خلق الكواكب وحركاتها وتعيين الليالي والأيّام والشهور والأسابيع يمكن الرجوع القهقرى، وتعيين جميع ذلك في الأزمنة الماضية تقديراً، وتكلّف التقدير مشترك بين الوجهين، مع أنّ هذا الوجه أوفق بظواهر أكثر الآيات والأخبار، وأمّا أن الستّة الأيّام لا يكون مبالغة في جانب القلّة إذا حملت على أيّام الدنيا فليس كذلك، بل في خلق السماوات والأرض مع وفور عظمتهما واشتمالهما على أنواع الحكم الدقيقة والمصالح الأنيقة ممّا يدلّ على غاية القدرة والعلم والحكمة، وأمّا أنّه كان يمكن خلقهما في أقلّ من ذلك الزمان فبيّن الرضا عليه السلام الحكمة في ذلك، فلعلّه سبحانه جمع بين الأمرين أي عدم الخلق دفعة وقلّة الزمان رعاية للأمرين معاً، وسائر ما ذكره قدّس سرّه إمّا محض استبعاد، أو مقايسة بعض المخلوقات ببعض، وكلاهما ممّا لا وقع له في هذا المقام. وأمّا الاختزال فيمكن أن يكون

غرضه عليه‌السلام الإشارة إلى علّة شيوع هذا الاصطلاح أي إطلاق السنة في عرف الشرع والعرف العام على ثلاثمائة وستّين مع أنّها لا توافق السنة الشمسيّة ولا القمرية، بأنّها مطابقة للسنة الأولى من خلق العالم إذا حسبت من ابتداء الخلق، وأمّا السنة القمريّة فهي مبنيّة على حركة القمر بعد وجوده، والستّة المتقدّمة المصروفة في خلق العالم مختزلة منها، وسيأتي لذلك مزيد تحقيق في محلّه إن شاء الله تعالى.

ثمّ اعلم أنّه قد تكلّم كثير من الناس من الفرق المتشتّتة في قدر زمان عمر الدنيا، فأكثر اليهود بل سائر أهل الكتاب مالوا إلى تقليله بأمور خطابية لا ترتضيها العقول السليمة، وجمهور الهنود بالغوا في تكثيره بخيالات حسابية تتنفّرعنها الطبائع المستقيمة، وأمّا مشاهير قدماء الحكماء وجماهير عظماء الأحكاميين فقد توسّطوا في ذلك، ولكن تفرّقوا إلى أقوالٍ شتّى، وحكى أبو معشر البلخيّ في كتابه المسمّى بسرّ الأسرار عن بعض أهل هند أنّ الدور الأصغر ثلاثمائة وستّون سنة، والأوسط ثلاثة آلاف وستّمائة سنة، والأكبر ثلاثمائة وستّون ألف سنة، ولعلّ المراد بالدور الأكبر زمان عمر الدنيا، وبالسنة السنة الشمسيّة، فيطابق ما اعتمد عليه جمع من أعلام المنجّمين من قول حكماء فارس وبابل أنّ سني عمر العالم ثلاثمائة وستّون ألف سنة شمسيّة، كلّ سنة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وخمس عشرة دقيقة واثنتان وثلاثون ثانية وأربع وعشرون ثالثة، ومستندهم في ذلك على ما نقل أبو معشر من أهل فارس أنّ الكواكب السبعة في أوّل خلق الدنيا كانت مجتمعة في أوّل الحمل، ويكون اجتماعها في آخر زمان بقائها في آخر الحوت وزمان ما بينهما ثلاثمائة وستّون ألف سنة من تلك السنين، وأمّا مستندهم في الاجتماع المذكور على نحو ما تصوّروه في المقامين فغير معلوم.

ثمّ اعلم أنّ هذه الخيالات والروايات وإن لم يكن مبتنية على أصل متين لكنّها ممّا يرفع استبعادات الأوهام عن الأخبار الواردة في الرجعة وطول امتداداتها فإنّها أيضاً داخلة في زمان عمر الدنيا، فإذا حسبت تلك الأزمان مع ما ورد في بعض الأخبار من أزمنة كون غير آدم وأولاده في الأرض يصير قريباً ممّا ذكر بعض هؤلاء الجماعة. وبالجملة كلّ من الأمرين ممّا يصلح أن يصير سبباً لرفع الاستبعاد عن الآخر.

ثمّ إنّ بعض المتصدّين لحلّ هذا الخبر سلك مسلكاً أوحش وأغرب حيث قال: السنة في العرف تطلق على الشمسيّة الّتي هي عبارة عن عود الشّمس بحركتها الخاصّة لها إلى الوضع الّذي فرض أوّلاً كأوّل الحمل مثلاً الّذي يتساوى عند حلولها فيه زمان الليل والنهار تقريباً بعد أن كان الليل أطول في معظم المعمورة، وعلى القمريّة الّتي هي عبارة عن عود القمر إلى وضعه المفروض أوّلاً مع الشمس في سمت الحركة اثنتا عشرة مرّة كلّ مرّة تسمّى شهراً، وقد علم بالتجربة والرصد أنّ زمان الأولى يكون ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وكسراً من يوم، وزمان الثانية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسراً، ولو فرض فارض كون الشمس أسرع

حركة بحيث تتمّ دورتها في ثلاثمائة وستّين بلا زيادة ونقصان والقمر بحاله يكون مقدار السنة القمريّة أيضاً ثلاثمائة وستّين يوماً كلّ شهر ثلاثون يوماً كما لا يخفى على المحاسب، وحينئذٍ لم يكن اختلاف بين السنة القمريّة والشمسيّة، لكن قد جعل الله سبحانه زمان الشمسيّة أكثر من ذلك بقريب من ستة أيّام وزمان القمريّة أنقص بنحو ذلك لمصالح تعود إلى مخلوقاته في السماوات والأرضين ينتظم بها النظام الأكمل الّذي لا يعلم كنهه إلّا هو، فلعلّ هذا هو المراد من جعل السنة ثلاثمائة وستّين وحجز الستّة الأيّام عنها، بل لا ينقبض العقل من أن يكون المراد بخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ذلك، أعني على اختلاف نظام لحركة السماويّات خصوصاً النيّرين اللّذين قدّرت بهما الشهور والأعوام والليالي والأيّام، وغير ذلك من مصالح الأنام، قدر ذلك الاختلاف ستّة أيّام في كلّ سنة فليتفكّر جدّاً في ذلك (انتهى). وأورد عليه بوجوه:

الأوّل: أنّ كون سرعة الشمس على الوجه المذكور مستلزمة لكون السنة القمريّة أيضاً ثلاثمائة وستّين يوماً إنّما يكون حقّاً إذا كان زيادة أيّام الشمسيّة على ثلاثمائة وستّين موافقة لنقصان أيّام القمريّة عنه حقيقة وليس كذلك، فإنّ الأوّل لا يزيد على خمسة أيّام وربع يوم في شيء من الأرصاد المتداولة، والثاني يزيد على خمسة أيّام وخمسة أثمان يوم بالاتّفاق، فأقلّ ما به التفاوت يزيد على تسع ساعات، فالصواب أن تفرض سرعتها بقدر نصف التفاوت بين زماني السنتين حتّى يتساويا ويرتفع التفاوت عمّا بينهما بالكلّيّة كما هو المقصود، وما يلزم حينئذٍ من عدم بلوغ شيء منهما إلى الستّين حقيقة بل يكون أقلّ منه بنحو خمس ساعات فالأمر فيه سهل فإنّه لا ينافي إطلاق الستّين عليه عرفاً.

الثاني: أنّ كون السنة ثلاثمائة وستّين يوماً في الحديث إخبار عن الواقع سواء حمل الخلق على معنى الإيجاد أو التقدير، وعلى ما ذكره أمر فرضيّ لا وقوع له أصلاً.

الثالث: أنّ المراد بالأيّام المختزلة عن أيّام السنة إذا كان هذه الأيّام فكيف يتصوّر أن يكون بعضها لأجل الأرض وبعضها لأجل السّماء كما يظهر من بعض الآيات بل غاية ما يتصوّر أن يكون لها مدخل في النظام المقصود بالنسبة إلى الجميع.

الرابع: أنّ هذا المعنى لهذه الأيّام لا يوافق شيئاً من الروايات الدالّة على تعيين يوم من أيّام الاسبوع لخلق كلّ من المخلوقات المذكورة.

١٨٦ - **مجمع البيان**: نقلاً من تفسير العيّاشيّ بإسناده عن الأشعث بن حاتم، قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه‌السلام والفضل بن سهل والمأمون في الإيوان الحيريّ بمرو، فوضعت المائدة فقال الرضا عليه‌السلام: إنّ رجلاً من بني إسرائيل سألني بالمدينة فقال: النهار خلق قبلُ أم الليل؟ فما عندكم؟ قال: فأداروا الكلام ولم يكن عندهم في ذلك شيء، فقال الفضل للرضا عليه‌السلام: أخبرنا بها أصلحك الله. قال: نعم، من القرآن أم من الحساب؟

قال له الفضل: من جهة الحساب. فقال: قد علمت يا فضل أنّ طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها، فزحل في الميزان، والمشتري في السرطان، والشمس في الحمل، والقمر في الثور، وذلك يدلّ على كينونة الشمس في الحمل من العاشر من الطالع في وسط السماء، فالنهار خلق قبل الليل، وأمّا في القرآن فهو في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾(١) أي قد سبقه النهار(٢).

كتاب النجوم: للسيّد ابن طاووس: بأسانيده عن محمّد بن إبراهيم النعمانيّ، عن محمّد ابن همام، عن محمّد بن موسى بن عبيد، عن إبراهيم بن أحمد اليقطينيّ، عن ابن ذي العلمين مثله.

وبأسانيده إلى كتاب الواحدة لابن جمهور العمّي بإسناده مثله(٣).

تحقيق وتوضيح: اعلم أنّه أورد على هذا الخبر إشكالات:

الأوّل: أنّ الظلمة الّتي تحصل منها الليل عدم النور الّذي يحصل منه النهار وعدم الحادث مقدّم على وجوده.

والجواب: أنّ الظلمة ليست عدماً مطلقاً بل عدم ملكة، إذ هي عدم النور عمّا من شأنه أن يكون نيّراً، ومثله يمكن أن يكون مقدّماً ومؤخّراً، والحاصل هنا أنّ أوّل خلق العالم هل كان نهاراً أم ليلاً.

الثاني: أنّ عند خلق الشمس لا بدّ أن يكون في بعض الأرض ليلاً وفي بعضها نهاراً فلا تقدّم لأحدهما على الآخر.

والجواب: أنّ السؤال عن معظم المعمورة هل كان الزمان فيها ليلاً أم نهاراً فلا ينافي وجود الليل فيما يقاطرها.

الثالث: ما المراد بطالع الدنيا؟ فإنّ كلّ نقطة من نقاط الأرض لها طالع، وكلّ نقطة من نقاط منطقة البروج طالع أفق من الآفاق.

والجواب: أنّه يمكن أن يكون المراد بطالع الدنيا طالع قبّة الأرض أي موضع من الربع المسكون في وسط خطّ الاستواء يكون طوله من جانب المغرب على المشهور أو المشرق على رأي أهل الهند تسعين درجة، وقد تطلق على موضع من الأرض يكون طوله نصف طول المعمورة منها أعني تسعين درجة. وعرضه نصف أرض المعمورة منها أي ثلاثة وثلاثين درجة تخميناً، ومن خواصّ القبّة أنّه إذا وصلت الشمس فيها إلى نصف النهار كانت طالعة

---

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٧٥.

(٣) فرج المهموم، ص ٩٥.

على جميع بقاع الربع المسكون نهاراً، فظهرت النكتة في التخصيص. ويمكن أن يكون الطالع هنا بالقياس إلى الكعبة لأنّها وسط الأرض خلقاً وشرعاً وشرفاً.

الرابع: كون الكواكب في مواضع شرفها، لا يستقيم على قواعد المنجّمين واصطلاحاتهم، إذ عطارد شرفه عندهم في السنبلة، وشرف الشمس في الحمل، ولا يبعد العطارد عن الشمس بهذا المقدار، ولقد خبط الطبريّ وغيره في ذلك فحكموا بكون عطارد أيضاً حينئذ في الدرجة الخامسة عشر من السنبلة نقلاً من جماهير الحكماء.

والجواب: أنّه عليه السلام يمكن أن يكون بنى ذلك على ما هو المقرّر عنده لا ما زعمه المنجّمون في شرف عطارد، أو يقال: إنّ عطارد مستثنى من ذلك وأحال ذلك على ما هو المعلوم عندهم، أو يقال: المراد بالكواكب الأربعة المفصّلة اعتماداً على ذكرها بعده.

الخامس: أنّ المقرّر في كتب الأحكام في بحث القرانات أنّ السبعة كانت مجتمعة في أوّل الحمل، ولو فرض أنّهم أخطأوا في ذلك كان على الفضل وسائر الحضّار المتدرّبين في صنعة النجوم أن يسألوا عن ذلك ويراجعوا فيه ولم ينقل منهم ذلك.

والجواب: أنّهم ليسوا متّفقين في ذلك كما يظهر من الطبريّ وغيره، فلعلّ الفضل وغيره ممّن حضر المجلس كان يسلك هذا المسلك، وربما يقال: لعلّ الراوي سهى أو خبط في فهم كلامه عليه السلام وكان ما قاله عليه السلام هو أنّ الكواكب كانت مع الشمس في شرفها، والضمير في «شرفها» كان للشمس لا للكواكب، فاشتبه عليه وزعم أنّ الضمير للكواكب ففصّل كما ترى.

وأقول: على ما ذكرنا لا حاجة إلى تحريف الحديث ونسبة السهو إلى الراوي وما ذكروه ليس مستنداً إلى حجّة، وأكثر أقاويلهم في أمثال ذلك مستندة إلى أوهام فاسدة وخيالات واهية كما لا يخفى على من تتبّع زبرهم.

قال أبو ريحان فيما عندنا من تاريخه في سياق ذكر ذلك: وبكلّ واحد من الأدوار تجتمع الكواكب في أوّل الحمل بدءاً وعوداً ولكنّه في أوقات مختلفة فلو حكم على أنّ الكواكب مخلوقة في أوّل الحمل في ذلك الوقت أو على أنّ اجتماعها فيه هو أوّل العالم أو آخره لتعرّت دعواه تلك عن البيّنة وإن كان داخلاً في الإمكان، ولكن مثل هذه القضايا لا تقبل إلّا بحجّة واضحة أو مخبر عن الأوائل والمبادي موثوق بقوله، متقرّر في النفس صحّة اتّصال الوحي والتأييد به، فإنّ من الممكن أن تكون هذه الأجسام متفرّقة غير مجتمعة وقت إبداع المبدع لها وإحداثه إيّاها، ولها هذه الحركات الّتي أوجب الحساب اجتماعها في نقطة واحدة في تلك المدّة (انتهى).

السادس: إنّ الاستدلال بالآية لا يتمّ، إذ يمكن أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ على أنّ الليل لا يأتي قبل وقته المقرّر وزمانه المقدّر كما أنّ الشمس لا تطلع قبل أوانه، وكلّ من الليل والنهار لا يأتي أحدهما قبل تمام الآخر كما سيأتي بيانه في تفسير الآية.

والجواب: أنّه عليه السلام بنى الاستدلال على ما علم من مراده تعالى في الآية وكان عليه السلام عندهم مأموناً مصدّقاً في ذلك.

السابع: أنّ ما تقدّم نقلاً من السيوطيّ عن ابن عبّاس ينافي ذلك، حيث حكم بتقدّم الليل على النهار، وما ينقل عن التوراة موافقاً لذلك أيضاً ينافيه.

والجواب: أنّ حديث ابن عبّاس لا يعارض به كلام الإمام عليه السلام المنقول من الأصول المعتبرة، وكذا نقل التوراة لم يثبت، ولو ثبت فأكثرها محرّفة لا يعتمد عليها. وربّما يجاب بأنّ حدوث النور إنّما هو بعد الظلمة، فالظلمة مقدّمة على النور، لكن طالع خلق الدنيا يعني طالع دحو الأرض كان هو السرطان، والشمس حينئذٍ في الحمل في العاشر على ما ذكره الإمام عليه السلام فأوّل الأوقات في دحو الأرض هو الظهر، ولذا سمّيت صلاة الظهر بالصلاة الأولى كما سمّيت بالوسطى أيضاً عند كثير من العلماء، وإنّما فسّر طالع الدنيا بطالع دحو الأرض لأنّ خلق الأرض مقدّم على خلق السماء لكن دحوها مؤخّر، جمعاً بين الآيات (انتهى).

وأقول: يمكن حمله على ابتداء خلق الكواكب فإنّ حصول النهار إنّما هو عنده والحاصل أنّه تمّ خلق أجزاء الدنيا حين كون السرطان على الأفق الشرقيّ بالنسبة إلى قبّة الأرض، فإذا رجعت على توالي البروج وعدّدت ستّة من تحت الأرض وثلاثة من فوقها كان العاشر، وهو الحمل على سمت الرأس، فإذا كانت الشمس فيه يكون بالنسبة إلى أكثر المعمورة نهاراً كما عرفت، فالنهار في أوّل الخلق بالنسبة إلى المعمورة الّتي هي مسكن أشرف الخلق مقدّم على الليل. ثمّ إنّه يحتمل أن يكون ذكر هذه المصطلحات الّتي لم تجر عادتهم عليهم السلام بذكرها وإجراء الكلام على قواعد النجوم الّتي نفوها وزيّفوها كما ستعلم إن شاء الله إلزاماً على الفضل المشهور في تلك الصناعة، وإظهاراً لعلمهم عليهم السلام بجميع العلوم والاصطلاحات، وقد يقال: إنّ تلك الكواكب لمّا كانت في ابتداء خلق العالم في مواضع مخصوصة مضبوطة عند أهل العلم أخذاً عن الأنبياء والحجج عليهم السلام فبعدما أخذ المنجمون بعض ذلك عنهم زعموا أنّها لتلك الخصوصية كانت أحسن مواضع تلك الكواكب فسمّوها شرفاً لها، ثمّ سمّوا المواضع الّتي تقابلها هبوطاً لها، توهّماً منهم أنّها عند كونها فيها هابطة من تلك المنزلة والشرف جدّاً، وأمّا ما فات منهم أخذه عن أهل العلم كموضع عطارد مثلاً عيّنوه من عند أنفسهم بخيالات شعرية مذكورة في كتبهم.

ثمّ إنّ بعض الناس توهّموا أنّ هذا الحديث مؤيّد لكون اليوم من الزوال إلى مثله كما اعتبره المنجّمون لسهولة الحساب، ولا يخفى وهنه على أولي الألباب.

وبعد اللّتيّا والّتي فدلالة الحديث على حدوث أكثر ما يزعمه الحكماء قديماً من أجزاء العالم بيّن لا يحتاج إلى البيان.

١٨٣ - **كتاب المحتضر**: للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلوديّ، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سلوني فإنّي لا أُسأل عن شيء دون العرش إلّا أجبت فيه لا يقولها بعدي إلّا جاهل مدّعٍ أو كذّاب مفتر. فقام رجل من جانب مسجده في عنقه كتاب كأنّه مصحف وهو رجل آدم ضَرب طوال، جعد الشعر، كأنّه من مهوّدة العرب، فقال رافعاً صوته لعليّ: أيّها المدّعي ما لا يعلم والمقلّد ما لا يفهم! أنا السائل فأجب. فوثب به أصحاب عليّ وشيعته من كلّ ناحية فهمّوا به فنهرهم عليّ عليه السلام فقال لهم: دعوه ولا تعجلوه! فإنّ الطيش لا تقوم به حجج الله ولا به تظهر براهين الله. ثمّ التفت إلى الرجل وقال له: سل بكلّ لسانك وما في جوانحك فإنّي أجيبك، إنّ الله تعالى لا تعتلج عليه الشكوك ولا يهيجه وسن. فقال الرجل: كم بين المغرب والمشرق؟ قال عليّ عليه السلام مسافة الهواء. قال: وما مسافة الهواء؟ قال عليّ عليه السلام دوران الفلك؟ قال الرجل: وما قدر دوران الفلك؟ قال: مسيرة يوم للشمس. قال الرجل: صدقت. قال: فمتى القيامة؟ قال: على قدر قصور المنيّة وبلوغ الأجل. قال الرجل: صدقت، فكم عمر الدنيا؟ قال عليّ: يقال سبعة آلاف ثمّ لا تحديد. قال الرجل: صدقت، فأين بكّة من مكّة؟ قال عليّ: مكّة من أكناف الحرم، وبكّة موضع البيت. قال: فلم سمّيت مكّة مكّة؟ قال: لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها قال: فلم سمّيت بكّة؟ قال: لأنّها بكّت رقاب الجبّارين وعيون المذنبين قال: صدقت، وأين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟ قال عليّ: سبحان من لا تدرك كنه صفته حملة العرش، على قرب زمراتهم من كراسي كرامته، ولا الملائكة المقرّبون من أنوار سبحات جلاله. ويحك! لا يقال أين، ولا ثمّ، ولا فيم، ولا لم، ولا أنّى، ولا حيث، ولا كيف. قال الرجل: صدقت، فكم مقدار ما لبث الله عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء؟ قال: أتحسن أن تحسب؟ قال: نعم، قال: لعلّك لا تحسن! قال: بلى، إنّي لأحسن أن أحسب. قال عليّ عليه السلام : أفرأيت لو كان صبّ خردل في الأرض حتّى سدّ الهواء وما بين الأرض والسماء، ثمّ أذن لمثلك على ضعفك أن تنقله حبّة حبّة من مقدار المشرق إلى المغرب، ثمّ مدّ في عمرك وأعطيت القوّة على ذلك حتّى تنقله وأحصيه لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء، وإنّما وصفت لك ببعض عشر عشير العشير من جزء مائة ألف جزء، وأستغفر الله من القليل في التحديد. قال: فحرّك الرجل رأسه وشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله[1].

بيان: والضرب - بسكون الراء -: الرجل الخفيف اللحم. «على مسافة الهواء» هذه التبهيمات في الأجوبة للتنبيه على عدم تكلّف ما لم يؤمر الناس بعلمه وأنّه لا فائدة للإنسان في علم حقائق الموجودات ومقاديرها، كما تضيع الفلاسفة فيها أعمارهم. «على قرب زمراتهم» أي جماعاتهم.

---

(١) المحتضر، ص ٨٧.

تفهيم وتتميم نفعه عميم بعون الله الواهب الكريم:

إعلم أنّ المقصود الأصليّ من هذا الباب أعني حدوث العالم لمّا كان من أعظم الأصول الإسلامية لا سيّما الفرقة الناجية الإمامية وكان في قدم الزمان لا ينسب القول بالقدم إلّا إلى الدهريّة والملاحدة والفلاسفة المنكرين لجميع الأديان ولذا لم يورد الكلينيّ رحمه الله وبعض المحدّثين لذلك باباً مفرداً في كتبهم، بل أوردوا في باب حدوث العالم أخبار إثبات الصانع تعالى اتّكالاً على أنّ بعد الإقرار بالحقّ جلّ وعلا، لا مجال للقول بالقدم، لاتّفاق أرباب الملل عليه.

وفي قريب من عصرنا لمّا ولع الناس بمطالعة كتب المتفلسفين، ورغبوا عن الخوض في الكتاب والسنّة وأخبار أئمّة الدين، وصار بعد العهد عن أعصارهم عليهم السلام سبباً لهجر آثارهم، وطمس أنوارهم، واختلطت الحقائق الشرعيّة بالمصطلحات الفلسفية صارت هذه المسألة معترك الآراء ومصطدم الأهواء، فمال كثير من المتسمّين بالعلم المنتحلين للدين، إلى شبهات المضلّين، وروّجوها بين المسلمين فضلّوا وأضلّوا، وطعنوا على أتباع الشريعة حتّى ملّوا وقلّوا، حتّى أنّ بعض المعاصرين منهم يمضغون بألسنتهم، ويسوّدون الأوراق بأقلامهم أن ليس في الحدوث إلّا خبر واحد هو «كان الله ولم يكن معه شيء» ثمّ يؤوّلونه بما يوافق آراءهم الفاسدة، فلذا أوردت في هذا الباب أكثر الآيات والأخبار المزيحة للشكّ والارتياب، وقفّيتها بمقاصد أنيقة، ومباحث دقيقة، تأتي بنيان شبههم من قواعدها وتهزم جنود شكوكهم من مراصدها، تشييداً لقواعد الدين، وتجنّباً من مساخط ربّ العالمين، كما روي عن سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه، وإلّا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

المقصد الأوّل في بيان معاني الحدوث والقدم

المشهور أنّ للحدوث معنيين: الذاتيّ، والزمانيّ. والمستفاد من كلام الشيخ أنّ معنى الحدوث هو المسبوقيّة بالعدم إمّا بالذات لا بالزمان وهو الحدوث الذاتيّ، وإمّا بالزمان وهو الحدوث الزمانيّ. وهو المتبادر من لفظ الحدوث إذ المتبادر منه أنّه لم يكن موجوداً فوجد.

وأورد عليه أنّ تقدّم العدم على الوجود بالذات لا معنى له، إذ التقدّم بالذات مخصوص عندهم بالتقدّم بالعلّيّة، فتقدّم العدم بالعلّيّة على الوجود يستلزم اجتماع النقيضين.

وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله: الحدوث هو المسبوقية بالغير، وذلك الغير إن كان هو العلّة فهو الحدوث الذاتيّ، وإن كان عدماً فهو الحدوث الزمانيّ.

ويرد عليه أيضاً ما يرد على الأوّل، لأنّ ذات المعلول يصدق عليها أنّها ليست بموجودة في مرتبة ذات العلّة ثمّ وجد المعلول بعد ذلك السلب، لوجوب تقدّم وجود العلّة على وجود

المعلول، ولا يتصوّر في تقدّم سلب وجود المعلول على وجوده إلّا التقدّم الذاتيّ المنحصر في التقدم بالعلّيّة، فيعود الإشكال. وللقوم في هذا المقام اعتراضات وأجوبة لا يناسب مقصودنا من هذا الكتاب إيرادها، وأكثرها مذكورة في حواشي المحقّق الدوانيّ وغيره على الشرح الجديد للتجريد. وبالجملة إطلاق الحدوث عليه محض اصطلاح لهم لا يساعده لغة ولا عرف، وإنّما مرجعه الأحقيّة أو إلى ترتّب وجود المعلول على وجود العلّة إذ العقل يحكم بأنّه وجد فوجد.

وأثبت السيّد الداماد رحمه الله قسماً ثالثاً وهو الحدوث الدهريّ حيث قال: إنّ أنحاء العدم للممكن ثلاثة: **الأوّل**: العدم الّذي هو الليس المطلق في مرتبة الذات وهو لكلّ ممكن موجود حين وجوده **الثاني**: العدم المتكمّم وهو لكلّ حادث زمانيّ قبل زمان وجوده. **الثالث**: العدم الصريح الدهريّ قبل الوجود قبليّة غير متكمّمة.

وليس شيء من العدمين الأوّلين هو العدم المقابل للوجود، أمّا الأوّل فلأنّه يجامع الوجود في الواقع ويسبقه بحسب الذات سبقاً ذاتيّاً، وأمّا الثاني فلأنّه ممايز لزمان الوجود، ومن شرائط التناقض في الزمانيّات وحدة الزمان فإذاً إنّما المقابل للوجود العدم الصريح الّذي لا يتصوّر فيه حدّ وحدّ، ولن يتميّز فيه حال وحال. ثمّ حقّق في ذلك تحقيقاً طويلاً وحاصل كلامه أن أثبت للموجودات وعائين آخرين سوى الزمان وهو الدهر والسرمد، وقال: نسبة المتغيّر إلى المتغيّر ظرفها الزمان ونسبة الثابت إلى المتغيّر ظرفها الدهر، ونسبة الثابت إلى الثابت ظرفها السرمد. ونقل على ذلك شواهد كثيرة من الحكماء، فمن ذلك قول الشيخ في التعليقات حيث قال:

تعليق: العقل يدرك ثلاثة أكوان: **أحدها**: الكون في الزمان وهو متى الأشياء المتغيّرة الّتي يكون لها مبدأ ومنتهى، ويكون مبدؤه غير منتهاه، بل يكون متقضّياً ويكون دائماً في السيلان وفي تقضّي حال وتجدّد حال. **الثاني**: كون مع الزمان ويسمّى الدهر، وهذا الكون محيط بالزمان، وهو كون الفلك مع الزمان، والزمان في ذلك الكون لأنّه ينشأ من حركة الفلك وهو نسبة الثابت إلى المتغيّر إلّا أنّ الوهم لا يمكنه إدراكه، لأنّه رأى كلّ شيء في زمان ورأى كلّ شيء يدخله كان ويكون والماضي والحاضر والمستقبل، ورأى لكلّ شيء متى إمّا ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً. **الثالث**: كون الثابت مع الثابت ويسمّى السرمد، وهو محيط بالدهر.

تعليق: الوهم يثبت لكلّ شيء متى، ومحال أن يكون للزمان نفسه متى.

تعليق: ما يكون في الشيء فإنّه يكون محاطاً بذلك الشيء، فهو يتغيّر بتغيّر ذلك الشيء، فالشيء الّذي يكون في الزمان يتغيّر بتغيّر الزمان، ويلحقه جميع أعراض الزمان، ويتغيّر عليه أوقاته، فيكون هذا الوقت الّذي يكون مثلاً مبدأ كونه أو مبدأ فعله غير ذلك الوقت الّذي هو آخره لأنّ زمانه يفوت ويلحق، وما يكون مع الشيء فلا يتغيّر بتغيّره، ولا تتناوله أعراضه.

تعليق: الدهر وعاء الزمان، لأنّه محيط به.

وبيّن في الشفاء أيضاً هذا المعنى، ثمّ قال: ولا يتوهّم في الدهر ولا في السرمد امتداد، وإلّا لكان مقدار للحركة، ثمّ الزمان كمعلول الدهر، والدهر كمعلول السرمد. وقال أيضاً في الشفاء: إنّه لا يكون في الزمان إلّا الحركات والمتحرّكات، أمّا الحركة فذلك لها من تلقاء جوهرها، وأمّا المتحرّك فمن تلقاء الحركة، وأمّا سائر الأمور فإنّها ليست في زمان، وإن كانت مع الزمان، فإنّ العالم مع الخردلة وليست في الخردلة. إلى آخر ما قال. واستحسن ذلك المحقّق الطوسيّ رحمه الله والسيّد الشريف وغيرهما.

واعلم أنّ ما نحن بصدد إثباته لا يتوقّف على تحقيق هذه الأمور، فإنّ الّذي ثبت بإجماع أهل الملل والنصوص المتواترة هو أنّ جميع ما سوى الحقّ تعالى أزمنة وجوده في جانب الأزل متناهية وفي وجوده ابتداء، والأزليّة وعدم انتهاء الوجود مخصوص بالربّ سبحانه، سواء كان قبل الحوادث زمان موهوم أو دهر كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

المقصد الثاني في تحقيق الأقوال في ذلك

إعلم أنّه لا خلاف بين المسلمين بل جميع أرباب الملل في أنّ ما سوى الربّ سبحانه وصفاته الكماليّة كلّه حادث بالمعنى الّذي ذكرنا، ولوجوده ابتداء، بل عدّ من ضروريّات الدين. قال السيّد الداماد في القبسات: عليه إجماع جميع الأنبياء والأوصياء.

وقال صاحب الملل والنحل في كتاب «نهاية الإقدام» وصحّحه المحقّق الطوسيّ رحمه الله: مذهب أهل الحقّ من الملل كلّها أنّ العالم محدث مخلوق، له أوّل، أحدثه الباري تعالى وأبدعه بعد أن لم يكن، وكان الله ولم يكن معه شيء.

ووافقهم على ذلك جمع من أساطين الحكمة وقدماء الفلاسفة، مثل ثاليس، وانكساغورس، وانكسيمايس، من أهل «ملطية» ومثل فيثاغورس، وأنباذقلس، وسقراط، وأفلاطن، من أهل «آثينيّة» و«يونان» وجماعة من الشعراء والأوائل والنسّاك.

وإنّما القول بقدم العالم وأزليّة الحركات بعد إثبات الصانع والقول بالعلّة الأولى إنّما ظهر بعد أرسطاطاليس، لأنّه خالف القدماء صريحاً وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنّها حجّة وبرهاناً. وصرّح القول فيه من كان من تلامذته مثل الإسكندر الافروديسيّ، وثامسطيوس، وفرفوريوس. وصنّف برقلس المنتسب إلى أفلاطون في هذه المسألة كتاباً أورد فيه هذه الشبه.

وقال السيّد الداماد رحمه الله: من النقل الذائع الصحيح المتواتر أنّ أفلاطن والستّة الباقين من الأساطين وغيرهم من القدماء على حدوث عالمي الأمر والخلق بجميع أجزائه، وأرسطو وتلامذته على قدمه (انتهى) لكنّ الظاهر أنّه كان مذهب أفلاطون حدوث الزمانيّات فقط،

لاشتهار القول بقدم النفوس والبعد المجرّد عنه. وقال السيّد رحمه الله في القبسات: القول بقدم العالم نوع شرك. وقال في موضع آخر منه: إنّه إلحاد.

وقال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد: الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ عالم قادر حيّ لنفسه لا بعلم وقدرة وحياة وهو غيره أنّه لو كان عالماً بعلم لم يخل علمه من أحد أمرين: إمّا أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان حادثاً فهو جلّ ثناؤه قبل حدوث العلم غير عالم، وهذا من صفات النقص، وكلّ منقوص محدث بما قدّمناه. وإن كان قديماً يجب أن يكون غير الله عزّ وجلّ قديماً، وهذا كفر بالإجماع[1]. وقال رحمه الله في سياق إبطال مذاهب الثنويّة: فأمّا ما ذهب إليه «ماني» و«ابن ديصان» من خرافاتهما في الامتزاج، ودانت به المجوس من حماقاتها في «أهرمن» ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام[2]. وقد عقد في هذا الكتاب باباً لإثبات الحدوث وأورد فيه الدلائل المشهورة الّتي سنشير إلى بعضها، ولم نوردها مخافة الإطناب والتكرار. وقال فيما قال: لأنّ المحدث هو ما كان بعد أن لم يكن والقديم هو الموجود لم يزل. وقال في آخر الكلام: هذه أدلّة التوحيد الموافقة للكتاب والآثار الصحيحة عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام[3].

وقال السيّد المرتضى نقلاً عن شيخه المفيد - رفع الله شأنهما - في الردّ على أبي هاشم في القول بالحال، فقال في أثناء كلامه: وكره أن يثبت الحال شيئاً فتكون موجودة أو معدومة، ومتى كانت موجودة لزمه على أصله وأصولنا جميعاً أنّها لا تخلو من القدم أو الحدوث، وليس يمكنه الإخبار عنها بالقدم ليخرج بذلك عن التوحيد ويصير بذلك أسوأ حالاً من أصحاب الصفات. وساق الكلام إلى أن قال: والقول بالهيولى وقدم الطينة أعذر من هؤلاء القوم إن كان لهم عذر، ولا عذر للجميع فيما ارتكبوا من الضلال، لأنّهم يقولون إنّ الهيولى هو أصل العالم، وأنّه لم يزل قديماً، والله تعالى محدث كما يحدث الصائغ من السبيكة خاتماً، والناسج من الغزل ثوباً، والنجّار من الشجر لوحاً إلى آخر ما ردّ عليهم.

ونقل العلّامة رحمه الله في المختلف عن الشيخ المفيد كلاماً يدلّ على أنّ القول بالقدم ليس من مذاهب الملّيّين، حيث قال: وأمّا الصابئون فمنفردون بمذاهبهم ممّن عدّدناه، لأنّ جمهورهم وحّد الصانع في الأزل، ومنهم من يجعل معه هيولى في القدم صنع منها العالم فكانت عندهم الأصل، ويعتقدون في الفلك وما فيه الحياة والنطق وأنّه المدبّر لما في هذا العالم والدالّ عليه، وعظّموا الكواكب وعبدوها من دون الله عزّ وجلّ، وسمّاها بعضهم ملائكة، وجعلها بعضهم آلهة، وبنوا لها بيوتاً للعبادات، وهؤلاء على طريق القياس إلى مشركي العرب وعبّاد الأوثان أقرب من المجوس. إلى آخر ما قال ممّا يؤيّد ما ذكرنا.

---

(١) التوحيد، ص ٢٢٣.
(٢) التوحيد، ص ٢٦٩.
(٣) التوحيد، ص ٣٠٣-٣٠٤.

وشيخ الطائفة قدّس الله لطيفه عقد في كتاب الاقتصاد فصلاً في أنّ الله تعالى واحد لا ثاني له في القدم، وأقام الدلائل على ذلك إلى أن قال: فإذا ثبت ذلك بطل إثبات قديمين، وإذا بطل وجود قديمين بطل قول الثنويّة القائلين بالنور والظلمة ويبطل قول المجوس القائلين بالله والشيطان، ويبطل قول النصارى القائلين بالتثليث.

على أنّ قول الثنويّة يبطل من حيث دللنا على حدوث الأجسام. وأثبت حدوث الأجسام بالدلائل المشهورة عند المتكلّمين.

والسيّد المرتضى ﷺ في كتاب «الغرر» أورد دلائل على إبطال القول بالهيولى القديمة.

وقال الشيخ المحقّق أبو الفتح الكراجكيّ تلميذ السيّد المرتضى قدّس الله نفسهما في كتاب: «كنز الفوائد»: إعلم أيّدك الله أنّ من الملاحدة فريقاً يثبتون الحوادث ومحدثها، ويقولون إنّه لا أوّل لوجودها، ولا ابتداء لها، ويزعمون أنّ الله سبحانه لم يزل يفعل ولا يزال كذلك، وأنّ أفعاله لا أوّل لها ولا آخر، فقد خالفونا في قولهم أنّ الأفعال لا أوّل لها، إذ كنّا نعتقد أنّ الله تعالى ابتدأها وأنّه موجود قبلها، ووافقونا بقولهم أنّه لا آخر لها لأنّهم وإن ذهبوا في ذلك إلى بقاء الدنيا على ما هي عليه، واستمرار الأفعال فيها، وأنّه لا آخر لها فإنّا نذهب في دوام الأفعال إلى وجه آخر وهو تقضّي أمر الدنيا وانتقال الحكم إلى الآخرة واستمرار الأفعال فيها من نعيم أهل الجنّة الّذي لا ينقطع عن أهلها، وعذاب النار الّذي لا ينقضي عن المخلّدين فيها، فأفعال الله عزّوجلّ من هذا الوجه لا آخر لها. وهؤلاء - أيّدك الله - هم الدهريّة القائلون بأنّ الدهر سرمديّة لا أوّل لها ولا آخر، وأنّ كلّ حركة تحرّك بها الفلك فقد تحرّك قبلها بحركة قبلها حركة من غير نهاية، وسيتحرّك بعدها بحركة بعدها حركة لا إلى غاية، وأنّه لا يوم إلّا وقد كان قبله ليلة، ولا ليلة إلّا وقد كان قبلها يوم، ولا إنسان تكوّن إلّا من نطفة، ولا نطفة تكوّنت إلّا من إنسان، ولا طائر إلّا من بيضة، ولا بيضة إلّا من طائر، ولا شجرة إلّا من حبّة، ولا حبّة إلّا من شجرة، وأنّ هذه الحوادث لم تزل تتعاقب ولا تزال كذلك، ليس للماضي منها بداية، ولا للمستقبل منها نهاية، وهي مع ذلك صنعة لصانع لم يتقدّمها، وحكمة من حكيم لم يوجد قبلها، وأنّ الصنعة والصانع قديمان لم يزالا تعالى الله الّذي لا قديم سواه، وله الحمد على ما أسداه من معرفة الحقّ وأولاه، وأنا بعون الله أورد لك طرفاً من الأدلّة على بطلان ما ادّعاه الملحدون، وفساد ما انتحله الدهريّون.

أقول: ثمّ أورد ﷺ أدلّة شافية، وأجوبة وافية، وتحقيقات متينة، وإلزامات رزينة، سيأتي بعضها في محلّه، ولم نوردها هنا لأنّا سنذكرها بوجه أخصر. ثمّ ذكر مناظرته مع بعض القائلين بالقدم، وأنّه كتب ذلك إلى الشريف المرتضى ﷺ وذكر الجواب الّذي أورده السيّد في ذلك، فمن أراد الاطّلاع على جميع ذلك فليرجع إلى ذلك الكتاب.

وقال السيّد المرتضى ﷺ في جواب سؤال ورد عليه في آية التطهير، قال السائل: وإذا

كانت أشباحهم قديمة وهم في الأصل طاهرون فأيّ رجس أذهب عنهم؟ فقال السيّد في تضاعيف جوابه: وأمّا القول بأنّ أشباحهم عليهم السلام قديمة فهو منكر لا يطلق، والقديم في الحقيقة هو الله تعالى الواحد الّذي لم يزل، وكلّ ما سواه محدث مصنوع مبتدأ، له أوّل، إلى آخر ما قال رحمه الله ثمّ قال:

مسألة: اعترض فلسفيّ فقال: إذا قلتم إنّ الله وحده لا شيء كان معه فالأشياء المحدثة من أي شيء كانت؟ فقلنا لهم: مبتدعة لا من شيء. فقال: أحدثها معاً أو في زمان بعد زمان؟ فقال: فإن قلتم معاً فأوجدناكم أنّها لم تكن معاً وأنّها أحدثت شيئاً بعد شيء، وإن قلتم أحدثها في زمان بعد زمان فقد صار له شريك.

والجواب: عن ذلك أنّ الله تعالى لم يزل واحداً لا شيء معه ولا ثاني له، وابتدأ ما أحدثه من غير زمان وليس يجب إذا أحدث بعد الأوّل حوادث أن يحدثها في زمان، ولو جعل لها زماناً لما وجب بذلك قدم الزمان، إذ الزمان حركات الفلك وما يقوم مقامها ممّا هو مقدارها في التوقيت فمن أين يجب عند هذا الفيلسوف أن يكون الزمان قديماً إذا لم يوجد الأشياء ضربة واحدة لولا أنّه لا يعقل معنى الزمان إلى آخر ما أفاد في هذا المقام.

وقال المحقّق الطوسيّ - طيّب الله روحه القدّوسيّ - في التجريد: ولا قديم سوى الله تعالى. وقال فيه: وجود العالم بعد عدمه ينفي الإيجاب. وقال رحمه الله في كتاب الفصول:

أصل: قد ثبت أنّ وجود الممكن من غيره، فحال إيجاده لا يكون موجوداً لاستحالة إيجاد الموجود، فيكون معدوماً، فوجود الممكن مسبوق بعدمه، وهذا الوجود يسمّى حدوثاً، والموجود محدثاً، فكلّ ما سوى الواجب من الموجودات محدث. واستحالة الحوادث لا إلى أوّل كما يقوله الفلسفيّ لا يحتاج إلى بيان طائل بعد ثبوت إمكانها المقتضي لحدوثها. ثمّ قال: مقدمة كلّ مؤثر إمّا أن يكون أثره تابعاً للقدرة والداعي أو لا يكون بل يكون مقتضى ذاته، والأوّل يسمّى قادراً، والثاني موجباً، وأثر القادر مسبوق بالعدم، لأنّ الداعي لا يدعو إلّا إلى المعدوم وأثر الموجب يقارنه في الزمان، إذ لو تأخر عنه لكان وجوده في زمان دون آخر، فإن لم يتوقّف على أمر غير ما فرض مؤثراً تامّاً كان ترجيحاً من غير مرجّح، وإن توقّف لم يكن المؤثّر تامّاً وقد فرض تامّاً وهذا خلف. ثمّ قال: نتيجة: الواجب المؤثّر في الممكنات قادر، إذ لو كان موجباً لكانت الممكنات قديمة، واللازم باطل لما تقدّم، فالملزوم مثله.

وسئل السيّد مهنان بن سنان العلّامة الحلّي رحمه الله في جملة مسائله: ما يقول سيّدنا في المثبتين الّذين قالوا إنّ الجواهر والأعراض ليست بفعل الفاعل وإنّ الجوهر جوهر في العدم كما هو جوهر في الوجود فهل يكون هذا الاعتقاد الفاسد موجباً لتكفيرهم وعدم قبول إيمانهم وأفعالهم الصالحة وقبول شهادتهم ومناكحتهم أم لا يكون موجباً لشيء من ذلك؟ وأيّ شيء

يكون حكمهم في الدنيا؟ فأجاب رحمه الله بأنّه لا شكّ في رداءة هذه المقالة وبطلان كلّها، لكن لا توجب تكفيرهم ولا عدم قبول إيمانهم وأفعالهم الصالحة، ولا ردّ شهادتهم، ولا تحريم مناكحتهم، وحكمهم في الدنيا والآخرة حكم المؤمنين، لأنّ الموجب للتكفير هو اعتقاد قدم الجوهر وهم لا يقولون بذلك، لأنّ القديم يشترط فيه الوجود وهم لا يقولون بوجوده في الأزل، لكن حصلت لهم شبهة في الفرق بين الوجود والثبوت، وجعلوا الثبوت أعمّ من الوجود، وأكثر مشايخ المتكلّمين من المعتزلة والأشاعرة مثبتون، فكيف يجوز تكفيرهم؟

ثمّ قال السيّد رحمه الله: ما يقول سيّدنا فيمن يعتقد التوحيد والعدل ولكنّه يقول بقدم العالم؟ ما يكون حكمه في الدنيا والآخرة؟ فأجاب رحمه الله: من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف، لأنّ الفارق بين المسلم والكافر ذلك، وحكمه في الآخرة حكم باقي الكفّار بالإجماع. والشيخ الجليل أبو الصلاح الحلبيّ صرّح في «تقريب المعارف» بالحدوث وأقام الدلائل عليه، وكذا السيد الكبير ابن زهرة في كتاب «غنية النزوع» أورد الدلائل على ذلك.

وقال النوبختي رحمه الله في كتاب «الياقوت»: الأجسام حادثة لأنّها إذا اختصّت بجهة فهي إمّا للنفس ويلزم منه عدم الانتقال، أو لغيره وهو إمّا موجب أو مختار، والمختار قولنا، والموجب يبطل ببطلان التسلسل، ولأنّها لا تخلو من الأعراض الحادثة لعدمها المعلوم، والقديم لا يعدم، لأنّه واجب الوجود، إذ لو كان وجوده جائزاً لكان إمّا بالمختار وقد فرضناه قديماً، أو بالموجب ويلزم منه استمرار الوجود. فالمقصود أيضاً حاصل.

وقال العلّامة رحمه الله في شرحه: هذه المسألة من أعظم المسائل في هذا العلم ومدار مسائله كلّها عليها، وهي المعركة العظيمة بين المسلمين وخصومهم. واعلم أنّ الناس اختلفوا في ذلك اختلافاً عظيماً، وضبط أقوالهم أنّ العالم إمّا محدث الذات والصفات وهو قول المسلمين كافّة والنصارى واليهود والمجوس، وإمّا أن يكون قديم الذات والصفات وهو قول أرسطو، وثاوفرطيس، وثاميطوس، وأبي نصر، وأبي عليّ بن سينا، فإنّهم جعلوا السماوات قديمة بذاتها وصفاتها، إلّا الحركات والأوضاع فإنّها قديمة بنوعها، بمعنى أنّ كلّ حادث مسبوق بمثله إلى ما لا يتناهى، وإمّا أن يكون قديم الذات محدث الصفات، وهو مذهب انكساغورس، وفيثاغورس والسقراط، والثنويّة، ولهم اختلافات كثيرة لا تليق بهذا المختصر. وإمّا أن يكون محدث الذات قديم الصفات، وذلك ممّا لم يقل به أحد لاستحالته وتوقّف جالينوس في الجميع.

أقول: ثمّ ساق رحمه الله الكلام في الدلائل المذكورة في المتن. وقال رحمه الله في شرح التجريد مثل ذلك، ونسب القول بالحدوث إلى جميع أرباب الملل. وقال رحمه الله في كتاب نهاية المرام في علم الكلام: قد اتّفق المسلمون كافّة على نفي قديم غير الله تعالى وغير صفاته، وذهبت الإماميّة إلى أنّ القديم هو الله تعالى لا غير. وقال فيه أيضاً القسمة العقليّة منحصرة في أقسام أربعة:

الأوّل: أن يكون العالم محدث الذات والصفات، وهو مذهب المسلمين وغيرهم من أرباب الملل وبعض قدماء الحكماء.

الثاني: أن يكون قديم الذات والصفات، وهو قول أرسطو وجماعة من القدماء ومن المتأخرين قول أبي نصر الفارابيّ والرئيس، قالوا: السماوات قديمة بذواتها وصفاتها، إلّا الحركات والأوضاع فإنّها قديمة بنوعها لا بشخصها، والعناصر الهيولى منها قديمة بشخصها، وصورها الجسميّة قديمة بنوعها لا بشخصها، والصور النوعية قديمة بجنسها لا بنوعها ولا بشخصها.

الثالث: أن يكون قديم الذات محدث الصفات، وهو قول من تقدّم أرسطو بالزمان كثاليس الملطيّ، وانكاغورس، وفيثاغورس، وسقراط، وجميع الثنويّة كالمانوية، والديصانيّة، والمرقوبيّة، والماهانيّة. ثمّ هؤلاء افترقوا فرقتين: فذهب بعضهم إلى أنّ تلك الذات القديمة كانت جسماً، ثمّ اختلف هؤلاء: فزعم ثاليس أنّه الماء، لأنّه قابل لكلّ الصور، وزعم أنّه إذا انجمد صار أرضاً وإذا لطف صار هواءً ومن صفق الماء تكوّنت النار، ومن النار تكوّن الدخان، ومن الدخان تكوّنت السماء. ويقال: إنّه أخذه من التوراة لأنّه جاء في السفر الأوّل منه: إنّ الله تعالى خلق جوهراً فنظر نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء، ثمّ ارتفع بخار كالدخان فخلق منه السماوات، وظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال. وأمّا انكسيمايس فإنّه زعم أنّ ذلك الجسم هو الهواء، والنار تكوّنت من لطافته، والماء والأرض من كثافته، وتكوّنت الأشياء عنها بالتلطيف.

وقال آخرون: إنّه البخار، وتكوّن الهواء والنار عنه بالتلطيف والماء والأرض بالتكثيف. وذهب انوفليطيس أنّه النار، وكوّنت الأشياء عنها بالتكاثف. وحكي أيضاً أنّه زعم أنّ الأشياء إنّما انتظمت بالبخت، وجوهر البخت هو نظر عقليّ ينفذ في الجوهر الكلّي وأمّا انكساغورس فإنّه قال: ذلك الجسم هو الخليط الّذي لا نهاية له، وهو أجسام غير متناهية، وفيه من كلّ نوع أجزاء صغيرة، مثلاً فيه أجزاء على طبيعة الخبز، وأجزاء على طبيعة اللحم، فإذا اجتمع من تلك الأجزاء شيء كثير فصار بحيث يحسّ ويرى ظنّ أنّه حدث. وهذا القائل بنى مذهبه على إنكار المزاج والاستحالة، وقال بالكمون والظهور. وزعم بعض هؤلاء أنّ ذلك الخليط كان ساكناً في الأزل ثمّ إنّ الله تعالى حرّكه فتكوّن منه هذا العالم. وذهب ذيمقراطيس إلى أنّ أصل العالم أجزاء كثيرة كرويّة الشكل قابلة للقسمة الوهميّة دون القسمة الإنفكاكية متحرّكة لذاتها حركات دائمة ثمّ اتّفق في تلك الأجزاء أن تصادمت على وجه خاص، فحصل من تصادمها على ذلك الوجه هذا العالم على هذا الشكل فحدثت السّماوات والعناصر، ثمّ حدثت من الحركات السماويّة امتزاجات هذه العناصر، ومنها هذه المركّبات. ونقل الشيخ في الشفاء عنه أنّه قال: إنّ هذه الأجزاء إنّما تتخالف بالشكل وإنّ جوهرها جوهر واحد بالطبع، وإنّما تصدر عنها أفعال

مختلفة لأجل الأشكال المختلفة. وقالت الثنويّة: أصل العالم هو النور والظلمة. والفرقة الثانية الّذين قالوا أصل العالم ليس بجسم، وهم فريقان:

الأوّل: الجرمانية، وهم الّذين أثبتوا القدماء الخمسة: البارئ تعالى، والنفس والهيولى، والدهر، والخلاء. قالوا: البارئ تعالى في غاية التمام في العلم والحكمة لا يعرض له سهو ولا غفلة، ويفيض عنه العقل كفيض النور عن القرص، وهو يعلم الأشياء علماً تامّاً، وأمّا النفس فإنّه يفيض عنه الحياة فيض النور عن القرص لكنّها جاهلة لا تعلم الأشياء ما لم تمارسها، وكان البارئ تعالى عالماً بأنّ النفس تستميل إلى التعلّق بالهيولى وتعشقها وتطلب اللّذة الجسميّة وتكره مفارقة الأجساد وتنسى نفسها، ولمّا كان من شأن البارئ تعالى الحكمة التامّة عمد إلى الهيولى بعد تعلّق النفس بها، فركّبها ضروباً من التركيب، مثل السماوات والعناصر، وركّب أجسام الحيوانات على الوجه الأكمل، والّذي بقي فيها من الفساد غير ممكن الزوال. ثمّ إنّ الله تعالى أفاض على النفس عقلاً وإدراكاً وصار ذلك سبباً لتذكّرها عالمها، وسبباً لعلمها بأنّها لا تنفكّ عن الآلام ما دامت في العالم الهيولانيّ، وإذا عرفت النفس هذا وعرفت أنّ لها في عالمها اللّذّات الخالية عن الألم اشتاقت إلى ذلك العالم، وعرجت بعد المفارقة، وبقيت هناك أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة. قالوا: وبهذا الطريق زالت الشبهات الدائرة بين الفلاسفة القائلين بالقدم، وبين المتكلّمين القائلين بالحدوث.

الفريق الثاني: أصحاب فيثاغورس، وهم الّذين قالوا: المبادئ هي الأعداد المتولّدة من الوحدات، لأنّ قوام المركّبات بالبسائط وهي أمور كلّ واحد منها واحد في نفسه، ثمّ تلك الأمور إمّا أن تكون لها جهات وراء كونها وحدات أو لا يكون، فإن كان الأوّل كانت مركّبة، لأنّ هناك تلك الماهيّة مع تلك الوحدة وكلامنا ليس في المركّبات بل في مبادئها، وإن كان الثاني كان مجرّد وحدات، وهي لا بد وأن تكون مستقلّة بأنفسها، وإلّا لكانت مفتقرة إلى الغير، فيكون ذلك الغير أقدم منها وكلامنا في المبادئ المطلقة وهذا خلف، فإنّ الوحدات أمور قائمة بأنفسها، فإن عرض الوضع للوحدة صارت نقطة، وإن اجتمعت نقطتان حصل الخطّ فإن اجتمع خطّان حصل السطح، فإن اجتمع سطحان حصل الجسم، فظهر أنّ مبدء الأجسام الوحدات. ونقل أيضاً عنه أنّ الوحدة تنقسم إلى وحدة بالذات غير مستفادة من الغير، وهو الّذي لا تقابلها الكثرة، وهو المبدء الأوّل، وإلى وحدة مستفادة من الغير وهي مبدأ الكثرة، وليست بداخلة فيها بل يقابلها الكثرة، ثمّ يتألّف منها الأعداد، وهي مبادئ الموجودات، وإنّما اختلفت الموجودات في طبائعها لاختلاف الأعداد بخواصّها.

الرابع: أن يكون العالم قديم الصفات محدث الذات، وهو محال، لم يقل به أحد لقضاء الضرورة ببطلانه. وأمّا جالينوس فإنّه كان متوقّفاً في الكلّ (انتهى).

وإنّما أوردنا هذه المذاهب السخيفة ليعلم أنّ أساطين الحكماء تمسّكوا بهذه الخرافات وتفوّهوا بها، ويتبعهم أصحابهم ويعظّمونهم، وإذا سمعوا من أصحاب الشريعة شيئاً ممّا أخذوه من كتاب الله وكلام سيّد المرسلين والأئمّة الراشدين عليهم السلام ينكرون ويستهزئون، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

وقال المحقّق الدوانيّ في أنموذجه: وقد خالف في الحدوث الفلاسفة أهل الملل الثلاث، فإنّ أهلها مجمعون على حدوثه بل لم يشذّ من الحكم بحدوثه من أهل الملل مطلقاً إلّا بعض المجوس، وأمّا الفلاسفة فالمشهور أنّهم مجمعون على قدمه على التفصيل الآتي، ونقل عن أفلاطون القول بحدوثه وقد أوّله بعضهم بالحدوث الذاتيّ. ثمّ قال: فنقول: ذهب أهل الملل الثلاث إلى أنّ العالم ما سوى الله تعالى وصفاته من الجواهر والأعراض حادث أي كائن بعد أن لم يكن بعديّة حقيقة لا بالذات فقط، بمعنى أنّها في حدّ ذاتها لا يستحقّ الوجود فوجودها متأخّر عن عدمها بحسب الذات كما تقوله الفلاسفة. ويسمّونه الحدوث الذاتيّ، على ما في تقرير هذا الحدوث على وجه يظهر به تأخّر الوجود عن العدم من بحث دقيق أوردناه في حاشية شرح التجريد. وذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّ العقول والأجرام الفلكيّة ونفوسها قديمة، ومطلق حركاتها وأوضاعها وتخيّلاتها أيضاً قديمة، فإنّها لم تخل قط عن حركة ووضع وتخيّل لجزئيّات الحركة، وبعضهم يثبتون لها بسبب استخراج الأوضاع الممكنة من القوّة إلى الفعل وحدوث مناسبة لها بمبدئها الكامل من جميع الوجوه كمالات تفيض على نفوسها من المبادئ، لكنّ محقّقيهم على ما ذكره أبو نصر وأبو عليّ في تعليقاتهما نقلاً عن أرسطاطاليس ذهبوا إلى أنّ المطلوب لها نفس الحركة، وبها يتمّ التشبّه بمبادئها، فإنّها بالفعل من حيث الذات وسائر الصفات إلّا ما يتعلّق بالحركة من الأوضاع الجزئية، فإنّها لا تحتمل الثبات بالشخص، فاستحفظ نوعها تتميماً للتشبّه بالمبادئ الّتي هي بالفعل من جميع الوجوه، ولمّا كان التشبّه لازماً للحركة جعلها الغاية المطلوبة باعتبار اللازم.

والعنصريّات بموادّها ومطلق صورها الجسميّة والنوعيّة ومطلق أعراضها قديمة عندهم، لأنّ مذهبهم أنّه بالفكّ تنعدم الصورة الواحدة وتحدث الاثنتان، وباتّصال المنفصل تنعدم الإثنتان وتحدث واحدة، نعم الإشراقيّون منهم على بقاء الصورة الجسميّة مع طريان الإنفصال والاتّصال، وأمّا النفوس الناطقة الإنسانية فبعضهم قائل بقدمها، وربّما ينقل عن أفلاطون، وهذا مخالف لما ينقل عنه من حدوث العالم والمشّاؤون منهم ومعظم من عداهم على حدوثها.

وقال نحواً من ذلك في كتاب شرح العقائد العضديّة، وقال فيه: المتبادر من الحدوث الوجود بعد أن لم يكن بعديّة زمانيّة، والحدوث الذاتيّ مجرّد اصطلاح من الفلاسفة. وقال: والمخالف في هذا الحكم الفلاسفة، فإنّ أرسطاطاليس وأتباعه ذهبوا إلى قدم العقول

والنفوس الفلكيّة والأجسام الفلكيّة بموادّها وصورها الجسميّة والنوعيّة وأشكالها وأضوائها، والعنصريّات بموادّها، ومطلق صورها الجسميّة لا أشخاصها، وصورها النوعيّة قيل بجنسها فإنّ صور خصوصيّات أنواعها لا يجب أن تكون قديمة، والظاهر من كلامهم قدمها بأنواعها. ثمّ قال: ونقل عن جالينوس التوقّف، ولذلك لم يعد من الفلاسفة لتوقّفه فيما هو من أصول الحكمة عندهم (انتهى).

ولنكتف بما أوردنا من كلام القوم في ذلك، وإيراد جميعها أو أكثرها يوجب تطويلاً بلا طائل، ويستنبط ممّا أوردنا أحد الدلائل على الحدوث، فإنّه ثبت بنقل المخالف والمؤالف اتّفاق جميع أرباب الملل مع تباين أهوائهم وتضادّ آرائهم على هذا الأمر، وكلّهم يدّعون وصول ذلك عن صاحب الشرع إليهم، وهذا ممّا يورث العلم العاديّ بكون ذلك صادراً عن صاحب الشريعة، مأخوذاً عنه، وليس هذا مثل سائر الإجماعات المنقولة الّتي لا يعلم المراد منها، وتنتهي إلى واحد وتبعه الآخرون ولا يخفى الفرق بينهما على ذي مسكة من العقل والإنصاف.

المقصد الثالث: في كيفيّة الاستدلال بما تقدّم من النصوص

فأقول: إذا أمعنت النظر فيما قدّمناه، وسلكت مسلك الإنصاف، ونزلت عن مطيّة التعنّت والاعتساف، حصل لك القطع من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة الواردة بأساليب مختلفة، وعبارات متفنّنة، من اشتمالها على بيانات شافية، وأدلّة وافية، بالحدوث بالمعنى الّذي أسلفناه. ومن تتبّع كلام العرب وموارد استعمالاتهم وكتب اللغة، يعلم أنّ الإيجاد والإحداث، والخلق، والفطر، والإبداع، والإختراع، والصنع، والإبداء، لا تطلق إلّا على الإيجاد بعد العدم.

قال المحقّق الطوسي ؒ في شرح الإشارات: إنّ أهل اللغة فسّروا الفعل بإحداث شيء وقال أيضاً: الصنع إيجاد شيء مسبوق بالعدم، وفي اللغة: الإبداع الإحداث، ومنه «البدعة» لمحدثات الأمور، وفسّروا الخلق بإبداع شيء بلا مثال سابق. وقال ابن سينا في رسالة الحدود: الإبداع إسم مشترك لمفهومين: أحدهما تأييس شيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء، والمفهوم الثاني أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا متوسّط وله في ذاته أن يكون موجوداً، وقد أفقد الّذي في ذاته إفقاداً تامّاً.

ونقل في الملل والنحل عن ثاليس الملطيّ أنّه قال: الإبداع هو تأييس ما ليس بأيس، فإذا كان مؤيّس الأيسات فالتأييس لا من شيء متقادم (انتهى).

ومن تتبّع الآيات والأخبار لا يبقى له ريب في ذلك كقوله «لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع» مع أنّه قد وقع التصريح بالحدوث بالمعنى المعهود في أكثر النصوص المتقدّمة، بحيث لا يقبل التأويل، وبانضمام الجميع بعضها مع بعض يحصل

القطع بالمراد. ولذا ورد أكثر المطالب الأصوليّة الإعتقاديّة كالمعاد الجسمانيّ وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأمثالهما في كلام صاحب الشريعة بعبارات مختلفة وأساليب شتّى، ليحصل الجزم بالمراد من جميعها، مع أنّها اشتملت على أدلّة مجملة من تأمّل فيها يحصل له القطع بالمقصود، ألا ترى إلى قولهم عليهم السلام في مواضع «لو كان الكلام قديماً لكان إلهاً ثانياً» وقولهم «وكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه» إشارة إلى أنّ الجعل لا يتصوّر للقديم، لأنّ تأثير العلّة إمّا إفاضة أصل الوجود وإمّا إفادة بقاء الوجود و استمرار الجعل الأوّل، والأوّل هي العلّة الموجدة. والثاني هي المبقية، والموجود الدائميّ محال أن تكون له علّة موجدة كما تحكم به الفطرة السليمة، سواء كان بالإختيار أو بالإيجاب لكنّ الأوّل أوضح وأظهر.

وممّا ينبّه عليه أنّ في الحوادث المشاهدة في الآن الأوّل تأثير العلّة هو إفاضة أصل الوجود، وفي كلّ آن بعده من آنات زمان الوجود تأثير العلّة هو إبقاء الوجود واستمرار الجعل الأوّل، فلو كان ممكن دائميّ الوجود فكلّ آن يفرض من آنات زمان وجوده الغير المتناهي في طرف الماضي فهو آن البقاء واستمرار الوجود، ولا يتحقّق آن إفاضة أصل الوجود، فجميع زمان الوجود هو زمان البقاء، ولا يتحقّق آن ولا زمان للإيجاد وأصل الوجود قطعاً.

فنقول في توجيه الملازمة في الخبر الأوّل: لو كان الكلام الّذي هو فعله تعالى قديماً دائميّ الوجود لزم أن لا يحتاج إلى علّة أصلاً، أمّا الموجدة فلما مرّ، وأمّا المبقية فلأنّها فرع الموجدة، فلو انتفى الأوّل انتفى الثاني بطريق أولى، والمستغني عن العلّة أصلاً هو الواجب الوجود، فيكون إلهاً ثانياً وهو خلاف المفروض أيضاً لأنّ المفروض أنّه كلام الواجب وفعله سبحانه. ومثله يجري في الخبر الثاني.

ويؤيّده ما روي في الكافي وغيره في حديث الفرجة عن الصادق عليه السلام حيث قال للزنديق: ثمّ يلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما حتّى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما. فيلزمك ثلاثة (الخبر) حيث حكم على الفرجة من جهة القدم بكونه إلهاً ثالثاً واجب الوجود.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ علّة الحاجة إلى المؤثّر حينئذ يمكن أن تكون هي الإمكان لأنّ مصداق مفهوم الإمكان حينئذٍ منحصر في الحوادث، والفرد المفروض أنّه قديم لا يصدق عليه الإمكان في نفس الأمر، بل من أفراد الممتنع، لاستلزامه التسلسل المستحيل مطلقاً كما سيجيء، والممتنع بالذات قد يكون مركّباً كالمجموع المركّب من الضدّين والنقيضين. ويمكن أن تكون علّة الحاجة إلى المؤثّر هي الحدوث أو الإمكان بشرط الحدوث، وقد ذهب إلى كلّ منها جماعة، وأحد الأخيرين هو الظاهر من أكثر الأخبار كما أومأنا إليه في بعضها. ومنها حديث الرضا عليه السلام في علّة خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام.

ويدلّ عليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنّه دخل عليه رجل فقال: يا ابن رسول الله! ما الدليل

على حدوث العالم؟ قال: إنّك لم تكن ثمّ كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك، ولا كوّنك من هو مثلك. فإنّ الظاهر أنّ مراد السائل من حدوث العالم إثبات الصانع بناء على التلازم بينهما بقرينة الجواب، واستدلّ عليه السلام بوجود المخاطب بعد عدمه أي حدوثه الزمانيّ على الصانع تعالى.

ومن الدلائل: على الحدوث ما يدلّ على أوّليّته تعالى، فإنّ الأوّلية مفسّرة بأنّه سبحانه قبل كلّ شيء.

ومنها: الآيات والأخبار الدالّة على فناء جميع الموجودات، وقد مرّ بعضها هنا وبعضها في المجلّد الثالث، وذلك بضمّ مقدّمة مسلّمة عند القائلين بالقدم، وهي أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه.

وقد روي في الاحتجاج في حديث الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أنّه قال: فيتلاشى الروح بعد خروجها عن قالبه أم هو باق؟ قال عليه السلام بل باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حسّ يبقى ولا محسوس ثمّ أعيدت الأشياء كما بدأها يدبّرها وذلك أربعمأة سنة يثبت فيها الخلق وذلك بين النفختين.

ويدلّ على حدوث السماوات الآيات والأخبار الدالّة على انشقاقها وانفطارها وطيّها وانتشار الكواكب منها بما مرّ من التقريب، وقد مضى جميع ذلك في المجلّد الثالث.

ومنها الآيات والأخبار الدالّة على خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام لأنّ الحادث في اليوم الأخير مسبوق بخمسة أيّام فيكون منقطع الوجود في الماضي والموجود في اليوم الأوّل زمان وجوده أزيد على زمان الأخير بقدر متناه فالجميع متناهي الوجود حادث، فيكون الزمان الموجود الّذي يثبتونه أيضاً متناهياً، لأنّه عندهم مقدار حركة الفلك وقد مرّ تأويل الأيّام وكيفيّة تقديرها في تفسير الآيات.

وإذا أحطت خبراً بما نقلنا من الآيات والأخبار المتواترة الصريحة فهل يجتري عاقل استشمّ رائحة من الدين أن يعرض عن جميع ذلك وينبذها وراء ظهره تقليداً للفلاسفة، واتّكالاً على شبهاتهم الكاسدة، ومذاهبهم الفاسدة؟! وستعرف أنّها أوهن من بيت العنكبوت، بفضل الحيّ الّذي لا يموت.

قال المحقّق الدوانيّ في أنموذجه بعدما تكلّم في شبهاتهم: لا يذهب عليك أنّه إذا ظهر الخلل في دلائل قدم العالم وثبت بالتواتر وإخبار الأنبياء الّذين هم أصول البرايا وإجماع أهل الملل على ذلك وقد نطق به الوحي الإلهي على وجه لا يقبل التأويل إلّا بوجه بعيد تتنفّر عنه الطبائع السليمة والأذهان المستقيمة فلا محيص عن اتّباع الأنبياء في ذلك والأخذ بقولهم كيف وأساطين الفلاسفة ينسبون أنفسهم إليهم وينسبون أصول مقالاتهم على ما يزعمون أنّها

مأخوذة منهم، فإذن تقليد هؤلاء الأعاظم الّذين اصطفاهم الله تعالى وبعثهم لتكميل العباد، والإرشاد إلى صلاح المعاش والمعاد، وقد أذعن لكلامهم الفلاسفة أولى وأحرى من تقليد الفلاسفة الّذين هم معترفون برجحان الأنبياء عليهم، ويتبرّكون بالانتساب إليهم. ومن العجب العجاب أنّ بعض المتفلسفة يتمادون في غيّهم ويقولون إنّ كلام الأنبياء مؤوّل ولم يريدوا به ظاهره، مع أنّا نعلم أنّه قد نطق القرآن المجيد في أكثر المطالب الاعتقاديّة بوجه لا يقبل التأويل أصلاً، كما قال الإمام الرازيّ: لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبيّ وإنكار الحشر الجسمانيّ، فإنّه قد ورد من القرآن المجيد التصريح به، بحيث لا يقبل التأويل أصلاً.

وأقول: لا يمكن الجمع بين قدم العالم والحشر الجسمانيّ أيضاً، لأنّ النفوس الناطقة لو كانت غير متناهية على ما هو مقتضى القول بقدم العالم امتنع الحشر الجسمانيّ عليهم، لأنّه لا بدّ في حشرهم جميعاً من أبدان غير متناهية، وأمكنة غير متناهية، وقد ثبت أنّ الأبعاد متناهية. ثمّ التأويلات الّتي يتمحّلونها في كلام الأنبياء عسى أن يتأتّى مثلها في كلام الفلاسفة، بل أكثر تلك التأويلات من قبيل المكابرات للسوفسطائيّة، فإنّا نعلم قطعاً أنّ المراد من هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنّة هي معانيها المتعارفة عند أهل اللسان، فإنّا كما لا نشكّ في أنّ من يخاطبنا بالإستفسار عن مسألة الجزء الّذي لا يتجزّأ لا يريد بذلك الاستفسار عن حال زيد مثلاً في قيامه وقعوده، كذلك لا نشكّ في أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[1] هو هذه المعاني الظاهرة، لا معنى آخر من أحوال المعاد الروحانيّ الّذي يقول به الفلاسفة!

وبالجملة: فنصوص الكتاب يجب الحمل على ظاهرها، والتجاوز عن هذا النهج غيّ وضلال، والتزامه طريق أهل الكمال (انتهى).

ولقد أحسن وأجاد، لكن ما يظهر من كلامه من أنّ النصوص الواردة في الحدوث قابلة للتأويل البعيد ليس كذلك، بل إن كان بعضها قابلاً فالمجموع يفيد القطع بالمقصود، ولعلّه إنّما قال ذلك لعدم اطّلاعه على نصوص أئمّة الهدى أو لعدم اعتقاده بها كما هو ظاهر حاله، وإن أشعر بالتديّن بالحقّ في بعض المواضع.

وأمّا منافاة القول بالقدم مع الحشر الجسمانيّ فإنّما يتمّ لو ذهبوا إلى عدم تناهي عدد النفوس ووجوب تعلّق كلّ واحدة بالأبدان لا على سبيل التناسخ كما ذهب إليه أرسطو ومن تأخّر عنه، أما لو قيل بقدمها وحدوث تعلّقها بالأبدان كما ذهب إليه أفلاطون ومن تبعه - فإنّه ذهب إلى قدم النفس وحدها وحدوث سائر العالم وتناهي الأبدان - أو قيل بجواز تعلّق نفس

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٨ ٧٩.

واحدة بأبدان كثيرة غير متناهية على سبيل التناسخ وأنّ في المعاد يرجع النفس مع بدن واحد فلا يتمّ أصلاً.

نعم القول بقدم النفوس البشريّة بالنوع وحدوثها بحدوث الأبدان على سبيل التعاقب وعدم تناهيها كما ذهب إليه المشّائيون على ما نقل عنهم المتأخّرون ممّا لا يجتمع مع التصديق بما جاء به النبيّ ﷺ بل الأنبياء عليهم السلام من وجوه أُخر أيضاً:

الأوّل: التصديق بوجود آدم وحوّاء على ما نطق به القرآن والسنّة المتواترة مشروحاً.

الثاني: أنّهم ذهبوا إلى قدم هيولى العناصر بالشخص وتعاقب صور غير متناهية عليها فلا بدّ لهم من القول بتكوّن أبدان غير متناهية من حصص تلك الهيولى وتعلّق صور نفوس غير متناهية بكلّ حصّة منها. وعندهم أيضاً أنّه لا يمكن اجتماع صورتين في حصّة من تلك الهيولى دفعة، فيلزمهم اجتماع نفوس غير متناهية في بدن واحد إن اعترفوا بالمعاد الجسمانيّ. إلى غير ذلك من المفاسد تركناها روماً للإختصار.

المقصد الرابع

في ذكر نبذ من الدلائل العقليّة على هذا المقصد وإن كان خارجاً عن مقصود الكتاب، تشييداً لهذا المقصد من كلّ باب، وإن أفضى إلى بعض الإطناب. وهو مشتمل على مطالب:

المطلب الأوّل: في إبطال التسلسل مطلقاً وهو مفتقر إلى تمهيد مقدّمات:

الأولى: ما ذكره السيّد رحمه الله في القبسات، وهو أنّ الحكم المستوعب الشمول لكلّ واحد إذا صحّ على جميع تقادير الوجود لكلّ من الآحاد منفرداً كان عن غيره أو ملحوظاً على الإجتماع كان سحب ذيله على المجموع الجمليّ أيضاً من غير امتراء، وإن اختصّ بكلّ واحد واحد بشرط الإنفراد كان حكم الجملة غير حكم الآحاد.

فإنّه إذا كان سلسلة فرد منها أبيض فالجملة أيضاً أبيض، وإذا كان لكلّ جزء مقدار فللكلّ أيضاً كذلك إلى غير ذلك من الأمثلة المنبّهة على المطلب، وإذا كان فرد متناهياً لم يلزم أن يكون المجموع متناهياً، وإذا كان كلّ جزء من الأجزاء لا يتجزّأ غير منقسم لا يكون الكلّ غير منقسم، وإذا كان كلّ فرد من أفراد السلسلة واجباً بالذات لا يلزم أن تكون الجملة واجباً بالذات لأنّ في تلك للإنفراد مدخلاً وتأثيراً.

الثانية: ما أشار إليه المحقّق الدوانيّ وغيره، وهي أنّ العقل قد يحكم على الإجمال حكماً كلّيّاً بالبديهة أو الحدس على كلّ فرد وعلى كلّ جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية، وإن كان لو لاحظ التفصيل ابتداء توقّف في بعض الأفراد والجمل، كما يحكم العقل مجملاً بأنّ كلّ موجد يجب أن يتقدّم على الموجد من غير تفصيل بين موجد نفسه وموجد غيره، ثمّ يثبت به أنّ الماهيّة لا يجوز أن تكون علّة لوجودها، وهذا جار في جميع كبريات الشكل الأوّل بالنسبة إلى الأصغر (انتهى).

وبهذه يمكن تتميم البرهان السلّميّ بأنّ كلّ بعد من الأبعاد المفروضة فيه يجب أن يوجد فيما فوقه فكذا الكلّ الغير المتناهي.

الثالثة: إعلم أنّ من النسب والإضافات ما هي فرع اعتبار العقل وانتزاعه حتّى لو لم يعتبرها العقل لم يتحقّق في نفس الأمر أصلاً، وذلك إنّما يكون إذا كان الموصوف أو الاتّصاف والنسبة والإضافة اعتبارياً محضاً يتوقّف تحقّقه على اعتبار العقل وفرضه، ومنه العدد إذا كان معروضه غير موجود، فإنّ العدد عرض لا يتحقّق إلّا بتحقّق معروضه وهو المعدود، ومنه وجود الوجود ولزوم اللزوم وهكذا لأنّ الموصوف والمنتزع عنه فيهما لا يتحقّق إلّا بعد الإنتزاع وتوجّه العقل إليه قصداً وبالذات، فإنّ الموصوف لا يتحقّق إلّا بهذا، ومنه النسب الإعتبارية المحضة والإنطباقات الحاصلة بين آحاد السلسلتين إذا كانت باعتبار هذه الوجوه كانت اعتباريّة محضة تنقطع بانقطاع الإعتبار ومن الإتّصافات والنسب ما ليست كذلك ولا يتوقّف على اعتبار وفرض، بل هي متحقّقة في الواقع بدون فرض فارض، مثل لوازم الماهيّة والإتّصافات الخارجيّة والنفس الأمريّة، فإنّا نجزم بديهة أنّ العدد موصوف بالزوجيّة أو الفرديّة، والسماء موصوفة بالفوقيّة بالنسبة إلى الأرض، والأب بالأبوّة، والإبن بالبنوّة وإن لم يفرض العقل، بل انتزاع العقل تابع لما هو متحقّق في الواقع وإلّا صحّ انتزاع كلّ أمر من كلّ شيء، والمنبّهات عليه كثيرة لا تخفى. فظهر أنّ انتزاع العقل وصحّة حكمه تابع وفرع للواقع، وليس لفرض العقل مدخل في صحّة هذه الأمور وتحقّقها، وهذا القدر كاف في دفع الإعتراضات الواردة على البراهين الآتية. ولنشرع في إيراد البراهين على وجه الإختصار وإن كانت مذكورة في كتب القوم.

الأوّل: برهان التطبيق، وهو أمّ البراهين وله تقريرات:

الأوّل: لو تسلسلت أمور مترتّبة إلى غير النهاية بأيّ وجه من وجوه الترتيب اتّفق كالترتيب الوضعيّ والطبعي، أو بالعلّيّة، أو بالزمان، وسواء كانت عدداً أو زماناً، أو كمّاً قارّاً، أو معدوداً، أو حركة، أو حوادث متعاقبة فنفرض من حدّ معيّن منها على سبيل التصاعد مثلاً سلسلة غير متناهية، ومن الّذي من فوق الأخير أيضاً سلسلة أخرى، ولا شكّ في أنّه يتحقّق هناك جملتان إحداهما جزء للأخرى ولا في أنّ الأوّل من إحداهما منطبق على الأوّل من الأخرى والثاني على الثاني في نفس الأمر، وهكذا حتّى يستغرق التطبيق كلّ فرد فرد بحيث لا يشذّ فرد فإن كان في الواقع بإزاء كلّ واحد من الناقصة واحد من الزائدة لزم تساوي الكلّ والجزء وهو محال، أو لا يكون فقد وجد في الزائدة جزء لا يكون بإزائه من الناقصة شيء، فتتناهى الناقصة أوّلاً، ويلزم تناهي الزائدة أيضاً، لأنّ زيادتها بقدر متناه هو ما بين المبدئين وقد فرضناهما غير متناهيين وهذا خلف.

واعلم أنّه لا حاجة في التطبيق إلى جذب السلسلة الناقصة أو رفع التامّة وتحريكهما عن

موضعهما حتّى تحصل نسبة المحاذاة بين آحاد أجزاء السلسلتين ويحصل التطبيق باعتبارهذه النسبة، بل النسب الكثيرة في الواقع متحقّقة بين كلّ واحدة من آحاد إحدى السلسلتين مع آحاد السلسلة الأخرى بلا تعمّل من العقل فإنّه للأوّل من السلسلة التامّة نسبة إلى الأوّل من الناقصة وهو الخامس من السلسلة الأولى بعد إسقاط أربعة من أوّلها وللثاني من الأولى إلى السادس من الثانية، وللثالث من الأولى إلى السابع من الثانية تلك النسبة بعينها، وهكذا في جميع آحاد السلسلتين على التوالي حتّى يستغرق، وكذا الأوّل من السلسلتين موصوف بالأوّليّة، والثاني بالثانويّة، والثالث بالثالثيّة وهكذا، وباعتبار كلّ من تلك النسب والمعاني تنطبق السلسلتان في الواقع كلّ جزء على نظيره على التوالي، ولمّا كان أوّل الناقصة منطبقاً على أوّل الزائدة وتاليها على تاليها وهكذا على التوالي كلّ على نظيره حتّى يستغرق الكلّ ولا يمكن فوات جزء من البين لترتّب الجملتين واتّساقهما، فلا بدّ أن يتحقّق في الزائدة جزء لا يوجد في الناقصة نظيره، وإلّا لتساوى الجزء والكلّ فيلزم انقطاع الناقصة وزيادة الزائدة بقدر متناه.

واعترض على هذا الدليل بالنقض بمراتب العدد وكلّ متناه بمعنى لا يقف كأجزاء الجسم ومثل اللزوم ولزوم اللزوم وهكذا والإمكان ونظائرهما، فإنّ الدليل يجري فيها.

والجواب: أنّ غير المتناهي اللّايقفيّ يستحيل وجود جميع أفراده بالفعل لاستحالة وجود غير المتناهي، بل لأنّ حقيقة اللّايقفيّة تقتضي ذلك، فإنّه لو خرج جميع أفرادها إلى الفعل ولو كانت غير متناهية يقف ما فرضنا أنّه لا يقف، ويلزم في أجزاء الجسم الجزء الّذي لا يتجزّأ، وفي المراتب العدديّة أن لا يتصوّر فوقه عدد آخر، وهو خلاف البديهة، بل مفهوم الجميع ومفهوم اللّايقف متنافيان كما قرّروه في موضعه.

إذا تقرّر هذا فنقول: لعلّه يكون وجود جميع الأفراد خارجاً وذهناً مستحيلاً نعم يمكن ملاحظتها إجمالاً في ضمن الوصف العنوانيّ فلا يجري فيه البرهان، وإنّما يتمّ النقض لو ثبت أنّ جميع مراتب الأعداد المستحيلة الخروج إلى الفعل موجودة مفصّلاً مرتّباً في الواقع.

وإن أورد النقض بتحقّقها في علمه سبحانه فالجواب أنّ علمه سبحانه مجهول الكيفيّة لا تمكن الإحاطة به، وأنّه مخالف بالنوع لعلومنا، وإنّما يتمّ النقض لو ثبت تحقّق جميع شرائط البرهان في علمه تعالى، وفي المعلومات باعتبار تحقّقه في هذا النحو من العلم وهو ممنوع. وفي خبر سليمان المروزيّ في البداء إيماء إلى حلّ هذه الشبهة لمن فهمه، وقد مرّ في المجلّد الثاني والرابع.

الثاني: لو كانت الأمور الغير المتناهية ممكنة لأمكن وقوع كلّ واحد من إحدى السلسلتين بإزاء واحد من الأخرى على سبيل الإستغراق، إلى آخر الدليل. وهذا التقرير جارٍ في غير المرتبة أيضاً، لكنّه في المرتبة المتّسقة أظهر، ومنع الإمكان الذاتيّ مكابرة. وكيف

يتوقّف الذكيّ في أنّ القادر الّذي أوجده أوّلاً مرتّباً يمكنه أن يوجده مرّة أُخرى مرتّباً منطبقاً، وأن يرتّب الغير المرتّبة؟ وإنكاره تحكّم، ومنعه مكابرة.

الثالث: ما قرّره المحقّق الطوسيّ وهذّبه الفاضل الدّوانيّ، ولا يرد عليه شيء من الإيرادات المشهورة، ويكون الإنطباق فيه انطباقاً برهانيّاً لا مجال لتشكيك الوهم فيه. وتقع فيه الزيادة والنقصان في الجهة الّتي فرض فيها عدم التناهي، وهو أن يقال: تلك السلسلة المرتّبة علل ومعلولات بلا نهاية في جانب التصاعد مثلاً، وما خلا المعلول الأخير علل غير متناهية باعتبار، ومعلولات غير متناهية باعتبار، فالمعلول الأخير مبدء لسلسلة المعلوليّة، والّذي فوقه مبدء لسلسلة العلّيّة، فإذا فرضنا تطبيقهما بحيث ينطبق كلّ معلول على علّته وجب أن تزيد سلسلة المعلوليّة على سلسلة العلّيّة بواحد من جانب التصاعد، ضرورة أنّ كلّ علّة فرضت لها معلوليّة وهي بهذا الإعتبار داخلة في سلسلة المعلول، والمعلول الأخير داخل في جانب المبدء في سلسلة المعلول دون العلّة، فلمّا لم تكن تلك الزائدة بعد التطبيق من جانب المبدء كانت في الجانب الآخر لا محالة، لامتناع كونها في الوسط لاتّساق النظام، فيلزم الإنقطاع وأن يوجد معلول بدون علّة سابقة عليه، تأمّل فإنّه دقيق. ويجري هذا الدليل في غير سلسلة العلل والمعلوليّة من الجمل المترتبة، فإنّ كلّ جملة فإنّ آحادها موصوفة في الواقع بالسابقيّة والمسبوقيّة بأيّ نوع كان من السبق، وبغيرها من النسب الواقعيّة المتضايفة.

البرهان الثاني: برهان التضايف، وتقريره لو تسلسلت العلل إلى غير النهاية لزم زيادة عدد المعلوليّة على عدد العلّيّة، والتالي باطل. بيان الملازمة أنّ آحاد السلسلة ما عدا المعلول الأخير لها علّيّة ومعلولية فيتكافأ عددهما ويتساوى فيما سواه وبقيت معلوليّة المعلول الأخير زائداً، فيزيد عدد المعلوليات الحاصلة في السلسلة على عدد العلّيّات الواقعة فيها بواحد. وهذا الدليل يجري في كلّ سلسلة يتحقّق فيها الإضافة في كلّ فرد منها في الواقع لا بحسب اختراع العقل، وجريانه في المقادير المتّصلة مشكل، فإنّ إثبات إضافة في كلّ حدّ من الحدود المفروضة فيها في الواقع مشكل، اللّهمّ إلّا أن يقال: كلّ جزء من أجزاء المقدار المتّصل متّصف في الواقع لا بمجرّد الفرض بصفات حقيقية يتّصف باعتبارها بالتقدّم والتأخر بحسب الوضع وهما متضايفان حقيقيّان، ويؤيّد ذلك أنّهم قد صرّحوا بأنّ أجزاء الأجسام موجودة في الواقع بوجود الكلّ، وليست القسمة إيجاداً للجزئين من كتم العدم بل تمييز وتعيين حدّ بين الجزئين الموجودين فيه. وفيه أنّه يلزم انتهاء أجزاء الجسم ويلزم الجزء الّذي لا يتجزّأ.

ثمّ اعلم أنّ هذا البرهان في التسلسل في أحد الجانبين فقط ظاهر، وأمّا في التسلسل في الجانبين فقد يتوهّم عدم جريانه فيه، ودفعه أنّا إذا أخذنا معلولاً معيّناً ثمّ تصاعدنا أو تسافلنا يجب أن يكون المتضايفان الواقعان في تلك السلسلة متساويين ويتمّ الدليل، ضرورة أنّ

مضائف العلّيّة الواقعة في تلك القطعة هو المعلوليّة الواقعة فيها، لا ما يقع فيما تحت القطعة من الأفراد، مثلاً إذا كان زيد علّة لعمرو وعمرو لبكر فمضايف معلوليّة عمرو هو علّية زيد لا غير، بل الإثنان منها على التوالي متضائفان تتحقّق بينهما إضافة شخصيّة لا تتحقّق في غيرهما، فالمضايف للمعلول الأخير المأخوذ في تلك القطعة هي عليّة القرينة الّتي فوقها لا غير فافهم. والإعتراضات الواردة على هذا الدليل من اعتباريّة المتضايفين وغيرها مدفوعة بما مهّدنا من المقدّمات بعد التأمّل فلا نطيل الكلام بالتعرّض لدفعها.

البرهان الثالث: ما أبداه بعض الأزكياء من المعاصرين، وسمّاه «برهان العدد والمعدود» وهو عندي متين، وتقريره: أنّه لو تحقّقت أمور غير متناهية سواء كانت مجتمعة في الوجود أو لا وسواء كانت مترتّبة أم لا، تحقّق لها عدد، لأنّ حقيقة العدد هي مجموع الوحدات، ولا ريب في تحقّق الوحدات وتحقّق مجموعها في السلسلة فتعرض العدد للجملة لا محالة، إذ لا حقيقة للعدد إلّا مبلغ تكرار الوحدات، ويظهر من التأمّل في المقدّمات ذلك المطلوب أيضاً كما لا يخفى، وكلّ مرتبة يمكن فرضها من مراتب الأعداد على سبيل الاستغراق الشموليّ فهي متناهية لأنّه يمكن فرض مرتبة أُخرى فوقها، وإلّا لزم أن تقف مراتب العدد، وهو خلاف البديهة، بل هي محصورة بين حاصرين: أحدهما الوحدة، والآخر تلك المرتبة المفروضيّة أخيراً، فالمعدود أيضاً وهو مجموع السلسلة الغير المتناهية أيضاً متناهية لأنّه لا يمكن أن يعرض للمجموع بحيث لا يشذّ منه فرد إلّا مرتبة واحدة من مراتب العدد من جهة واحدة، وكلّ مرتبة يمكن فرضها فهي متناهية كما مرّ نعم لو أمكن فرض جميع المراتب اللّايقفيّة للعدد، وأمكن تصوّر خروج جميع المراتب اللايقفيّة إلى الفعل، وأمكن عروض أكثر من مرتبة واحدة للعدد للجملة الواحدة من جهة واحدة أمكن عروض العدد الغير المتناهي لهذه الجملة، لكنّه محال. لأنّه لا يمكن أخذ المجموع من الأمور اللايقفيّة، ولا يتصوّر خروج الجميع إلى الفعل ولو على سبيل التعاقب، وإلّا لزم أن يقف وهذا خلف وقد التزمه النظام في أجزاء الجسم بل نقول: مفهوم اللايقفيّة ومفهوم المجموع متنافيان كما قرّر في محله.

وهذا البرهان واضح المقدّمات، يجري في المجمعة والمتعاقبة، والمترتّبة وغير المترتّبة بلا تأمّل، وكذا جريان برهاني التطبيق والتضايف ظاهر بعد الرجوع في المقدّمات الممهّدة، والنظر الجميل في التقريرات السابقة. وذهب المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد إلى جريان التطبيق والتضايف فيها، وقال في نقد المحصّل بعد تزييف أدلّة المتكلّمين على إبطال التسلسل في المتعاقبة. فهذا حاصل كلامهم في هذا الموضع، وأنا أقول: إنّ كلّ حادث موصوف بكونه سابقاً على ما بعده، ولاحقاً بما قبله، والإعتباران مختلفان، فإذا اعتبرنا الحوادث الماضية المبتدئة من الآن تارة من حيث كلّ واحد منهما سابق وتارة من حيث هو بعينه لاحق كانت السوابق واللواحق المتباينتان بالإعتبار متطابقتين في الوجود لا نحتاج في

تطابقهما إلى توهّم تطبيق، ومع ذلك يجب كون السوابق أكثر من اللواحق في الجانب الّذي وقع النزاع فيه فإذن اللواحق متناهية في الماضي لوجوب انقطاعها قبل انقطاع السوابق، والسوابق زائدة عليها بمقدار متناه فتكون متناهية أيضاً (انتهى).

واعترض عليه بأنّ في التطبيق لا بدّ من وجود الآحاد على نحو التعدّد والإمتياز، أمّا في الخارج فليس، وأمّا في الذهن فكذلك لعجز الذهن عن ذلك، وكذا لا يمكن للعقل تحصيل الإمتياز، ووجود كلّ واحد في الأوقات السابقة على زمان التطبيق لا يفيد، لأنّه يرجع إلى تطبيق المعدوم، فإنّ الوجود ضروريّ عند التطبيق. وأيضاً لا بدّ في الإنطباق من وجود مجموع الآحاد، وذلك المجموع لا يمكن وجودها، لأنّ ذلك المجموع لم يكن موجوداً قبل الحادث الأخير، وبعده لم يبق شيءٌ منه موجوداً، والقول بوجودها في مجموع الأوقات على سبيل التدريج كالحركة القطعيّة يدفعه أنّ وجود الكلّ في جميع الأوقات على هذا النحو يستلزم وجود الكلّ بدون شيء من أجزائه. وفيه بحث، إذ يكفي لوجود هذا الكلّ وجود أجزائه في أجزاء زمان الكلّ (انتهى).

والتحقيق: أنّ الموجود قد يوجد في ظرف الزمان وهو الدفعيّات، وقد يوجد في نفس الزمان وهو التدريجيّات، والأمر التدريجيّ مجموعها موجودة في مجموع زمان وجودها على سبيل الإنطباق، وليس المجموع موجوداً في أبعاض الزمان، ولا في آن من الآنات. فإن سئل: الحركة في اليوم هل هي موجودة في آن من آنات اليوم المفروض أو شيء من ساعاته؟ فالجواب أنّها ليست بموجودة أصلاً بل في مجموع اليومين، وقد بيّن ذلك بوجه شاف في مظانّه، وانطباق الحوادث المتعاقبة الزمانيّة بعضها على بعض من قبيل الثاني، فالتطبيق موجود في كلّ زمان لا في آن فآن، والإنطباق حكمه حكم المنطبقين، كانطباق الحركة على الزمان وانطباق الحركة على المسافة، وهذا ظاهر، ألا ترى أنّ الكرة المدحرجة على سطح مستوٍ تنطبق دائرة من محيط الكرة على المسافة جزماً، وانطباقها لا يمكن أن يكون في آن لأنّه لا يمكن التماسّ بين المستدير والمستوي إلّا بنقطة، فظهر أنّ انطباقهما تدريجيّ في كلّ الزمان، أو لا تعلم أنّ الحركة والزمان متطابقان تدريجاً في كلّ زمان الحركة، ولو لم ينطبق الزمان على الحركة لم يكن مقداراً لها، سواء كانا موجودين في الخارج أو لا.

ويمكن الجواب أيضاً على القول بعدم وجود الزمانيّات بأنّه لا شكّ أنّ الآحاد المتعاقبة من إحدى السلسلتين منطبقة في الواقع على الآحاد (من) السلسلة الأخرى الّتي كانتا هما معاً في الوجود في أزمنة وجودهما وإن لم يكونا موجودين حال حكمنا ووجودهما حال الحكم غير لازم في جريان البرهان، بل وجودهما حين الإنطباق وليس من قبيل تطبيق المعدوم على المعدوم، بل من قبيل الحكم بانطباق المعدوم في حال الحكم على المعدوم الموجودين معاً في حال الإنطباق وذلك مثل سائر الأحكام الصادقة على الأمور الماضية.

وقيل أيضاً: إنّ التطبيق يتوقّف على الترتيب، وهو يتوقّف على تحقّق أوصاف ونسب وإضافات يسلكها في سلك الترتيب، وفي المتعاقبة لا يوجد ذلك، فإنّ فيما عدا الحادث الأخير لا يوجد شيء من طرفي النسبة، وفي الحادث الأخير لا يوجد إلّا طرف واحد، فلا يتحقّق النسبة أيضاً ضرورة أنّها فرع المنتسبين.

فإن قلت: لعلّ الإتّصاف في الذهن كما قالوا في اتّصاف أجزاء الزمان بالتقدّم والتأخّر.

قلت: لمّا كانت الحوادث لا نهاية لها فلا يمكن التفصيل في الأذهان والمبادئ العالية، والوجود الإجمالي غير كاف لعدم الإمتياز فيه (انتهى).

والجواب: أنّه يجزم العقل بأنّ حوادث زمان الطوفان في الخارج قبل حوادث زمان البعثة وقبل الحادث اليوميّ بلا ريب، ولا يتفرّع على اعتبار العقل كيف وهم معترفون بأنّ الحادث المتقدّم علّة معدّة للحادث المتأخّر بالعلّيّة والمعلوليّة الخارجيّة، فإنّ العلّة ما لم توجد في الخارج من حيث إنّها علّة لم يوجد المعلول في الخارج، وهما متضايفان، فظهر أنّ النسبة بالعلّيّة والمعلوليّة متحقّقة بين المعلول والعلّة المعدّة، ووجودها السابق وعدمها علّة، فتحقّقت النسبة بين المعدوم والموجود. والحقّ أنّ طرفي النسبة لا يمكن أن يكونا معدومين بالعدم المطلق، وإذا تحقّقا نوع تحقّق لم يجتمعا في الوجود فإنّ العقل يجوّز تحقّق النسبة بينهما ولم ينقبض عنه. ومن تصوّر حقيقة وجود الأعراض التدريجيّة تصوّر كيفيّة النسبة بين أجزائها المتعاقبة، وقلّ استبعاده وأذعن بها.

ثمّ إنّ النسبة بالتقدّم والتأخّر بين أجزاء الزمان في الواقع من غير فرعيّة ولا اعتبار العقل وتصوّره واتّصافها بالصفات الثبوتيّة والحكم بالأحكام النفس الأمريّة بل الخارجيّة المستلزمة لثبوت المثبت له في الواقع ممّا لا يشكّ فيه أحد وليس من الأحكام المتفرّعة على اعتبار العقل الحاصلة بعد فرضه، وليس بحاصل بالفعل إلّا بعد الفرض، فإنّه لو كان كذلك لكان حكم العقل بأنّ هذا الجزء متقدّم وذاك متأخّر في الخارج من الأحكام الكاذبة، لأنّه في الخارج ليس كذلك في الحقيقة ألا ترى أنّه يصحّ الحكم على الدورات الغير المتناهية من الحركة والزمان بالتقدّم والتأخّر والقسمة، والانتزاع الإجماليّ غير كاف لاتّصاف كلّ جزء جزء بالتقدّم والتأخّر، والتفصيل يعجز عنه العقل عندهم، فكيف تكون هذه الاتّصافات بعد فرض الأجزاء كما ذهبوا إليه.

وقد ذهب بعض المحقّقين في جواب شكّ من قال: لم اتّصف هذا الجزء من الزمان بالتأخّر وذاك بالتقدّم؟ إلى أنّ هذه الاتّصافات مستندة إلى هويّات الأجزاء وتشخّصاتها الحاصلة لها، فكما أنّه لا يصحّ السؤال بأنّ زيداً لم صار زيداً وعمرو عمرواً لا يصحّ السؤال بأنّه لم صار أمس أمس واليوم اليوم. وذهبوا أيضاً إلى أنّ اختلاف أجزاء الفلك بالقطب والمنطقة مستند إلى هويّة الأجزاء ليس بفرض فارض بل موجودة فيه حقيقة، لكنّ الأجزاء

وهويّاتها موجودة بوجود الكلّ بوجود واحد، وكما أنّ أجزاء الجسم وتشخّصاتها موجودة بوجود الجسم وبوجود قارّ كذلك أجزاء الزمان والحركة موجودة بوجود الكلّ بوجود تدريجيّ بلا تفاوت، والمناقشة في هذه ناشئة من عدم تصوّر الوجود التدريجيّ كما ينبغي، فلا ينافي اتّصال الزمان والحركة إذا كانت موجودة بوجود واحد، فإنّ هذا النوع من الإختلاف لا يستلزم القسمة بالفعل والانفصال بعد الاتّحاد بوجود الكلّ.

ثمّ إنّهم قاطبة صرّحوا بأنّ الصفة لا يجب تحقّقها في ظرف الاتّصاف، والمحكوم به لا يجب وجوده في الحكم مع أنّه نسبة، وذهبوا أيضاً إلى تساوي نسبة الممكن إلى طرفي الوجود والعدم، وإلى صحّة الاتّصاف بنحو العمى من الأمور العدميّة في الخارج إلى غير ذلك من النظائر. ولا يخفى أنّه يمكن إجراء جميع ما ذكرنا في جريان هذا الدليل في المتعاقبة في جريان سائر البراهين فيها، فلا نطيل الكلام بالتعرّض لخصوص كلّ منها.

البرهان الرابع: ما أورده الشيخ الكراجكيّ في الكنز بعدما أورد برهان التطبيق بوجه مختصر أنيق، قال: دليل آخر على تناهي ما مضى، وهو أنّه قد مضت أيّام وليالي وقفنا اليوم عند آخرها، فلا يخلو أن تكون الأيّام أكثر عدداً من الليالي، أو الليالي من الأيّام، أو يكونا في العدد سواءً، فإن كانت الأيّام أكثر من الليالي تناهت الليالي، لأنّها أقلّ منها، واقتضى ذلك تناهي الأيّام أيضاً، لبطلان اتّصالها قبل الليالي بغير ليال بينها، فوجب على هذا الوجه تناهيهما معاً، وإن كانت الليالي أكثر من الأيّام، كان الحكم فيهما نظير ما قدّمنا من تناهي الأوّل، فتتناهى الأيّام لزيادة الليالي عليها، ويقتضي ذلك تناهي الليالي أيضاً لما مرّ، فيلزم تناهيهما معاً. وإن كانت الأيّام والليالي في العدد سواءً، كانا بمجموعهما أكثر عدداً من أحدهما بانفراده، وهذا يشهد بتناهيهما، إذ لو كان كلّ واحد منهما في نفسه غير متناه ما تصوّرت العقول عدداً أكثر منه، وقد علمنا أنّ الأيّام مع الليالي جميعاً أكثر عدداً من أحدهما، وهذا موضح عن تناهيهما. وبهذا الدليل نعلم أيضاً تناهي جميع ما مضى من الحركات والسكنات، ومن الإجتماعات والافتراقات، ومن الطيور والبيض والشجر والحبّ وما يجري مجرى ذلك (انتهى).

ثمّ اعلم أنّه يمكن إبطال ما ادّعوه من التسلسل في الأمور المتعاقبة بل في غير المرتّبة أيضاً بوجوه أخرى نذكر بعضها:

الأوّل: أنّهم قالوا بالحوادث الغير المتناهية الّتي كلّ سابق منها علّة معدّة للّاحق على سبيل الإستغراق، وأنّ إيجاد الواجب تعالى لكلّ منها مشروط بالسابق تحقيقاً للأعداد، وتصحيحاً لارتباط الحادث بالقديم، وأنّه تعالى ليس بموجب تامّ لواحد منها. إذا تقرّر هذا فنقول: لو تسلسلت المعدّات على ما ذهبوا إليه لا إلى نهاية لزم أن يكون وجوب كلّ واحد منها وجوباً شرطيّاً، بمعنى أنّه يجب كلّ منها بشرط وجود سابقة، ولا ينتهي إلى الوجوب

القطعيّ البتّ الّذي يكون تعالى موجباً له لذاته بدون شرط، لأنّه عندهم أنّه تعالى ليس بموجب تامّ لكلّ واحد من المعدّات بل الحوادث مطلقاً، وتأثيره تعالى في كلّ منها موقوف على تأثيره في معدّ سابق عليه لا إلى نهاية فوجوب كلّ منها وجوب شرطي لا يجب حتّى يجب سابقه والوجوب الشرطيّ غير كاف لتحقّق واحد منها، فإنّه بمنزلة قضايا شرطيّة غير متناهية مقدّم كلّ لاحق تال لسابقه، فإنّه ما لم ينته إلى وضع مقدّم لم ينتج شيئاً ولو توقّف تأثير الواجب في كلّ حادث و إيجاده إيّاه على إيجاد حادث آخر ولم تجب لذاتها تلك الإيجادات لكان يجوز للواجب ترك إيجاد الحوادث بالكلّيّة، وما لم يمتنع هذا الإحتمال في نفس الأمر لم يجب واحد منها في الواقع، لأنّ وجوب كلّ حادث إنّما هو بشرط إيجاد حادث آخر، وهكذا الكلام في ترك الإيجاد رأساً وما لم يمتنع جميع أنحاء ارتفاعاته وعدماته في الواقع لم يجب وجوده.

وتوهّم بعضهم أنّه لا يمكن ارتفاع جميع الحوادث، لاستلزامه ارتفاع الطبيعة القديمة المستندة بلا شرط إلى الواجب تعالى شأنه. وهو مردود بأنّه لا يعقل استناد الطبيعة بلا شرط إلى الواجب جلّ شأنه، لأنّ الطبيعة عندهم إذا كانت ذاتيّة لما تحتها فإنّما هي مجعولة بجعل ما هي ذاتيّة له جعلاً واحداً، ولا يمكن تعلّق جعل على حدة بالطبيعة الكلّيّة قطعاً، وجعل كلّ فرد من أفراد الطبيعة عندهم إنّما هو بشرط سبق معدّ. نعم لو تحقّق تأثير منفرد في الطبيعة وراء التأثير في الأفراد لوجب أن يكون التأثير من الواجب فيها إمّا ابتداءً، أو بواسطة قديمة، وتأثير الواجب في القديم بلا واسطة وشرط أو بواسطة قديمة إنّما هو منشأ استحالة انعدام القديم عندهم. فظهر أنّ سلسلة الحوادث يجب أن تنتهي إلى حادث يجب وجوده عن الواجب بلا شرط معد فتنقطع سلسلة الحوادث به لأنّه لا يجوز تقدّم شرط أو معدّ من الحوادث عليه. وكذا يمكن إجراء كثير من براهين إثبات الواجب الّتي لا يتوقّف على إبطال الدور والتسلسل هنا بأدنى تصرّف لا يخفى على الفطن اللبيب، فإنّ تأثير الواجب تعالى عندهم في كلّ حادث يتوقّف على معدّ، ووجود الواجب مع عدم المعدّ في حكم قوّة فرض عدمه تعالى - والعياذ بالله - في عدم التأثير والعلّة التامّة عندهم هو الواجب مع المعدّ، ومجموع المركّب من الواجب والممكن ممكن، فالعلل التامّة لجميع الحوادث الغير المتناهية ممكنات، فكما لا ينفع التزام التسلسل في مسألة إثبات الواجب لا ينفع التزامه هنا أيضاً، إذ الأدلّة الدالّة على إثبات الواجب بدون التمسّك بإبطال التسلسل يجري هنا أيضاً بأدنى تفاوت.

الثاني: أن نقول: على تقدير تسلسل الحوادث على سبيل التعاقب يلزم أن يتقدّم على كلّ حادث من الحوادث على سبيل الإستغراق عدم أزليّ لحادث حادث والحادث الأوّل والثاني يجتمعان في العدم، إذ يوجد في الواقع مرتبة من المراتب كانا معدومين فيها، واجتمع معهما

عدم الحادث الثالث، ضرورة أنّ عدم كلّ حادث أزليّ، وأنّ عدم الحادث المتأخّر وإن كان أطول امتداداً من الحادث المتقدّم إلّا أنّ الكلّ متحقّق في ظرف الزمان إذ طبيعة الزمان أزليّة عندهم، والأعدام كلّها أزليّة فلا بدّ من اجتماعها قطعاً في زمان ما، ويجتمع مع هذه الأعدام الثلاث عدم الحادث الرابع، وهكذا على ترتيب الآحاد على التوالي، فإمّا أن يستغرق هذا الإجتماع أعدام جميع الآحاد فيكون جميع الحوادث معدوماً في مرتبة ما من المراتب الواقعيّة فتأخّر جميع الحوادث عن تلك المرتبة الواقعيّة، ويكون الجميع معدوماً في تلك المرتبة فيكون لها مبدأ وانقطاع، وهو المطلوب. وإن لم يستغرق فينتهي إلى حادث معيّن لا يجتمع عدمه مع عدم ما قبله من الحوادث إمّا لأنّ هذا الحادث لا يسبقه عدمه فيكون قديماً بالشخص، وإمّا لأنّ الحادث الّذي قبله لا يسبقه عدم أزليّ فيكون ذلك قديماً، ضرورة أنّه لو تقدّمهما عدم أزليّ يجب اجتماعهما مع ما تأخّر عنهما، فتنقطع سلسلة الحوادث على أيّ تقدير.

لا يقال: كلّ جملة متناهية يجتمع في العدم ويتحقّق عدم سابق على الجميع، وأمّا جملة الحوادث الغير المتناهية فلا.

لأنّا نقول: قد بيّنّا أنّ هذا الحكم مستغرق لجميع الآحاد على التوالي وقد مرّ في المقدّمات الممهّدة أنّ أمثال هذه الأحكام على كلّ فرد تسري إلى الجملة، فلا مجال لهذا التوهّم.

ولك أن تقول: ههنا سلسلتان: إحداهما سلسلة وجودات الحوادث، والأُخرى سلسلة عدماتها، فإذا أخذنا مجموع الوجودات بحيث لا يشذّ عنها فرد وكذا العدمات فلا شكّ أنّ جملة العدمات بحيث لا يشذّ فرد متقدّمة على جملة الوجودات، لتقدّم كلّ فرد منها على نظيره وعديله، ومثل هذا الحكم يسري من الآحاد إلى الجملة ولأنّ جملة العدمات لمّا كان كلّ فرد منها أزليّاً وجملة الحوادث حادثة وتقدُّم الأزليّ على الحادث ضروريّة، ولا شبهة في إمكان أخذ المجموع بحيث لا يشذّ فإنّه ليس من قبيل الجملة اللايقفيّة الّتي لا يمكن فيها أخذ المجموع بحيث لا يشذّ وقد أخذوا جملة الممكنات في دليل إثبات الواجب، فيكون ممكناً، فلا يكون في تلك المرتبة شيء من الحوادث، وهو الانقطاع.

ولنا أيضاً أن نقول: يتقدّم على كلّ حادث عدم أزليّ هو عدم لهذا الحادث وينعدم معه جميع ما بعده من الحوادث الّتي هو معدّ لها، وسبق هذا العدم يستوعب جميع آحاد سلسلة الحوادث، وحكم الآحاد يسري إلى الجملة فيلزم عدم مجموع الحوادث رأساً وانقطاعها. أو نقول: مجموع الحوادث واحد شخصيّ، لأنّ كلّ جزء منه واحد شخصيّ وحادث أيضاً، لأنّ جميع أجزائه حادث فيلزم الانقطاع.

ونقول أيضاً: السلسلة المذكورة معدّات عندهم، والمعدّ يعتبر وجوده وعدمه في المعلول

المتأخر، وكلاهما سابق عليه، فنأخذ سلسلة العدمات اللاحقة السابقة على وجود المعلولات ونقول: إمّا أن يستغرق سبق كلّ فرد من العدمات لكلّ فرد من وجودات الحوادث، النظير على النظير، فيلزم تقدّم جملة سلسلة العدمات إذا أخذنا بحيث لا يشذّ منها شيء على سلسلة وجودات الحوادث، وهو يستلزم الإنقطاع وتقدّم عدم اللاحق على الموجود، وهذا خلف. وإن لم يستغرق فينتهي إلى فرد لا يسبقه عدم المعدّ، فتنقطع سلسلة المعدّات.

وعلى هذه التقريرات لا يتوجّه ما قيل إنّ الأزل ليس وقتاً محدوداً تجتمع فيه العدمات وغيرها، بل مرجعه إلى أنّ قبل كلّ حادث حادث إلى غير النهاية وهكذا عدم الحوادث ولا محذور فيه، لأنّ اجتماع العدم الأزليّ الغير المتناهي في الماضي في زمان مع عدم تناهي الزمان عندهم مع مثله بالغاً ما بلغ سواء كانت الأعدام متناهية أم لا بديهيّ، ولا يلزمنا تعيين زمان معيّن للأزل. وكذا ما قيل: وإن تحقّق في الأزل عدم الحوادث لكنّه عدم كلّ حادث مقرون بوجود حادث تقدّم على ذلك الحادث أبداً فلا يتحقّق وقت ينتهي فيه جميع الموجودات ويبقى صرف العدم. وهذا مع أنّه مدفوع بما قرّرنا لو تمّ فهو فساد آخر نشأ من عدم تناهي الحوادث، إذ جميع المفاسد الّتي ذكرنا إنّما نشأت من الحوادث إلى غير النهاية.

ويمكن أن يقال أيضاً: إنّ الحادث اليوميّ مسبوق بعدم معدّه، وبعدم معدّ معدّه، وهكذا إلى غير النهاية، وعدم المعدّ البعيد بواسطة أطول امتداداً من عدم المعدّ القريب، والمعدّ البعيد بواسطتين أطول منهما، والمعدّ الأبعد بثلاث وسائط أطول من الثلاثة، وكلّما تمتدّ سلسلة المعدّات تتزايد امتداد الأعدام اللاحقة للمعدّات فلو ذهبت السلسلة إلى غير النهاية لزم أن يمتدّ العدم اللاحق لا إلى نهاية، مع أنّه عدم لاحق مسبوق بوجود المعدّ، واستحالته ظاهرة. وهذا برهان لطيف قويّ لا يرد عليه ما يرد على برهان السلّم، لأنّ جميع الأعدام الغير المتناهية جزء للعلّة التامّة للحادث اليوميّ [مجتمعة ووجودات المعدّات] متحقّقة في الواقع، متمايزة بخلاف برهان السلّم لأنّ ازدياد الإنفراج هنا على سبيل اللايقف وموقوف على فرض النقاط في الساقين.

الثالث: قال بعض المحقّقين: إنّ الأمور الغير المتناهية مطلقاً يستلزم الأمور الغير المتناهية المترتّبة، ويلزم منه تناهي النفوس وحدوثها على بعض الوجوه، كما سلف بيانه أنّ المجموع متوقّف على المجموع إذا أسقط منه واحد، وذلك المجموع على مجموع أقلّ منه بواحد، وهكذا إلى غير النهاية، فيجري التطبيق والتضايف بين المجموعات الغير المتناهية إذ هي أمور موجودة مترتّبة.

المقصد الخامس

في دفع بعض شبه الفلاسفة الدائرة على ألسنة المنافقين، والمشكّكين القاطعين لطريق الطالبين للحقّ واليقين، وفيه مراصد:

المرصد الأوّل: قالوا: إذا لاحظنا الواجب تعالى شأنه في طرف، وجميع ما عداه بحيث لا يشذّ منها شيء في طرف آخر، فحينئذٍ إمّا أن يكون الواجب سبحانه علّة تامة لشيء ما أو لا؟ وبعبارة أخرى: جميع ما لا بدّ منه في وجود شيء ما سواء كان ذلك الشيء الإرادة الزائدة أو غيرها إمّا ذاته تعالى أو لا. وعلى الأوّل يكون ذلك الشيء معه دائماً في الأزل، لاستحالة تخلّف المعلول عن العلّة التامة، وعلى الثاني يستحيل وجود شيء ما أبداً، لاستحالة التغيّر في ذاته تعالى. وبعبارة أخرى وبوجه أبسط وهو أن يقال: ذات الواجب تعالى إمّا أن يستجمع جميع شرائط التأثير في الأزل أو لا. وعلى الأوّل يلزم قدم الأوّل بالضرورة، لامتناع التخلّف عن الموجب التام، وعلى الثاني توقّف وجود الأثر وهو العالم على شرط حادث، وننقل الكلام إليه حتّى يلزم التسلسل:

إمّا على سبيل الاجتماع: وهو باطل بما مرّ، وأيضاً نقول: إذا أخذنا مجموع تلك الشروط بحيث لا يشذّ عنها شرط، فإمّا أن يتوقّف وجودها على شرط آخر غير ذات الواجب تعالى خارج عن مجموع الشروط، فلم يكن ما فرضناه جميعاً جميعاً وهذا خلف، أو لا يتوقّف فيكون الذات وحده مستقلاً بإيجاد ذلك المجموع، فإمّا أن يكون اجتماعها في آن حدوث الأثر فيلزم إمّا حدوث الواجب بالذات، وإمّا تخلّف الشروط عن موجبها التامّ وكلاهما محالان، أو يكون اجتماعها في الأزل فيلزم قدم أشخاص غير متناهية من العالم هي الشروط، بل والمشروط وجوده بها أيضاً، وإلّا لزم تخلّف المشروط عن موجبه التامّ وهو الواجب مع جميعها، إذ المفروض عدم شرط خارج عن المجموع.

أو على سبيل تعاقب تلك الشروط: إمّا في الحدوث مع اجتماعها في البقاء فتجتمع في آن الحدوث أمور غير متناهية مترتّبة موجودة وتجري فيها براهين إبطال التسلسل بالإتّفاق، على أنّه يلزم حينئذٍ قدم نوع الفعل وطبيعته وهو مطلوب في الجملة، وإمّا على سبيل تعاقبها حدوثاً وبقاءً بأن لا يجتمع اثنان منها في الوجود في زمان ولا في آن، فتكون طبيعة العالم قديمة محفوظة بتعاقب تلك الأفراد الغير المتناهية، وتلك الأمور إنّما يكون تعاقبها على مادّة قديمة فيلزم أيضاً قدم شخص هو المادّة، ولكونها لا تنفكّ عن الصورة يكون الجسم قديماً أيضاً، أو يقال: لا يجوز وجود الشرائط على التعاقب أيضاً فإنّ الفاعل لما توقّف تأثيره في كلّ من الشرائط على شرط آخر، فهو في حدّ ذاته متساوي النسبة إلى طرفي الإيجاد وتركه، فيتساوى فرض وجوده بحيث لا يوجد منه شيء من تلك الشروط أصلاً وفرض وجوده موجداً له فلا يترجّح أحد الطرفين على الآخر إلّا لأمر خارج وننقل الكلام إليه حتّى يظهر أنّه يجب أن يكون بين البارئ تعالى والحوادث توسّط أمر واحد ذاتاً تتكثّر إضافاته ونسبه، فيكون قديماً بالذات وحادثاً بالإضافة وهو الحركة، فأوجبوا وجود حركة قديمة بل وجود جسم قديم هو المتحرّك بتلك الحركة وادّعوا أنّها حركة الفلك الأعظم فيكون قديماً، وكذا ما في جوفه

لامتناع الخلاء، ولأنّ الحركة الواحدة البسيطة كما لا تختلف ذاتها لا تختلف إعداداتها للمادّة الواحدة، لتشابه أجزائها في الحقيقة، وأثبتوا حركات مختلفة وأفلاكاً كثيرة يحصل من اجتماعها واختلافها سرعة وبطء وجهة وأوضاع مختلفة من المقارنات والمقابلات والتربيعات والتسديسات والتثليثات وغير ذلك فتنتظم بها سلسلة الحوادث عندهم.

وهذه الشبهة بتلك التقريرات أقوى شكوكهم، وللتفصّي عنها طرق:

الطريق الأوّل: ما هو المشهور بين المتكلّمين، وهو أن يقال: إنّهم يقولون بقدم العالم، لزعمهم لزوم توسّط أمر ذي جهتي استمرار وتجدّد بين الحادث اليوميّ والقديم لئلّا يلزم التخلّف عن العلّة التامّة، ونحن نقول: إنّه الزمان، ولا يلزم القدم لكونه أمراً اعتبارياً انتزاعياً، وأدلّة وجوده مدخولة، ولا نقول بانتزاعه من موجود ممكن حتّى يلزم القدم أيضاً بل هو منتزع من بقائه تعالى، فكما أنّهم يصحّحون ربط الحادث بالقديم بالحركة والزمان كذلك نصحّحه أيضاً بالزمان، وكون الزمان مقدار حركة الفلك ممنوع، بل نعلم بديهة أنّه إذا لم يتحرّك الفلك مثلاً يتوهّم هذا الإمتداد المسمّى بالزمان، والقول بأنّه لعلّه من بديهة الوهم لا يصغى إليه.

ثمّ إنّ الزمان وإن كان وهمياً فمعلوم أنّه ليس وهمياً اختراعياً بل وهمياً نفس أمريّ، ومثل هذا الوهميّ يصحّ أن يكون منشأ للأمور الموجودة في الخارج لا بأن يكون فاعلاً لها بل دخيلاً فيها مع أنّ محقّقي الفلاسفة وافقونا على كون الزمان الممتدّ المتّصل أمراً انتزاعياً مرتسماً في الخيال وخالفونا فيما هو منشأ لانتزاعه فقالوا بوجود أمر قديم سرمديّ في الخارج لا امتداد له ولا تقدّر، واعتقدوا أنّ له جهتي استمرار وتنقّل كالحركة التوسّطية وسمّوه بالآن السيّال، وزعموا أنّ ذلك الأمر يفعل باستمراره وسيلانه في الخيال أمراً ممتدّاً متصلاً غير قارّ الأجزاء في الوجود الفرضيّ الخارجيّ، أو في حدوث الإرتسام كالحركة بمعنى القطع، وسمّوه بالزمان بمعنى القطع، كلّ ذلك من غير ضرورة ولا برهان يدلّ على ذلك الأمر البسيط في الخارج، فإنّ الشيخ لم يزد في الشفاء على تحرير الدعوى وإعادته بعبارات متكرّرة في فصول شتّى، ولا نقل عن السابقين عليه دليل في هذا الباب، واقتفى المقلّدون أثرهم بحسن الظنّ بهم، وليت شعري إذا قنعوا بالتقليد فلما لم يقلّدوا من قلّدهم الله تقليده وتصديقه؟! على أنّ العقل المستقيم ينقبض عن وجود ذلك الأمر في الخارج بل يمكن إبطاله أيضاً بوجوه ليس هذا مقام إيرادها، مع أنّه على هذا القول يرد عليهم ما يرد علينا.

وما قيل من أنّ الزمان الموهوم لا تمايز بين أجزائه وطلب الترجيح فيما بينها غير معقول، مدفوع بما مرّ من أنّه وإن لم يكن موجوداً لكنّه من الأمور الواقعيّة الّتي يحكم العقل عليها بتلك الأحكام حكماً واقعياً، مع أنّه لو كان وهمياً محضاً لا يترتّب عليه حكم لا يتحقّق

التخلّف أيضاً إذا لم يتخلّل زمان بين العلّة وأوّل المعلولات أصلاً حتّى يسأل عن الترجيح بين أجزائه فيلزم الترجيح بلا مرجّح والإمتداد المتوهّم محض اختراع الوهم حينئذ.

وحاصل الجواب حينئذ: أنّا نختار أنّه ليس في الأزل مستجمعاً لشرائط التأثير، قوله «توقّف على شرط حادث» قلنا: هو تمام قطعة من الزمان يتوقّف عليها وجود العالم ويرتبط به الحادث بالقديم على نحو ما التزمه الفلاسفة في الحركة إلّا أنّ توسيط الحركة يستدعي قدم الحركة التوسّطيّة السرمديّة، بل قدم المتحرّك بها، بل سائر الأجسام على ما عرفت، وفي هذا المسلك لا يلزم شيء من ذلك، لأنّ الزمان وإن كان من الأمور المتحقّقة في نفس الأمر لكنّه ليس من الموجودات الخارجيّة، ولا ممّا ينتزع من حركة أو جسم حتّى يلزم من تحقّقه في الأزل قدمه، أو قدم منشأ انتزاعه، بل إنّما ينتزع من ذات الأوّل تعالى وما قيل من أنّ حقيقة الزمان هي التقضّي والإستمرار الممتدّ فلو كان انتزاعيّاً لكان منتزعاً ممّا يناسبه ويشابه مهيّته كالحركة القطعيّة الّتي هي أمر تدريجيّ متّصل غير قارّ ووجود الواجب سبحانه أمر ثابت لا يتصوّر فيه شائبة تدريج وانقسام، فأيّ مناسبة بينه وبين ما ينتزع منه؟ فجوابه أنّ ما ادّعيت من لزوم تحقّق المناسبة بين كلّ انتزاعيّ ومنشأ انتزاعه حكم غير بيّن ولا مبيّن، ولئن سلّمنا لزومه فهو لا ينحصر فيما نفهمه من الزمان من معنى التجدّد والاتّصال، ولعلّه تتحقّق مناسبة ما بينهما من جهة أُخرى خفيّة عن إدراكنا، وعدم الوجدان لا يعطي العدم، ألا ترى أنّ أكثر الإنتزاعيّات كالزوجيّة والفرديّة والفوقيّة والتحتيّة وغيرها ينتزع من محالّها ولا يحكم وجداننا بتحقّق مناسبات تفصيليّة بين كلّ منتزع وما ينتزع منه، وذلك إمّا لعدم لزوم تحقّقها في الواقع، أو لعدم اطّلاعنا على تفاصيلها، وأيّاً ما كان فليكن الأمر فيما نحن بصدده كذلك، على أنّه يرد مثل ذلك على الفلاسفة أيضاً، إذ الزمان والحركة بمعنى القطع منتزعان عندهم من الآن السيّال والحركة التوسّطيّة مع مباينتهما فيما ذكره المورد من الأوصاف.

وكذا ما قيل من أنّ اتّصافه تعالى بالبقاء يتوقّف على تحقّق زمان، إذ المفهوم منه وجود أمر في آن مسبوق بوجود ذلك الأمر في آن آخر يتقدّمه، فلو كان الزمان منتزعاً من الذات المتّصفة بالبقاء لزم الدور، مدفوع بأنّ هذه العبارة صدرت منهم مسامحة واتّكالاً على وضوح الأمر، بل المنشأ لانتزاع الزمان هو وجوده سبحانه الّذي يمتنع عليه جريان العدم بمدخليّة هذا الوصف، وظاهر أنّ هذا الوصف ثابت له سبحانه في ذاته من غير توقّف على اعتبار بقاء أو زمان أو غير ذلك، لأنّ هذا الوصف من لوازم الوجود الذاتيّ الّذي هو عين ذاته، أو أمر لا يحتاج ثبوته للذات إلى أمر سوى الذات، ومجرد الاستلزام بين الوصف المذكور والبقاء غير كاف فيما المعترض بصدده كما لا يخفى، فإنّ انتزاع البقاء بالمعنى المذكور عن الذات متأخّر عن ثبوت هذا الوصف، بل عن انتزاع الزمان أيضاً.

وأورد عليه أيضاً أنّه لو كان منتزعاً منه سبحانه لكان صفة له كما هو شأن سائر ما ينتزع

منه، كالعلم والإرادة والقدرة والخلق وغير ذلك من المعاني المصدريّة والتالي باطل لأنّه سبحانه لا يتّصف بالزمان لا بالحمل مواطأة وهو ظاهر، ولا اشتقاقاً لأنّه ليس بزمانيّ كما أنّه ليس بمكاني كما تشهد به العقول السليمة والنصوص الواردة عن الصادقين عليهم السلام.

وأجيب عنه: أوّلاً بأنّا لا نسلّم أنّ كلّ ما ينتزع من شيء يجب أن يكون صفة له، لأنّ مناط كون شيء صفة لشيء هو وجود العلاقة الناعتيّة بينهما، وكون انتزاع شيء من شيء مطلقاً مستلزماً لوجود تلك العلاقة غير بيّن ولا مبيّن، ومن تصدّى له فعليه البيان، وأمّا ثانياً فلأنّا لو سلّمنا ذلك نقول: ما ورد من النصوص من أنّه ليس بزمانيّ ولا مكانيّ معناه أنّه كما لا يحيط به مكان حتّى يكون ظرفاً له مشتملاً عليه كذلك لا يحيط به زمان حتّى يتقدّم عليه جزء من ذلك الزمان، أو يتأخّر عنه جزء آخر منه، فيكون وجوده مقارناً لحدّ خاص من الزمان مسبوقاً بحدّ آخر منه خال عن وجوده، فيكون ذلك الحدّ ماضياً بالنسبة إلى وجوده الحقّ وسابقاً على حدّ آخر كذلك حتّى يكون مستقبلاً بالقياس إليه، وأمّا مقارنة الحقّ القديم للزمان وتحقّقه معه في نفس الأمر من الأزل إلى الأبد فلا شكّ في صحّته ووقوعه، ويكفي في اتّصافه تعالى بالزمانيّ تحقّق المعنى الثاني، وليس لمفهوم لفظ الزمانيّ لغة ولا اصطلاحاً اختصاص بما يقارنه الزمان على النحو الأوّل وأمّا اتّصافه سبحانه بالمكانيّ فإنّه إنّما منع لأنّه لم يتحقّق المقارنة بين ذاته تعالى وبين المكان بشيء من المعنيين، لا بمعنى إحاطة المكان به ولا بمعنى مقارنة وجوده لوجوده أزلاً وأبداً، ولا شكّ أنّ اتّصافه سبحانه بالزمانيّ بهذا المعنى ممّا لا ينكره العقل ولا النقل، بما ورد في النصوص من توصيفه بالباقي، والدائم، والسرمديّ والأزليّ والأبديّ، ممّا يشهد بصدقه ويؤذن بأنّ النصوص الدالّة على نفي اتّصافه بالزمانيّ إنّما المراد بها نفي إحاطة الزمان بوجوده الحقّ، على ما هو شأنه مع المتغيّرات الحادثة في حدّ منه دون حدّ، أو أنّه لا يتقدّر وجوده سبحانه بالليل والنهار والشهور والسنين.

الطريق الثاني: بناء الجواب على عدم كونه سبحانه زمانيّاً كما أومأنا إليه سابقاً، وعليه شواهد كثيرة من الأخبار أشرنا إلى بعضها في مواضعها، وقد مرّ كثير منها في كتاب التوحيد نحو ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً. وما رواه عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان (الخبر) وفي خبر آخر عنه: إنّ الله لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان، وفي الكافي وغيره في أخبار كثيرة «والله لا يوصف بخلقه» وروي عن سيّد الشهداء عليه السلام في بعض خطبه: ليس عن الدهر قدمه. إذ الظاهر أنّ المراد أنّ قدمه سبحانه ليس قدماً زمانيّاً ينشأ من مقارنة الزمان أبداً، وقد مرّ قول أمير المؤمنين عليه السلام: الّذي ليس له وقت محدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود. وفي

النهج: لم يسبق له حال حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. وقد مرّ قوله عليه السلام: لا تصحبه الأوقات، وقوله عليه السلام: ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، وقوله عليه السلام: ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود.

وفي التوحيد عن الكاظم عليه السلام: إنّ الله لا يوصف بزمان ولا مكان[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لم يختلف عليه حقب الليالي والأيّام[2]، وعنه عليه السلام: لا يزال وحدانيّاً أزليّاً قبل بدء الدهور، وبعد صرف الأمور[3]، وقد مرّ أيضاً قوله عليه السلام أنّه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، وقد مرّ أيضاً في حديث ذعلب: لا تضمّنه الأوقات - إلى قوله - مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، وفي خطبة أخرى: سبق الأوقات كونه والإبتداء أزله - إلى قوله - كيف يجري عليه ما هو أجراه، وفي خطبة أخرى: لا يقال له متى، ولا يضرب له أمد بحتّى، وقد مرّ في خطبة الرضا عليه السلام: لا تصحبه الأوقات - إلى قوله - ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد - إلى قوله - مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها - إلى قوله - ولا توقّته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع - إلى قوله - فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، ولا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابتداه؟ وعن الباقر عليه السلام: لم يكن له كان، وأمثال هذه كثيرة قد مرّ أكثرها، وظاهر الجميع بل صريح بعضها نفي كونه سبحانه زمانيّاً، وكذا يدلّ على ذلك ما ينفي عنه سبحانه المقادير، فإنّ الظاهر أنّ الزمان أيضاً من المقادير وكذا ما يدلّ على استحالة التغيّر وتجدّد الحال عليه تعالى، فما يدلّ على خلاف ذلك مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وأمثال ذلك ممّا مرّ بعضها فيمكن حملها على ضيق العبارة، فإنّ أهل اللغة لا يفهمون التجرّد من الزمان، ووضعوا الألفاظ للمعاني المتعارفة بينهم، وإمّا لتفهيم عامّة الناس، فإن تصوّر التجرّد عن الزمان صعب يحتاج إلى لطف قريحة، وإمّا أن يكون من قبيل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ويكون المعيّة مع الزمان كالمعيّة مع المكان بل المكانيّات، وإمّا أن يقال: المنفي عنه تعالى هو الزمان بالذات، والمثبت هو الزمان بالعرض، كما يفهم من كلام السيّد الشريف في معنى «السرمد»، وإمّا أن يكون من قبيل نفي الزمان وإثبات الثمرة، كما في سائر الصفات، فإنّ الآلة منتفية وثمرة السمع والبصر وغيرهما ثابتة، وكذا مبدأ اشتقاق الرحمة والغضب واللطف وغيرها منتفية وثمراتها ثابتة، فالزمان منفيّ عنه تعالى وثمرته ثابتة من توصيف أفعاله

(١) التوحيد للصدوق، ص ١٨٣.
(٢) التوحيد، ص ٥٠.
(٣) التوحيد، ص ١٤٣.

سبحانه بأوصاف الزمانيّات من التعاقب والترتيب ووقوعه في اليوم دون أمس إلى غير ذلك إمّا في الأفعال في أنفسها أو بالنسبة إلينا بلا تغيّر في ذاته تعالى وتجدّد وتصرّم بالنسبة إليه سبحانه، وكون بعضها بالفعل وبعضها بالقوّة له تعالى، ولا استبعاد فيه، فإنّ جميع الأمور الإلهيّة غريبة عجيبة لا تدركها الأبصار، ولا يخطر ببال أولي الروايات خاطرة من تقدير جلاله، ولا يصل إليه ألباب البشر بالتفكير، بل ترجع خاسئة حسيرة، ونهاية علم الراسخين في العلم الإعتراف بالعجز عن إدراك حقيقتها وكيفيّتها، فليس لدوامه سبحانه امتداد وطول يمكن انطباقه على الزمان حقيقة كبقاء الممكنات المنطبقة على قطعة من الزمان بل الله تعالى فوق ما يصفه الواصفون وليس مثله شيء.

ويؤيّد بعض هذه الوجوه ما رواه الكلينيّ والصدوق في الكافي والمجالس بإسنادهما عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة الوسيلة: إن قيل كان فعلى تأويل أزليّة الوجود، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم. وفي الكافي في خطبة له عليه السلام: أزله نهية لمجاول الأفكار، ودوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، وقمع وجوده جوائل الأوهام. والنهية - بضم النون وسكون الهاء -: إسم من نهاه ضدّ أمره، والمجاول جمع مجول - بفتح الميم - وهو مكان الجولان أو زمانه، والجوائل جمع جائلة من الجولان.

واعلم أنّ عقل العقلاء في هذه المسألة متحيّر فكثير من المحقّقين أثبتوا له سبحانه زماناً وقالوا إنّه موهوم انتزاعيّ نفس أمريّ ينتزع من بقائه سبحانه كما عرفت وأكثر الحكماء والمحقّقين ذهبوا إلى استحالة عروض الزمان ومتى للواجب تعالى وللعقول المجرّدة في الذات والفعل الّتي كمالاتها بالفعل على زعم الحكماء، وقال أرسطو في «اثولوجيا»: الشيء الزمانيّ لا يكون إلّا في الزمان الّذي وافق أن يكون فيه، فأمّا الفاعل الأوّل فقد كان لأنّه ليس هناك زمان فإنّ الشيء الملاقي في الزمان المستقبل قائم هناك، فلا محالة أنّه هناك يكون موجوداً قائماً كما سيكون في المستقبل، فالأشياء إذن عند البارئ جلّ ذكره كاملة تامّة زمانيّةً كانت أو غير زمانيّة، وهي عنده دائماً، وكذلك كانت عنده أوّلاً كما تكون عنده أخيراً وقال: الأشياء هناك دائم لا يتغيّر بل على حال واحد.

وقال أيضاً: لا ينبغي لسامع قول الفيلسوف - يعني شيخه أفلاطون - أن ينظر إلى لفظه فيتوهّم عليه أنّه قال: إنّ البارئ خلق الخلق في زمان، فإنّه إنّما اضطرّ الأوّلون إلى ذكر زمان في بدء الخلق لأنّهم أرادوا وصف كون الأشياء فاضطرّوا أن يدخلوا الزمان في وصفهم الكون، وفي وصف الخليقة الّتي لم تكن في زمان البتّة، لأنّ المرء إذا أراد أن يبيّن العلّة اضطرّ إلى ذكر الزمان، لأنّه لا بدّ للعلّة أن تكون قبل المعلول فيتوهّم المتوهّم أنّ القبليّة هي الزمان وليس ذلك كذلك (انتهى).

وقيل: ولعلّه لهذا الوجه وقعت الألفاظ الموهمة للزمان في كلام الشارع.

أقول: وكذلك صرّح الشيخ بأنّه تعالى ليس بزمانيّ في تعليقاته والشفاء كما مرّ بعض كلماته، والفارابيّ في الفصوص والتعليقات، وشيخ الإشراق، والعلّامة الشيرازيّ، وشارح التلويحات، وفخر الدين الرازيّ، والمحقّق الدّوانيّ.

وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في نقد المحصّل: وأمّا الباري تعالى وكلّ ما هو علّة الزمان أو شرط وجوده فلا يكون في الزمان ولا معه إلّا في التوهّم، حيث يقيسها الوهم إلى الزمانيّات، والعقل كما يأبى عن إطلاق التقدّم المكانيّ كذلك يأبى عن إطلاق التقدّم الزماني، بل ينبغي أن يقال: إنّ للباري تعالى تقدّماً خارجاً عن القسمين، وإن كان الوهم عاجزاً عن فهمه. وقال أيضاً في جواب الأسئلة القونويّة: لمّا نفوا عنه الكون في المكان جعلوا نسبة جميع الأماكن إليه نسبة واحدة متساوية، ولمّا نفوا عنه الكون في الزمان جعلوا نسبة جميع الأزمنة حالها وماضيها ومستقبلها إليه نسبة واحدة متساوية.

وقال رحمه الله في شرح رسالة العلم: أزليّته تعالى إثبات سابقيّة له على غيره، ونفي المسبوقيّة عنه، ومن تعرّض للزمان أو الدهر أو السرمد في بيان الأزليّة فقد ساوق معه غيره في الوجود - انتهى -. واعلم أنّ تسليم الحكماء لهذا الأصل بل تجويز العقل على سبيل الإحتمال كافٍ لحلّ بعض شبهاتهم على الحدوث. وقيل: وممّا يدلّ من جهة العقل على استحالة عروض الزمان له تعالى أنّ الزمان حقيقته تجدّد شيء، وتقضّي شيء وتصرّمه وهذا ظاهر عند العقل ومبيّن مشروحاً في الكتب، وتجدّد شيء وانقضاء شيء آخر محال على الله تعالى كما يدلّ عليه العقل والنقل (انتهى) وإذا تمهّد هذا مع ما نقلنا سالفاً من تحقيق الدهر والسرمد نقول في دفع شبههم:

على تقدير الحدوث لا نسلّم لزوم التخلّف عن العلّة التامّة، وإنّما يتصوّر التخلّف لو كانت العلّة زمانيّة ووجدت العلّة في زمان ولم يوجد المعلول معه في ذلك الزمان وهنا لعلّ العلّة أو العلّة والمعلول كليهما لم يكونا زمانيّين، أمّا العلّة فقد مرّ، وأمّا المعلول فالكلام في الصادر الأوّل، وهناك لم يوجد زمان وزمانيّ أصلاً، ولا شيء إلّا الواحد القهّار. وبالجملة إذا كانت العلّة والمعلول كلاهما زمانيّين يجب أن يجمعهما آن أو زمان، وإلّا فلا، ونظيره التخلّف المكاني، فإنّه لو كانا مكانيّين يتصوّر الإجتماع والإفتراق والمماسّة واللامماسّة، وأمّا إذا لم يكن أحدهما أو كلاهما مكانيّين لم يتصوّر أمثال هذه الأمور، وكذا إنّما يتصوّر الترجيح بلا مرجّح إذا كان تحقّق زمان وقع أمر في جزء منه دون جزء، وصدر المعلول من العلّة مرّة ولم يصدر مرّة أخرى، وقبل خالق العالم الزمان والزمانيّات معدومة مطلقاً ونفي صرف لا يجري فيه أمثال هذه الأوهام الكاذبة المخترعة الناشئة من الألفة بالزمان والمكان. ولعلّه يذهب بعض الأوهام إلى أنّ العالم وجد في المكان الّذي فيه الآن ولم يوجد فوقه أو تحته أو غيرهما من الجهات؟ إلى غير ذلك من الأوهام والخيالات الواهية! والواجب جلّ

شأنه مقدّس عن أمثال هذه الأمور ولا يبلغ إلى كنه عظمته وجلاله عقل عاقل وذهن ذاهن، ولا يحوم حول كبريائه فكر مخلوق، وما قيل إنّا نجزم بأنّ بعض الأمور مقدّم على بعض وأنّ بعضها مع بعض ولو لم يكن الامتداد كذلك، بل ولو لم يكن فلك ولا حركة ولا ليل ولا نهار فممنوع، ومثل هذا ما يقال في الإمتداد المكانيّ إنّا نجزم بتقدّم بعض الحدود على البعض بالتقدّم والتأخّر الوضعيّ والرتبيّ ولو لم يكن جسم ومتمكّن، وبه يثبتون البعد الموهوم الغير المتناهي الّذي هو الخلاء، ولعلّ توهّم هذين الإمتدادين ممّا يحكم به الوهم على الألف والعادة ولا أصل لهما أصلاً، فصاحب هذا المسلك يقول بأنّ الزمان والحركات وسلسلة الحوادث كلّها متناهية في طرف الماضي، وأنّ جميع الممكنات ينتهي في جهة الماضي في الخارج إلى عدم مطلق ولا شيء بحت لا امتداد فيه ولا تكمّم ولا تدريج ولا قارية ولا سيلان، وقبل ابتداء الموجودات لا شيء إلّا الواحد القهّار وقوله «ينتهي الموجودات إلى عدم مطلق» وكذا قوله «قبل ابتداء الموجودات لا شيء محض» من ضيق العبارة، ولا تتصوّر القبليّة والانتهاء إلى العدم حقيقة، ونظير تناهي الزمان والامتداد الغير القارّ تناهي المكان والأبعاد القارّة، فإنّ الأبعاد القارّة والأمكنة تنتهي إلى العدم المطلق للأبعاد والجسمانيّات، ولا يتصوّر وراء آخر الأجسام بعد ولا فضاء، لا بعد موجود ولا موهوم، حتّى أنّه لو مدّ أحد يده فيه لا يتحرك يده ولا يلج فيه، لا لوجود جسم لا يمكن خرقه، ولا لمصادم يمنعها، بل للعدم المطلق للبعد والفضاء. وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال بعد عدّ أجسام العالم «ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق، ولا شيء يتوهّم» فكذا الحال في انقطاع الزمان وجميع الموجودات الممكنة في جهة الماضي لا يتصوّر فيه امتداد أصلاً، لا موجود كما زعم الحكماء ولا موهوم كما توهّمه المتكلّمون، فلا يمكن فيه حركات كما استدلّ به الحكماء على عدم تناهي الزمان، بل لا شيء مطلق وعدم صرف، ولمّا ألف الناس بالأبعاد القارّة وجسم خلف جسم تعسّر تصوّر عدمه على بعض المتكلّمين وذهب إلى الأبعاد الموهومة الغير المتناهية وقال بالخلاء، وكذا لمّا شاهدوا موجوداً قبل موجود وزماناً قبل زمان صعب عليهم تصوّر اللّاشيء المحض فذهب طائفة من الحكماء إلى لا تناهي الزمان الموجود، وطائفة من المتكلّمين إلى لا تناهي الزمان الموهوم، ولكن تصوّر اللّازمان المطلق أصعب من تصوّر اللّامكان ويحتاج إلى زيادة دقّة ولطف قريحة.

وأقول: وهذا الجواب في غاية المتانة، واختاره السيّد المرتضى والشيخ الكراجكيّ وغيرهما، قال السيّد في جواب شبهة القائل بالقدم في تضاعيف كلامه: غير أنّ الصانع القديم يجب أن تتقدّم صنعته بما إذا قدّرناه أوقاتاً وأزماناً كانت غير متناهية ولا محصورة. فدلّ على أنّه لا يقول بقدم الزمان، بل يقدّره ويفرضه وقد مضى تصريحه رحمه الله بحدوث الزمان، وأنّه سبحانه ابتدأ ما أحدثه من غير زمان، وأنّ الزمان مقدار حركة الفلك في المقصد الثاني.

وقال الكراجكيّ: إعلم أنّ الملحدة لمّا لم تجد حيلة تدفع بها وجوب تقدّم الصانع على الصنعة قالت إنّه متقدّم عليها تقدّم رتبة لا تقدّم زمان، فيجب أن نطالبهم بمعنى تقدّم الرتبة، وقد سمعنا قوماً منهم يقولون إنّ معنى ذلك أنّه الفعّال فيها والمدبّر لها، فسألناهم هل يدافع ذلك عنها حقيقة الحدث فعادوا إلى الكلام الأوّل من أنّ كلّ واحد من أجزاء الصنعة محدث، فأعدنا عليهم ما سلف حتّى لزمهم الإقرار بحدث الكلّ، وطالبناهم بحقيقة المحدث والقديم فلم يجدوا مهرباً من القول بتقدّم القديم في الوجود على المحدث التقدّم المفهوم المعلوم الّذي يكون أحدهما به موجوداً والآخر معدوماً، ولسنا نقول إنّ هذا التقدّم موجب للزمان، لأنّ الزمان أحد الأفعال، والله تعالى متقدّم لجميع الأفعال وليس أيضاً من شرط التقدّم والتأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان، لأنّ الزمان نفسه قد يتقدّم بعضه على بعض ولا يقال إنّ ذلك مقتضٍ لزمان آخر، والكلام في هذا الموضع جليل، ومن فهم الحقّ فيه سقطت عنه شبه كثيرة.

وقال رحمه الله بعد إيراد جواب السيّد عن شبهة القائل بالقدم: وجميع ما تضمّنه من إطلاق القول بأنّ بين القديم وأوّل المحدثات أوقاتاً لا أوّل لها فإنّما المراد به تقدير أوقات دون أن يكون القصد أوقاتاً في الحقيقة، لأنّ الأوقات أفعال، وقد ثبت أنّ للأفعال أوّلاً، فلو قلنا إنّ بين القديم وأوّل الأفعال أوقاتاً في الحقيقة لنا قضناه، ودخلنا في مذهب خصمنا، نعوذ بالله من القول بهذا. ثمّ قال: وقال بعض أهل العلم: لا ينبغي أن نقول بين القديم وبين المحدث لأنّ هذه اللفظة إنّما تقع بين شيئين محدودين، والقديم لا أوّل له، والواجب أن نقول: إنّ وجود القديم لم يكن عن عدم. وساق الكلام إلى أن قال: ولسنا نريد بذلك أنّه كان قبل أن فعل مدّة يزيد امتدادها، لأنّ هذا هو الحدوث والتجدّد وهو معنى الزمان والحركة. فإن قال قائل: إنّه لا يثبت في الأوهام إلّا هذا الإمتداد، قيل له: ليس بحيث يجب إذا ثبت في الوهم أن يكون صحيحاً، أليس عندكم أنّه ليس خارج العالم خلاء، وذلك غير متوهّم؟ وساق إلى أن قال: ثمّ يقال لهم: أرأيتم لو قال لكم قائل: ليس يثبت في وهمي موجود ليس في جهة فيجب أن يكون الباريء عزّ وجلّ في جهة، أليس يكون الجواب أن يقال: إنّما يثبت ذلك في الوهم متى فرضتموه جسماً، فأمّا متى فرضتموه غير جسم ولا متحيّز فإنّه لا يثبت ذلك في الوهم؟ فهكذا يكون جوابنا لكم. قال: ثمّ قال هذا المتكلم: فإن قالوا: إذا لم تثبتوا مدّة مديدة قبل الفعل فقد قلتم إنّ الباريء سبحانه لم يتقدّم فعله! قيل: بل نقول: إنّه يتقدّم على معنى أنّ وجوده قارن عدم فعله، ثمّ قارن وجود فعله وقولنا ثمّ يترتّب على عدم الفعل لا غيره.

أقول: وتكلّم في ذلك كثيراً إلى أن قال: وهذه الطريقة الّتي حكيتها هي عندي قاطعة لمادّة الشبهة، كافية في إثبات الحجّة على المدلّ بها، وهي مطابقة لاختيار أبي القاسم البلخيّ لأنّه

لا يطلق القول بأنّ بين القديم وأوّل المحدثات مدّة، ويقول: إنّه قبلها بمعنى أنّه كان موجوداً ثمّ وجدت، وهو معنى ما ذكره هذا المتكلّم في قوله: «إنّ وجوده قارن عدم فعله ثمّ قارن وجود فعله» فهو على هذا الوجه قبل أفعاله.

ثمّ قال: واعلم أيّدك الله أنّ العبارات في هذه المواضع تضيق عن المعاني وتدعو الضرورة إلى النطق بما عهد ووجد في الشاهد وإن لم يكن المراد حقيقته في المتعارف، ويجوز ذلك إذا كان مؤدّياً لحقيقة المعنى إلى النفس، كقولنا: قبل وبعد، وكان، وثمّ، فليس المعهود في الشاهد استعمال هذه الألفاظ إلّا في الأوقات والمدد، فإذا قلنا إنّ الله تعالى كان قبل خلقه ثمّ أوجد خلقه فليس هذا التقديم والتأخير مفيداً لأوقات ومدد، وقد يتقدّم الأوقات بعضها على بعض بأنفسها من غير أن يكون لها أوقات أُخر. وكذلك ما يطلق به اللفظ من قولنا إنّ وجود الله قبل وجود خلقه، فليس الوجود في الحقيقة معنى غير الموجود، وإنّما هو اتّساع في القول، والمعنى مفهوم معقول (انتهى)[١].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات: الوقت هو ما جعله الموقّت وقتاً للشيء، وليس هو بحادث مخصوص، والزمان إسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان، وعلى هذا القول سائر الموحّدين - انتهى -[٢].

وإنّما أوردت كلام هؤلاء الأجلاء لئلّا يتوهّم أنّ هذا القول مستحدث مخالف لمذهب الإماميّة ولم يقل به القدماء، بل الظاهر من كلام أكثر القدماء ذلك والله يعلم حقيقة الحال.

الطريق الثالث: أنّ إمكان وجود المعلول معتبر، وهو من شرائط قبول المعلول للوجود، ولا من شرائط تماميّة الفاعل في التأثير، لكونه من متمّمات ذات المعلول المفتقر إلى المؤثّر، ويجوز أن يكون بعض أنحاء الوجود بالنسبة إلى مهيّة واحدة ممكناً دائماً وبعض آخر ممتنعاً بالذات دائماً كما بيّن في محلّه، ومثل هذا لا يستلزم تغيير أصلاً لا من طرف العلّة ولا من طرف المعلول حتّى نطلب له سبباً، بل أبداً هذا النحو من الوجود ممكن وذاك ممتنع، إذا تقرّر هذا فنقول: لعلّ الوجود الدائميّ لا تقبله الماهيّة الممكنة أصلاً وقد مرّ من الأخبار والمؤيّدات العقليّة ما يؤكّده، وسيظهر تأييد آخر من جواب النقض على دليلهم، وبالجملة يجب عليهم إثبات أنّ الممكن يقبل الوجود الأزليّ حتّى يتمّ دليلهم ودونه خرط القتاد.

الطريق الرابع: النقض بالحوادث اليوميّة، فإنّا نقول: لو كان الواجب تعالى في طرف، وجميع ما عداه بحيث لا يشذّ منها شيء في طرف آخر، فإمّا أن يكون ذاته تعالى وحده علّة تامّة لشيء ما أو لا يكون، وعلى الأوّل يلزم قدم شيء ما، وعلى الثاني يلزم أن لا يوجد شيء أبداً، ثمّ نأخذ الصادر الأوّل معه تعالى ونقول: الواجب مع هذا الصادر إمّا أن يكونا علّة تامّة

---

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ٤١-٤٨.

(٢) أوائل المقالات، ص ١٠٠.

لشيء ما ممّا عداهما أو لا، ويلزم قدم الصادر الثاني، وهكذا في الصادر الثالث والرابع حتّى ينتهي إلى الحادث اليوميّ، ولا ينفعهم توسّط الزمان والحركة والإستعداد.

قال المحقّق الدّواني في بحث إعادة المعدوم: إذا اقتضى ذات الشيء في الأزل وجوده فيما لا يزال يلزم كونه موجوداً في الأزل فيما لا يزال ويلزم اجتماع أجزاء الزمان - انتهى - وتفصيله أنّه إذا أخذنا من العلّة الأولى ثمّ لاحظنا الأشياء على سبيل التنازل فلا بدّ من أن تنتهي نوبة الإيجاد إلى الزمان والحركة لأنّهما من جملة الممكنات، فلا بدّ من أن يكونا في سلسلة المعلولات، ولا شكّ في أنّ كلّ مرتبة منها علّة تامّة للاحقها وقديمة عندهم، فعلّة الزمان والحركة تامّة مستقلّة بلا مشاركة حادث أصلاً فيلزم انقطاعهما واجتماع أجزائهما وقدم جميع الحوادث، لأنّ العلّة إذا كانت علّة لجميع أجزائهما فظاهر، وأمّا إذا لم تكن بل تكون علّة لجزء ما منهما ثمّ يكون ذلك الجزء معدّاً لجزء آخر وهكذا فلأنّ ذلك الجزء وإن كان قصيراً جدّاً فهو قابل للقسمة إلى أجزاء بعضها متقدّم وبعضها متأخّر، فيلزم اجتماع أجزاء هذا الجزء فيلزم من اجتماع هذا الجزء اجتماع أجزاء الجزء الّذي يليه وهكذا، وأنت خبير بأنّ الأخذ من الحادث اليومي على سبيل التصاعد والقول بأنّ كلّ سابق معدّ للاحقه إلى غير النهاية تدليس محض.

وتمسّك بعضهم لدفع هذا الإشكال بالحركة التوسطيّة والآن السيّال، لأنّهما ذات جهتين: الإستمرار، والتجدّد، فمن جهة الإستمرار صدرتا عن القديم، ومن جهة التجدّد صارتا واسطتين في صدور الحادث عن القديم. وفيه أنّه لو تمّ هذا لزم إمكان حدوث جميع أجزاء العالم بهذا الوجه فلا يلزم القدم الشخصيّ في شيء من أجزاء العالم وهو خلاف مذهبهم، مع أنّه لنا أن ننقل الكلام إلى جهة التجدّد، فإن كانت موجودة في الواقع فيعود الكلام السابق بعينه، وإذا لم تكن موجودة فلا يمكن أن يصير واسطة.

وقال الغزاليّ ردّاً لجوابهم: إنّ هذه الحركة مبدأ للحوادث إمّا من حيث إنّها مستمرّة أو من حيث إنّها متجدّدة، فإن كان من حيث إنّها مستمرّة فكيف صدر من مستمرّ متشابه الأجزاء شيء في بعض الأحوال دون بعض؟ وإن كانت من حيث إنّها متجدّدة فما سبب تجدّدها في أنفسها فتحتاج إلى سبب آخر ويتسلسل. واعترض عليه بأنّ هذا التسلسل عندهم جائز لعدم وجوب اجتماع الآحاد ههنا.

وقال المحقّق الدّوانيّ في شرح العقائد في دفعه: إنّ التجدّد عبارة عن انقضاء شيء وحدوث شيء آخر، فإذا عدم جزء من الحركة فلا بدّ لعدمه من علّة حادثة وتلك العلّة إمّا أمر موجود أو عدم أمر موجود أو بعضها موجود وبعضها عدم أمر موجود، وعلى الأوّل ننقل الكلام إلى علّة ذلك الأمر وهكذا حتّى يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المجتمعة المترتّبة، وعلى الثاني فيكون ذلك العدم عدم جزء من أجزاء علّة وجوده، ضرورة أنّ ما لا

يكون وجوده علّة لوجود أمر لا يكون عدمه علّة لعدمه فيلزم التسلسل في الموجودات الّتي هذه الأعدام أعدام لها، وعلى الثالث لا بدّ أن يكون أحد القسمين من الأمور الموجودة وتلك الأعدام أو كلاهما غير متناه، وعلى الوجهين يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المترتّبة المجتمعة، والحاصل أن يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المترتّبة المجتمعة إمّا في حال وجوده السابق أو حال عدمه اللاحق، لأنّ عدمه إن كان بسبب أمر موجود أو عدمه بسبب عدم يستلزم حدوث أمر موجود كعدم عدم المانع المستلزم لوجود المانع يلزم التسلسل في الموجودات المترتّبة المجتمعة الحادثة في حال عدمه، وإن كان بسبب عدم أمر موجود لا يستلزم أمراً موجوداً لزم التسلسل المذكور وقت وجود ذلك الحادث، وقس عليه الشقّ الثالث.

فإن قلت: على تقدير أن يكون عدم كلّ جزء مستنداً إلى عدم عدم المانع المستلزم لوجود المانع لا يلزم الترتيب بين تلك الموانع حتّى يلزم التسلسل المستحيل بل لا يلزم اجتماع تلك الموانع في الوجود أيضاً لجواز أن يكون حدوثها ولو في آن كافياً في انتفاء ما هي مانعة عنه.

قلت: تلك الموانع متعاقبة في الحدوث، فإن اجتمعت في الوجود لزم التسلسل المستحيل، لأن آحادها مترتّبة في الحدوث وبحسب الزمان ومجتمعة في الوجود، فيجري فيه التطبيق، ولا يقدح فيه عدم ترتّبها بحسب الذات كما لا يخفى على ذي فطرة سليمة، فإنّا نأخذ السلسلة المبتدأة من الحادث في اليوم ونطبّقها على السلسلة المبتدأة من الحادث بالأمس ونسوق البرهان، وإن لم تجتمع في الوجود نقلنا الكلام إلى علّة عدمها حتّى يلزم التسلسل المستحيل في الموجودات الحادثة وقت عدمها أو وقت وجودها، فإنّ علّة عدم كلّ مانع إمّا عدم المانع المستلزم لوجود المانع، أو عدم جزء من أجزاء علّته، وعلى الأوّل يلزم وجود الموانع المترتّبة في الحدوث الغير المتناهية، وعلى الثاني يلزم أن يكون تحقّق ذلك المانع موقوفاً على أمور موجودة غير متناهية مترتّبة، فيلزم التسلسل المستحيل في أسباب وجوده - انتهى -.

وأنت خبير بأنّه على سبيل المماشاة مع الحكماء، وإلّا فقد بيّناه وبيّن هو نفسه أيضاً ببعض الوجوه الّتي ذكرنا أنّ التسلسل مطلقاً محال، سواء كانت متعاقبة أو مجتمعة، فظهر أن لا مخلص للحكماء إلّا بالتزام أنّ إمكان نحو الوجود معتبر في جانب المعلول، ولا يضرّ في تماميّة العلّة، فلمّا استحال اجتماع أجزاء الحركة والزمان لكونهما غير قارّين وقع التخلّف وصارا واسطتين بين العلّة القديمة والمعلول الحادث، وهو بعينه الجواب عن أصل الدليل. والحاصل أنّهم بأيّ وجه يسندون الحادث إلى القديم فلنا أن نسند جميع العالم إلى الواجب تعالى بلا فرق.

وقد يقرّر النقض بعبارة أخرى، وهي أنّه يرد على ما قرّروه من كون الحادث اليومي مرتبطاً بالأزليّ بسبب توسّط أمر شخصيّ له جهتا استمرار وتجدّد وهو الحركة التوسّطيّة السرمديّة،

إذ هي باعتبار استمرارها تصدر عن القديم وباعتبار تجدّد ذاتها تكون سبباً للحادث أنّه حينئذٍ تكون العلّة التامّة لوجود الحادث أمراً تدريجيّاً واقعاً في زمان غير متناه من جانب الأزل، ويكون الحادث الّذي هو معلوله موجوداً في الآن الّذي هو طرف لذلك الزمان، وما هذا إلّا تخلّفاً للمعلول عن علّته التامّة، إذ لا معنى للتخلّف إلّا كون ظرف وجود المعلول مغايراً لظرف وجود العلّة، فقد وقعوا فيما هربوا منه من لزوم التخلّف.

وأجيب عنه بأنّ التخلّف المستحيل هو ما استلزم الترجيح بلا مرجّح، وذلك إنّما يتصوّر بأن يتخلّل زمان بين وجود العلّة ووجود معلوله، إذ حينئذٍ يتوجّه السؤال بأنّه لمَ لم يوجد المعلول في جزء آخر من ذلك الزمان المتخلّل ووجد في الحدّ الّذي وجد فيه مع أنّ الإيجاب الحاصل من العلّة متساوي النسبة إلى الزمانين وفيما نحن فيه ليس كذلك، إذ لم يتخلّل بين وجودي العلّة والمعلول زمان، بل كان وجود المعلول في آن هو طرف لزمان وجود العلّة، وحينئذٍ لم يتوجّه لا بأن يقال لمَ لم يوجد المعلول في حد آخر غير ما وجد فيه بكون ذلك الحدّ بعد زمان وجود العلّة، لانتفاء زمان متخلّل يفرض فيه حدّ بينهما، ولا بأن يقال لمَ لم يوجد المعلول في آن قبل الآن الّذي هو الطرف من آنات زمان وجود العلّة، إذ في شيء من تلك الآنات لم تخرج العلّة التدريجيّة بتمامها من القوّة إلى الفعل ووجود المعلول يتوقّف على تمامها.

قيل: وبهذا الجواب وإن اندفع المحذور المذكور فيما إذا كان المعلول آنيّاً وعلّته زمانيّة لكن لا تنحسم مادّة الإشكال في المعلول الّذي هو تدريجيّ بيان ذلك أنّ الواسطة التدريجيّة الّتي قرّروها مشتملة على أجزاء تحليليّة وقطعات يحكم العقل على كلّ منها بالكون بعد أن لم يكن، فلا بدّ فيها من القول بكون كلّ سابقة من القطعات شرطاً لوجود اللّاحقة حتّى يصحّ ارتباطها بالقديم، وكون تلك القطعات غير موجودة على سبيل الجزئيّة بالفعل لا يقدح فيما قلنا كما تشهد به الفطرة السليمة، على أنّ كتب الفلاسفة مملوءة بما يصرّح بذلك. ولا شكّ أنّ الجواب المذكور لا ينفع لدفع التخلّف ههنا، إذ يتوجّه أن يقال إنّ القطعة السابقة إذا وجدت بتمامها في مجموع زمان وكانت تمامها علّة موجبة للاحقه فلم لم توجد اللاحقة في الآن الّذي هو طرف لذلك الزمان، أو لم يقع في نفس الزمان الّذي هو ظرف لوجود علّتها حتّى تكون القطعتان من الحركة الّتي إحداهما علّة والأخرى معلولة متطابقتين في الزمان، متوافقتين في الأخذ والترك، فإنّه كما أنّ العلّة زمانيّة الوجود فكذلك معلولها، وكما أنّ العلّة لم تخرج من القوّة إلى الفعل في شيء من الآنات المفروضة في زمان وجوده فكذلك المعلول فكما أنّه إذا انقضى مجموع ذلك الزمان تمّ وجود العلّة في مجموعها صحّ كون مجموعها كذلك بلا تقدّم للعلّة على المعلول بالزمان، وإذا لم يقع المعلول كذلك بل وجد في مجموع زمان آخر يتّصل بالأوّل لم يكن ذلك إلّا تخلّفاً.

والجواب: بأنّه لو وجدت القطعة اللاحقة على أحد الوجهين اللذين ذكرتهما لزم كون

الحركة قارّ الذات، وماهيّة الحركة لا تحتمل هذا النحو من الوجود، فلم يكن ما فرضته حركة حركة. وبأنّ الإحتمال الثاني يستلزم اجتماع المثلين في محلّ واحد هو المتحرّك وهو محال على ما بيّن في محلّه.

مدفوع: بأنّ ما يدفع التخلّف المستحيل الّذي حقيقته تحقّق ظرفين في نفس الأمر يتصوّر وجود المعلول في كلّ منهما ويكون تماميّة العلّة وشرائطها وإيجابها متحقّقة فيهما بلا تفاوت، ويكون مع ذلك وجود المعلول واقعاً في أحدهما على سبيل الترجيح من غير مرجّح هو الجواب، إمّا بانحصار الظرف في واحد كالمعلول الآنيّ الواقع في طرف زمان العلّة، أو ببيان مرجّح مختصّ بأحد الطرفين حتّى تكون العلّة في أحدهما لم تتمّ ولم توجب بعد، وتمّت في الآخر واستجمعت شرائط التأثير فخصّ وجود المعلول بالثاني ليس إلّا.

ولا شكّ في أنّ الجوابين المذكورين لا يفيدان شيئاً من هاتين الإفادتين بل ليس حاصلهما إلّا أنّ عدم وقوع تخلّف المحال لما استلزم محالاً آخر هو اجتماع المثلين أو انقلاب ماهيّة الحركة فلا محالة وقع التخلّف، وأنت خبير بأنّ استلزام عدم التخلّف للمحالين المذكورين لا يصير رافعاً لوصف الإستحالة عن التخلّف الممتنع في بداهة العقول، ولا مجوّزاً لوقوعه بل حاصل هذا الكلام في الحقيقة ليس إلّا مغالطة ألزمت كون الواقع ظرفاً لأحد المحالات إمّا المحالين المذكورين أو التخلّف ولا محيص عن هذا الإشكال إلّا بأن يقال: القطعة اللّاحقة كما توقّف وجودها على السابقة توقّف على أمر آخر هو الأجزاء التحليليّة المفروضة في نفس اللاحقة كهذا النصف وذاك النصف منها وبذلك يظهر أنّه لا يمكن وجود اللاحقة في نفس زمان السابقة، لتوقّف اللاحقة حينئذ على أجزاء لم يشرع بعد في الخروج من القوّة إلى الفعل أصلاً. وفيه بعد كلام، والأصل ما قدّمناه من أنّ عذر الإستحالة مشترك كما عرفت، وهذا الوجه الأخير أيضاً يمكن إجراؤه في الزمان الموهوم كما عرفت.

الطريق الخامس: ما ذكره المحقّق الدوانيّ، وهو اختيار أنّه لم يكن جميع ما لا بدّ منه في وجوده متحقّقاً في الأزل، إذ من جملته تعلّق الإرادة بوجوده في الأزل، ولم تتعلّق الإرادة بوجوده في الأزل، بل بوجوده فيما لا يزال من الأوقات الآتية لحكمة ومصلحة. ولا يرد أنّ التعلّق الأزليّ بوجوده إمّا أن يكون متمّماً للعلّة أم لا، وعلى الأوّل يلزم وجوده في الأزل لامتناع التخلّف، وعلى الثاني يحتاج المعلول إلى أمر آخر سوى هذا التعلّق وهو خلاف المفروض، على أنّا ننقل الكلام إلى هذا الأمر، لأنّا نقول: القدرة تؤثّر على وفق الإرادة، وقد تعلّقت الإرادة بوجوده في وقت معيّن فلا يوجد إلّا فيه.

فإن قيل: لا بدّ من اختيار أحد شقّي الترديد الّذي أوردناه.

قلنا: إن أردتم أنّه متمّم لعلّة وجوده في الأزل فنختار أنّه ليس كذلك، وإن أردتم أنّه متمّم لعلّة وجوده فيما لا يزال فنختار أنّه كذلك، ولا يلزم أزليّته ولا احتياجه إلى أمر آخر، كما أنّ

الفاعل المختار إذا أراد إيجاد جسم ما على صفة معيّنة كالطول مثلاً أو القصر يوجد المعلول بهذه الصفة، فكذا ههنا لمّا تعلّق إرادة الفاعل المختار بوجود الحادث لم يتصوّر إلّا كونه حادثاً والحاصل أنّ المعلول إنّما يوجد بإرادة الفاعل المختار على النحو الّذي تعلّق به إرادته، سواء كان مقارناً لوجوده أو متأخّراً عنه.

وقد يقال إنّ الأزل فوق الزمان، ومعنى كون الشيء أزليّاً أن يكون سابقاً على الزمان، فالواجب تعالى لمّا كان متعالياً عن الزمان لا يوصف بكونه في الزمان كما لا يوصف بكونه في المكان، فلا شيء غيره في الأزل، وإنّما يوجد ما يوجد حسب ما تعلّقت به الإرادة الأزليّة من تخصيصها الأزليّ بأوقاتها، والزمان من جملة الممكنات، وقد تعلّقت الإرادة الأزليّة بوجوده المتناهي، وليس الله تعالى متقدّماً عليه بالزمان، إذ الواجب تعالى ليس بزمانيّ حتّى يقال إنّه متقدّم على غيره بالزمان.

فإن قيل: لا شبهة في أنّ الإرادة القديمة بذاتها ليست كافية في وجود الممكن وعلى فرض أن تكون كافية يلزم قدم الممكن فلا بدّ من تعلّقها وحينئذٍ لا يخلو هذا التعلّق من أن يكون حادثاً أو قديماً، وعلى الأوّل يلزم التسلسل، لأنّا ننقل الكلام إلى سبب هذا التعلّق حتّى يلزم التسلسل، وعلى الثاني قدم الممكن الّذي تعلّقت به الإرادة.

فقد أجيب عنه تارة بأنّ التعلّق أمر عدميّ فلا يحتاج إلى أمر يخصّصه بوقت دون وقت، ولئن سلّم فالتسلسل في الأمور الإعتباريّة وهي التعلّقات غير ممتنع، وأنت تعلم أنّ اختصاص كلّ صفة سواء كانت وجوديّة أو عدميّة بوقت يحتاج إلى مختصّ بالبديهة، وأمّا التسلسل في التعلّقات بأن يكون مخصّص تعلّق الإرادة بذلك الوقت تعلّق الإرادة بتعلّق الإرادة في ذلك الوقت وهكذا حتّى تكون إرادة وجود الممكن في ذلك الوقت لأنّه أراد إرادة وجوده في ذلك الوقت، وأراد إرادة إرادة وجوده في ذلك الوقت لأنّه أراد إرادة تلك الإرادة وهكذا فيتسلسل تعلّقات الإرادة من جانب المبدأ وينتهي من الجانب الآخر إلى إرادة ذلك الممكن، وحينئذ تكون الحال كما تقول به الفلاسفة من تعاقب الإستعدادات الغير المتناهية حتّى ينتهي إلى الإستعداد القريب الّذي يلي المعلول. فقد قيل عليه أنّه باطل مع قطع النظر عن جريان التطبيق فيه، لأنّه يلزم انحصار الأمور الغير المتناهية بين حاصرين، وهما نفس الإرادة وتعلّقها الّذي يلي الممكن.

أقول: وأنت تعلم أنّه لا انحصار هنا بين حاصرين أصلاً، بل ذات الإرادة محفوظة في جميع المراتب وتتوارد عليها تعلّقات مترتّبة غير متناهية على نحو تعاقب الإستعدادات الغير المتناهية على المادّة، فليست الإرادة ولا المريد طرف السلسلة كما ليست المادّة طرف السلسلة، فالقول بالإنحصار هنا وهم ظاهر الفساد، وإن ظهر بعض من يعقد عليه الأنامل بالإعتقاد (انتهى).

وأورد عليه إيرادات لا طائل في إيرادها وهي مع أجوبتها مذكورة في كتب القوم.

الطريق السادس: ما ذكره المحقّق الطوسي ﷺ في التجريد، وهو أنّ التخلّف عن العلّة التامّة إنّما يستحيل إذا أمكن وجود ظرفين يمكن تحقّق المعلول في كلّ منهما، ومع ذلك خصّ وجود المعلول بالأخير منهما من غير تفاوت في أجزاء العلّة وشرائط إيجابها بالنسبة إلى الوقتين، وههنا ليس كذلك، إذ الوقت من جملة أجزاء العالم، فلا وقت قبل حدوث العالم حتّى يسأل عن حدود ذلك الوقت وأنّه لمَ لم يقع المعلول في تلك الحدود ووقع فيما وقع فيه، ولمّا كان هذا الوجه بعد التحقيق يرجع مآله إلى ما حرّرنا في الطريق الثاني لم نتعرّض لبسط القول فيه.

المرصد الثاني: دفع شبهة أخرى لهم، وهي أنّ العالم ممكن، وإمكان وجوده أزليّ. إذ لو كان ممتنعاً في الأزل وصار ممكناً لزم الإنقلاب المحال، وإذا أمكن وجوده في الأزل والباريء تعالى قادر كامل في تأثيره جواد محض لا يفيد إلّا ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض فما أوجد العالم إلّا لجوده الّذي هو مقتضى ذاته، فوجب أن يوجد العالم أزلاً.

والجواب أن يقال: ما أردت بقولك «والباريء تعالى قادر كامل في تأثيره» إن أردت أنه لا نقص في ذاته وصفاته الكماليّة كقدرته وعلمه وإرادته وفي اقتضاء ذاته القديمة إفاضة الخير والجود فذلك مسلّم، ولا يلزم منه وجوب إيجاد العالم أزلاً، لجواز توقّف الإيجاد على شرط يقتضيه العلم بالأصلح، وإن أردت به أنّ الفاعل في الأزل مستجمع لشرائط التأثير فهو ممنوع، والسند ما مرّ. والحاصل أنّ مقتضى كونه كاملاً جواداً في ذاته أن لا ينفك عن ذاته إفادة ما ينبغي، ولا نسلّم أنّ وجود العالم في الأزل كذلك، إذ ما ينبغي عبارة عمّا هو أصلح بالنظام بحسب علمه القديم، والأصلح إنّما هو وجود العالم فيما لا يزال.

وقال بعض المحقّقين في الجواب عن هذه الشبهة: إنّها مبنيّة على استلزام أزليّة الإمكان إمكان الأزليّة وهو ممنوع، فإنّ معنى الأوّل استمرار إمكان الشيء وجواز وجوده، ومعنى الثاني جواز أن يوجد الشيء وجوداً مستمرّاً أزلاً وأبداً وظاهر أنّ استلزام الأوّل للثاني ليس ممّا لا يطلب له دليل. واستدلّ عليه بأنّه إذا استمر الإمكان أزلاً لم يكن في ذاته مانع من الوجود في شيء من أجزاء الأزل فعدم منعه أمرٌ مستمرّ في جميع أجزاء الأزل، فإذا نظر إلى ذاته جاز له الاتّصاف بالوجود في كلّ جزء منها لا بدلاً فقط بل ومعاً أيضاً، وهو إمكان اتّصافه بالوجود المستمرّ الأزلي، فأزليّة الإمكان استلزمت إمكان الأزليّة. وفيه نظر إذ قوله «ومعاً أيضاً» ممنوع، بل وقوله «جاز له الإتّصاف بالوجود في كلّ جزء منها» أيضاً ممنوع، فإنّ الآنيات يمتنع وجودها في الزمان، وأيضاً ما ذكره منقوض بالحركة التوسّطية الآخذة من مبدأ معين، فإنّها ممكنة أزلاً ولا يمكن لها الوجود أزلاً لوجود مبدأ لها فرضاً (انتهى).

وأقول: ويظهر من أجوبة سائر الشبه أجوبة أخرى لهذه الشبهة تركناها للمتأمّل الفطن.

المرصد الثالث: دفع الشبهة الّتي أوردها صاحب المحاكمات، وهي أنّه لا يجوز أن يكون فعله تعالى معدوماً ثمّ يوجد، إذ العدم الصريح لا تميز فيه حتّى يكون إمساك الفاعل من إيجاده في بعض الأحوال أولى من إيجاده في بعض، وحتّى يكون الصدور من الفاعل في بعض الأحوال أولى من صدوره في بعض، بل لو كان صدوره واجباً كان في جميع الأحوال، أو لا صدوره كان في جميع الأحوال، فيلزم إمّا قدم الفعل أو عدمه بالمرّة. وهذا بالحقيقة ردّ على من قال: إنّما حدث في الوقت لأنّه كان أصلح لوجوده أو كان ممكناً فيه، وتقييد العدم بالصريح احتراز عن العدم الحادث المسبوق بالمادّة (انتهى كلامه).

والجواب: أنّه لا شكّ أنّ جميع المعلولات قديمها وحديثها معدوم مطلق في مرتبة وجود العلّة، فكيف تعلّق الجعل بالممكنات دون الممتنعات؟ وكيف تعلّق بالقديم وهو معدوم مطلق في هذه المرتبة؟ وكيف تعلّق الجعل بالقديم ولم يتعلّق بالحوادث إلّا بعد مدّة غير متناهية؟ فالحقّ أنّ التميّز العلمي في علمه تعالى كافٍ في الجميع، وإن كانت في الخارج معدومة صرفة، فهو سبحانه يعلم في ذاته الجميع ممكنها وممتنعها مطلقاً، أو على بعض أنحاء الوجود، ويريد ما أراد منها على الوجه الّذي تقتضيه الحكمة والمصلحة، وتؤثّر القدرة على وفق الإرادة، فيوجد العادم على النظام الّذي وجد بلا تغيّر في ذاته وصفاته الذاتيّة، وإنّما التغيّر والتفاوت فيما عداه بالإمكان والإمتناع، والتقدّم والتأخّر، والصغر والكبر، إلى غير ذلك من وجوه التفاوت، ولا يمكن للعقول إدراك كنه تأثيراته وإيجاداته تعالى شأنه، كما يستفاد من الخطب والأخبار المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، والسؤال بأنّه لم لم يخلق العالم قبل هذا أو بعد ذاك، أو فوق الفضاء الّذي هو الآن فيه أو تحته، أو يمينه أو يساره، أو قدّامه أو خلفه، أو أصغر أو أكبر، أو الموادّ بحيث تقبل الإستعدادات على نحو آخر، فهو من هذر السؤال، وقد ظهر الفرق بين أزليّة الإمكان وإمكان الأزليّة، وأنّ الإمكان الذاتيّ من متمّمات ذات المعلول المحتاج، ومن مصحّحات المعلولية ومكمّلات الإحتياج إلى العلّة على سبيل لوازم الماهيّة المعلوليّة وذاتيّاتها، وليس ملحوظاً في طرف العلّة التامّة المفتقرة إليها، وقد مرّ ما يمكن استنباط أجوبة أُخرى منه لهذه الشبهة فتفطّن.

المرصد الرابع: دفع شبهة أُخرى لهم، وهي أنّ الزمان لو كان حادثاً لكان معدوماً قبل وجوده قبليّة انفكاكيّة لا يجامع بحسبها القبل البعد في الواقع وهذه القبليّة معروضها بالذات أجزاء الزمان بعضها بالنسبة إلى بعض، ولا يوصف بها ما عدا الزمان إلّا بالعرض من جهة مقارنة الزمان، فإذن يلزم وجود الزمان على تقدير عدمه، وهذا خلف. ويمكن بمثل هذا البيان إثبات امتناع العدم اللّاحق على الزمان فثبت سرمديّته.

وممّا ينبّه أنّ هذا البيان مغالطة هو أنّ الزمان إمّا أن يكون مستنداً إلى الواجب بلا واسطة، فيكون هو الصادر الأوّل وهو خلاف معتقدهم، وإمّا أن يكون بواسطة علّة ممكنة ولا شكّ أنّ

هذه العلّة ممكنة لذاتها وبالنسبة إلى الزمان الّذي هو معلولها، لأنّ بالمعلول لا تجب العلّة، ولا يصير منشأً لوجوب علّته، فظهر أنّ علّة الزمان ممكنة بالذات وبالنسبة إلى الزمان أيضاً، وعدم الممكن بالوصف المذكور لا يلزم من فرضه محال أصلاً، فإذا فرضنا انعدام علّة الزمان فإمّا أن يبقى الزمان موجوداً بلا علّة مبقية وهو محال، لأنّ علّة الحاجة إلى المؤثّر عندهم هو إمكان المعلول وحده، وإمّا أن ينعدم الزمان أيضاً وهو محال عندهم، واقتضاه هذا الدليل، فإنّ مذهبهم أنّ العدم بعد الوجود محال بالذات على الزمان، وإنّما الممكن بالنظر إلى الزمان هو العدم رأساً وابتداءً، وأمّا العدم بعد الوجود فلا يجوّزونه ويصرّحون بامتناعه بالذات.

والجواب: عن أصل الدليل أنّا لا نسلّم أنّ العدم الصرف الّذي صوّرناه قبل العالم يمكن أن يتّصف بشيء، كيف وهو نفي صرف ولا شيء محض في الواقع، نعم بعد وجود العالم وتحقّق الموجودات ربما يمكن سريان بعض هذه الأحكام إلى العدم، ولو سلّم فلا نسلّم أنّ منشأ استحالة اجتماعه مع الوجود اللاحق هو اتّصافه بالسبق، بل يجوز أن يكون لأنّهما متقابلان بالإيجاب والسلب، ولأجل هذا التقابل لا يجتمعان، ولو سلّم فلا نسلّم أنّ مثل هذا السبق لا يعرض إلّا للزمان ودون إثباته خرط القتاد، وغاية ما لزم من دليلهم على تقدير تسليمه أنّ هذا النوع من السبق يعرض للزمان بالذات وأمّا إثبات أنّه لا يعرض لغير الزمان إلّا بواسطة فلا سبيل لهم إليه.

والمشهور بين المتكلّمين في جواب هذا الدليل إثبات قسم آخر للسبق سمّوه بالسبق بالذات، وهو في مقام المنع حسن، وإن أريد إثباته فمشكل. قال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في قواعد العقائد: التقدّم يكون بالذات كتقدّم الموجد على ما يوجد، أو بالطبع كتقدّم الواحد على الإثنين، أو بالزمان كتقدّم الماضي على الحاضر، أو بالشرف كتقدّم العالم على المتعلّم أو بالوضع كتقدّم الأقرب إلى مبدأ على الأبعد، والمتكلّمون يزيدون على ذلك التقدّم بالرتبة كتقدّم الأمس على اليوم.

وقال الرازيّ في الأربعين: إنّا نثبت نوعاً آخر من التقدُّم وراء هذه الأقسام الخمسة، والدليل عليه أنّا ببديهة العقل نعلم أنّ الأمس متقدّم على اليوم وليس تقدّماً بالعلّيّة، ولا بالذات، ولا بالشرف، ولا بالمكان، ولا يمكن أن يكون تقدّماً بالزمان، وإلّا لزم أن يكون ذلك الزمان حاصلاً في زمان آخر، ثمّ الكلام في الزمان الثاني كما في الأوّل فيفضي إلى أن تحصل أزمنة لا نهاية لها دفعة واحدة ويكون كلّ منها ظرفاً للآخر وذلك محال، فهو تقدّم خارج عن هذه الأقسام فنقول تقدّم عدم العالم على وجوده وتقدّم وجود الله على وجود العالم يكون على هذا الوجه، ويزول الإشكال (انتهى).

وأقول: لهم شبهة واهية أُخرى يظهر جوابها للمتأمّل فيما أوردناه، وأنت بعدما أحطت

خبراً بما حقّقناه، وتركت تقليد السّادة والكبراء، والتمسّك بالشكوك والأهواء، لا أظنّك تستريب في قوّة دلائل الحدوث وضعف شبه القدم ولو لم تكن أقوى فلا ريب في أنّها متعارضة، فلو كانت متكافئة أيضاً كيف تجترئ على مخالفة الكتب السماويّة، والأخبار المتواترة النبويّة، والآثار المتظافرة المأثورة عن الأئمّة الهادية، والعترة الطاهرة، الّذين هم معادن الحكمة والوحي والإلهام، وبعثهم الله لتكميل الأنعام، لشبه واهية اعترف مبدؤها بضعفها، حيث قال الشيخ وأرسطو: إنّها مسألة جدليّة الطرفين فيا إخوان الدين، وخلّان اليقين إن لم يغلب على قلوبكم الرين، فافتحوا العين، وارفعوا العناد من البين، وانظروا بأبصار مكحولة بالإنصاف مشفيّة من رمد التعصّب والإعتساف، فتكونوا في أصول الدين من أصحاب اليقين، وتدخلوا في حزب الأنبياء والأوصياء والصدّيقين، ولا تعتمدوا على أصولكم، ولا تتكلّموا على عقولكم، لا سيّما في المقاصد الدينية، والمطالب الإلهية، فإنّ بديهة العقل كثيراً ما تشتبه ببديهة الوهم، والمألوفات الطبيعية بالأمور اليقينيّة، والمنطق لا يفي بتصحيح موادّ الأقيسة، وزن أفكارك بميزان الشرع المبين، ومقياس الدين المتين، وما تحقّق صدوره عن الأئمّة الراسخين، صلوات الله عليهم أجمعين، لئلّا تكون من الهالكين.

تكملة: إعلم أنّ العلماء اختلفوا في أوّل المخلوقات، واختلف الأخبار أيضاً في ذلك فالحكماء يقولون: أوّل المخلوقات العقل الأوّل، ثمّ العقل الأوّل خلق العقل الثاني والفلك الأوّل، وهكذا إلى أن انتهى إلى العقل العاشر فهو خلق الفلك التاسع وهيولى العناصر، وجماعة منهم يقول بأنّ تلك العقول وسائط لإيجاده تعالى ولا مؤثّر في الوجود إلّا الله، وكلّ ذلك مخالف لما ظهر وتبيّن من الآيات والأخبار، وأجمع عليه المليّون.

وأمّا غيرهم فقيل: أوّلها الماء، كما يدلّ عليه أكثر الأخبار المتقدّمة، ونقلنا ذلك سابقاً عن «ثاليس الملطي» ورأيت في كتاب «علل الأشياء» المنسوب إلى «بليناس الحكيم» أنّه قال: إنّ الخالق تبارك وتعالى كان قبل الخلق، وأراد أن يخلق الخلق، فقال: ليكن كذا وكذا فكانت هذه الكلمة علّة الخلق، وسائر المخلوقات معلول، وكلام الله عزّوجلّ أعلى وأعظم وأجلّ من أن يكون شيئاً تدركه الحواسّ، لأنّه ليس بطبيعة، ولا جوهر، ولا حارّ، ولا بارد، ولا رطب، ولا يابس. ثمّ قال بعده: إنّ أوّل ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل، فدلّ بالفعل على الحركة، ودلّ بالحركة على الحرارة، ثمّ لمّا نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها، فدلّ بالسكون على البرد، ثمّ ذكر بعد ذلك أنّ طبائع العناصر الأربعة إنّما كانت من هاتين القوّتين أعني الحرّ والبرد، قال: وذلك أنّ الحرارة حدث منها اللّين، ومن البرودة اليبس، فكانت أربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبائع، وكانت هذه الكيفيّات قائمة بأنفسها غير مركّبة، فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار، ومن الرطوبة والبرد حدث الماء، ومن الحرارة والرطوبة حدث الهواء، ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الأرض، ثمّ قال: إنّ الحرارة لمّا حركت طبيعة الماء والأرض تحرّك الماء للطفه عن ثقل

الأرض، وانقلب ما أصابه من الحرّ فصار بخاراً لطيفاً هوائيّاً رقيقاً روحانيّاً، وهو أوّل دخان طلع من أسفل الماء وامتزج بالهواء فسما إلى العلوّ لخفّته ولطافته، وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوّته ونفرته من الحرارة، ثمّ وقف فكان منه الفلك الأعلى، وهو فلك زحل، ثمّ حرّكت النار الماء أيضاً فطلع منه دخان هو أقلّ لطفاً ممّا صعد أوّلاً وأضعف، فلمّا صار بخاراً سما إلى العلوّ بجوهره ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لقلّة لطافته عمّا قبله فكان منه الفلك الثاني، وهو فلك المشتري، وهكذا بين طلوع الدخان مرّة مرّة وتكوّن الأفلاك الخمسة الباقية عنه. ثمّ قال: والأفلاك السبعة بعضها في جوف بعض، وبين كلّ فلكين منها هواء واسع مملوء أجزاء لا تتحرّك.

ونقل صاحب الملل والنحل عن (فلو طرخيس) أيضاً من الحكماء القدماء أنّه قال: أصل المركّبات هو الماء، فإذا تخلخل صافياً وجدت النار، وإذا تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء، وإذا تكاثف تكاثفاً مبسوطاً بالغاً صار أرضاً. وقد مرّ نقلاً من التوراة أنّ مبدأ الخلق جوهر خلقه الله ثمّ نظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء إلى آخر ما مرّ، وقريب منه ما رواه العامّة عن كعب أنّه قال: إنّ الله خلق ياقوتة خضراء ثمّ نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد، ثمّ خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثمّ وضع العرش على الماء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[1].

وقيل: أوّل المخلوقات الهواء، كما دلّ عليه ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره، والظاهر أنّه أخذ من خبر، لكن لا تعارض به الأخبار الكثيرة المسندة ومع صحّته يمكن الجمع بحمل أوّليّة الماء على التقدّم الإضافي بالنسبة إلى الأجسام المشاهدة المحسوسة الّتي يدركها جميع الخلق، فإنّ الهواء ليس منها، ولذا أنكر وجوده جماعة.

وقيل: أوّل المخلوقات النار. كما مرّ، وقد مرّ في بعض الأخبار أنّ أوّل ما خلق الله النور، وفي بعضها نور النبيّ ﷺ وفي بعضها نوره مع أنوار الأئمّة ﷺ وفي بعض الأخبار العامّية عن النبيّ ﷺ أوّل ما خلق الله روحي فيمكن أن يكون المراد بالجميع واحداً، ويكون خلق الأرواح قبل خلق الماء وسائر الأجسام، وتكون أوّليّة الماء بالنسبة إلى العناصر والأفلاك، فإنّ بعض الأخبار يدلّ على تقدّم خلق الملائكة على خلق العناصر والأفلاك كما مرّ، ودلّت الأخبار الكثيرة على تقدّم خلق أرواحهم وأنوارهم ﷺ على كلّ شيء.

وروى الكلينيّ وغيره بأسانيدهم الكثيرة عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره (الخبر)، وهذا لا يدلّ على تقدّم العقل على جميع الموجودات، بل على خلق الروحانيّين، ويمكن أن يكون خلقها متأخّراً

---

(١) سورة هود، الآية: ٧.

عن خلق الماء والهواء، وأمّا خبر «أوّل ما خلق الله العقل» فلم أجده في طرقنا، وإنّما هو في طرق العامّة، وعلى تقديره يمكن أن يراد به نفس الرسول ﷺ لأنّه أحد إطلاقات العقل، على أنّه يمكن حمل العقل على التقدير في بعض تلك الأخبار، كما هو أحد معانيه، وكذا حديث «أول ما خلق الله القلم» يمكن حمله على الأوّليّة الإضافية بالنسبة إلى جنسه من الملائكة، أو بعض المخلوقات كما يدلّ عليه خبر عبد الرحيم القصير الآتي في بابه.

فائدة جليلة: إعلم أنّه أورد إشكال في آيات سورة السجدة، حيث ظاهرها كون خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام، مع أنّ سائر الآيات تدلّ على خلقها في ستّة أيّام والثاني ظاهر، والأوّل لأنّه قال سبحانه أوّلاً ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وقال بعده ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ وقال بعد ذلك ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ فيصير المجموع ثمانية، ويمكن التفصّي عن ذلك بوجوه:

الأوّل: ما مرّ، وهو المشهور بين المفسّرين، أنّ المراد بقوله ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ في تتمّة أربعة أيّام، بأن يكون خلق الأرض في يومين منها، وتقدير الأقوات فيها أو هو مع جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها في يومين آخرين، ويؤيّده كثير من الأخبار المتقدّمة.

الثاني: ما ذكره بعض الأفاضل ممّن كان في عصرنا ﵀ في شرحه على الكافي: أنّ أربعة أيّام مخصوصة بخلق ما على الأرض، أوّلها بخلق الرواسي، والثاني بخلق البركة، والثالث والرابع بخلق الأقوات الّتي هي عبارة عن خلق الماء والمرعى المذكورين في سورة النازعات بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ وأنّ اليومين اللّذين خلق فيهما الأرض متّحدان مع ما خلق فيهما السماوات، إلّا أنّ الخلق في اليوم الأوّل متعلّق بأصل السماوات والأرض، وفي اليوم الثاني بتمييز بعض أجزائهما عن بعض، فيصدق أنّ السماوات مخلوقة في يومين، والأرض في يومين، ولا تزيد أيّام خلق المجموع على الستّة.

الثالث: ما ذكرناه في تأويل خبر الكافي بأن يكون يوما خلق السماوات داخلين في الأربعة فتذكّر.

الرابع: ما ذكره بعض المحقّقين من المعاصرين وهو أن يكون الأيّام الأربعة بل اليومان الأخيران أيضاً في سورة السجدة غير الأيّام الستّة الّتي في سائر السور، ويؤيّده تغيير الأسلوب بإيراد لفظ الخلق في سائر الآيات، ولفظ الجعل والبركة والتقدير والقضاء سبعاً في السجدة، ويؤيّده لفظ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في آيات سور الفرقان والتنزيل و(ق)، فإنّه سواء كان خلق الأرض وبعض ما عليها في أربعة أيّام وخلق السماوات في يومين أو خلق ما على الأرض في أربعة أيّام وخلق السماوات والأرض في يومين كما في التأويلين السابقين لا يبقى لخلق ما بين السماوات والأرض كالهواء وما فيها من كائنات الجو وقت، فينبغي أن يحمل على أنّ خلق السماوات في يومين، وخلق الأرض في يومين غيرهما، وخلق ما بينهما

في يومين غير الأربعة فيبلغ ستّة كما هو ظاهر الآيات، فتتمّ في هذه الستّة ما ذكره تعالى في سورة النازعات بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)﴾[1] فيكون كلّ ما ذكره فيها متّصلاً به بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾[2] في يوم آخر أو أيّام أُخر غير الستّة المذكورة، ويؤيّده ما روي أنّ دحو الأرض كان بعد خلقها بألفي سنة، فعلى ذلك لا يبعد أن يكون خلق ما سوى المذكورات كتقدير الأقوات وسائر المخلوقات الّتي لا تعدّ ولا تحصى في أيّام أُخر، كيف وما في السماوات كالملائكة وما في تحت الأرض كالصخرة والديك والحوت وغيرها المذكورات في حديث زينب العطّارة غير السماوات والأرض وما بينهما كما يرشد إليه التسبيح المأثور المشهور «سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ وما تحتهنّ» فيكون خلقها في غير الستّة المذكورة، فلا حاجة إلى تكلّف لإدخال زمان تقدير الأقوات وجعل الرواسي مثلاً في زمان خلق السماوات والأرض وما بينهما، حتّى لا يزيد زمان خلق المجموع على ستّة أيّام، وأمّا الروايات الّتي أيّد بها التأويل فحملها على أن يكون المراد بها التعيين النوعي في أيّام خلق كلّ من المذكورات فيها فلا ينافي أن يكون خلق الأشجار مثلاً في أربعاء والمياه في أربعاء أخرى، وكذا خلق الشمس والقمر مثلاً في جمعة وكلّ من النجوم والملائكة وآدم عليه السلام في جمعات أُخر، فلا يلزم الإتّحاد الشخصي، ولا التوالي في تلك الأيّام، كيف ولو لم تحمل على ذلك لما أمكن الجمع بينها وبين ما مرّ عن الرضا عليه السلام من أنّ خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السّماوات والأرض، وكذا بينها وبين ما لا ريب فيه لأحد من أنّ خلق الملائكة والجانّ قبل خلق آدم عليه السلام بدهور طويلة، وأمّا المنظومة المشهورة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام من قوله:

لنعم اليوم يوم السبت حقّاً ... لصيدٍ إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأنّ فيه ... تبدّى الله في خلق السماء

حيث صرّح فيها بأنّ خلق السماء في يوم الأحد، فيمكن أن يجمع بينها وبين الروايات الدالّة على أنّ خلقها في يوم الخميس بكون أصل خلقها في أحد ذينك اليومين، وتمييز بعضها عن بعض في اليوم الآخر، وممّا يلائم هذا الجمع وقوع السماء بلفظ المفرد في المنظومة وبلفظ الجمع في الروايات، وإدراج لفظ الإبتداء في المنظومة دون الروايات، فيسهل بما ذكرنا طريق الجمع بين الروايات المتعارضة الظواهر في هذا الباب.

ولنختم الكلام بذكر أقوال بعض من يعوّل على قوله من قدماء المؤرّخين ليعلم اتّفاق جميع فرق المسلمين على الحدوث، قال المسعوديّ رحمه الله وكان من علماء الإمامية في كتاب «مروج الذهب»: اتّفق أهل الملّة جميعاً من أهل الإسلام على أنّ الله خلق الأشياء على غير

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٢٧-٢٩. (٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٠ ٣١.

مثال، وابتدعها من غير أصل، ثمّ روى عن ابن عباس وغيره أنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ الماء فكان عرشه عليه، فلمّا أراد أن يخلق السماء أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمّي «السماء» ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثمّ فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين، وخلق الأرض على حوت، والحوت هو الّذي ذكره الله في كتابه ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ والحوت والماء على الصفا، والصفا على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح، وهي الصخرة الّتي في القرآن ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ فاضطرب الحوت، فتزلزلت الأرض، فأرسى الله عليها الجبال فقرّت، كما قال تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وخلق الجبال فيها، وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله - ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفّس فجعلها سماءً واحدة، ثمّ فتقها وجعلها سبعاً في يومين في يوم الخميس ويوم الجمعة، وإنّما سمّي بالجمعة لأنّه جمع فيه خلق السّماوات والأرض، ثمّ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي وجعل في كلّ سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد، ثمّ قال: وما ذكرنا من الأخبار عن بدء الخليقة هو ما جاءت به الشريعة، ونقله الخلف عن السلف، والباقي عن الماضي، عبّرنا عنهم على ما نقل إلينا من ألفاظهم، ووجدنا في كتبهم من شهادة الدلائل بحدوث العالم وإيضاحها بكونه، ولم نعرض لوصف قول من وافق ذلك وانقاد إليه من الملل القائلين بالحدوث، ولا الردّ على من سواهم ممّن خالف ذلك وقال بالقدم، لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدّم من تصانيفنا (انتهى)(١).

وقد ذكر أبو ريحان البيرونيّ في تاريخه مدّة عمر الدنيا وابتداء وجودها عن جماعة من المنجّمين والحكماء، وقطع لها بالإبتداء، واستدلّ عليه فلا نطيل الكلام بإيرادها.

وقال ابن الأثير في «الكامل»: صحّ في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما رواه عنه عبادة بن الصّامت أنّه سمعه يقول: إنّ أول ما خلق الله القلم، فقال له أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن. وروي نحو ذلك عن ابن عبّاس. وقال محمّد بن إسحاق أوّل ما خلق الله تعالى النور والظلمة، فجعل الظلمة ليلاً أسود، وجعل النهار نوراً مضيئاً، والأوّل أصحّ. وعن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الله تعالى كان عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أوّل ما خلق القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: ثمّ خلق بعد القلم الغمام، وقيل: ثمّ اللوح ثمّ الغمام.

ثمّ اختلف فيما خلق بعد الغمام، فروى الضحّاك عن ابن عبّاس: أوّل ما خلق الله العرش فاستوى عليه، وقال آخرون: خلق الله الماء قبل العرش، ثمّ خلق العرش فوضعه على الماء،

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ٣٢.

وهو قول أبي صالح عن ابن عبّاس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقيل: إنّ الّذي خلق بعد القلم الكرسيّ، ثمّ العرش، ثمّ الهواء، ثمّ الظلمات، ثمّ الماء، فوضع عرشه عليه. وقال: وقول من قال: إنّ الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب، لحديث ابن أبي رزين عن النبيّ ﷺ، وقد قيل: إنّ الماء كان على متن الريح حين خلق العرش، قاله ابن جبير عن ابن عباس، فإن كان كذلك فقد خلقا قبل العرش، وقال ضمرة: إنّ الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئاً بألف عام، واختلفوا أيضاً في اليوم الّذي ابتدأ الله فيه خلق السّماوات والأرض، فقال عبد الله بن سلّام وكعب والضحّاك ومجاهد: ابتدأ الخلق يوم الأحد، وقال محمّد بن إسحق: ابتدأ الخلق يوم السبت، وكذلك قال أبو هريرة، واختلفوا أيضاً فيما خلق في كلّ يوم؛ فقال ابن سلّام: إنّ الله تعالى بدأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين يوم الأحد والإثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من الجمعة، فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة الّتي تقوم فيها الساعة، ومثله قال ابن مسعود، وابن عبّاس من رواية أبي صالح عنه، إلّا أنّهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة، وقال ابن عبّاس من رواية عليّ بن أبي طلحة عنه: إنّ الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات، ثمّ دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ وهذا القول عندي هو الصواب.

وقال ابن عبّاس أيضاً من رواية عكرمة عنه: إنّ الله وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثمّ دحيت الأرض من تحت البيت.

ومثله قال ابن عمرو ورواه السّدي عن أبي صالح وعن أبي مالك عن ابن عبّاس وأبي مرّة عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ إنّ الله عزّ وجلّ كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء، فلمّا أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمّاه «سماء» ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثمّ فتقها فجعل سبع أرضين في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين، فخلق الأرض على حوت، والحوت النون الّذي ذكره الله في القرآن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة الّتي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرّك الحوت واضطربت وتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال فقرّت، والجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ . وقال ابن عبّاس والضحّاك ومجاهد وكعب وغيرهم: كلّ يوم من هذه الأيّام السّتة الّتي خلق الله فيها السماء والأرض كألف سنة (انتهى)(١).

وكلام سائر المؤرّخين جارٍ هذا المجرى، ولا جدوى في إيرادها.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٥.

٢ - باب العوالم ومن كان في الأرض قبل خلق آدم عليه السلام ومن يكون فيها بعد انقضاء القيامة وأحوال جابلقا وجابرسا

الآيات: الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ «١٥٩».

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ «١٨١».

تفسير: جمع ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يومئ إلى تعدّد العوالم كما سيأتي، وإن أوّل بأنّ الجمعيّة باعتبار ما تحته من الأجناس المختلفة. ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي جماعة يهدون بالحقّ أي يدعون إلى الحقّ ويرشدون إليه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي وبالحقّ يحكمون ويعدلون في حكمهم، واختلف في هذه الأمّة من هم؟ على أقوال:

أحدها: أنّهم قوم من وراء الصين بينهم وبين الصين واد جار من الرمل لم يغيّروا ولم يبدّلوا عن ابن عبّاس، والسدّيّ، والربيع، والضحّاك، وعطاء وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام قالوا: وليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، ويضحون بالنهار ويزرعون، لا يصل إليهم منّا أحد، ولا منهم إلينا، وهم على الحقّ.

قال ابن جريج: بلغني أنّ بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرّأ سبط منهم ممّا صنعوا، واعتذروا وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً من الأرض، فساروا فيه سنة ونصف سنة حتّى خرجوا من وراء الصين، فهم هناك حنفاء مسلمين، يستقبلون قبلتنا. وقيل: إنّ جبرئيل انطلق بالنبيّ ليلة المعراج إليهم، فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكّة فآمنوا به وصدّقوه، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت، وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا. قال ابن عبّاس: وذلك قوله ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[1] يعني عيسى بن مريم يخرجون معه. وروى أصحابنا أنّهم يخرجون مع قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله وروي أنّ ذا القرنين رآهم فقال: لو أمرت بالمقام لسرّني أن أقيم بين أظهركم.

وثانيها: أنّهم قوم من بني إسرائيل تمسّكوا بالحقّ وبشريعة موسى عليه السلام في وقت ضلالة القوم، وقتلهم أنبياءهم، وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه السلام فيكون تقدير الآية: ومن قوم موسى أمّة كانوا يهدون بالحقّ، عن الجبائيّ.

وثالثها: أنّهم الّذين آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله مثل (عبد الله بن سلّام) و(ابن صوريا) وغيرهما، وفي حديث أبي حمزة الثماليّ والحكم بن ظهير أنّ موسى لمّا أخذ الألواح قال: ربّ إنّي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٤.

أجد في الألواح أمّة هي خير أمّة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد. قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أمّة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنّة فاجعلهم أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أنّه كتبهم في صدورهم يقرؤونها فاجعلهم أمّتي، قال، تلك أمّة أحمد. قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أمّة إذا همّ أحدهم بحسنة ثمّ لم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها، وإن همّ بسيّئة ولم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيّئة واحدة، فاجعلهم أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد. قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أمّة يؤمنون بالكتاب الأوّل والكتاب الآخر، ويقاتلون الأعور الكذّاب فاجعلهم أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أمّة هم الشافعون وهم المشفوع لهم، فاجعلهم أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد. قال موسى عليه السلام ربّ اجعلني من أمّة أحمد.

قال أبو حمزة: فأعطي موسى آيتين لم يعطوها - يعني أمّة أحمد - قال الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ قال: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾. قال: فرضي موسى كلّ الرضا.

وفي حديث غير أبي حمزة: قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قرأ ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال: هذه لكم وقد أعطي قوم موسى مثلها (انتهى)(١).

وأمّا الآية الثانية فالمشهور أنّها لهذه الأمّة، ودلّت الأخبار الكثيرة على أنّ المراد بهم الأئمّة وشيعتهم كما مرّ في كتاب الإمامة. وقال الطبرسيّ رحمه الله: قال الربيع بن أنس: قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآية فقال: إنّ من أمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزل عيسى بن مريم. وروى العيّاشي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: والّذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا فرقة واحدة ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ فهذه الّتي تنجو، وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا: نحن هم (انتهى)(٢).

وأقول: قال الرازيّ في تفسيره: روي أنّ بني آدم عُشر الجنّ، والجنّ وبنو آدم عشر حيوانات البرّ، وهؤلاء كلّهم عشر الطيور، وهؤلاء كلّهم عشر حيوانات البحر، وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة الأرض الموكّلين بها، وكلّ هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا، وكلّ هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية، وعلى هذا الترتيب إلى السماء السابعة، ثمّ الكلّ في مقابلة ملائكة الكرسيّ نزر قليل، ثمّ كلّ هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش الّتي عددها ستّمأة ألف، طول كلّ سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرضون وما فيهما وما بينهما فإنّها كلّها تكون شيئاً يسيراً، وقدراً صغيراً، وما من مقدار موضع قدم إلّا

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٠٠.

وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ثمّ كلّ هؤلاء في مقابلة الملائكة الّذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم إلّا الله، ثمّ مع هؤلاء ملائكة اللوح الّذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام والملائكة الّذين هم جنود جبرئيل عليه السلام وهم كلّهم سامعون مطيعون لا يفترون، مشتغلون بعبادته سبحانه، رطاب الألسنة بذكره وتعظيمه، يتسابقون في ذلك منذ خلقهم، لا يستكبرون عن عبادته آناء الليل والنهار ولا يسأمون، لا تحصى أجناسهم، ولا مدّة أعمارهم، ولا كيفيّة عباداتهم وهذا تحقيق حقيقة ملكوته جلّ جلاله على ما قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

١ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن عبد الله بن هلال، عن العلا، عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عزّ وجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثمّ خلق الله عزّ وجلّ آدم أبا البشر وخلق ذرّيّته منه، ولا والله ما خلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عزّ وجلّ، لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة وصيّر الله أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة، وصيّر أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار أنّ الله تبارك وتعالى لا يعبد في بلاده، ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحّدونه؟! بلى والله، ليخلقنّ الله خلقاً من غير فحولة ولا إناث، يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماء تظلّهم، أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ وقال الله عزّ وجلّ ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

العياشي: عن محمّد مثله. «ج ٢ ص ٢٥٥ ح ٥٧ من سورة إبراهيم».

٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عبد الصمد، عن الحسن بن أبي عثمان، قال: حدّثنا العباديّ بن عبد الخالق، عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أنّ لله عزّ وجلّ عالماً غيرهم، وإنّي الحجّة عليهم[3].

منتخب البصائر لسعد بن عبد الله: عن الحسن بن عبد الصمد إلى آخر السند، وعن محمّد بن سنان عن المفضّل عنه عليه السلام مثله[4].

٣ - **التوحيد والخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١ ص ١٦١. (٢) الخصال، ص ٣٥٨ باب ٧ ح ٤٥.

(٣) الخصال، ص ٦٣٩ باب ما بعد الألف ح ١٤.

(٤) منتخب البصائر، ص ١٣.

الحسن بن محبوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1] فقال: يا جابر، تأويل ذلك أنّ الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، جدّد الله عزّ وجلّ عالماً غير هذا العالم، وجدّد عالماً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه ويخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماء غير هذه السماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله عزّ وجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد! أو ترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم؟! بلى والله، لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميّين[2].

بيان: قوله عزّ وجلّ ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ المشهور أنّ هذه الآية لإثبات البعث، وهو المراد بالخلق الجديد. قال الطبرسيّ رحمه الله أي أفعجزنا حين خلقناهم أوّلاً ولم يكونوا شيئاً، فكيف نعجز عن بعثهم وإعادتهم؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي في ضلال وشكّ من إعادة الخلق جديد[3].

والصوفيّة حملوه على تجدّد الأمثال الّذي قالوا به مخالفين لسائر العقلاء والمتديّنين، ولعلّ التأويل الوارد في الخبر من بطون الآية، والجمع بينه وبين ما سبق يمكن بأن يكون الأوّل محمولاً على الأجناس وهذا على أنواع العوالم، وعلى أي حال هذه الأخبار تدلّ على حدوث العالم لا على قدمه، كما توهّمه بعض القائلين به، إذ الزمان المعدود بالكثرة لا يصير غير متناه.

٤ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن سعيد بن محمّد، عن بكر بن سهل، عن عبد الغنيّ بن سعيد، عن موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عبّاس في قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف، وخلف البحار السبعة، لم يعصوا الله طرفة عين قطّ، ولم يعرفوا آدم ولا ولده، كلّ عالم منهم يزيد على ثلاثمائة وثلاثة عشر مثل آدم وما ولد، فذلك قوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4].

٥ - **قصص الراوندي:** بإسناده إلى الصدوق، عن أبيه ومحمّد بن الحسن بن الوليد معاً، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم وذرّيّته، فقال: نعم، قد كان في

---

(١) سورة ق، الآية: ١٥.
(٢) التوحيد، ص ٢٧٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٣٩.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٢ في تفسيره لسورة التكوير، الآية: ٢٩.

السموات والأرض خلق من خلق الله يقدّسون الله ويسبّحونه ويعظّمونه بالليل والنهار لا يفترون، فإنّ الله عزّوجلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السماوات، ثمّ خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله، فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدّسونه الليل والنهار، واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرئيل، ثمّ خلق عزّوجلّ في الأرض الجنّ روحانيّين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة، وحفظهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك، فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهنّ يقدّسون الله الليل والنهار لا يفترون، ثمّ خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون «نسناس» أشباه خلقهم، وليسوا بإنس، وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقدّسون الله الليل والنهار لا يفترون، قال: وكان الجنُّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلّمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم (الخبر)(١).

ثمّ إنّ طائفة من الجنّ والنسناس الّذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ تمرّدوا وعتوا عن أمر الله، فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحقّ، وعلا بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتّى سفكوا الدماء فيما بينهم، وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبيّة الله تعالى. قال: وأقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان الله وطاعته، وباينوا الطائفتين من الجنّ والنسناس الّذين عتوا عن أمر الله تعالى. قال: فحطّ الله أجنحة الطائفة من الجن الّذين عتوا عن أمر الله وتمرّدوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي. قال: وكانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجنّ تطير إلى السماء الليل والنهار على ما كانت عليه، وكان إبليس واسمه «الحارث» يظهر للملائكة أنّه من الطائفة المطيعة، ثمّ خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجنّ وعلى خلاف خلق النسناس، يدبّون كما يدبّ الهوامّ في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلهم ذكران ليس فيهم إناث، لم يجعل الله فيهم شهوة النساء، ولا حب الأولاد، ولا الحرص، ولا طول الأمل، ولا لذّة عيش، لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار وليسوا ببهائم ولا هوامّ، لباسهم ورق الشجر، وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار، ثمّ أراد الله أن يفرّقهم فرقتين، فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابرسا» طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ، وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء، ثمّ أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع إلى السماء، فأسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل «جابرسا» بموضع أهل

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٥-٣٧.

«جابلقا» ولا يعلم أهل «جابلقا» بموضع أهل «جابرسا» ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ والنسناس، فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجنّ والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها، ثمّ تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت، لأنّها تطلع من دون جابرسا، وتغرب من دون جابلقا.

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون؟ وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم؟ فقال: إنّهم يستضيئون بنور الله، فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس، ولا يرون أنّ الله تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب، ولا يعرفون شيئاً غيره. فقيل: يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال: لا يعرفون إبليس ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له، لم يكتسب أحد منهم قطّ خطيئة، ولم يقترف إثماً، لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة، يعبدون الله لا يفترون، الليل والنهار عندهم سواء.

وقال: إنّ الله أحب أن يخلق خلقاً، وذلك بعدما مضى للجنّ والنسناس سبعة آلاف سنة، فلمّا كان من خلق الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السماوات والأرضين كشط عن أطباق السماوات، ثمّ قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي؟ فاطّلعت الملائكة ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ أعظموا ذلك وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا: يا ربّنا أنت العزيز الجبّار القاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك كلّهم يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتّعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك! قال: فلمّا سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة، فيكون حجّتي على خلقي في أرضي. فقالت الملائكة: سبحانك ربّنا! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؟! فقال الله تعالى: يا ملائكتي إنّي أعلم ما لا تعلمون، إنّي أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من ذرّيّته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين، وأئمّة مهتدين، وأجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي، ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي، أجعلهم حجّة لي عذراً أو نذراً، وأنفي الشياطين من أرضي، وأطهّرها منهم، فأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض وفي الفيافي فلا يراهم خلقي، ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم وأنفر مردة الجنّ العصاة من نسل بريّتي وخلقي وخيرتي، فلا يجاورون خلقي وأجعل بين خلقي وبين الجانّ حجاباً فلا يرى خلقي شخص الجنّ، ولا يجالسونهم، ولا يشاربونهم، ولا يتهجّمون تهجّمهم، ومن عصاني من نسل خلقي الّذي عظّمته واصطفيته لغيبي أسكنهم مساكن

العصاة، وأوردهم موردهم ولا أبالي. فقالت الملائكة: لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم. فقال للملائكة: إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.

قال: وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه احتجاجاً منه عليهم وما كان الله ليغيّر ما بقوم إلّا بعد الحجّة عذراً أو نذراً، فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة بيمينه فصلصلها في كفّه فجمدت، فقال الله عزّوجلّ: منك أخلق[1].

إيضاح: «أشباه خلقهم» أي بالإنس، أو بعضهم ببعض، أو بالإضافة أي أشباه خلق الجنّ. «فمرحوا» بالحاء المهملة، يقال: مرح كفرح أي أشر وبطر واختال ونشط تبختراً، أو بالجيم والمرج - بالتحريك - الفساد والقلق والإختلاط والإضطراب والفعل كفرح أيضاً. «لا يلبسهم الليل» لعلّ المعنى أنّهم لم يكونوا يحتاجون في الليل إلى ستر، وفي النهار إلى غشاء وستر، أو أنّهم لمّا لم تطلع عليهم الشمس لا ليل عندهم ولا نهار ويظهر من هذا الخبر أنّ جابلقا وجابرسا خارجان من هذا العالم خلف السماء الرابعة بل السابعة على المشهور، وأهلهما صنف من الملائكة، أو شبيه بهم واختصر الراونديّ الخبر، وتمامه مرّ بسند آخر في المجلّد الخامس.

٦ - **البصائر:** عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير عن رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام يرفع الحديث إلى الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه قال: إنّ لله مدينتين: إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعين ألف ألف لغة، يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجّة غيري والحسين أخي[2].

ومنه: عن أحمد بن الحسين عن أبيه بهذا الإسناد مثله[3].

٧ - **ومنه:** عن محمّد بن المثنّى، عن أبيه، عن عثمان بن زيد، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] قال: فكنت مطرقاً إلى الأرض فرفع يده إلى فوق، ثمّ قال لي: إرفع رأسك فرفعت رأسي فنظرت إلى السقف قد انفجر، حتّى خلص بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه قال: ثمّ قال لي: رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا، قال لي: أطرق، فأطرقت، ثمّ قال لي: إرفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا السقف على حاله، قال: ثمّ أخذ

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٨-٤٠.

(٢) - (٣) بصائر الدرجات، ص ٣١٨ ج ٧ باب ١٢ ح ٤ و٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

بيدي وقام وأخرجني من البيت الّذي كنت فيه، وأدخلني بيتاً آخر، فخلع ثيابه الّتي كانت عليه ولبس ثياباً غيرها، ثمّ قال لي: غضّ بصرك، فغضضت بصري، و قال لي: لا تفتح عينك، فلبثت ساعة ثمّ قال لي: أتدري أين أنت؟ قلت: لا، جعلت فداك. فقال لي: في الظلمة الّتي سلكها ذوالقرنين. فقلت له: جلعت فداك، أتأذن لي أن أفتح عيني. فقال لي: إفتح، فإنّك لا ترى شيئاً. ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي، ثمّ سار قليلاً ووقف، فقال لي: هل تدري أين أنت؟ قلت: لا، قال: أنت واقف على عين الحياة الّتي شرب منها الخضر. وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر، فسلكنا فيه فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه ومساكنه وأهله، ثمّ خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأوّل والثاني، حتّى وردنا خمسة عوالم، قال: ثمّ قال: هذه ملكوت الأرض ولم يرها إبراهيم، وإنّما رأى ملكوت السماوات، وهي اثنا عشر عالماً كلّ عالم كهيئة ما رأيت كلّما مضى منّا إمام يسكن أحد هذه العوالم، حتّى يكون آخرهم القائم في عالمنا الّذي نحن ساكنوه. قال: ثمّ قال لي: غضّ بصرك، فغضضت بصري ثمّ أخذ بيدي، فإذا نحن في البيت الّذي خرجنا منه، فنزع تلك الثياب ولبس الثياب الّتي كانت عليه، وعدنا إلى مجلسنا. فقلت: جعلت فداك، كم مضى من النهار، قال: ثلاث ساعات[1].

بيان: «ولم يرها إبراهيم» أي كلّها، أو في وقت الإحتجاج على قومه ورآها بعداً، وكأنّ في قراءتهم عليهم السلام (والأرضَ) بالنصب.

٨ - **البصائر:** عن أحمد بن محمّد، عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ، عن محمّد بن عمّار، عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضّة، فركب وركبت معه حتّى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضّة، فدخلها ثمّ خرج فقال: رأيت الخيمة الّتي دخلتها أوّلاً، فقلت: نعم قال: تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله، والأخرى خيمة أمير المؤمنين عليه السلام والثالثة خيمة فاطمة، والرابعة خيمة خديجة، والخامسة خيمة الحسن، والسادسة خيمة الحسين، والسابعة خيمة عليّ بن الحسين، والثامنة خيمة أبي، والتاسعة خيمتي، وليس أحد منّا يموت إلّا وله خيمة يسكن فيها[2].

٩ - **ومنه:** عن عبد الله بن محمّد الحجّال، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي، عن محمّد ابن سنان، عن ابن مسكان، عن سدير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام يا أبا الفضل إنّي لأعرف رجلاً من المدينة أخذ قبل مطلع الشمس وقبل غروبها إلى الفئة الّتي قال الله ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ لمشاجرة كانت فيما بينهم فأصلح بينهم[3].

١٠ - **ومنه:** عن محمّد بن عبد الله، عن إسماعيل بن موسى، عن أبيه، عن جدّه، عن

(١) - (٢) بصائر الدرجات، ص ٣٧٥ ج ٨ باب ١٣ ح ٤-٥.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٣٧٠ ج ٨ باب ١٢ ح ٩.

عمّه عبد الصمد بن عليّ، قال: دخل رجل على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له عليّ بن الحسين: من أنت؟ قال: أنا منجّم، قال: فأنت عرّاف، قال: فنظر إليه ثمّ قال: هل أدلّك على رجل قدم مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك من مكانه؟! قال: من هو؟ قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وادّخرت في بيتك(١).

١١ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ لله بلدة خلف المغرب يقال لها «جابلقا» وفي جابلقا سبعون ألف أمّة ليس منها أمّة إلّا مثل هذه الأمّة، فما عصوا الله طرفة عين، فما يعملون عملاً ولا يقولون قولاً إلّا الدعاء على الأوّلين والبراءة منهما، والولاية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

١٢ - **ومنه:** عن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الجريريّ، عن أبي عمران الأرمنيّ، عن الحسين بن الجارود، عمّن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوؤها منها، فيها خلقٌ يعبدون الله لا يشركون به شيئاً يتبرّؤون من فلان وفلان(٣).

١٣ - **ومنه:** عن أحمد بن موسى، عن الحسين بن موسى الخشّاب، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحيم بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإنّ من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير، لا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، ألهموا إلهاماً لعنة فلان وفلان(٤).

١٤ - **ومنه:** عن سلمة بن الخطّاب، عن سليمان بن سماعة، وعبد الله بن محمّد، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة يرفعه إلى الحسن وأبي الجارود، وذكراه عن أبي سعيد الهمدانيّ، قال: قال الحسين بن عليّ عليه السلام إنّ لله مدينة في المشرق، ومدينة في المغرب، على كلّ واحد سور من حديد، في كلّ سور سبعون ألف مصراع، يدخل من كلّ مصراع سبعون ألف لغة آدميّ ليس منها لغة إلّا مخالف الأخرى، وما منها لغة إلّا وقد علمناها، وما فيهما وما بينهما ابن نبيّ غيري وغير أخي، وأنا الحجّة عليهم(٥).

١٥ - **ومنه:** عن أحمد بن الحسين، عن عليّ بن الزيّات، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء، فمن خضرتها اخضرّت السّماء. قال: قلت: وما النطاق؟ قال: الحجاب، ولله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الإنس والجنّ وكلّهم يلعن فلاناً وفلاناً(٦).

بيان: لعلّ المراد بالنطاق الجبال المحسوسة لنا، وبالزبرجدة جبل قاف، أو المراد

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٧٢ ج ٨ باب ١٢ ح ١٣.

(٢) - (٦) بصائر الدرجات، ص ٤٤٨ ج ١٠ باب ١٤ ح ١-٢ و٣ و٥ و٧.

بالنطاق ذلك الجبل، والزبرجدة خلفه، ويحتمل على بعد السماء. قال في النهاية: في حديث العبّاس يمدح النبيّ صلى الله عليه وآله:

حتّى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

النطق جمع «نطاق» وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض، أي نواحٍ وأوساط منها شبّهت بالنطق الّتي تشدّ بها أوساط الناس (انتهى) وفي بعض الكتب «النطاف» بالفاء جمع «نطفة» وهي الماء الصافي، أي خلف البحار، فتفسيرها بالحجاب لأنّها موانع من الوصول إلى ما وراءها، لكنّه بعيد.

أقول: أوردنا أخباراً كثيرة من هذا الباب في كتاب الحجّة في باب أنّهم الحجّة على جميع العوالم.

١٦ - **جامع الأخبار:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى سأل ربّه عزّ وجلّ أن يعرّفه بدء الدُّنيا منذ كم خلقت، فأوحى الله تعالى إلى موسى: تسألني عن غوامض علمي؟ فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك. فقال: يا موسى! خلقت الدنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرّات، وكانت خراباً خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها خلقاً على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام، ثمّ أمتّهم كلّهم في ساعة واحدة، ثمّ خربت الدنيا خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام لا شيء مجاجاً من الدنيا يشرب منه، ثمّ خلقت دابّة وسلّطتها على ذلك البحر فشربه بنفس واحد، ثمّ خلقت خلقاً أصغر من الزنبور وأكبر من البقّ، فسلّطت ذلك الخلق على هذه الدابّة فلدغها وقتلها، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها فمكثت خمسين ألف سنة، ثمّ جعلت الدنيا كلّها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلّطتها عليها، فأكلتها حتّى لم يبق منها شيء، ثمّ أهلكتها في ساعة واحدة، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثمّ خلقت ثلاثين آدم ثلاثين ألف سنة من آدم إلى آدم ألف سنة، فأفنيتهم كلّهم بقضائي وقدري، ثمّ خلقت فيها خمسين ألف ألف مدينة من الفضّة البيضاء، وخلقت في كلّ مدينة مائة ألف ألف قصر من الذهب الأحمر، فملأت المدن خردلاً عند الهواء يومئذٍ ألذّ من الشهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج، ثمّ خلقت طيراً واحداً أعمى، وجعلت طعامه في كلّ ألف سنة حبّة من الخردل أكلها حتّى فنيت، ثمّ خربتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام ثمّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام، ثمّ خلقت أباك آدم عليه السلام بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم أخلق من الطين غيره وأخرجت من صلبه النبيّ محمّداً[1].

---

(١) جامع الأخبار، ص ٣٤٥.

بيان: هذه من روايات المخالفين، أوردها صاحب الجامع فأوردتها ولم أعتمد عليها.

١٧ - **كتاب منتخب البصائر وكتاب المحتضر:** عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ومحمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن القاسم بن بريد، عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ميراث العلم ما مبلغه؟ أجوامع ما هو من هذا العلم أم تفسير كلّ شيء من هذه الأمور الّتي تتكلّم فيها؟ فقال: إنّ لله عزّ وجلّ مدينتين: مدينة بالمشرق، ومدينة بالمغرب، فيهما قوم لا يعرفون إبليس ولا يعلمون بخلق إبليس، نلقاهم في كلّ حين فيسألونا عمّا يحتاجون إليه ويسألونا عن الدعاء فنعلّمهم ويسألونا عن قائمنا متى يظهر؟ وفيهم عبادة واجتهاد شديد، ولمدينتهم أبو اب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ، لهم تقديس وتمجيد ودعاء واجتهاد شديد، لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم! يصلّي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجدته، طعامهم التسبيح، ولباسهم الورق، ووجوههم مشرقة بالنور، إذا رأوا منّا واحداً لحسوه[1]، واجتمعوا إليه، وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به، لهم دويّ إذا صلّوا كأشدّ من دويّ الريح العاصف، منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمنا، يدعون الله عزّ وجلّ أن يريهم إيّاه، وعمر أحدهم ألف سنة، إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، إذا احتبسنا عنهم ظنّوا أنّ ذلك من سخط، يتعاهدون أوقاتنا الّتي نأتيهم فيها، لا يسأمون ولا يفترون، يتلون كتاب الله عزّ وجلّ كما علّمناهم، وإنّ فيما نعلّمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولأنكروه! يسألونا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يستمعون منّا وسألوا لنا طول البقاء وأن لا يفقدونا، ويعلمون أنّ المنّة من الله عليهم فيما نعلّمهم عظيمة ولهم خرجة مع الإمام إذا قام يسبقون فيها أصحاب السلاح ويدعون الله عزّ وجلّ أن يجعلهم ممّن ينتصر بهم لدينه، فيهم كهول وشبّان، إذا رأى شابّ منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتّى يأمره، لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا عليه أبداً حتّى يكون هو الّذي يأمرهم بغيره، لو أنّهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة، لا يختل فيهم الحديد، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد، لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتّى يفصله، ويغزو بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والكرد والروم وبربر وفارس، وبين جابرسا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون على أهل دين إلّا دعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وإلى الإسلام والإقرار بمحمّد صلى الله عليه وآله والتوحيد وولايتنا أهل البيت، فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه وأمّروا عليه أميراً منهم، ومن لم يجب ولم يقرّ بمحمّد صلى الله عليه وآله ولم يقرّ بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتّى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلّا آمن[2].

(١) في المصدر: احتوشوه.

(٢) منتخب البصائر، ص ١٠.

١٨ - **البصائر للصفّار:** عن أحمد بن محمّد بن الحسين، عن أحمد بن إبراهيم، عن عمّار، عن إبراهيم بن الحسين عن بسطام، عن عبد الله بن بكير، عن عمر بن يزيد، عن هشام الجواليقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله مدينة خلف البحر، سعتها مسيرة أربعين يوماً للشمس، فيها قوم لم يعصوا الله قطّ، ولا يعرفون إبليس (إلى آخر الخبر)[1].

بيان: كأنّ حديث محمّد بن مسلم حديثان، سقط من الراوي أو الناسخ آخر الأوّل وأوّل الثاني، وآخر الأوّل ما تقدّم بهذا السند في كتاب الإمامة، حيث قال: من هذه الأمور الّتي يتكلّم فيها الناس من الطلاق والفرائض. فقال: إنّ عليّاً عليه السلام كتب: العلم كلّه القضاء والفرائض، فلو ظهر أمرنا فلم يكن شيء إلّا وفيه سنّة نمضيها. وصدر الثاني ما ذكرناه برواية الصفّار.

واللحس: أخذ الشيء باللسان، ولعلّ المراد به هنا بيان اهتمامهم في أخذ العلم، كأنّهم يريدون أن يأخذوا جميع علمه، كما أنّ من يلحس القصعة يأخذ جميع ما فيها، وفي بعض النسخ «الحبسوه» أي للاستفادة. قوله «لا يختل فيهم الحديد» أي لا ينفذ، إمّا افتعال من قولهم «اختله بالرمح» أي نفذه وانتظمه وتخلّله به طعنة إثر أخرى، أو من الختل بمعنى الخديعة مجازاً، وفي بعض النسخ «لا يحتك» من الحكّ أي لا يعمل فيهم شيئاً قليلاً، وفي بعضها «لا يحيك» بالياء من حاك السيف أي أثر وهو أظهر، والمراد بالجبل هو المحيط بالدنيا.

١٩ - **منتخب البصائر:** عن سعد، عن الحسين بن عبد الصمد، عن الحسن بن عليّ، عن ابن أبي عمير، عن أبي الهيثم خالد الأرمنيّ، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله عزّ وجلّ مدينة بالمشرق اسمها «جابلقا» لها اثنا عشر ألف باب من ذهب، بين كلّ باب إلى صاحبه مسيرة فرسخ، على كلّ باب برج فيه اثنا عشر ألف مقاتل، يهلبون الخيل، ويشحذون السيوف والسلاح، ينتظرون قيام قائمنا، وإنّ لله عزّ وجلّ بالمغرب مدينة يقال لها «جابرسا» لها اثنا عشر ألف باب من ذهب بين كلّ باب إلى صاحبه مسيرة فرسخ، على كلّ باب برج فيه اثنا عشر ألف مقاتل، يهلبون الخيل، ويشحذون السلاح والسيوف، ينتظرون قائمنا، وأنا الحجّة عليهم[2].

بيان: الهلب - بالضمّ -: ما غلظ من شعر أو شعر الذنب، وهلبه نتف هلبه كهلّبه ويقال: شحذ السكّين - كمنع - أي أحدّها كأشحذها.

٢٠ - **الكافي:** عن الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن العبّاس بن العلا، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق،

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٤٨ ج ١٠ باب ١٤ ح ٤.
(٢) مختصر البصائر، ص ١٣.

فقال: خلق الله ألفاً ومأتين في البر، وألفاً ومأتين في البحر، وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج(١).

٢١ - **ومنه**: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة: قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر إلى السماء فقال: يا أبا حمزة، هذه قبّة أبينا آدم عليه السلام وإنّ لله عزّ وجلّ سواها تسعة وثلاثين قبّة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين(٢).

٢٢- **ومنه**: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن عجلان بن صالح قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: جعلت فداك، هذه قبّة آدم؟ قال: نعم. ولله قباب كثيرة، ألا إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره، لم يعصوا الله عزّ وجلّ طرفة عين ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق، يبرءون من فلان وفلان(٣).

٢٣ - **الخرائج**: بإسناده عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن زكريّا المؤمن، عن حسّان الجمّال، عن أبي داود السبيعيّ، عن بريدة الأسلميّ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا عليّ، إنّ الله أشهدك معي سبعة مواطن، فذكرها حتّى الموطن الثاني فقال: أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السّماء، فقال: أين أخوك؟ فقلت: أودعته خلفي. فقال: ادع الله أن يأتيك به، فدعوت الله فإذا أنت معي وكشط لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك فيها، فلم أر من ذلك شيئاً إلّا وقد رأيته [كما رأيته](٤).

٢٤ - **أقول**: روى البرسيّ في «مشارق الأنوار» عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً وعليّاً والطيّبين من ذرّيّتهما من نور عظمته وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات، ثمّ قال: أتظنّ أنّ الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله! لقد خلق الله ألف ألف آدم، وألف ألف عالم، وأنت والله في آخر تلك العوالم(٥).

٢٥ - وروى من كتاب الواحدة عن الصادق عليه السلام أنّ لله مدينتين: إحداهما بالمغرب، والأخرى بالمشرق، يقال لهما جابلقا وجابرسا، طول كلّ مدينة منهما اثنا عشر ألف فرسخ، في كلّ فرسخ باب، يدخلون في كلّ [يوم من كلّ] باب سبعون ألفاً، ويخرج منها مثل ذلك، ولا

---

(١) روضة الكافي، ح ٢٧٤.

(٢) - (٣) روضة الكافي، ح ٣٠٠-٣٠١. وفي الجعفريّات ص ٢٤٢ بسنده الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال لله تبارك وتعالى إحدى وثلاثين قبّة منها واحدة انتم فيها وثلاثون قبّة انتم لا تعلمون بها، فذلك قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [مستدرك السفينة ج ٨ لغة «قبب»].

(٤) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٦٨ ح ٨٥. (٥) مشارق أنوار اليقين، ص ٦٣

يعودون إلى يوم القيامة، لا يعلمون أنّ الله خلق آدم، ولا إبليس، ولا شمس، ولا قمر، هم والله أطوع لنا منكم، يأتونا بالفاكهة في غير أوانها، موكّلين بلعنة فرعون وهامان وقارون[١].

٢٦ - وروى عن ابن عبّاس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ من وراء قاف عالماً لا يصل إليه أحد غيري، وأنا المحيط بما وراءه، وعلمي به كعلمي بدنياكم هذه، وأنا الحفيظ الشهيد عليها، ولو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسماوات السبع والأرضين في أقلّ من طرفة عين لفعلت لما عندي من الإسم الأعظم، وأنا الآية العظمى، والمعجز الباهر[٢].

٢٧ - وروى أيضاً قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم: آه لو أجد له حملة! قال: فقام إليه رجل في عنقه كتاب فقال رافعاً صوته: أيّها المدّعي ما لا يعلم والمتقلّد ما لا يفهم! إنّي سائلك فأجب. قال: فوثب إليه أصحاب عليّ عليه السلام ليقتلوه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، لأنّ حجج الله لا تقوم بالطيش، ولا بالباطل تظهر براهين الله، ثمّ التفت إلى الرجل وقال: سل بكلّ لسانك فإنّي مجيب إن شاء الله.

فقال: كم بين المشرق والمغرب! فقال: مسافة الهواء، قال: فكم مسافة الهواء قال: دوران الفلك قال: ما دوران الفلك؟ قال: مسيرة يوم للشمس قال الرجل: صدقت، فمتى القيامة؟ قال: عند حضور المنيّة وبلوغ الأجل. قال: صدقت، فكم عمر الدنيا؟ قال: يقال سبعة آلاف ثمّ لا تحديد. قال: صدقت، فأين مكّة من بكّة؟ قال: مكّة أكناف الحرم، وبكّة مكان البيت. قال: ولم سمّيت مكّة مكّة، قال: لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها أي دحاها، قال: فلم سمّيت بكّة؟ قال: لأنّها بكّت عيون الجبّارين والمذنبين. قال: صدقت، قال: وأين كان الله قبل خلق عرشه؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سبحان من لا يدرك كنه صفته حملة عرشه على قرب زمراتهم من كراسيّ كرامته. ولا الملائكة المقرّبون من أنوار سبحات جلاله! ويحك لا يقال لم، ولا كيف، ولا أين، ولا متى، ولا بم، ولا ممّ، ولا حيث، ولا أنّى. فقال الرجل: صدقت، فكم مقدار ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء فقال: أتحسن أن تحسب؟ فقال: نعم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام أفرأيت لو صبّ في الأرض خردل حتّى سدّ الهواء وملأ ما بين الأرض والسماء، ثمّ أذن لك على ضعفك أن تنقله حبّة حبّة من المشرق إلى المغرب ثمّ مدّ لك في العمر حتّى نقلته وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء، وإنّما وصفت لك جزءاً من عشر عشير من جزء من مائة ألف جزء، وأستغفر الله من التقليل في التحديد! قال: فحرّك الرجل رأسه وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله[٣].

٢٨ - **المحتضر:** بإسناده قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سلوني فإنّي لا أسأل

---

(١) - (٢) مشارق أنوار اليقين، ص ٦٥-٦٦. (٣) مشارق أنوار اليقين، ص ١٣٠-١٣١.

عن شيء دون العرش إلّا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلّا جاهل مدّعٍ أو كذّاب مفترٍ، فقام رجل، ثمّ ذكر نحوه[١].

٢٩ - **وقال البرسي:** روى الرازيّ في كتابه المسمّى بمفاتيح الغيب قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أسري بي إلى السّماء رأيت في السماء السابعة ميادين كميادين أرضكم هذه، ورأيت أفواجاً من الملائكة يطيرون لا يقف هؤلاء لهؤلاء ولا هؤلاء لهؤلاء قال: فقلت لجبرئيل: من هؤلاء؟ فقال: لا أعلم، فقلت: من أين جاؤوا؟ فقال: لا أعلم. فقلت: وأين يمضون؟ فقال: لا أعلم، فقلت: سلهم، فقال: لا أقدر، ولكن سلهم أنت يا حبيب الله، قال: فاعترضت ملكاً منهم، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: كيكائيل، فقلت: من أين أتيت؟ فقال: لا أعلم، فقلت: وأين تمضي؟ فقال: لا أعلم فقلت: وكم لك في السير؟ فقال: لا أعلم، غير أنّي يا حبيب الله أعلم أنّ الله سبحانه يخلق في كلّ ألف سنة كوكباً، وقد رأيت ستة آلاف كوكب خلقن وأنا في السير[٢].

٣٠- **النجوم:** قال: ذكر محمّد بن عليّ مؤلّف كتاب «الأنبياء والأوصياء»: روي أنّ رجلاً أتى عليّ بن الحسين عليه السلام وعنده أصحابه فقال له: ممّن الرجل؟ قال: أنا منجّم قائف عرّاف، فنظر إليه ثمّ قال: هل أدلّك على رجل قد مرّ منذ يوم دخلت علينا في أربعة آلاف عالم، قال: من هو؟ قال: أمّا الرجل فلا أذكره ولكن إن شئت أخبرتك بما أكلت وادّخرت في بيتك، قال: نبّئني، قال: أكلت في هذا اليوم حيساً، فأمّا في بيتك فعشرون ديناراً منها ثلاثة دنانير وازنة، فقال له الرجل: أشهد أنّك الحجّة العظمى والمثل الأعلى وكلمة التقوى. فقال له: وأنت صدّيق امتحن الله قلبك بالإيمان فاثبت[٣].

بيان: أراد بالرجل نفسه عليه السلام و«الحيس» تمر ينزع نواه ويدقّ مع أقط ويعجنان بالسمن ثمّ يدلك باليد حتّى يبقى كالثريد والوازنة: الكاملة الوزن، أو الصحيحة الوزن الّتي توزن بها غيرها. قال في المصباح المنير: وزن الشيء نفسه ثقل فهو وازن.

٣١ - **أقول:** وجدت في كتاب من كتب قدماء الأصحاب في نوادر المعجزات بإسناده إلى الصدوق، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن زكريّا، عن أبي المعافا، عن وكيع، عن زاذان عن سلمان، قال: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام ونحن نذكر شيئاً من معجزات الأنبياء، فقلت له: يا سيّدي أحبّ أن تريني ناقة ثمود وشيئاً من معجزاتك. قال: أفعل ثمّ وثب فدخل منزله وخرج إليّ وتحته فرس أدهم، وعليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء، ونادى: يا قنبر أخرج إليّ ذلك الفرس فأخرج فرساً أغرّ أدهم، فقال لي إركب يا أبا عبد الله، قال

---

(١) المحتضر، ص ٨٨.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص ١٣١.

(٣) فرج المهموم، ص ١١١.

سلمان: فركبته فإذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه، فصاح به الإمام فتحلّق في الهواء، وكنت أسمع حفيف أجنحة الملائكة تحت العرش، ثمّ خطرنا على ساحل بحر عجاج، مغطمط الأمواج، فنظر إليه الإمام شزراً، فسكن البحر، فقلت: يا سيّدي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه، فقال: يا سلمان، حسبني أنّي آمر فيه بأمر، ثمّ قبض على يدي وسار على وجه الماء، والفرسان يتبعاننا لا يقودهما أحد، فوالله ما ابتلت أقدامنا ولا حوافر الخيل، فعبرنا ذلك البحر، ووقعنا إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأطيار والأنهار، وإذا شجرة عظيمة بلا ثمر بل ورد وزهر، فهزّها بقضيب كان في يده فانشقّت وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعاً وعرضها أربعون ذراعاً خلفها فصيل، فقال لي: ادن منها واشرب من لبنها، فدنوت وشربت حتّى رويت، وكان أعذب من الشهد، وألين من الزبد، وقد اكتفيت. قال: هذا حسن؟ قلت: حسن يا سيّدي، قال: تريد أن أريك أحسن منها؟ فقلت: نعم يا سيّدي، قال: يا سلمان ناد «اخرجي يا حسناء» فناديت، فخرجت ناقة طولها مائة وعشرون ذراعاً وعرضها ستّون ذراعاً من الياقوت الأحمر وزمامها من الياقوت الأصفر، وجنبها الأيمن من الذهب، وجنبها الأيسر من الفضّة، وضرعها من اللؤلؤ الرطب، فقال: يا سلمان إشرب من لبنها، قال سلمان: فالتقمت الضرع فإذا هي تحلب عسلاً صافياً محضاً فقلت: يا سيّدي هذه لمن؟ قال هذه لك ولسائر الشيعة من أوليائي. ثمّ قال لها: ارجعي فرجعت من الوقت وسار بي في تلك الجزيرة حتّى ورد بي إلى شجرة عظيمة وفي أصلها مائدة عظيمة عليها طعام تفوح منه رائحة المسك، وإذا بطائر في صورة النسر العظيم، قال: فوثب ذلك الطير فسلّم عليه ورجع إلى موضعه، فقلت: يا سيّدي ما هذه المائدة؟ قال هذه مائدة منصوبة في هذا الموضع للشيعة من مواليّ إلى يوم القيامة. فقلت: ما هذا الطائر؟ فقال: ملك موكّل بها، فقلت: وحده يا سيّدي فقال: يجتاز به الخضر في كلّ يوم مرّة.

ثمّ قبض على يدي فسار بي إلى بحر ثان، فعبرنا وإذا بجزيرة عظيمة فيها قصر لبنة من الذّهب، ولبنة من الفضّة البيضاء، وشرفه العقيق الأصفر وعلى كلّ ركن من القصر سبعون صنفاً من الملائكة فجلس الإمام على ذلك الركن وأقبلت الملائكة تأتي وتسلّم عليه، ثمّ أذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم، قال سلمان: ثمّ دخل عليه السلام إلى القصر، فإذا فيه أشجار وأنهار وأطيار وألوان النبات، فجعل الإمام يمشي فيه حتّى وصل إلى آخره، فوقف على بركة كانت في البستان، ثمّ صعد إلى سطحه، فإذا كراسيّ من الذهب الأحمر، فجلس عليه وأشرفنا منه، فإذا بحر أسود يغطمط بأمواجه كالجبال الراسيات، فنظر إليه شزراً فسكن من غليانه، حتّى كان كالمذنب فقلت: يا سيّدي سكن البحر من غليانه لمّا نظرت إليه، قال: حسبني أنّي آمر فيه بأمر، أتدري يا سلمان أيّ بحر هذا؟ فقلت: لا يا سيّدي. فقال: هذا البحر الّذي غرق فيه فرعون وقومه، إنّ المدينة حملت على معاقل جناح جبرئيل، ثمّ رمى بها في هذا البحر، فهويت لا تبلغ قراره إلى يوم القيامة. فقلت: يا سيّدي هل سرنا فرسخين؟ فقال: يا سلمان

لقد سرت خمسين ألف فرسخ، ودرت حول الدنيا عشرين مرّة! فقلت: يا سيّدي فكيف هذا؟ فقال: يا سلمان، إذا كان ذوالقرنين طاف شرقها وغربها ويلغ إلى سدّ يأجوج ومأجوج فأنّى يتعذّر عليّ وأنا أخو سيّد المرسلين وأمين ربّ العالمين، وحجّته على خلقه أجمعين. يا سلمان، أما قرأت قول الله تعالى حيث قال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؟ فقلت: بلى يا سيّدي. فقال: يا سلمان، أنا المرتضى من الرسول الّذي أظهره على غيبه، أنا العالم الربّانيّ، أنا الّذي هوّن الله عليّ الشدائد وطوى لي البعيد. قال سلمان: فسمعت صائحاً يصيح في السّماء نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول: صدقت صدقت، أنت الصادق المصدّق، ثمّ وثب فركب الفرس وركبت معه وصاح به فتحلّق في الهواء، ثمّ حضرنا بأرض الكوفة هذا وما مضى من الليل ثلاث ساعات! فقال: يا سلمان، الويل ثمّ الويل على من لا يعرفنا حقّ معرفتنا وأنكر ولايتنا! يا سلمان أيّما أفضل محمّد أم سليمان بن داود؟ قلت: بل محمّد. فقال: يا سلمان، فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين وعنده علم الكتاب، ولا أفعل ذلك وعندي علم مأة ألف كتاب وأربعة وعشرين ألف كتاب أنزل منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، والتوراة والإنجيل والزبور؟ فقلت: صدقت يا سيّدي. قال الإمام عليه السلام: إعلم يا سلمان أنّ الشاكّ في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله عزّ وجلّ ولايتنا في كتابه، وبيّن فيه ما أوجب العمل به وهو غير مكشوف[1].

بيان: قال في النهاية: كان يخطر في مشيته أي يتمايل ويمشي مشية المعجب - انتهى - والغطمطة: اضطراب أمواج البحر، والشزر: نظر الغضبان بمؤخّر العين.

وأقول: الخبر في غاية الغرابة، ولا أعتمد عليه لعدم كونه مأخوذاً من أصل معتبر، وإن نسب إلى الصدوق رحمه الله.

٣٢ - **البصائر:** عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن أبان الكلبيّ، عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن، فقال أبو عبد الله: يا يمانيّ أفيكم علماء؟ قال: نعم، قال: فأيّ شيء يبلغ من علم علمائكم؟ قال: إنّه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفوا الآثار! فقال له: فعالم المدينة أعلم من عالمكم. قال: فأيّ شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة؟ قال: إنّه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس إذا أمرت، إنّها اليوم غير مأمورة، ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً، واثني عشر قمراً، واثني عشر مشرقاً، واثني عشر مغرباً، واثني عشر برّاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً، قال: فما بقي في يدي

(١) نوادر المعجزات، ص ١٥.

اليماني، فما درى ما يقول، وكفّ أبو عبد الله عليه السلام [(١)].

بيان: لعلّ المراد بسير اليمانيّ مسيرة شهرين الحكم بحسب النجوم في ليلة واحدة على قدر مسيرة شهرين من البلاد وأهلها، ويؤيّده أنّ في الإحتجاج هكذا «إنّ عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر، في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحثّ» ولعلّ المراد بقفو الأثر الحكم بأوضاع النجوم وحركاتها وبزجر الطير ما كان بين العرب من الإستدلال بحركات الطيور وأصواتها على الحوادث.

٣٢ - **البصائر:** عن الحسين بن أحمد، عن سلمة، عن الحسن بن عليّ بن بقّاح، عن ابن جبلة، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقال لي حوض ما بين بُصرى إلى صنعاء، أتحبّ أن تراه؟ قلت: نعم، جعلت فداك. قال: فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة، ثمّ ضرب برجله فنظرت إلى نهر يجري لا يدرك حافتاه إلّا الموضع الّذي أنا فيه قائم، فإنّه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفاً فنظرت إلى نهر يجري جانبه ماء أبيض من الثلج، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء، فقلت له: جعلت فداك، من أين يخرج هذا وما مجراه؟ فقال: هذه العيون الّتي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنّة: عين من ماء، وعين من لبن، وعين من خمر، تجري في هذا النهر، ورأيت حافّته عليها شجر فيهنّ حور معلّقات، برؤوسهنّ شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهنّ، وبأيديهنّ آنية ما رأيت آنية أحسن منها، ليست من آنية الدنيا، فدنا من إحداهنّ فأومأ بيده لتسقيه، فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها، فاغترفت فمالت الشجرة معها، ثمّ ناولته فناولني فشربت، فما رأيت شراباً كان ألين منه ولا ألذّ منه، وكانت رائحته رائحة المسك، فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب، فقلت له: جعلت فداك، ما رأيت كاليوم قطّ ولا كنت أرى أن الأمر هكذا! فقال لي، هذا أقلّ ما أعدّه الله لشيعتنا، إنّ المؤمن إذا توفّي صارت روحه إلى هذا النهر، ورعت في رياضه، وشربت من شرابه، وإنّ عدوّنا إذا توفّي صارت روحه إلى وادي «برهوت» فأُخلدت في عذابه، وأطعمت من زقّومه، وأُسقيت من حميمه، فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي [(٢)].

٣٤ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن أبي خالد وأبي سلام، عن سورة، عن أبي جعفر عليه السلام قال أما إنّ ذا القرنين قد خيّر بين السحابين فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب. قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٧٢ ج ٨ باب ١٢ ح ١٤.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٧٤ ج ٨ باب ١٣ ح ٣.

والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرابان(١).

٣٥ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ عليّاً عليه السلام ملك ما في الأرض وما تحتها، فعرضت له السحابان: الصعب، والذلول، فاختار الصعب، وكان في الصعب ملك ما تحت الأرض، وفي الذلول ملك ما فوق الأرض، واختار الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين، فوجد ثلاث خراب وأربع عوامر(٢).

٣٦ - من بعض مؤلّفات القدماء عن القاضي أبي الحسن الطبريّ، عن سعيد بن يونس المقدّسيّ، عن المبارك، عن خالص بن أبي سعيد، عن وهب الجمّال، عن عبد المنعم بن سلمة، عن وهب الراشدي عن يونس بن ميسرة، عن الشيخ المعتمر الرقيّ، رفعه إلى أبي جعفر ميثم التمّار قال: كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل غلام وجلس في وسط المسلمين فلمّا فرغ من الأحكام، نهض إليه الغلام، وقال: يا أبا تراب! أنا إليك رسول، جئتك برسالة تزعزع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوّله إلى آخره، وعلم علم القضايا والأحكام، وهو أبلغ منك في الكلام، وأحقّ منك بهذا المقام، فاستعدّ للجواب، ولا تزخرف المقال! فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام وقال لعمّار إركب جملك وطف في قبائل الكوفة وقل لهم: أجيبوا عليّاً ليعرفوا الحقّ من الباطل والحلال والحرام، والصحّة والسقم. فركب عمّار فما كان إلّا هنيئة حتّى رأيت العرب كما قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(٣) فضاق جامع الكوفة وتكاثف الناس تكاثف الجراد على الزرع الغضّ في أوانه، ونهض العالم الأروع، والبطل الأنزع، ورقي في المنبر مراقي ثمّ تنحنح فسكت جميع من في الجامع، فقال: رحم الله من سمع فوعى، أيّها الناس من يزعم أنّه أمير المؤمنين؟ والله لا يكون الإمام إماماً حتّى يحيي الموتى، أو ينزل من السماء مطراً أو يأتي بما يشاكل ذلك ممّا يعجز عنه غيره وفيكم من يعلم أنّي الآية الباقية، والكلمة التامّة، والحجّة البالغة، ولقد أرسل إليّ معاوية جاهلاً من جاهليّة العرب عجرف في مقاله، وأنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحناً، ونسفت الأرض من تحته نسفاً، وخسفتها عليه خسفاً، إلّا أنّ احتمال الجاهل صدقة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وأشار بيده إلى الجوّ فدمدم، وأقبلت غمامة وعلت سحابة، وسمعنا منها نداءً يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ويا سيّد الوصيّين، ويا إمام المتّقين، ويا غياث المستغيثين، ويا كنز المساكين، ومعدن الراغبين وأشار إلى السحابة فدنت! قال ميثم: فرأيت الناس كلّهم قد أخذتهم السكرة، فرفع رجله وركب السحابة وقال

(١) - (٢) بصائر الدرجات، ص ٣٧٩ ج ٨ باب ١٥ ح ٣ و٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٣.

لعمّار: إركب معي وقل ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فركب عمّار وغابا عن أعيننا، فلمّا كان بعد ساعة أقبلت سحابة حتّى أظلّت جامع الكوفة، فالتفتّ فإذا مولاي جالس على دكّة القضاء، وعمّار بين يديه، والناس حافّون به ثمّ قام وصعد المنبر وأخذ بالخطبة المعروفة بالشقشقيّة. فلمّا فرغ اضطرب الناس، وقالوا فيه أقاويل مختلفة. فمنهم من زاده الله إيماناً ويقيناً، ومنهم من زاده كفراً وطغياناً.

قال عمّار: قد طارت بنا السحابة في الجو، فما كان (إلّا) هنيئة حتّى أشرفنا على بلد كبير حواليها أشجار وأنهار، فنزلت بنا السحابة وإذا نحن في مدينة كبيرة، والناس يتكلّمون بكلام غير العربيّة، فاجتمعوا عليه ولاذوا به، فوعظهم وأنذرهم بمثل كلامهم، ثمّ قال: يا عمّار إركب ففعلت ما أمرني، فأدركنا جامع الكوفة ثمّ قال لي: يا عمّار تعرف البلدة الّتي كنت فيها. قلت الله أعلم ورسوله ووليّه، قال: كنّا في الجزيرة السابعة من الصين أخطب كما رأيتني، إنّ الله تبارك وتعالى أرسل رسوله إلى كافّة النّاس، وعليه أن يدعوهم ويهدي المؤمنين منهم إلى الصراط المستقيم واشكر ما أوليتك من نعمة، واكتم من غير أهله، فإنّ لله تعالى ألطافاً خفيّة في خلقه، لا يعلمها إلّا هو ومن ارتضى من رسول، ثمّ قالوا: أعطاك الله هذه القدرة الباهرة وأنت تستنهض الناس لقتال معاوية؟ فقال: إنّ الله تعبّدهم بمجاهدة الكفّار والمنافقين، والناكثين، والقاسطين، والمارقين، والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة، وضربت بها صدر معاوية بالشام، وأجذب بها من شاربه - أو قال من لحيته - فمدّ يده وردّها وفيها شعرات كثيرة، فتعجّبوا من ذلك.

ثمّ وصل الخبر بعد مدّة أنّ معاوية سقط من سريره في اليوم الّذي كان عليه السلام مدَّ يده وغشي عليه، ثمّ أفاق وافتقد من شاربه ولحيته شعرات[1].

بيان: «الأروع» من الرجال الّذي يعجبك حسنه، «والعجرفة» الخرق وقلّة المبالاة، ويقال «دمدم عليه» أي كلّمه مغضباً.

٣٧ - كتاب الحسين بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تقول الجنّة: يا ربّ ملأت النار كما وعدتها فاملأني كما وعدتني. قال: فيخلق الله خلقاً يومئذ فيدخلهم الجنّة، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام طوبى لهم! لم يروا أهوال الدنيا ولا غمومها.

٣٨ - **الدر المنثور:** عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ الآية، قال: بلغني أنّ بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرّأ سبط منهم ممّا صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه، حتّى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمين، يستقبلون قبلتنا.

قال ابن جريج: قال ابن عبّاس: فذلك قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا

(١) نوادر المعجزات، ص ٤٤-٤٧.

جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[(١)] ووعد الآخرة عيسى بن مريم. قال ابن عبّاس: ساروا في السرب سنة ونصفاً[(٢)].

٣٩ - وعن مقاتل قال: إنّ ممّا فضّل الله به محمّداً ﷺ أنّه عاين ليلة المعراج قوم موسى الّذين من وراء الصين، وذلك أنّ بني إسرائيل حين عملوا بالمعاصي وقتلوا الّذين يأمرون بالقسط من الناس دعوا ربّهم وهم بالأرض المقدّسة، فقالوا: اللّهمّ أخرجنا من بين أظهرهم، فاستجاب لهم فجعل سرباً في الأرض، فدخلوا فيه وجعل معهم نهراً يجري، وجعل لهم مصباحاً من نور من بين أيديهم، فساروا فيه سنة ونصفاً، وذلك من بيت المقدس إلى مجلسهم الّذي هم فيه، فأخرجهم الله إلى أرض تجتمع فيها الهوامّ والبهائم والسباع مختلطين بها ليست فيها ذنوب ولا معاصٍ فأتاهم النبيّ ﷺ تلك الليلة، ومعه جبرئيل فآمنوا به وصدّقوه، وعلّمهم الصلاة وقالوا: إنّ موسى قد بشّرهم به[(٣)].

٤٠ - وعن السدّيّ في قوله ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قال: بينكم وبينهم نهر من سهل - يعني من رمل - يجري[(٤)].

٤١ - وعن صفوان بن عمرو، قال: هم الّذين قال الله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني سبطاً من أسباط بني إسرائيل يوم الملحمة العظمى، ينصرون الإسلام وأهله[(٥)].

٤٢ - وعن الشعبيّ قال: إنّ لله عباداً من وراء الأندلس لا يرون أنّ الله عصاه مخلوق. رضراضهم الدرّ والياقوت، وجبالهم الذهب والفضّة، لا يزرعون ولا يحصدون، ولا يعملون عملاً، لهم شجر على أبو ابهم لها أوراق عراض هي لبوسهم ولهم شجر على أبو ابهم لها ثمر فمنها يأكلون[(٦)].

٤٣ - وعن بعض أئمّة الكوفة قال: قام ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فقصد نحوهم فسكتوا، فقال: ما كنتم تقولون؟ قالوا: نظرنا إلى الشمس، فتفكّرنا فيها من أين تجيء وأين تذهب، وتفكّرنا في خلق الله. فقال: كذلك فافعلوا، تفكّروا في خلق الله، ولا تفكّروا في الله، فإنّ لله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً، فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين. قيل: يا نبيّ الله من ولد آدم هم؟ قال: ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق. قيل: يا نبيّ الله فأين إبليس منهم: قال: ما يدرون خلق إبليس أم لم يخلق[(٧)].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٤. (٢) الدر المنثور، ج ٣ ص ١٣٦.

(٣) - (٦) الدر المنثور، ج ٣ ص ١٣٦.

(٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣٠. في المجمع: روى فخر الدين في كتاب جواهر القرآن باسناده إلى رسول الله ﷺ أنّه قال: لله أرض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً، هي مثل الدنيا ثلاثون مرّة مشحونة خلقاً لا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس ولا يعلمون أنّ الله يعصى في الأرض؛ انتهى. [مستدرك السفينة ج ١ لغة «ارض»].

٤٤ - وعن ابن عبّاس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في المسجد حلق حلق، فقال لنا: فيم أنتم؟ قلنا: نتفكّر في الشمس كيف طلعت وكيف غربت، قال: أحسنتم كونوا هكذا تفكّروا في المخلوق ولا تفكّروا في الخالق، فإنّ الله خلق ما شاء لما شاء وتعجبون من ذلك، إنّ من وراء قاف سبع بحار كلّ بحار خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها ومن وراء ذلك سبعين ألف أمّة خلقوا على أمثال الطير هو وفرخه في الهواء لا يفترون عن تسبيحة واحدة ومن وراء ذلك سبعين ألف أمّة خلقوا من ريح، فطعامهم ريح، وشرابهم ريح، وثيابهم من ريح، وآنيتهم من ريح، ودوابّهم من ريح، لا تستقرّ حوافر دوابّهم إلى الأرض إلى قيام الساعة، أعينهم في صدورهم، ينام أحدهم نومة واحدة ينتبه ورزقه عند رأسه، ومن وراء ذلك ظلّ العرش، وفي ظلّ العرش سبعون ألف أمّة ما يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا ولد آدم، ولا إبليس ولا ولد إبليس، وهو قوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

٤٥ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قال: الأنام الخلق، وهم ألف أمّة ستمأة في البحر، وأربعمأة في البرّ[2].

أقول: أوردت أخباراً كثيرة من هذا الباب في المجلّد السابع في باب أنّهم الحجّة على جميع العوالم وجميع المخلوقات.

٤٦ - وروى الكفعميّ والبرسيّ في فضل الدعاء المعروف بالجوشن الكبير بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال له جبرئيل: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً إنّ خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه، وقد تمزّقت لحومهم ووجوههم من البكاء، فأوحى الله إليهم: لم تبكون ولم تعصوني طرفة عين؟ قال: نخشى أن يغضب الله علينا ويعذّبنا بالنار قال عليّ عليه السلام: قلت: يا رسول الله! ليس هناك إبليس أو أحد من بني آدم؟ فقال: والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس، ولا يحصي عددهم إلّا الله، ومسير الشمس في بلادهم أربعون يوماً لا يأكلون ولا يشربون (الخبر)[3].

تذنيب: إعلم أنّ الأخبار الواردة في هذا الباب غريبة وبعضها غير معتبرة الأسانيد كروايات البرسيّ وجامع الأخبار، والمأخوذ من الكتاب القديم، وبعضها معتبرة مأخوذة من أصول القدماء، وليس ما تتضمّنه بعيداً من قدرة الله تعالى.

و«جابلقا» و«جابرسا» ذكرهما اللغويّون على وجه آخر، قال الفيروزآباديّ: جابلص - بفتح الباء واللّام أو سكونها -: بلد بالمغرب وليس وراءه إنسيّ، وجابلق بلد بالمشرق

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣٠.

(٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٤١.

(٣) مشارق أنوار اليقين، ص ٦٥.

(انتهى) ويقال إنّ فيهما أو في إحداهما أصحاب القائم عليه السلام والصوفيّة والمتألّهون من الحكماء أوّلوا أكثر هذه الأخبار بعالم المثال، قال شارح المقاصد: ذهب بعض المتألّهين من الحكماء ونسب إلى القدماء أنّ بين عالمي المحسوس والمعقول واسطة تسمّى عالم المثُل، ليس في تجرّد المجرّدات ولا في مخالطة الماديّات، وفيه لكلّ موجود من المجرّدات، والأجسام، والأعراض، والحركات، والسكنات، والأوضاع، والهيئات، والطعوم، والروائح، مثال قائم بذاته، معلّق لا في مادّة ومحلّ، يظهر للحسّ بمعونة مظهر كالمرآة والخيال والماء والهواء ونحو ذلك، وقد ينتقل من مظهر إلى مظهر، وقد يبطل كما إذا فسدت المرآة والخيال، أو زالت المقابلة أو التخيّل وبالجملة هو عالم عظيم الفسحة غير متناه، يحذو حذو العالم الحسّيّ في دوام حركة أفلاكه المثاليّة، وقبول عناصره ومركباته آثار حركات أفلاكه وإشراقات العالم العقليّ، وهذا ما قال الأقدمون إنّ في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسّيّ لا يتناهى عجائبه ولا تحصى مدنه، ومن جملة تلك المدن جابلقا وجابرسا، وهما مدينتان عظيمتان لكلّ منهما ألف باب لا يحصى ما فيها من الخلائق، ومن هذا عالم يكون فيه الملائكة والجنّ والشياطين والغيلان لكونها من قبيل المثل أو النفوس الناطقة المفارقة الظاهرة فيها، وبه يظهر المجرّدات في صور مختلفة بالحسن والقبح، واللطافة والكثافة، وغير ذلك بحسب استعداد القابل والفاعل، وعليه بنوا أمر المعاد الجسمانيّ، فإنّ البدن المثاليّ الّذي يتصرّف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسّيّ في أنّ له جميع الحواسّ الظاهرة والباطنة فيلتذّ ويتألّم باللذّات والآلام الجسمانيّة وأيضاً تكون من الصور المعلّقة نورانيّة فيها نعيم السعداء، وظلمانيّة فيها عذاب الأشقياء، وكذا أمر المنامات وكثير من الإدراكات، فإنّ جميع ما يرى في المنام أو التخيّل في اليقظة بل نشاهد في الأمراض وعند غلبة الخوف ونحو ذلك من الصور المقداريّة الّتي لا تحقّق لها في عالم الحسّ كلّها من عالم المثل، وكذا كثير من الغرائب وخوارق العادات، كما يحكى عن بعض الأولياء أنّه مع إقامته ببلدته كان من حاضري المسجد الحرام أيّام الحجّ، وأنّه ظهر من بعض جدران البيت أو خرج من بيت مسدود الأبواب والكوى، وأنّه أحضر بعض الأشخاص والثمار أو غير ذلك من مسافة بعيدة جدّاً في زمان قريب إلى غير ذلك، والقائلون بهذا العالم منهم من يدّعي ثبوته بالمكاشفة والتجارب الصحيحة، ومنهم من يحتجّ بأنّ ما يشاهد من تلك الصور الجزئيّة ليست عدماً صرفاً ولا من عالم الماديّات وهو ظاهر، ولا من عالم العقل لكونها ذوات مقدار، ولا مرتسمة في الأجزاء الدماغيّة لامتناع ارتسام الكبير في الصغير، ولمّا كانت الدعوى عالية والشبه واهية كما سبق لم يلتفت إليه المحقّقون من الحكماء والمتكلّمين (انتهى).

ونقل بعضهم عن المعلّم الأوّل في الردّ على من قال: إنّ العالم الجسمانيّ أكثر من واحد: وقد قالت متألّهو الحكماء كهرمس، وأنباذقلس، وفيثاغورس، وأفلاطن وغيرهم من

الأفاضل القدماء إنّ في الوجود عوالم أُخرى ذوات مقادير غير هذا العالم الّذي نحن فيه وغير النفس والعقل، وفيها العجائب والغرائب، وفيها من البلاد والعباد، والأنهار والبحار والأشجار، والصور المليحة والقبيحة ما لا يتناهى، ويقع هذا العالم في الإقليم الثامن الّذي فيه جابلقا وجابرسا، وهو إقليم ذات العجائب، وهي في وسط ترتيب العوالم، ولهذا العالم أفقان: الأوّل وهو الألطف من الفلك الأقصى الّذي نحن فيه، وهو يقع في إدراك الحواسّ والأفق الأعلى يلي النفس الناطقة وهو أكثف منها، والطبقات المختلفة الأنواع من اللطيفة والكثيفة والمتلذّذة والمبهجة والمؤلمة والمزعجة لا يتناهى بينهما، ولا بدّ لك من المرور عليه، وقد يشاهد هذا العالم بعض الكهنة والسحرة وأهل العلوم الروحانيّة، فعليك بالإيمان بها، وإيّاك والإنكار.

وقال أرسطو في «أثولوجيا»: من وراء هذا العالم سماء وأرض وبحر وحيوان ونبات وناس سماويّون، وكلّ من في هذا العالم الجسمانيّ، وليس هناك شيء أرضيّ، والروحانيّون الّذين هناك ملائمون للأنس الّذي هناك، لا ينفر بعضهم عن بعض، وكلّ واحد لا ينفر عن صاحبه، ولا يضادّه، بل يستريح إليه.

وقال صاحب الفتوحات: في كلّ خلق الله تعالى عوالم يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا، إذا أبصرها العارف يشاهد نفسه فيها، وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عبّاس فيما روي عنه في حديث: هذه الكعبة وإنّها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً، وإنّ في كلّ أرض من الأرضين السبع خلقاً مثلنا حتّى أنّ فيهم ابن عبّاس مثلي. وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف، وكلّ منها حيّ ناطق، وهي باقية لا تفنى ولا تتبدّل، وإذا دخلها العارفون إنّما يدخلون بأرواحهم لا بأجسامهم، فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجرّدون، وفيها مدائن لا تحصى، وبعضها تسمّى «مدائن النور» لا يدخلها من العارفين إلّا كلّ مصطفى مختار، وكلّ حديث وآية وردت عندنا ممّا صرفها العقل من ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض، وكلّ جسد يتشكّل فيه الروحانيّ من ملك وجنّ، وكلّ صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض (انتهى).

وأقول: ما أشبه هذه المزخرفات بالخرافات والخيالات الواهية والأوهام الفاسدة، ولا يتوقّف تصحيح شيء ممّا ذكروه على القول بهذا المذهب السخيف، وبسط القول فيه يؤدّي إلى الإطناب، وأمّا الأجساد المثاليّة الّتي قلنا بها فليس من هذا القبيل كما عرفت تحقيقه في المجلّد الثالث، وأكثر أخبار هذا الباب يمكن حملها على ظواهرها، إذ لم يدر أحد سوى الأنبياء والأوصياء ما حول جميع العالم حتّى يحكم بعدمها، وما قاله الحكماء والرياضيّون في ذلك فهو على الخرص والتخمين والله الهادي إلى الحقّ المبين.

تنبيه: قد يستدلّ على ثبوت عالم المثال بما رواه الشيخ البهائيّ رحمه الله في كتاب «مفتاح

الفلاح» عند تأويل ما ورد في دعاء التعقيب «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله، فعند ذلك تراه الملائكة عند العرش ويصلّون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخى الله تعالى على مثاله ستراً لئلّا تطّلع الملائكة عليها، فهذا تأويل «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» (انتهى)(١).

وأقول: وإن أمكن تأويله على ما ذكروه، لكن ليس فيه دلالة على الخصوصيّات الّتي أثبتوها، ولا على عمومها في كلّ شيء، وكذا الكلام فيما ورد من كون صورة أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام ورؤية الرسول صلى الله عليه وآله وآدم عليه السلام أشباح الأئمّة عليهم السلام عن يمين العرش، وأمثال ذلك كثيرة والكلام في الجميع واحد، ونحن لا ننكر وجود الأجسام المثاليّة وتعلّق الأرواح بها بعد الموت، بل نثبتها لدلالة الأحاديث المعتبرة الصريحة عليها، بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضاً فتتعلّق بها الأرواح في حال النوم وشبهه من الأحوال الّتي يضعف تعلّقها بالأجساد الأصليّة فيسير بها في عوالم الملك والملكوت، ولا أستبعد في الأرواح القويّة تعلّقها بالأجساد المثاليّة الكثيرة، وتصرّفها في جميعها في حالة واحدة، فلا يستبعد حضورهم في آنٍ واحد عند جمع كثير من المحتضرين وغيرهم، لكن على وجه لا ينافي القواعد العقليّة والقوانين الشرعيّة، وهذا المقام لا يسع لبسط القول فيها، وبعض العقول القاصرة عن درك الحقائق الخفيّة ربّما لم يحتملها، فلذا طويناها على غرّها، والله الموفّق لنيل غوامض الدقائق وسرّها.

٣ - باب أنّه لم سمّيت الدنيا دنيا والآخرة آخرة

١ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، بإسناده رفعه قال: أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام يهودي فسأله عن مسائل، فكان فيما سأله لم سمّيت الدنيا دنيا؟ ولم سمّيت الآخرة آخرة، فقال عليه السلام: إنّما سمّيت الدنيا دنيا لأنّها أدنى من كلّ شيء، وسمّيت الآخرة آخرة لأنّ فيها الجزاء والثواب(٢).

٢ - **ومنه:** فيما سأل يزيد بن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله سأله عن الدنيا لم سمّيت الدنيا؟ قال: لأنّ الدنيا دنيّة خلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة. قال: فأخبرني لم سمّيت الآخرة آخرة؟ قال: لأنّها متأخّرة تجيء من بعد الدنيا، لا توصف سنينها، ولا تحصى أيّامها، ولا يموت سكّانها (الخبر)(٣).

بيان: قوله في الخبر الأوّل «لأنّها أدنى من كلّ شيء» أي أقرب بحسب المكان أو بحسب

---

(١) مفتاح الفلاح، ص ١٥٦.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠ باب ١ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٨ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

الزمان، أو أخسّ وأرذل على وفق الخبر الثاني. وقوله «لأنّ فيها الجزاء» لعلّه بيان لملزوم العلّة، أي لمّا كان فيها الجزاء، والجزاء متأخّر عن العمل، فلذا جعلت بعد الدنيا وسمّيت بذلك. قال الله عزّوجلّ: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾[1] يعني الدنيا من الدنو بمعنى القرب، وقال سبحانه ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾[2] وبالجملة الأدنى والدنيا يصرفان على وجوه، فتارة يعبّر به عن الأقل فيقابل بالأكثر والأكبر، وتارة عن الأرذل والأحقر فيقابل بالأعلى والأفضل، وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى، وتارة عن الأولى فيقابل بالآخرة وبجميع ذلك ورد التنزيل على بعض الوجوه. وقال الجزريّ: الدنيا إسم لهذه الحياة لبعد الآخرة عنها.

٤ - باب القلم، واللوح المحفوظ، والكتاب المبين، والإمام المبين، وأمّ الكتاب

الآيات: هود: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ «٦».

طه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ «٥٢».

الحج: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «٧٠».

النمل: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ «٧٥».

سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ «٣».

فاطر: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «١١».

يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ «١٢».

الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ «٤».

ق: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ «٤».

الطور: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾.

الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ «٢٢، ٢٣».

القلم: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ «١».

النبأ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ «٢٩».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩. (٢) سورة السجدة، الآية: ٢١.

البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هذا إخبار منه سبحانه أنّ جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر، وهو اللوح المحفوظ، وإنّما أثبت ذلك مع أنّه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك[١].

وقال رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم أعمالهم عند ربي ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، والمعنى: أنّ أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم، وقيل: المراد بالكتاب ما تكتبه الملائكة. ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يذهب عليه شيء، وقيل: أي لا يخطئ ربّي ﴿وَلَا يَنسَى﴾ من النسيان، أو بمعنى الترك[٢].

وقال الرازيّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما وهو قول أبي مسلم أنّ معنى الكتاب الحفظ والضبط والشدّ، يقال: كتبت المزادة إذا خرزتها فحفظت بذلك ما فيها، ومعنى الكتاب بين الناس: حفظ ما يتعاملون به، فالمراد من قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ أنّه محفوظ عنده.

والثاني: وهو قول الجمهور أنّ كلّ ما يحدثه الله في السماوات والأرض كتبه في اللوح المحفوظ، وهذا أولى، لأنّ القول الأوّل وإن كان صحيحاً نظراً إلى الاشتقاق، ولكن الواجب حمل اللفظ على المتعارف، ومعلوم أنّ الكتاب هو ما تكتب فيه الأمور، فكان حمله عليه أولى. فإن قيل: يوهم ذلك أنّ علمه مستفاد من الكتاب، وأيضاً فأيّ فائدة في ذلك الكتاب؟ فالجواب عن الأوّل أنّ كتبه تلك الأشياء في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة للموجودات من أدلّ الدلائل على أنّه سبحانه غنيّ في علمه عن ذلك الكتاب، وعن الثاني أنّ الملائكة ينظرون فيه ثمّ يرون الحوادث داخلة في الوجود على وفقه، فصار ذلك دليلاً لهم زائداً على كونه سبحانه عالماً بكلّ المعلومات. وأمّا قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فمعناه أنّ كتبه جملة الحوادث مع أنّها من الغيب ممّا يتعذّر على الخلق، لكنّها بحيث متى أرادها الله تعالى، كان يعبّر عن ذلك بأنّه يسير، وإن كان هذا الوصف لا يستعمل إلّا فينا من حيث تسهل وتصعب علينا الأمور، ويتعالى الله عن ذلك[٣].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي خصلة غائبة ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني جميع ما أخفاه عن خلقه وغيّبه عنهم ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي إلّا وهو مبين في اللوح المحفوظ[٤].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي لا يفوته ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ[٥].

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٤٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٧.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ٦٦.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٠١.
(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٩٢.

وفي قوله ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي لا يمدّ في عمر معمّر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أي من عمر ذلك المعمّر بانقضاء الأوقات عليه، وقيل: معناه ولا ينقص من عمر غير ذلك المعمّر، وقيل: هو ما يعلمه الله أنّ فلاناً لو أطاع لبقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ أي إلّا وذلك مثبت في اللوح المحفوظ[1]. وقال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ أي أحصينا وعددنا كلّ شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ، وقيل: أراد به صحائف الأعمال[2].

أقول: وقد ورد في كثير من الأخبار أنّ المراد بالإمام المبين أمير المؤمنين عليه السلام كما مرّ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ فإنّه أصل الكتب السماويّة ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ﴾ رفيع الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، كذا قيل، وفي كثير من الأخبار أنّ الضمير راجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام والمراد بأمّ الكتاب السورة الفاتحة، فإنّه عليه السلام مكتوب فيها في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قالوا: الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته وطريقته[3].

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله أي حافظ لعدّتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ، وقيل: أي محفوظ عن البلى والدروس، وهو كتاب الحفظة[4].

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ أي مكتوب ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ وهو الكتاب الّذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون، وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح وهو الرقّ المنشور، وقيل: هو صحائف الأعمال، وقيل: هوالتوراة، وقيل: إنّه القرآن يكتبه المؤمنون في رقّ وينشرونه لقراءته والرقّ ما يكتب فيه[5].

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مثل قحط المطر وقلّة النبات ونقص الثمرات ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من الأمراض والثكل بالأولاد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ أي إلّا وهو مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الأنفس ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي فعلنا ذلك لكيلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي بما أعطاكم الله منها، والّذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذين أنّ الإنسان إذا علم أنّ ما فات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك، وإذا علم أنّ ما ناله منها كلّف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به، وأيضاً إذا علم أنّ شيئاً منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة الّتي تدوم ولا تبيد[6].

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٣٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٦٧-٦٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٣٥.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٧١.
(٦) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٩٩.

وقال البيضاويّ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي نخلقها، والضمير للمصيبة، أو للأرض، أو للأنفس، وقال في قوله ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ فإنّ من علم أنّ الكلّ مقدّر هان عليه الأمر، وفيه إشعار بأنّ فواتها يلحقها إذا خلّيت وطباعها، وأمّا حصولها وبقاؤها فلا بدّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها، والمراد منه نفي الأسى المانع من التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال، ولذلك عقّبه بقوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (انتهى)(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في معنى ﴿نٓ﴾ فقيل: هو إسم من أسماء السورة، وقيل: هو الحوت الّذي عليه الأرضون، عن ابن عبّاس وغيره. وقيل: هو حرف من حروف الرحمن، في رواية أُخرى عن ابن عبّاس، وقيل: هو الدواة عن الحسن وغيره، وقيل: هو لوح من نور، وروي مرفوعاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: هو نهر في الجنّة، قال الله له كن مداداً فجمد، وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وقيل: المراد به الحوت في البحر، وهو من آيات الله تعالى، إذ خلقها من الماء، فإذا فارق الماء مات، كما أنّ حيوان البرّ إذا خالط الماء مات، والقلم هو الّذي يكتب به، أقسم الله تعالى به لمنافع الخلق، إذ هو أحد لساني الإنسان يؤدّي عنه ما في جنانه، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه يحفظ أحكام الدين، وبه تستقيم أمور العالمين، وقد قيل: إنّ البيان بيانان: بيان اللسان، وبيان البنان، وبيان اللسان تدرسه الأعوام، وبيان الأقلام باقٍ على مرّ الأيّام. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما تكتبه الملائكة ممّا يوحى إليهم، وما يكتبونه من أعمال بني آدم، وقيل: ما مصدريّة (انتهى)(٢).

وقال الرازيّ: والقلم فيه وجهان: أحدهما أنّ المقسم به هو هذا الجنس وهو واقع على كلّ قلم في السماء وفي الأرض، كما قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ الثاني: أنّ المقسم به هو القلم المعهود، والّذي جاء في الخبر «أوّل ما خلق الله القلم» قال ابن عبّاس: أوّل ما خلق الله القلم، ثمّ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض، وروى مجاهد عنه قال: إنّ أوّل ما خلق الله القلم، فقال: اكتب القدر، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنّما يجري الناس على أمر قد فرغ منه. قال القاضي: هذا الخبر يجب حمله على المجاز، لأنّ القلم الّذي هو آلة مخصوصة في الكتابة لا يجوز أن يكون حيّاً عاقلاً فيؤمر وينهى، فإنّ الجمع بين كونه حيواناً مكلّفاً وبين كونه آلة الكتابة محال، قال: بل المراد أنّه تعالى أجراه بكلّ ما يكون وهو كقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فإنّه ليس هناك أمر ولا تكليف، بل هو مجرّد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة، ومن الناس من زعم أنّ القلم المذكور هاهنا هو العقل، وأنّه شيء كالأصل لجميع المخلوقات، قالوا: والدليل عليه أنّه روي في الأخبار أنّه أوّل ما خلق الله، وفي خبر آخر أنّ

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٤٧. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٨٤.

أوّل ما خلق الله العقل، وفي خبر آخر: أوّل ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فذابت إلى آخر ما مرّ، قالوا: فهذه الأخبار مجموعها تدلّ على أنّ العقل والقلم وتلك الجوهرة الّتي هي أصل المخلوقات شيء واحد وإلّا لتناقض (انتهى)[١].

أقول: ويمكن الجمع بوجوه أُخرى كما مرّ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ قال البيضاويّ: ﴿كِتَابًا﴾ مصدر لأحصيناه فإن الإحصاء والكتبة مشاركان في معنى الضبط، أو لفعله المقدّر، أو حال بمعنى مكتوباً في اللوح أو صحف الحفظة[٢].

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ قال الرازيّ: أي محفوظ عن أن يمسّه إلّا المطهّرون، أو عن اطّلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقرّبين، أو عن أن يجري فيه تغيير وتبديل ثمّ قال: قال بعض المتكلّمين: إنّ اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرأونه، فلمّا كانت الأخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به (انتهى)[٣].

وأقول: ما ورد في الكتاب والسنّة من أمثال ذلك لا يجوز تأويله والتصرّف فيه بمحض استبعاد الوهم بلا برهان وحجّة ونص معارض يدعو إلى ذلك، وما ورد في بعض الأخبار أنّ اللوح والقلم ملكان لا ينافي ظاهره كما لا يخفى. ويظهر من الأخبار أنّ الله عزّ وجلّ لوحين: اللوح المحفوظ وهو لا يتغيّر، ولوح المحو والإثبات وفيه يكون البداء، كما مرّ تحقيقه في بابه، ويومئ إليه قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٤].

وذكر الرازيّ في المحو والإثبات وجوهاً إلى أن قال: الثامن: أنّه في الأرزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثمّ يزيلها بالدعاء والصدقة، ثمّ قال: وأمّا ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فالمراد أصل الكتاب، والعرب تسمّي كلّ ما يجري مجرى الأصل أمّاً ومنه «أمّ الرأس» للدماغ، و«أمّ القرى» لمكّة، فكذلك «أمّ الكتاب» هو الّذي يكون أصلاً لجميع الكتب، وفيه قولان الأوّل أنّ أمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ، وجميع حوادث العالم العلوي والسفليّ مثبت فيه، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: كان الله ولا شيء ثمّ خلق اللوح وأثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة، وعلى هذا التقدير عند الله كتابان: أحدهما الكتاب الّذي تكتبه الملائكة على الخلق، وذلك الكتاب محلّ المحو والإثبات، والكتاب الثاني اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على تعيين نفس جميع الأحوال العلويّة والسفليّة، وهو الباقي. روى أبو الدرداء عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: إنّ الله تعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الّذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ٧٨. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٧٣.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ١٢٦. (٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

والقول الثاني أنّ أمّ الكتاب هو علم الله فإنّه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات، والمعلومات وإن تغيّرت إلّا أنّ علم الله تعالى بها باقٍ منزّه عن التغيير، فالمراد بأمّ الكتاب هو ذاك (انتهى)[1] وقال الطبرسيّ رحمه الله في تضاعيف الأقوال في ذلك: الرابع أنّه عام في كلّ شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، وروى عكرمة عن ابن عبّاس قال: هما كتابان: كتاب سوى أمّ الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وأمّ الكتاب لا يغيّر منه شيء، ورواه عمران بن حصين عن النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: وأمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ الّذي لا يغيّر ولا يبدّل، لأنّ الكتب المنزلة انتسخت منه، فالمحو والإثبات إنّما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب، عن أكثر المفسّرين، وقيل: سمّي أمّ الكتاب لأنّه الأصل الّذي كتب فيه أوّلاً سيكون كذا وكذا لكلّ ما يكون، فإذا وقع كتب أنّه قد كان ما قيل إنّه سيكون، والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والإعتبار لمن تفكّر فيه من الملائكة الّذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا أنّ ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله وعلمه قبل أن يكون، مع أنّ ذلك أهول في الصدور، وأعظم في النفوس، حتّى كأنّ من تصوّره وتفكّر فيه مشاهد له (انتهى)[2].

واعلم أنّ للحكماء في تلك الأبواب خرافات تنتهي إلى المحالات، ثمّ إلى الزندقة والخروج عن مذاهب أرباب الديانات، وردّوا في لباس التأويل أكثر الآيات والروايات، وإن زعموا تطبيقها عليها بأنواع التمحّلات، فبعضهم يقول: القلم هو العقل الأوّل، وجميع صور الأشياء حاصلة فيه على وجه بسيط عقليّ مقدّس عن شائبة كثرة وتفصيل، وهو صورة القضاء الإلهي، وهو بهذا الإعتبار يسمّى بأمّ الكتاب، ومنه ينتقش في ألواح النفوس الكلّيّة السماويّة كما ينتسخ بالقلم في اللوح صور معلومة مضبوطة منوطة بعللها وأسبابها على وجه كلّيّ، وهو قدره تعالى ومن هذه النفوس الكلّيّة ينتقش في قواها المنطبعة الخياليّة نقوش جزئيّة متشكّلة بأشكال وهيئات معيّنة على طبق ما يظهر في الخارج، وهذا العالم هو لوح القدر كما أنّ عالم النفوس الكلّيّة هو لوح القضاء، وكلّ منهما بهذا الإعتبار كتاب مبين، إلّا أنّ الأوّل محفوظ من المحو والإثبات، والثاني كتاب المحو والإثبات وفيه يكون البداء، لأنّ القوى المنطبعة الفلكيّة لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة، لعدم تناهيها، بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً، وجملة فجملة، مع أسبابها وعللها على نهج مستمرّ، ونظام مستقرّ، فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك ونتائج بركاتها، فمتى يعلم أنّ كلّما كان كذا كان كذا ومهما حصل العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه، فينتقش فيها ذلك الحكم، وربّما تأخّر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّة الأسباب لولا ذلك

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ٦٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٨-٤٩.

السبب، ولم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد، لعدم اطّلاعها على سبب ذلك السبب، ثمّ لمّا جاء أوانه واطّلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأوّل، يمحو عنها نقش الحكم السابق ويثبت الحكم الآخر، ولمّا كان أسباب هذا التخيّل ينتهي إليه سبحانه نسب البداء إليها مع إحاطة علمه سبحانه بالكلّيات والجزئيّات جميعاً أزلاً وأبداً.

١ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل ما خلق الله القلم، فقال له «اكتب» فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة[١].

٢- **ومنه:** في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال: اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على يمين العرش، وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلّم الربّ جلّ ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح، فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل[٢].

٣- **ومنه:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحيم القصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ قال: إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهر في الجنّة كن مداداً فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة، وأصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله في ركن العرش، ثمّ ختم على فم القلم، فلم ينطق بعد، ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الّذي منه النسخ كلّها، أولستم عرباً؟! فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟! وأحدكم يقول لصاحبه «إنسخ ذلك الكتاب» أوليس إنّما ينسخ من كتاب أخذ من الأصل، وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

بيان: هذا يدلّ على أنّ أوّليّة خلق القلم إضافيّة، لسبق خلق الجنّة عليه.

٤ - **العلل:** قال: حدّثنا عليّ بن حبشيّ بن قوني فيما كتب إليّ عن حميد بن زياد، عن القاسم بن إسماعيل، عن محمّد بن سلمة، عن يحيى بن أبي العلاء الرازيّ، أنّ رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: جعلت فداك، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ وأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضة على الخلق أن يأتوه؟ قال: فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليه وقال: ما سألني عن مسئلتك أحد قطّ قبلك، إنّ الله عزّ وجلّ لمّا قال للملائكة ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ضجّت الملائكة من ذلك وقالوا: يا ربّ إن كنت لا بدّ

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٠.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٦.

جاعلاً في أرضك خليفة فاجعله منّا من يعمل في خلقك بطاعتك. فردّ عليهم ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فظنّت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّوجلّ عليهم، فلاذوا بالعرش يطوفون به، فأمر الله عزّوجلّ لهم ببيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء، وأساطينه الزبرجد، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم. قال: ويوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية. وأمّا ﴿نٓ﴾ فكان نهراً في الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، قال الله عزّوجلّ له: كن مداداً، فكان مداداً، ثمّ أخذ شجرة فغرسها بيده. ثمّ قال: واليد القوّة، وليس بحيث تذهب إليه المشبّهة ثمّ قال لها: كوني قلماً، ثمّ قال له: اكتب، فقال: يا ربّ وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة. ففعل ذلك، ثمّ ختم عليه، وقال: لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم[1].

٥ - **معاني الأخبار:** عن محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن معاذ بن المثنّى، عن عبد الله ابن أسماء، عن جويرية، عن سفيان الثوريّ، قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن ﴿نٓ﴾ فقال: هو نهر في الجنّة، قال الله عزّوجلّ: إجمد، فجمد فصار مداداً ثمّ قال عزّوجلّ للقلم: اكتب، فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمداد مداد من نور، والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور، قال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله بيّن لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلّمني ممّا علّمك الله. فقال: يا ابن سعيد، لولا أنّك أهل للجواب ما أجبتك فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك، والقلم يؤدّي إلى اللوح وهو ملك، واللوح يؤدّي إلى إسرافيل، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل، وجبرئيل يؤدّي إلى الأنبياء والرسل. قال: ثمّ قال لي: قم يا سفيان فلا آمن عليك[2].

٦ - **ومنه:** عن أحمد بن الحسن القطّان، عن عبد الرحمن بن محمّد الحسنيّ، عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم، عن محمّد بن أحمد العرزميّ، عن عليّ بن حاتم المنقريّ، عن إبراهيم الكرخيّ، قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن اللوح والقلم، فقال: هما ملكان[3].

٧ - **العياشي:** عن محمّد بن مروان، عن الصادق عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ قال: ﴿نٓ﴾ نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن. قال: فأمر الله القلم فجرى بما هو كائن وما يكون، فهو بين يديه موضوع، ما شاء منه زاد فيه، وما شاء نقص منه، وما شاء كان، وما شاء لا يكون.

أقول: تمامه في باب الطواف.

٨ - **الاختصاص:** سأل ابن سلّام النبيّ صلى الله عليه وآله عن ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ قال: النون اللوح

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨٤ باب ١٤٢ ح ٢. (٢) معاني الأخبار، ص ٢٣.
(٣) معاني الأخبار، ص ٣٠.

المحفوظ، والقلم نور ساطع وذلك قوله ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما طوله؟ وما عرضه؟ وما مداده؟ وأين مجراه؟ قال: طول القلم خمسمأة سنة، وعرضه مسيرة ثمانين سنة، له ثمانون سنّاً يخرج المداد من بين أسنانه، يجري في اللوح المحفوظ بأمر الله وسلطانه. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن اللوح المحفوظ ممّا هو؟ قال: من زمرّدة خضراء أجوافه اللؤلؤ، بطانته الرحمة. قال: صدقت يا محمّد، قال فأخبرني كم لحظة لربّ العالمين في اللوح المحفوظ في كلّ يوم وليلة؟ قال: ثلاثمائة وستّون لحظة[١].

٩- **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمّد بن أورمة، عن النوفليّ، عن عليّ بن داود اليعقوبيّ، عن الحسن بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم، فقال فيما قال: لم يختلف فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أنّ الله عزّوجلّ أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام، وأنّ كتب الله كلّها فيما جرى فيه القلم، هذه الكتب المشهورة في هذا العالم: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، أنزلها الله من اللوح المحفوظ عن رسله (الخبر)[٢].

١٠- **عقائد الصدوق:** إعتقادنا في اللوح والقلم أنّهما ملكان.

أقول: قال الشيخ المفيد رحمه الله: اللوح كتاب الله كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٣] فاللوح هو الذكر والقلم هو الشيء الّذي أحدث الله به الكتاب في اللوح وجعل اللوح أصلاً لتعرف الملائكة منه ما يكون، فإذا أراد الله تعالى أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء بذلك أمرهم بالإطّلاع في اللوح، فحفظوا منه ما يؤدّونه إلى من أرسلوا إليه، وعرفوا منه ما يعملون ولقد جاءت بذلك آثار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمّة عليهم السلام فأمّا من ذهب إلى أنّ اللوح والقلم ملكان فقد أبعد بذلك ونأى عن الحقّ، إذ الملائكة لا تسمّى ألواحاً ولا أقلاماً ولا يعرف في اللغة إسم ملك ولا بشر لوح ولا قلم[٤].

بيان: الصدوق رحمه الله تبع فيما ذكره الرواية، فلا اعتراض عليه، مع أنّه لا تنافي بين ما ذكر المفيد وبين ذلك، إذ يمكن كونهما ملكين ومع ذلك يكون أحدهما آلة النقش، والآخر منقوشاً فيه، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بكونهما ملكين كون حامليهما ملكين مجازاً. ولعلّ الإيمان بمثل ذلك على الإجمال أسلم من الخطأ والضّلال.

١١ - **العقائد للصدوق:** إعتقادنا في نزول الوحي من عند الله عزّوجلّ أنّ بين عيني إسرافيل

---

(١) الإختصاص، ص ٤٩.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٦ باب ١٧ ح ٢.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٤) تصحيح الإعتقاد، ص ٧٤.

لوحاً، فإذا أراد الله سبحانه أن يتكلّم بالوحي ضرب الله ذلك اللوح جبين إسرافيل، فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء[١].

١٢ - **الدرّ المنثور:** عن أبي نعيم في الحلية، عن عليّ عليه السلام مرفوعاً قال: الكرسيّ لؤلؤ، والقلم لؤلؤ، وطول القلم سبعمائة سنة، وطول الكرسيّ حيث لا يعلمه إلّا العالمون[٢].

١٣ - وعن ابن عبّاس قال: إنّ أوّل ما خلق الله من شيء القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والكتاب عنده ثمّ قرأ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٣].

١٤ - وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: كنت مع أبي محمّد بن عليّ، فقال له رجل: يا أبا جعفر ما بدء خلق هذا الركن؟ فقال: إنّ الله لمّا خلق الخلق قال لبني آدم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، فأقرّوا، وأجرى نهراً أحلى من العسل، وألين من الزبد، ثمّ أمر القلم فاستمدّ من ذلك النهر، فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثمّ ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر، فهذا الإستلام الّذي ترى إنّما هو بيعة على إقرارهم الّذي كانوا أقرّوا به[٤].

١٥ - وعن أنس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض وهو عنده فوق العرش، والخلق منتهون إلى ما في ذلك الكتاب، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٥].

١٦ - وعن ابن سابط قال: في أمّ الكتاب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ووكّل بما فيه ثلاثة من الملائكة أن يحفظوه، فوكّل جبرئيل بالوحي ينزل به إلى الرسل وبالهلاك إذا أراد أن يهلك قوماً كان صاحب ذلك، ووكّل أيضاً بالتصرّف في الحروب إذا أراد الله أن ينصر، ووكّل ميكائيل بالقطر أن يحفظه، ووكّل بنبات الأرض أن يحفظه، ووكّل ملك الموت بقبض الأنفس، فإذا ذهبت الدنيا جمع بين حفظهم وحفظ أمّ الكتاب فوجدهما سواء[٦].

١٧ - وعن ابن جريج في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: الذكر الحكيم فيه كلّ شيء كان، وكلّ شيء يكون، وما نزل من كتاب فمنه[٧].

١٨ - وعن ابن عبّاس أنّه سئل عن هذه الآية: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقال: إنّ أوّل ما خلق الله القلم، ثمّ خلق النون، وهي الدواة، ثمّ خلق الألواح فكتب الدنيا وما يكون فيها حتّى تفنى، من خلق مخلوق، وعمل معمول، من برّ أو فجور وما كان من رزق حلال أو حرام، وما كان من رطب ويابس، ثمّ ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه، دخوله في الدنيا متى،

---

(١) الاعتقادات للصدوق، ص ٨١.
(٢) الدر المنثور، ج ١ ص ٣٢٨.
(٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣.
(٤) الدر المنثور، ج ٣ ص ١٤٤.
(٥) - (٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣.

وبقاؤه فيها كم، وإلى كم يفنى، ثمّ وكّل بذلك الكتاب الملائكة، ووكّل بالخلق ملائكة فتأتي ملائكة الخلق إلى ملائكة ذلك الكتاب فينسخون ما يكون في كلّ يوم وليلة مقسوم على ما وكّلوا به، ثمّ يأتون إلى النّاس فيحفظونهم بأمر الله ويستبقونهم إلى ما في أيديهم من تلك النسخ. فقام رجل فقال: يا ابن عبّاس ما كنا نرى هذا! أتكتب الملائكة في كلّ يوم وليلة؟ فقال ابن عبّاس: ألستم قوماً عرباً؟! ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هل يستنسخ الشيء إلّا من كتاب؟![1].

١٩ - وعن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيّئات، تنزل من السّماء كلّ غداة وعشيّة ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الّذي يقتل والّذي يغرق والّذي يقع من فوق بيت والّذي يتردّى من فوق جبل، والّذي يقع في بئر والّذي يحرق بالنار، فيحفظون عليه ذلك كلّه، فإذا كان العشيّ صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم.

وعن ابن عبّاس، قال: كتب في الذكر عنده كلّ شيء هو كائن، ثمّ بعث الحفظة على آدم وذرّيّته، فالحفظة ينسخون من الذكر ما يعمل العباد، ثمّ قرأ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

٢٠- وعن ابن عبّاس أنّ الله جلّ ذكره خلق العرش فاستوى عليه، ثمّ خلق القلم فأمره ليجري بأمره، وعظم القلم ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بما أجري يا ربّ؟ قال: بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر، أو نبات، أو نفس، أو أثر يعني به العمل أو رزق، أو أجل. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش. وأمّا قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإنّ الله وكّل ملائكة يستنسخون من ذلك الكتاب كلّ عام في رمضان ليلة القدر ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضون به حفظة الله من العباد كلّ عشيّة خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافقاً لما في كتابهم ذلك، ليس فيه زيادة ولا نقصان. وأمّا قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ فإنّ الله خلق لكلّ شيء ما يشاكله من خلقه، وما يصلحه من رزقه، وخلق البعير خلقاً لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدوابّ، وكذلك كلّ شيء من الدّوابّ وخلق لدوابّ البرّ وطيرها من الرزق ما يصلحها في البرّ، وخلق لدوابّ البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها في البحر فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

٢١ - وعن ابن عبّاس، قال: أوّل ما خلق الله القلم، فتصوّر قلماً من نور فقيل له: إجر في اللوح المحفوظ، قال: يا ربّ بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة، فلمّا خلق الله الخلق وكّل

---

(١) - (٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٦-٣٧.

بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فلمّا قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم، وقيل ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عرض بالكتابين فكانا سواء(١).

٢٢ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: إنّ ممّا خلق الله لوحاً محفوظاً من درّة بيضاء، دفّتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة، يخلق في كلّ نظرة، ويرزق، ويحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويفكّ ويفعل ما يشاء فذلك قوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٢).

٢٣ - وعن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨)﴾ قال: القرآن الكريم هو القرآن، والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لا يمسّه إلّا المطهّرون. قال: الملائكة هم المطهّرون من الذنوب(٣).

٢٤ - وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد(٤).

٢٥ - وعن معاوية بن قرّة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: لوح من نور، وقلم من نور، يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة(٥).

٢٦ - وعن ابن عبّاس قال: إنّ الله خلق النون، وهي الدواة وخلق القلم فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة(٦).

٢٧ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: النون اللوح المحفوظ، والقلم من نور ساطع(٧).

٢٨ - وعن النبيّ ﷺ قال: إنّ أوّل شيء خلق الله القلم، ثمّ خلق النون وهي الدواة، ثمّ قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل، أو أثر، أو رزق، أو أجل. فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ثمّ ختم على فم القلم، فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثمّ خلق الله العقل فقال: وعزّتي لأكمّلنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت(٨).

٢٩ - وعن قتادة والحسن قال: النون الدواة(٩).

٣٠ - وعن ابن عبّاس في الآية قال: خلق الله القلم، فقال «إجر» فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثمّ خلق الحوت، وهي النون فكبس عليها الأرض ثمّ قال: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١٠).

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٦-٣٧. (٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣٤.
(٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٦١.
(٤) - (١٠) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٥٠.

٣١ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ قال: أُخبرت أنّه لوح واحد فيه الذكر، وأنّ ذلك اللوح من نور، وأنّه مسيرة ثلاثمائة سنة[١].

٣٢ - وعن ابن عبّاس، قال: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق: اكتب علمي في خلقي. فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة[٢].

٣٣ - وعن أنس، قال رسول الله ﷺ إنّ لله لوحاً من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش، وكتب فيه إنّي أنا الله، لا إله إلّا أنا، خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق، من جاء مع شهادة أن لا إله إلّا الله أُدخل الجنّة[٣].

٣٤ - وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ إنّ بين يدي الرحمن تبارك وتعالى للوحاً فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة، يقول الرحمن: وعزّتي وجلالي لا يجيئني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً في واحدة منكنّ إلّا أدخلته الجنّة[٤].

٣٥ - وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله لوحاً من درّة بيضاء، دفّتاه من زبرجدة خضراء، كتابه من نور، يلحظ إليه في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين لحظة، يحيي، ويميت، ويخلق ويرزق، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء[٥].



(١) - (٥) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٣٥.

فهرس الجزء الثالث والخمسون

الموضوع — الصفحة

فهرس الجزء الرابع والخمسون